سلوة العارفين

كتاب جامع لأنواع العلوم المختلفة
من خلق العرش والسموات والأرض إلى فضل العلم والعلماء
إلى أركان الإسلام ومحاسن الأخلاق وذكر الموت والقيامة والحساب

تأليف
الإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي
المتوفى ٥٠٥ هـ

تحقيق
السيد يوسف أحمد

المجلد الثاني

DKI
دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
أسسها محمد علي بيضون
سنة 1971 بيروت - لبنان

سلوة العارفين

كتاب جامع لأنواع العلوم المختلفة
من خلق العرش والسموات والأرض إلى فضل العلم والعلماء
إلى أركان الإسلام ومحاسن الأخلاق وذكر الموت والقيامة والحساب

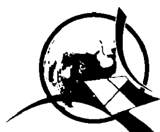
تأليف

الإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي
المتوفى ٥٠٥ هـ

تحقيق

السيد يوسف أحمد

الجزء الثاني



دار الكتب العلمية®
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKI
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales @al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Title	**SULWAT AL-ᶜĀRIFĪN**	سلوة العارفين :	**الكتاب**
Classification:	Manners	آداب وسلوك	**التصنيف**
Author	: Imām Abu Ḥāmid al-Ǧazāli	: الإمام أبو حامد الغزالي	**المؤلف**
Editor	: Al-Sayyid Yūsuf Aḥmad	: السيد يوسف أحمد	**المحقق**
Publisher	: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah	: دار الكتب العلميـــة - بيروت	**الناشر**
Pages	: 768 (2 volumes)	: 768 (جزءان)	**عدد الصفحات**
Size	: 17*24	17*24 :	**قياس الصفحات**
Year	: 2011	: 2011	**سنة الطباعة**
Printed in	: Lebanon	: لبنـــان	**بلد الطباعة**
Edition	: 1st	: الأولى	**الطبعة**



DKI
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون،القبة،مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠





بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

باب الحب في الله والبغض في الله

(وقال: إن الله تعالىٰ إذا أحب عبدًا دعا جبرائيل فقال: إني أحب فلانًا فأحبه[1]، قال: فيحبه جبرائيل، ثم ينادي في السماء فيقول إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض

وإذا بغض عبدًا دعا جبرائيل فيقول: إني أبغض فلانًا فأبغضه

قال: فيبغضه جبرائيل، ثم ينادي في أهل السماء ألا إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه، ثم يوضع له البغض في الأرض[2] من المصابيح[3]

قال ﷺ: «**ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم نورًا ولباسهم نورًا ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يفزع الناس ولا يفزعون ويغبطهم الشهداء والأنبياء**

قالوا: يا رسول الله صفهم لنا؟

قال: «**هم المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله**»[4]

---

(١) قال النووي: قال العلماء: محبة الله تعالىٰ لعبده هي إرادته الخير له وهدايته وإنعامه عليه ورحمته وبغضه إرادة عقابه أو شقاوته ونحوه وحب جبريل والملائكة يحتمل وجهين
أحدهما: استغفارهم له وثناؤهم عليه ودعاؤهم والثاني: أن محبتهم علىٰ ظاهرها المعروف من المخلوقين وهو ميل القلب إليه واشتياقه إلى لقائه وسبب حبهم إياه كونه مطيعا لله تعالىٰ محبوبا له، ومعنى يوضع له القبول في الأرض أي الحب في قلوب الناس ورضاهم عنه فتميل إليه القلوب وترضى عنه وقد جاء في رواية فتوضع له المحبة .
النووي في شرح مسلم (١٦/ ١٥١) طبعة دار الكتب العلمية . .

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ١٧٣)، ومسلم في صحيحه [١٥٧ . (١٢٦٣٧)] كتاب البر والصلة، ٤٨ ، باب إذا أحب عبدًا أحببه إلى عباده، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٤١٣)، وابن كثير في تفسيره (٥/ ٢٦٤)، والقرطبي في تفسيره (٤/ ٦١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٩٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٠٠٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٢٥٨) .

(٤) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٦/ ١٧٤)، والشجري في أماليه (٢/ ١٣٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٠٦)

(من نظر إلىٰ وجه الظالم وسلطان الذي يظلم تذهب البركة أربعون يومًا، ومن نظر إلىٰ وجه عالم جاءت البركة أربعون يومًا لا شك فيها . نقل من تفسير)[١]

عن أبي هريرة قال: سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول:[٢] «**إن في الجنة عمد من ياقوتة عليها غرف من زبرجد لها أبواب مفتحة تضيء لأهل الجنة كما تضيء الكواكب الدراري لأهل الدنيا)**

قلت: يا رسول الله من يسكنها؟ قال: «**المتحابون في الله والمتباذلين في الله والمتزاورون في الله**»

وروي أنه قال لأصحابه: أي عُرى الإيمان أوثق»؟ قالوا: الصلاة

قال: حسنة وليس به، قالوا: الجهاد

قال: حسنة وليس به، قالوا: الحج

قال: حسنة وليس به، قالوا: فأخبرنا يا رسول الله

قال: الحب في الله والبغض في الله[٣]

وروي أن رجلا زار أخاه فأرصد الله له ملكًا فقال: أين تريد؟ قال: أريد أن أزور أخي فلانًا، قال: لحاجة لك عنده؟

قال: لا، قال: لقرابة بينك وبينه؟

قال: لا، قال: فلنعمة لك عنده؟

---

(١) وجدناه بالهامش وكذا كلمه . نقل من تفسير . قالها وسكت ولم يذكر أي تفسير

(٢) أخرجه: بنحوه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ١٤٥)، وابن حجر في المطالب العالية (٢٧٣٤، ٢٧٣٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٧٨)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ١٧٨)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ١٥٨)

وبلفظ المتحابون في الله علىٰ كراسي من ياقوت حول العرش أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ١٧٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٧٧) .

(٣) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٨٩)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ١٧٧)، والسهمي في تاريخ جرجان (٢٨١)، والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٢١٥، ١٠/ ٢١٢)، وابن حجر في فتح الباري (١٠/ ٤٦٣)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٢٤٧)، والشجري في أماليه (٢/ ١٣٣)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٣/ ٣٩١)

قال: لا، قال: فبم؟ قال: الحب في الله

قال: فإن الله تعالىٰ أرسلني إليك ويخبرك أنه تعالىٰ يحبك بحبك إياه، وأوجب لك الجنة» [(١)]

(قال رسول الله ﷺ: المرء علىٰ دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)[(٢)]

وكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليلاً

قال الغزالي: الخليل أقرب من الحبيب

وقال ﷺ: أنت مع من أحببت[(٣)]

ولك ما احتسبت، المرء مع من أحب وله ما اكتسب)[(٤)]

وقال ﷺ: «**المتحابون في الله علىٰ عمود من ياقوتة حمراء علىٰ رأس العمود سبعون ألف غرفة، يشرفون علىٰ أهل الجنة، تضيء حسنهم عليهم ثياب سندس خضر مكتوب علىٰ جباههم المتحابون في الله**» [(٥)]

(عن ابن مسعود: جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف تقول

---

(١) أخرجه: مسلم في صحيحه [٣٨. (٢٥٦٧)] كتاب البر والصلة والآداب

وأحمد في مسنده (٢/ ٤٦٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٦٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٥٠٠٧)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ١٧٦)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ١٥٧)، والخطيب في تاريخ بغداد (٣/ ٤٠٠)، والشجري في أماليه (٢/ ١٣٥).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٧٨)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٠٣، ٣٣٤) ، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٧١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٠١٩) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ١٦٥)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ١٩٨، ٢٣٤)، وعلي القاري في الأسرار المرفوعة (٣١٣)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٢٨١)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٦٠)

(٣) أخرجه: البخاري في صحيحه (٥/ ١٤، ٨/ ٤٩)، ومسلم في صحيحه [١٦١. (٢٦٣٩)] كتاب البر والصلة، ٥٠. باب المرء مع من أحب، وأحمد في مسنده (٣/ ١٦٨) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ٣٣٩)

(٤) وجدناه بالهامش وتخريج الحديث يأتي قريبا

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ١٤٥)، وابن حجر في المطالب العالية (٢٧٣٤، ٢٧٣٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٧٨)، والزبيدي في الإتحاف (١٦/ ١٧٨)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ١٥٨)

في رجل أحب قومًا ولم يلحق بهم بالعمل الصالح؟ قال: «**المرء مع من أحب**»[(١)] أي يحشر مع محبوبه)[(٢)]

وروي أن الله تعالىٰ قال لموسى: يا موسى هل عملت لي عملا قط؟ قال: إلهي صليت لك، قال: الصلاة لك برهان

قال: صمت لك، قال: الصوم لك جنة[(٣)]

قال: تصدقت لك، قال: الصدقة ذلك كله

قال: ذكرتك، قال: هي نور

قال: يا رب دُلني علىٰ عمل هو لك

قال: يا موسى هل واليت لي وليًا قط، وهل عاديت لي عدوًا قط، فعلم موسى أن أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله»

قال ﷺ: «**ما زار رجل أخاه شوقًا إليه إلا ناداه ملك من خلفه، طبت وطابت لك الجنة، أحبهما إلىٰ الله أشدهما حبا لصاحبه**»[(٤)]، **أما البغض في الله فقد روي في الخبر:**

«أخذ علىٰ مؤمن في الميثاق أن يبغض كل منافق وأخذ علىٰ كل منافق أن

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٤٨، ٤٩)، ومسلم في صحيحه [١٦٥ ـ (٢٦٤٠)، كتاب البر والصلة ٥٠ ـ باب المرء مع من أحب وأبو داود في سننه (٥١٢٧)، والترمذي (٢٣٨٦)، وأحمد في مسنده (١/ ٣٩٢)، والطبراني في المعجم الصغير (١/ ٥٨)، وفي الكبير (٨/ ٦٥)، والدارقطني في سننه (١/ ١٣٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٨٦)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٧٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٠٠٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ١١٢)

(٣) حديث «**الصوم جنة**» أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ١٧٥)، والترمذي في سننه (٦١٤، ٢٦١٦) والنسائي (٤/ ١٦٦ ـ المجتبى)، وابن ماجه (٣٦٧٣)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٠٦)، والدارمي في سننه (٢/ ٢٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٤٢)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ١٨٦)، والشجري في أماليه (١/ ٢٦٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ٢٧)

(٤) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٦/ ١٧٦)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ١٥٧).

يبغض كل مؤمن[(١)]، وقال ﷺ: «**لو صمت النهار لا أفطر وقمت الليل لا أنام وأنفقت مالي في سبيل الله وأموت يوم أموت وليس في قلبي لأهل طاعة الله ولا بغض لأهل المعصية ما نفعني شيء من ذلك**»

(وروى جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخلتم بيوتكم فسلموا علىٰ أهلها فإن الشيطان إذا سلم أحدكم لا يدخل بيته**») [(٢)]

وقال ﷺ: « **ردوا هدية الفاجر عليه لكي لا يرى أنكم لا ترضون عمله**»[(٣)]، اعلم أن من يبغض عليه ومن غلبت عليه الطاعة ينبغي أن يحبه ومن اجتمع كلا منهما ينبغي الإعراض والإقبال والصحبة والقطيعة لأنه يتعرض لرضاء الله مرة ولسخطه أخرى

قال: هما إظهار البغض فيقطع لسانه عن محادثته ومكالمته ويتغلظ عليه باستحقاقه وذلك بحسب غلظ المعصية ودقته.

باب السلام

قال ﷺ: «**إذا سلم عليكم اليهود فإنما يقول أحدهم السام عليك فقل: عليك، وإذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم**[(٤)]» **وعن عائشة**[(٥)] **استأذن**

---

(١) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٩/ ٦٦٥)، وعلي القاري في الأسرار المرفوعة (١٢٦)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٣٤١)، والفتني في تذكرة الموضوعات (١٤)

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٩)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٢٧٤)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٩٤٥)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٢٠٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٦٥١)

(٤) أخرجه البخاري قي صحيحه (٨/ ٧١)، وابن حجر في فتح الباري (١١/ ٤٢، ٤٣)، والهيثمي في موارد الظمآن (١٩٤١)، والترمذي في سننه (٣٣٠١)، وابن ماجه في سننه (٣٦٩٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٦٧/ ١٨٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٤٤٢)

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٩٢٧)، ومسلم في صحيحه كتاب السلام (١٠)، وكتاب البر والصلة (٧٧)، والترمذي في سننه (٢٧٠١)، والبيهقي في سننه (١٠/ ١٩٣)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٢٠٢، ٣/ ١٨١)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٤٦، ٦/ =

رهط من اليهود علىٰ النبي ﷺ فقالوا: السام عليك فقلت بل عليكم السام واللعنة فقال: «يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله»

قلت: أو لم تسمع ما قالوا، قال: «**قد قلت وعليكم، وإياك والفحش فإن الله لا يحب الفحش من الصالح**»[١] المصابيح

فينبغي لكل مسلم أن يبدأ بالسلام قبل الكلام ويصافحه عند السلام، قال ﷺ: «**إذا سلم المسلم علىٰ المسلم صلت عليه الملائكة سبعين مرة وإذا مر المسلم علىٰ المسلم ولم يسلم عليه تعجب الملائكة**»

وقال ﷺ: «**يا أنس سلم علىٰ أهل بيتك يكثر خير أهل بيتك**» [٢]

وقال ﷺ: «**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم علىٰ عمل إذا عملتموه تحاببتم، قالوا: بلى يا رسول الله، أفشوا السلام بينكم**» [٣].

وقال بعضهم: دخلت علىٰ رسول الله ولم أسلم، فقال ﷺ: «**ارجع فقل السلام عليكم وادخل**» [٤]

وجاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: السلام عليكم، فقال ﷺ: «**له عشر**

= ٢٧٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٦٣٨)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٦/ ١٩٩)، وابن حجر في فتح الباري (١٠/ ٤٤٩، ١١/ ٤٢)، والحميدي في مسنده (٢٤٨)، والبغوي في شرح السنة (١٣/ ٧٥)

(١) وجدناه بالهامش

(٢) أخرجه العقيلي في الضعفاء (٢/ ١٠٦)، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٣/ ١٤٥)

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٣ .(٥٤)] كتاب الإيمان ٢٢ . باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وابن ماجه في سننه (٣٦٩٢)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٣٩١، ٤٩٥، ١/ ١٦٥)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٢٧٥، ٨/ ٥١)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٨٩)، والبيهقي في سننه (١٠/ ٢٣٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٦٣١)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٤/ ٦٣)، وابن حجر في فتح الباري (١١/ ١٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٦٧)، وابن حجر في المطالب العالية (٢٦٥١)

(٤) أخرجه: أبو داود في سننه (٥١٧٦)، والترمذي في سننه (٢٧١٠)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٣/ ٤١٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٨)، والبيهقي في سننه (٨/ ٣٤٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٦٧١)، وابن كثير في تفسيره (٦/ ١٩)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٢٠٠)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣٧٤)

حسنات»، وجاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فقال ﷺ: «له عشرون»، وجاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته، فقال ﷺ: «له ثلاثون حسنة» [(١)]

وقال ﷺ: «**يُسلم الراكب علىٰ الماشي، والماشي علىٰ القاعد والكثير علىٰ القليل**» [(٢)]

وكان ﷺ يُسلم علىٰ الصبيان والنساء

وأما المصافحة فهي أيضًا سُنة

قال رسول الله ﷺ: «**تمام تحياتكم بينكم المصافحة**» [(٣)]

وقال: «**إذا التقى مؤمنان وتصافحا قُسمت بينهما سبعون مغفرة تسعة وستون لأحسنهما بشرًا**»

وعن البراء بن عازب قال: سلَّم رجل علىٰ رسول الله ﷺ وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوءه، ثم رد عليه ومد يده وصافحه وقال: «**إذا التقى مسلمان فتصافحا تحاتت ذنوبهما**» [(٤)]

---

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه (٨/ ٦٢)، ومسلم في صحيحه كتاب السلام (١)، وأبو داود في سننه (٥١٩٩)، والترمذي في سننه (٢٧٠٣)، وأحمد بن حنبل (٢/ ٥١٠، ٦/ ١٩)، والبيهقي في سننه (٩/ ٢٠٣) وابن حبان في صحيحه (١٩٣٥. الموارد) وعبد الرزاق في مصنفه (١٩٤٤٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٦٣٢)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٢٧٥، ٢٧٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٢٧)، وابن حجر في فتح الباري (١١/ ١٥)، والألباني في السلسلة الصحيحة (١١٤٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٨٩)، والقرطبي في تفسيره (٥/ ٢٩٩)

(٢) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الاستئذان باب كيف السلام والترمذي في سننه (٢٦٨٩) في الاستئذان

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٢٧٣١)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٥/ ٢٦٠)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٢٨٠، ٢٩٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٤٣٢)

(٤) أخرجه: أبو داود في سننه (٥٢١١)، والبيهقي في سننه (٧/ ٩٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٦٧٩)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٢٠٢)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (١٨٩)، والدولابي في الكنى والأسماء (١/ ١٥٤)، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (٢/ ١٥٥)، والذهبي في ميزان الاعتدال (٣٢٨١) وابن حجر في لسان الميزان (٣/ ١٧٣)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٣/ ١٢٢٣، ٥/ ١٨٣٥)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٢٨٠)، وابن عبد البر في التمهيد (١٠/ ١٤٧)

ولا بأس يتقبيل يد المعظم في الدين تبركًا به وتوقيرًا، لما روى كعب بن مالك قال: لما نزلت توبتي أتيت النبي ﷺ فقبلت يده

(عن علي رضي الله عنه إن للمسلم على المسلم ست خصال: يسلم عليه إذا لقيه، ويجيبه إذا دعاه، ويشمته إذا عطس، ويعوده إذا مرض ويتبع جنازته إذا مات، ويحب له ما يحب لنفسه[١] . المصابيح)[٢]

وأما الانحناء عند السلام فمنهي عنه لما روى أنس قال: قلنا لرسول الله أينحني بعضنا لبعض عند السلام، قال: لا

وأما الأخذ بالركاب في توقير العلماء ورد به الأثر: أخذ ابن عباس بركاب زيد ابن ثابت وأخذ عمر بغرز زيد حتى رفعه

وأما القيام فمكروه لأنه ﷺ قال: «**إذا رأيتموني فلا تقوموا كما تصنع الأعاجم**» [٣]

وقال ﷺ: «**من سرّه أن يتمثل له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار**» [٤]

وأيضًا قال: «**لا يقم الرجل للرجل من مجلسه ثم يجلسه فيه ولكن توسعوا**» [٥]

---

(١) أخرجه ابن حجر في المطالب العالية (٢٤٨٩)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٧/ ١٤٩)، والطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٢٢٣، ٤/ ١٤٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٤٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٤/ ٢١٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٨٤)

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٦/ ٢٨١)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٢٠٣)، وابن أبي حاتم الرازي في علل الحديث (٢٠٩٥)

(٤) أخرجه: الترمذي في سننه (٢٧٥٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٣٩٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٣٥١، ٣٥٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٦٩٩)، والدولابي في الكنى والأسماء (١/ ٩٥)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٢٠٣)، وابن أبي حاتم الرازي في علل الحديث (٢٥٣١)

(٥) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (٥/ ٤٨، ٢/ ٤٨٠) والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٢٨١)

ويكره السلام علىٰ من يقضي حاجته

روي أنه ﷺ سلَّم عليه رجل وهو يتبول فلم يجبه، ومن سلَّم علىٰ قاضي الحاجات أو علىٰ المشتغل بالصلاة أو الأذان أو الدعاء أو الأكل في الحمام لا يستحق الجواب وهل يجب بعد الفرغ وجهان

(لكن يستحب بالإشارة فيها أو باللفظ بعدها ولا مانع من السلام علىٰ المساوم والمعامل والقارئ، ووجب الجواب)(١)

ويكره أن يقول ابتداء عليك السلام

قالها رجل لرسول الله ﷺ فقال ﷺ: «**إن عليك السلام تحية الميت، قالها ثلاثًا، فإذا لقي أحدكم أخاه فليقل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته**» (٢)

ويجب أن يكون الرد متصلاً بالسلام

وابتدلوا السلام سنة علىٰ الكفاية، ورد السلام فرض علىٰ الكفاية، وعلىٰ واحد

---

(١) قال النووي: قوله ﷺ « **أفشوا السلام بينكم** » وفيه الحث العظيم علىٰ إفشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم؛ من عرفت ومن لم تعرف كما تقدم في الحديث الآخر، والسلام أول أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه تمكن ألفة المسلمين بعضهم لبعض وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس ولزوم التواضع وإعظام حرمات المسلمين، وقد ذكر البخاري رَحِمَهُ اللهُ في صحيحه عن عمار بن ياسر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك وبذل السلام للعالم والإنفاق من الإقتار، روى غير البخاري هذا الكلام مرفوعا إلى النبي ﷺ وبذل السلام للعالم والسلام علىٰ من عرفت ومن لم تعرف، وإفشاء السلام كلها بمعنى واحد، وفيها لطيفة أخرى، وهي أنها تتضمن رفع التقاطع والتهاجر والشحناء وفساد ذات البين التي هي الحالقة، وأن سلامه لله لا يتبع فيه هواه ولا يخص أصحابه وأحبابه

شرح النووي لصحيح مسلم (٢/ ٣٢)
طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) وجدناه بالهامش

فرض عين، ولا يجوز السلام علىٰ أهل الذمة ولو سلَّم علىٰ من لا يعرفه فبان أنه ذميًا[1] استحب أن يسترد بأن يقول رد عليّ سلامي أو استرجعت سلامي تحقيرًا له، ولو سلم عليه ذمي لم يزد في الرد علىٰ قوله: عليك، ويستحب لمن دخل داره أن يسلم علىٰ أهله، ولمن دخل مسجدًا أو بيتًا ليس فيه أحد أن يقول: السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين

باب الرحمة والشفقة

عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يرحم الله من لا يرحم الناس**» [2]

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (٣/ ٤٨٢)، والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٣٦٤)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٢٠٤)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٢٣٢)، والألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ٣٩٣)، وابن أبي حاتم الرازي في علل الحديث (٣٤٩٣)

(٢) قوله ﷺ فيما رواه مسلم (٦. (٢١٦٣)] كتاب السلام باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب وبالسلام عن أنس أن النبي ﷺ قال: «**إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم**»

قال النووي: اتفق العلماء علىٰ الرد علىٰ أهل الكتاب إذا سلموا لكن لا يقال لهم: وعليكم السلام بل يقال: عليكم فقط أو وعليكم، وقد جاءت الأحاديث التي ذكرها مسلم عليكم، وعليكم بإثبات الواو وحذفها، وأكثر الروايات بإثباتها، وعلىٰ هذا في معناه وجهان: أحدهما أنه علىٰ ظاهره فقالوا: عليكم الموت فقال: وعليكم أيضا، أي نحن وأنتم فيه سواء، وكلنا نموت. والثاني: أن الواو هنا للاستئناف لا للعطف والتشريك وتقديره وعليكم ما تستحقونه من الذم، وأما حذف الواو فتقديره بل عليكم السام، قال القاضي: اختار بعض العلماء منهم ابن حبيب المالكي حذف الواو لئلا يقتضي التشريك، وقال غيره: بإثباتها كما هو في أكثر الروايات.

النووي في شرح مسلم (١٤/ ١٢٢)

طبعة دار الكتب العلمية.

وقال ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الله ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**» (١)

وقال ﷺ: «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا فلم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر**(٢)

(أن يحفظ خدمة الكبير)(٣)

وروي أن رسول الله ﷺ قال: «**والله لا تدخلوا الجنة حتى تراحموا**»(٤)

وقال: «**يقف العبد يوم القيامة بين يدي الله سبحانه وتعالى فيقول يا ربي ارحمني، فيقول: وهل رحمت شيء من خلقي**(٥) **لأجلي ولو عصفورًا رحمتك**»

وروي أن رجلا يشتري الطيور يعقلها ويعذبها فلما كانت وقت موته اجتمعت الطيور علىٰ جنازته ما لا يحصى عددهم وصاحت فلمَّا قبر سمعوا صوتًا إلىٰ متى تصيحون فقد وهبته لكم

---

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه (٩/ ١٤١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٤١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٣٣٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٣٣٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٥٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٩٤٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٨٢)

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤٩٤١)، والترمذي في سننه (١٩٢٤)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ١٦٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٤١)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٥٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٩٦٩)، والدر المنثور (٦/ ٦٥)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٥٢٥)

(٣) وجدناه بالهامش

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (١٩١٩، ١٩٢٠)، وأحمد بن حنبل (١/ ٢٥٧، ٢/ ٢٠٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٣٦٨)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٢٥٨)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٢٤٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٩٧٠)

(٥) قوله ﷺ فيما رواه مسلم في صحيحه [٦٦ ـ (٢٣١٩)] من حديث عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لا يرحم لا يرحمه الله ﷻ**»

قال النووي: قال العلماء هذا عام يتناول رحمة الأطفال وغيرهم .

باب النهي عن التهاجر

قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما يبدأه بالسلام**»[١] **وقال: تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا إلا رجل كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: انظر هذين حتى يصطلحا**[٢]

وقال: «**تعرض أعمال الناس في كل جمعة مرتين يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد مؤمن إلا عبد بينه وبين أخيه شحناء فيقال اتركوا هذين حتى يفيئا**»[٣]

وقال: «**إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم**»[٤]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٢٣٧)، كتاب الاستئذان باب السلام المعرفة وغير المعرفة، ومسلم في صحيحه (٢٣، ٢٥) كتاب البر والصلة باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر، وأبو داود في سننه (٤٦١١، ٤٩١٤)، والترمذي في سننه (١٩٣٢)، وابن ماجه في سننه (٤٦)، وأحمد في مسنده (١/ ١٧٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٣٠٣)، والطبراني في المعجم الكبير (٤/ ١٧٣)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٢٢٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٦٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٠٣٥)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٤/ ١٧١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٥٥)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣٣٥)، وابن المبارك في الزهد (٢٥٣)

(٢) أخرجه: مسلم في صحيحه [٣٥ . (٢٥٦٥)] كتاب البر والصلة باب النهي عن الشحناء والتهاجر وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٢٦٨)، وأبو داود في مسنده (٤٩٦١)، كتاب الأدب باب فيمن يهجر أخاه المسلم، والشجري في أماليه (١/ ٢٧٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٠٢٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٤١١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٢٥)

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٦ ـ (٢٦٥)]، كتاب البر والصلة باب النهي عن الشحناء والتهاجر، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٠٣٠)

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٥ . (٢٨١٢)] كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (١٦) باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس ، وأحمد في مسنده (٣/ ٣١٣، ٥/ ٧٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٣٥)، والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٤٧٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٧٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٣٦٣)، والألباني في السلسلة الصحيحة (٤٧١)

عن أسماء بنت زيد قالت: قال رسول الله ﷺ: **«لا يحل الكذب إلا في ثلاث، كذب الرجل امرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس»** (١)

وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يكون المسلم أن يهجر مسلمًا فوق ثلثه فإذا لقيه سلم عليه ثلاث مرات كل ذلك لا يرد عليه فقد باء بإثمه»** (٢)

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار»** (٣)

وعن أبي فراس السلمي: سمعني رسول الله ﷺ أقول: من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه (أي إراقة الدم توجب العقوبة)(٤)

عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أخبركم بأفضل من درجة القيام والصلاة، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: إصلاح ذات البين»** (٥)

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (١٩٣٩)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ٢١٩، ٧/ ٥٢٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٠٣٣)، والبغوي في شرح السنة (١/ ٢٩٩)

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (١٩١٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٥٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٠٣٤)

(٣) أخرج أوله البخاري في صحيحه (٨/ ٢٣، ٢٥، ٦٥)، ومسلم في صحيحه كتاب البر والصلة، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي [٢٥ ـ (٢٥٦٠)] وأبو داود في سننه (٤٩١١، ٤٩١٤)، والترمذي في سننه (١٩٣٢، ١٩٣٣)، وابن ماجه في سننه (٤٦)، وأحمد بن حنبل في مسنده (١/ ١٧٦، ١٨٣)، والبيهقي في سننه (٧/ ٣٠٣)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٢٢٣، ٢٠٢٢٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٤/ ١٧٣)، والطبراني في المعجم الصغير (٢/ ٥٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٦٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٠٣٥)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣٣٥)، وابن حجر في فتح الباري (١٠/ ٤٩٢)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٤/ ١٧١)

(٤) وجدناه بالهامش

(٥) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب ٥٧ ـ باب إصلاح ذات البين (٤٩١٩)، والترمذي في سننه (٢٥٠٩)، وأحمد في مسنده (٦/ ٤٤٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٨٨)، وابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٦٥)، والزيلعي في نصب الراية (٤/ ٣٥٤)، والبغوي في شرح السنة (١٣/ ١١٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٠٣٨)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣٦٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٢٢)، وابن حبان في صحيحه (١٩٨٢ ـ الموارد)، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٢٤٨)

وكان ﷺ جالسًا فضحك حتى بدت ثناياه (الأسنان الأربع الأولى التي تقع علىٰ الجذر)[١] فقال عمر: لماذا ضحكت؟ قال: رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة، فقال أحدهما: يا رب خُذ لي مظلمتي من هذا، فيقول الله تعالىٰ: لم يبق من حسناته شيء، قال: يا رب فليحمل عني من أوزاري[٢]

ثم بكا رسول الله ﷺ فقال: «**ذلك يوم يحتاج الناس أن يحمل عنهم أوزارهم غيرهم، قال: فيقول الله للمظلوم**[٣] **ارفع بصرك فانظر في الجنان فينظر فيقول: يا رب أرى مدائن من فضة وقصور من ذهب لمن بُني هذا؟ لصديق أو لشهيد؟ يقول الله تعالىٰ: لمن أعطاني ثمنه، فيقول الطالب: بحقك يا رب من يملك ثمنه، يقول الله تعالىٰ: أنت تملكه فيقول: بماذا يا رب، يقول الله: بعفوك علىٰ أخيك، فيقول: يا رب قد عفوت عنه، يقول الله تعالىٰ: خذ بيد أخيك فأدخله الجنة فيدخلهما الله الجنة بالعفو عن صاحبه وبفضله العظيم ولطفه العميم**»

(يعني من آخر فإن هذا ظلمني فأنت وعدت عبادك بأن تأخذ القصاص للمظلوم

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٧٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٠٩)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٥٠٧)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٢٦٧، ١٠/ ٤٧٩)، وابن أبي الدنيا في حسن الظن (١١٦)

(٣) فيما رواه مسلم في صحيحه [٥٩. (٢٥٨١)] في كتاب البر والصلة باب تحريم الظلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما المفلس**» إلى أنا قال: «**إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا إلى آخره**»

قال النووي: معناه أن هذا حقيقة المفلس، وأما من ليس له مال ومن قل ماله فالناس يسمونه مفلسا وليس هو حقيقة المفلس لأن هذا أمر يزول وينقطع بموته وربما ينقطع بيسار يحصل له بعد ذلك في حياته، وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث فهو الهالك الهلاك التام والمعدوم الإعدام المقطع فتؤخذ حسناته لغرمائه فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه ثم ألقي في النار فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه قال المازري: وزعم بعض المبتدعة أن هذا الحديث معارض لقوله تعالىٰ: ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ وهذا الاعتراض غلط منه وجهالة بينة لأنه إنما عوقب بفعله ووزره وظلمه فتوجهت عليه حقوق لغرمائه فدفعت إليهم من حسناته فلما فرغت وبقيت بقية قوبلت علىٰ حسب ما اقتضته حكمة الله تعالىٰ في خلقه . شرح النووي لصحيح مسلم (١٦/ ١١١، ١١٢)

من الظالم كما قلت لقول الله تعالىٰ يوم القيامة للظالم أعط المظلوم حقه وهو يتضرع ويبكي ويقول: إلهي ما بقي من حسناتي شيء الآن في ذلك اليوم لا يكون الدينار والدراهم بل يعطى ثواب الطاعات للخصماء فإذا لم يبق طاعة الظالم يحمل علىٰ عنقه معصيته

ولهذا المعنى يقول المظلوم: فليحمل أوزاري عليه، فلما أخبر بهذا رسول الله ﷺ أصحابه ابتلت عيناه وسالت دموعه علىٰ خده حزنًا علىٰ أمته يوم القيامة)[(١)]

قال ﷺ: «**اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة**[(٢)]، **هكذا بأنه ليس بكذاب من أصلح بين الاثنين .**

وروي أن الحسن والحسين وقع بينهما كلام فقيل للحسين: لو أتيت الحسن فاعتذرت إليه فإنه أكبر منك فلم يأته حتى أتاه الحسن واصطلحا ثم قال الحسين: يا أخي ما تخلفت عنك تكبرًا عليك ولكني سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول: «**إذا اهتجر رجلا كان السابق منهما إلىٰ الصلح سابقًا**[(٣)] **إلىٰ الجنة**»

فأحببت أن أوثرك بالسبقة إلىٰ الجنة، فلذلك لم أتيك حتى أتيتني

(١) وجدناه بالهامش، والحديث ذكره ابن كثير في تفسير سورة الأنفال (٢/ ٢٩١)

(٢) أخرجه: الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٧٦)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ٢٣١)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٤/ ٨٦)، وابن كثير في تفسيره (٣/ ٥٥١)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٢٦٧، ١٠/ ٤٨٠)

(٣) فيما روى من قبل في صحيحه مسلم «**وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**» قال النووي: أي هو أفضلهما وفيه دليل لمذهب الشافعي ومالك ومن وافقهما أن السلام يقطع الهجرة ويرفع الإثم فيها ويزيله، وقال أحمد وابن القاسم المالكي إن كان يؤذيه لم يقطع السلام هجرته، قال أصحابنا: ولو كاتبه أو راسله عند غيبته عنه هل يزول إثم الهجرة وفيه وجهان: أحدهما لا يزول لأنه لم يكلمه

وأصحهما: يزول لزوال الوحشة، وفي قوله ﷺ: «**لا يحل لمسلم**» قد يحتج به من يقول الكفار غير مخاطبين بفروع الشرع والأصح أنهم مخاطبون بها، وإنما قيد بالمسلم لأنه الذي يقبل خطاب الشرع وينتفع به النووي في شرح مسلم (١٦/ ٩٦) طبعة دار الكتب العلمية .

باب الضيافة

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»** [(١)]

وروي أن النبي ﷺ قال: **«الضيف إذا جاء برزقه وإذا ارتحل ارتحل بذنوب أهل البيت ويلقيها بقدرة الله تعالىٰ في البحر**[(٢)] **وقال إن لكل شيء زكاة وزكاة الدار بيت الضيافة»** [(٣)]

وقال حاتم: العجلة من الشيطان إلا في خمسة أشياء: قضاء الدين، والتوبة من الذنوب، وتزويج البكر وتجهيز الميت وتقديم الطعام ما حضر الضيف

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: أحب من الدنيا ثلاث الصوم في الصيف وإكرام الضيف[(٤)] والضرب بين يدي رسول الله بالسيف

---

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه (٨/ ٣) في كتاب الأدب باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره وفي كتاب الرقاق باب حفظ اللسان

ومسلم في صحيحه (٧٤، ٧٥، ٧٦)، كتاب اللقطة باب الضيافة ونحوها (٣٧٤٨)، والترمذي في سننه (١٩٦٧)، كتاب البر والصلة باب ما جاء في الضيافة كم هو، وأحمد بن حنبل في مسنده (١/ ٢٠) والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٦٤، ٨/ ١٦٤)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢٤١، ٢٤٢) والحاكم في المستدرك (٤/ ١٦٤، ١٨٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٧٨، ٨/ ١٦٧)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٢٥٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٢٤٤)، وذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٠/ ٤٤٥، ٥٣١) .

(٢) أخرجه العجلوني في كشف الخفا

(٣) ذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٣١٨).،

(٤) قوله ﷺ في حديث مسلم [١٥] كتاب اللقطة، ٣. باب الضيافة ونحوها عن أبي شريح الخزاعي رفعه **«والضيافة ثلاثة أيام جائزته يوما وليلة»** ....الحديث

قال النووي: قال العلماء : معناه الاهتمام به في اليوم والليلة وإتحافه بما يمكن من بر وإلطاف وأما في اليوم الثاني والثالث فيطعمه ما تيسر ولا يزيد علىٰ عادته وأما ما كان بعد الثلاثة فهو صدقة ومعروف إن شاء فعل، وإن شاء ترك. قالوا : وقوله ﷺ: **«ولا يحل له أن يقيم عنده حتى يؤثمه»** معناه لا يحل للضيف أن يقيم عنده بعد الثلاث حتى يوقعه في الإثم لأنه قد يغتابه طول مقامه أو يعرض بما يؤذيه أو يظن به ما لا يجوز

النووي في شرح مسلم (١٢/٢٨)

عن ميمون أنه قال: أربعة لا ينبغي الشريف أن يأنف منها وإن كان أميرًا قيامه من مجلسه لأبويه وخدمة العالم ليأخذ من علمه وقيامه للضيف بالخدمة وقيامه علىٰ فرسه وإن كان له مائة مملوك

(عن عمر ﷺ قال: من سمع صوت ضيف ففرح كتب الله له ثواب ألف شهيد)[١]

وروى أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله** ﷻ أن يبعث ضيفًا إلىٰ بيت بعث قبل ذلك ملكًا علىٰ صورة طير أبيض فيجيء ويقوم علىٰ عتبة بابه فيقول: السلام عليكم أهل البيت، فيجيبه جبرائيل ﷺ ويقول: ما حاجتك إلىٰ أهل هذا الدار، فيقول: إن الله ﷻ بعثني إليهم وهو يقرئهم السلام ويقول: إن فلانًا يأتيكم ضيفًا إلىٰ أربعين يومًا فهذه بركة رزقه من الجنة، فيتناول جبرائيل ويضعه في تلك الدار في منفاره رقعة، فيقول: جبرائيل: ما هذه الرقعة، فيقول: هذه براءة من النار كتبه الله لأهل هذه الدار)[٢]

وحكي عن الأصمعي[٣] أنه قال: دخلت في البادية فبينما أسير في ليلة مظلمة باردة إذا بخيمة فإذا فيها فتى وعلىٰ رأسه غلام والفتى ينشده:

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) أخرجه: الذهبي في ميزان الاعتدال (٤٦٧٨) وابن حبان في المجروحين (٢/ ٤٣)، وابن حجر في لسان الميزان (٣/ ١٤٩٦)

(٣) الأصمعي هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصبغ بن مظهر الباهلي الأصمعي البصري، صاحب اللغة

كان إمام زمانه في علم اللسان .

وقال الربيع: سمعت الشافعي يقول: ما عبر أحدٌ من العرب بأحسن من عبارة الأصمعي .

وقال يحيى بن معين عنه فقال: لم يكن ممن يكذب، وكان من أعلم الناس في فنه .

وقال المبرد: كان الأصمعي بحراً في اللغة لا نعرف مثله فيها، وقال الأخفش: ما رأيت أحدًا أعلم بالشعر من الأصمعي، وللأصمعي تصانيف كثيرة منها كتاب خلق الإنسان والمقصور والممدود، والأجناس والخيل وكتاب الإبل والنوادر وأصول الكلام والأمثال والأضداد ومعاني الشعر ونوادر الأعراب وغيرها الكثير .

وتوفي رحمه الله سنة (٢١٦)، وقيل أنه عاش (٨٨) سنة

تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (٢١١ . ٢٢٠) .

أوقـد فـإن الـليل ليل قـرٌ والـريح في ذا الـليل ريح صر
عـسى يـرى نـاري مـن يمـر إن جـلـب الـضيف فـأنـت حرّ

قال: فتقدمت إلىٰ الخيمة فسلمت فرد عليّ السلام، وقال: ادخل يا مباركًا علينا وعلىٰ روحنا ، فدخلت فإذا فتى ما رأيت مثله قط في حسن وجهه وكمال عقله، وكنت عنده في ثلاثة أيام لم يسألني عن شيء وكان كل يوم يزيد لي برًا وكرمًا فلما كان اليوم الثالث قال: يا ضيف ما قصتك، فطمعت فيه لكرمه، فقلت أيدك الله إن عليّ ديات وهربت من البصرة، فقال: يا غلام اجمع المواشي كلها، فجمع ما كان للفتى من المواشي، فقال: يا ضيف لست أعلم مبلغ ديتك وليس لي سوى هذه المواشي فقد شاطرتكها فلك النصف ولي النصف، فانصرف إلىٰ البصرة ولم أرى أحد أكرم منه.

باب حسن الخلق

قال ﷺ: «**لما خلق الله الإيمان فقال اللهم قوني فقواه بحسن الخلق والسخاء، لما خلق الله الكفر فقال اللهم قوني فقواه بسوء الخلق والبخل**»[(١)]

وجاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ من بين يديه فقال يا رسول الله ﷺ ما الدين؟ قال: «**حسن الخلق**»[(٢)] ثم أتاه من قبل يمينه فقال: يا رسول الله ما الدين؟ قال: حُسن الخلق ثم أتاه من قبل شماله فقال يا رسول الله ما الدين؟ قال: حسن

(١) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٨٠) والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (٢/ ٤٨).

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٨٥، ٨/ ٢٢، ٢٤)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٢٩١، ٣/ ٥٠٢)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٣١٨، ٣٢٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٠٦، ٤١٢)، وابن كثير في تفسيره (٦/ ٣٤٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧٥)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٤٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١/ ١٤٦) وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٢/ ٢٠٨)

الخلق)[١] ثم أتاه من ورائه فقال: يا رسول الله ما الدين؟ فالتفت إليه فقال أما تفقه هو أن لا تغضب، قيل يا رسول الله ما الشؤم قال: سوء الخلق

قال ﷺ: «**ثلاث من لم يكن فيه واحد منهن لا يعتدنَّ بشيء من علمه التقوى فحجز عن معاص الله والحلم يكف السفيه وخُلق يعيش به بين الناس**»[٢]

وقال ﷺ: «**حسن الخلق يذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد، وأن الخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل**» [٣]

وسألت أم حبيبة[٤] رسول الله ﷺ، المرأة إذا كان لها زوجان في الدنيا فيدخلون وتدخل الجنة لأيهما تكون؟

قال ﷺ: «**لأحسنهما خُلقا عندها في الدنيا**»

يا أم حبيبة ذهب حُسن الخلق بالدنيا والآخرة

وقال ابن لقمان لأبيه: يا أبتي أي الخصال من الإنسان خير، قال الدين، قال: إذا كانتا اثنتين قال: الدين والمال، قال: وإذا كانت ثلاثة، قال: الدين والمال والحياء، قال: إذا كانت أربعة قال: الدين والمال والحياء وحُسن الخلق، قال: فإذا كانت خمسة قال: الدين والمال والحياء وحُسن الخلق والسخاوة

يا بني إذا اجتمعت هذه الخصال فهو تقي ولي الله تعالى، من الشيطان بريء

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) أخرجه: ابن أبي الدنيا في الحلم (٤٩)

(٣) أخرجه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧٣؟)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٣٢٣)، وابن عدي في الكامل (٥/ ١٨٨١)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٤٤٠)

(٤) أم حبيبة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية الأموية، اسمها رملة تزوجها أولاً عبيد الله ابن جحش بن الأسدي ثم توفي عبيد الله وقد تنصر بالحبشة فكاتب رسول الله ﷺ النجاشي فزوجها بالنبي ﷺ وأصدق عنه أربعمائة دينار في سنة ست وكان الذي ولي عقد النكاح خالد ابن سعيد بن العاص ودخل بها النبي ﷺ سنة سبع
قال الواقدي والفسوي وأبو القاسم توفيت (٤٤) وقال المفضل الغلابي توفيت سن (٤٢)، توفيت علىٰ الصحيح بالمدينة وقيل توفيت بدمشق وكانت قد أتتها تزور أخاها.
تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (٤١/ ٥٠).

قال إن حُسن الخلق[١] ليبلغ أعلى درجات الجنة وهو غير عابد، ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك جهنم وهو عابد

وسئل رسول الله ﷺ: **«أي المؤمنين أفضلهم إيمانًا، قال: أحسنهم خلقا»**

وقال ﷺ: **«إنكم لم تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق»** [٢]

وقال الحسن: وحقيقة حسن الخلق بسط الوجه وبذل اليد، وكف الأذى

وقيل هو أن لا يخاصم ولا يتخاصم من شدة معرفته بالله سبحانه، ومعنى حسن الخلق حسن الظاهر والباطل

وقال ﷺ: **«أقربكم مجلسًا مني يوم القيامة أحسنكم خلقًا»** [٣]

باب فضيلة الجوع

قال ﷺ: **«جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله وأنه ليس عمل أحب إلىٰ الله من جوع وعطش)**[٤]

---

(١) روى مسلم صحيحه [٥٦. (٢٣١١)] كتاب الفضائل، ١٣. باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا، عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا»

قال النووي : وفي هذا الحديث بيان كمال خلقه ﷺ وحسن عشرته وحلمه وصفحه؟
ولما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ قالت: "كان خلقه القرآن" ، وذلك فيما رواه أحمد في مسنده (٦/ ٩١) .

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٢)، وابن حجر في المطالب العالية (٢٥٣٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤١١)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٢٢٠، ٧/ ٣٢٠) .

(٣) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٧/ ٤٠٦)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٨٧)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ١٨١) وابن حجر في المطالب العالية (٤١١٢)

(٤) وجدناه بالهامش

والحديث أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٧/ ٣٨٦)، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٣/ ٧٨)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٢٤٧) .

قيل يا رسول الله أي الناس أفضل؟

قال: من قل ضحكه وطعامه ورضي بما يستتر به عورته» [(١)]

وقال ﷺ: «**سيد الأعمال الجوع، وذل النفس لباس الصوف**» [(٢)]

وقال أفضلكم منزلة عند الله يوم القيامة أطولكم جوعًا وتفكرًا وأبغضكم إلىٰ الله كل يوم أكولاً وشروبًا»[(٣)] وقال ﷺ: «**إن الله يباهي الملائكة بمن قل طعامه في الدنيا بقوله تعالىٰ: انظروا إلىٰ عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فترهما أشهدوا يا ملائكتي ما من أكلة بدعها إلا أبدلته بها درجات في الجنة**[(٤)]

(وقال ﷺ: «**الأكل في اليوم مرتين من الإسراف والله لا يحب المسرفين**)[(٥)].

وقال ﷺ: «**لا تموت القلوب إلا بكثرة الطعام والشراب فإن القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء**» [(٦)]

وقال ﷺ: «**حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه**» [(٧)]

---

(١) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٧/ ٣٨٧)

(٢) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٧/ ٣٨٧)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٧٨) والألباني في الضعيفة (٢٤٨)

(٣) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٧/ ٣٨٧)

(٤) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٧/ ٣٨٧)

(٥) وجدناه بالهامش ، وأخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٤٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٨٠) ، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٢٥٧)

(٦) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٧/ ٣٨٧)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٧٨)، والفتني في تذكرة الموضوعات (١٥١)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٧٢١).

(٧) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٥/ ٢١٦، ٦/ ٢٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٨٠) والقرطبي في تفسيره (٣/ ٢٧١)، وابن حبان في صحيحه (١٣٤٩ ـ الموارد) والخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ١٠٤)، وابن الجوزي في تلبيس إبليس (٢١٤)، وابن كثير في تفسيره (٣/ ٤٠٣)، وأخرجه بلفظ ما ملأ ابن آدم وعاء شر من بطنه بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه الحديث

=

وفي حديث أبي هريرة: «**أقرب الناس من الله يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا، الأتقياء الأخفياء الذين إن شهدوا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفقدوا تعرفهم بقاع الأرض وتحف بهم ملائكة السماء، نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله ، افترش الناس وافترشوا الجباه والركب، ضيع الناس فعل النبيين وأخلاقهم وحفظوهم نبكي الأرض من فقدهم ويسخط الله علىٰ كل بلدة ليس فيها واحد منهم .**

وروي أن أبا جحيفة تجشأ (وهو ريح من الصدر وعند امتلاء المعدة من الطعام)[(١)] في مجلس رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: «**أقصر من جشائك يا أبا جحيفة فإن أطول الناس جوعًا يوم القيامة أكثرهم شبعا في الدنيا**» [(٢)]

(وكان أبو جحيفة لما سمع هذا الكلام من النبي ﷺ لم يأكل بعده أكلا ملأ بطنه حتى فارق الدنيا)[(٣)]

كانت عائشة ﵂ تقول إن رسول الله ﷺ لم يمتلئ قط شبعا وربما بكيت رحمة له مما أرى به من الجوع فأسمع بطنه مبيدي فأقول نفسي له الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول ﷺ[(٤)]: «**يا عائشة إخوتي من**

= الترمذي في سننه (٢٣٨٠) كتاب الزهد، باب ما جاء في كراهية الأكل ، والنسائي في الكبرى في الوليمة باب ذكر القدر الذي يستحب للإنسان من الأكل وابن ماجه في سننه (٣٣٤٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٣١)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٣٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٣٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٩٢)، والدارمي في سننه (٢١٣) .

(١) وجدناه بالهامش

(٢) أخرجه التبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٩٣)، وابن المبارك في الزهد (٢١٣)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٧٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٣٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٣١)، وآخره أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٠٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٦/ ٢٨٩)

(٣) وجدناه بالهامش

(٤) روى الترمذي في سننه (٢٣٥٦) في الزهد ، باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ وأهله، عن عائشة قالت ما أشبع من طعام فأشاء أن أبكي إلا بكيت قال: قلت لم؟ قالت: أذكر الحال التي فارق عليها رسول الله ﷺ الدنيا، والله ما شبع من خبز ولحم مرتين في يوم»

وفي لفظ مسلم في كتاب الزهد في فاتحته عن عائشة « **ما شبع رسول الله ﷺ من خبر شعير يومين متتابعين حتى قبض**»

أولي العزم من الرسل قد صبروا علىٰ ما هو أشد من هذا فمضوا علىٰ حالهم فقدموا علىٰ ربهم فأكرم مآلهم وأجزل ثوابهم فإني أستحيي إن ترفهت في معيشتي أن يكثر بره دونهم فالصبر أيامًا يسيرة أحب إليّ من أن ينفض حظي غدا من الآخرة»

قالت عائشة: والله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله تعالىٰ

باب حفظ اللسان

قال رسول الله ﷺ: «**من صمت نجا**» (١)

(لقوله ﷺ: «**من أراد أن يسلم الدنيا والآخرة فليزم ثلاثة ملازمة السكوت ودوام الطاعات وقناعة القوت**» (٢)

وقال ﷺ: «**العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت إلا من ذكر الله، والجزء العاشر في ترك مجالسة السفهاء**»(٣)

وقيل: لكل شيء نجاسة ونجاسة اللسان البذاءة

وقيل رأس الإسلام السكوت وأصل الإيمان السكوت وتاج المؤمن السكوت وقلة الحسنات السكوت، ورضا الرب في السكوت، والنجاة من الناس في السكوت، والسلامة في السكوت والنجاة من النار في السكوت ودخول الجنة في السكوت والجزء

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٥٠١)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٥٩، ١٧٧)، والدارمي في سننه (٢/ ٢٩٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٥٣٦)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٤٤٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٨٣٦)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ١٠٥)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ١٣٢)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥٣٦)

(٢) وجدناه بالهامش والحديث أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٥/ ١٩٠٠)، وذكره الهندي في الكنز (٦٨٩٩)

(٣) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٦/ ٩)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٧٠، ٨٤)، وقال العجلوني رواه الديلمي عن ابن عباس قال العراقي حديث منكر

العاشر في الهرب من الناس وإن كان في الجماعة فضل والسلامة في الوحدة .

(وقال ﷺ من كان ذا وجهين في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار)[١]

وروي أن معاذ قال رسول الله: أي الأعمال أفضل؟ فأخرج رسول الله لسانه ثم وضع أصبعه عليه فقال: هذا)[٢]

وقال ﷺ: «**إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تكفر اللسان وتقول اتقي الله فينا فإنك إن استقمت استقمنا وإذا اعوججت اعوججنا**»[٣]

وقال ﷺ: «**إن أكثر خطايا بني آدم في لسانه**»[٤]

وروي أن رجلا تكلم عند النبي ﷺ فأكثر ، فقال كم دون لسانك من باب قال: شفتان وأسناني، فقال أما كان في ذلك ما يرد كلامك[٥]

ورأى أبو الدرداء امرأة سليطة اللسان فقال: لو كانت هذه خرساء لكان خيرًا لها .

وقال ﷺ: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله يضحك بها جلسائه يهوي بها في النار أبعد من الثريا**»[٦]

---

(١) وجدناه بالهامش والحديث أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٤٦)، وابن حبان في صحيحه (١٩٧٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٨٤٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٢٨٢) والبخاري في الأدب المفرد (١٣١٠)

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٨١) وابن عدي في الكامل (٧/ ٢٧٣٧)

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٢٤٠٧)، كتاب الزهد باب ما جاء في حفظ اللسان، وأحمد في مسنده (٣/ ٩٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٨٣٨)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٤٥١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٣٠٩)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (١)

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (٢/ ١٤٨)

(٥) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٧/ ٤٦٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ١١٢)

(٦) أخرجه ابن ماجه في سننه (٣٩٧٠)، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٦٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٤)، وابن المبارك في الزهد (٣٣٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ١٦٤)، وميزان الاعتدال (٢٨٣٦)، وابن حجر في لسان الميزان (٤/ ٣١٦)، والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٣٥٦)

وقال ﷺ: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي بها بالاً يهوي بها في جهنم**» [(١)].

وقال ﷺ: «**أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضًا في الباطل**» [(٢)]

وهو الكلام في المعاصي، كحكاية أحوال الناس ومجالسة الخمر ومقامات الفساق وتنعم الأغنياء وبخبر الملوك وغيرها فإن الخوض في ذلك حرام

(قال ﷺ «**ويلٌ لمن يحدث فيكذب ليضحك ويلٌ له ويلٌ له**» [(٣)]

وقال ﷺ «**إن العبد ليقول الكلمة لا يقولها إلا ليضحك بها الناس يهوي بها أبعد مما بين السماء والأرض أي يعني يبعد عن الخير والرحمة بسبب تلك الكذبة**») [(٤)]

باب الفحش

قال ﷺ: «**إن الله لا يحب الفحش**» [(٥)]

ونهى رسول الله ﷺ علىٰ أن يسب قتلى بدر من المشركين وقال: «**لا تسبوا**

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٥٥)، ومالك في الموطأ (٩٨٥)، وبلفظ «**لا يرى بها بأسًا**» أخرجه الترمذي في سننه (٢٣١٤)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٣٦)

(٢) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٧/ ٤٦٩)

(٣) وجدناه بالهامش

(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢٥٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٨٣٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٥٣٧)، وابن المبارك في الزهد (٢٥٥)

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (١١) كتاب السلام وأحمد في مسنده (٢/ ١٥٩، ١٦٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٤٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٨٤)، وابن خزيمة في صحيحه (٥٧٤، ١٥٨٥)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٢٨١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٤٥)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٨٣)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٤٧٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٧٩)

هؤلاء فإنه لا يخلص إليه شيء مما تقولون وتؤذون به الأحياء» (١)

وقال ﷺ: «**الجنة حرام علىٰ كل فاحش أن يدخلها**» (٢)

قال: طعام رجل يؤذي أهل النار علىٰ ما بهم من الأذى يسيل من فيه قيح ودم فيقال ما بال الأبعد قد أذانا علىٰ ما بنا من أذى ويقال إن الأبعد كان ينظر إلىٰ كلمة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرشف

ويقال الفاحش يوم القيامة في جوف كلب

قال رجل: يا رسول الله الرجل من قومي وهو دوني يسبني فهل عليّ بأس أن أنتصر منه؟

فقال: «**المستبان شيطانان**» (٣)

وقد قال ﷺ: «**إن أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه، فقيل كيف يسب الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل ويسب هو أباه وأمه ويسب الأخر أباه**» (٤)

(١) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٧/ ٤٧٨)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ١١٧).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (١٩٨٢) وأحمد في مسنده (٤/ ٢٥٢)، وابن حبان في صحيحه (١٩٨٧ ـ الموارد) وبلفظ لا تسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلى ما قدموا

أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ١٢٩)، والنسائي (٤/ ٥٣ ـالمجتبى)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٧٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٨٥).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٦٢، ٢٢٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٣٥)، وابن حبان صحيحه (١٩٧٧ ـ الموارد) والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٦٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٧٥)، والزبيدي في الاتحاف (٧/ ٤٨٢)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٣٦٥)

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٩٧٣)، كتاب الأدب، ٤ ـ باب لا يسب الرجل والديه وأبو داود في سننه (٥١٤١)، وأحمد في مسنده (٢/ ٥٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٦٩)

الفحش تعبير عن الأمور المستقبحة وكل ما يخفى ويستحى منه فلا ينبغي أن يذكر بالصريح

عن الأعمش قال: أني لأرى الرجل يعمل العمل فأكره في نفسي ما يمنعني أن أعتبه به إلا ما خافت أن أبتلى به لقوله ﷺ: «**البلاء موكل بالمنطق**»

وروي أيضـًا «**ما من عبـد يعبر بشيء قال والله لأفعلـه إلا ترك الشيطان كما عمل وولـع بذلك حتى يقعه فيــه فلولا أن رجلا عيــر برضاع كلبـه لرضعها**»[(١)]

باب المجادلة واللعن

روي عن أم سلمة قالت: قال النبي ﷺ: «**إن أول ما عهد إليّ ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحات الرجل**» [(٢)]

قال ﷺ: «**ما أضل قوم بعد إذ هديهم الله إلا أوتوا الجدل**» [(٣)]

قال عيسى ؈: من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاح الرجال سقطت مروءته ومن كثر همه سقم جسمه

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ٨٣)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (٣٢٠)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٢٩٦)، والسيوطي في اللالئ (٢/ ١٥٨)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٤٣، ٣٤٤)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٣/ ٢٧٩)، والفتني في تذكرة الموضوعات (١٧٠)، وعلي القاري في الأسرار المرفوعة (١٥٥)

(٢) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٧/ ٤٧٠)، والعراقي في المغني عن حمل الإسفار (٣/ ١١٣)

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٣٢٥٣)، وابن ماجه في سننه (٤٨)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٥٢، ٢٥٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٤٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٣٣٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٣٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٨٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٠)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ٢٧٧)، والآجري في الشريعة (٥٤)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٤٧)

وقال بلال بن سعد[(١)] إذا رأيت الرجل لجوجا ممارداً معجبًا برأيه فقد تمت خسارته وحد المراء (أي حد اللجوج)[(٢)] هو كا اعتراض علىٰ كلام الغير إما في اللفظ بإظهار خلل من جهة النحو واللغة والعربية أو من جهة النظر والترتيب سواء تقديم وتأخير

وأما في المعنى بأن يقول: ليس كما تقول أو قد أخطأت فيه

وأما اللعن: إما لحيوان أو لجماد كالحجر والحطب أو لإنسان وذلك مذموم

وقال ﷺ: « **المؤمن ليس بلعان**» [(٣)]

وروي أن رسول الله ﷺ في بعض أسفاره إذا امرأة علىٰ ناقة فضجرت منها فلعنتها، فقال ﷺ: «**خذوا ما عليها واعروها فإنها ملعونة**»[(٤)] قال: فكان تلك الناقة تمشي في الناس لا يعرض لها أحد

---

(١) بلال بن سعد بن تميم، أبو عمرو القاضي الأشعري وقيل الكندي، الدمشقي السكوني، ثقة عابد، فاضل أخرج له البخاري في الأدب وأبو داود في القدر والنسائي توفي سنة (١٢٠)

ترجمته : تهذيب التهذيب (١/ ٥٠٣)، تقريب التهذيب (١/ ١١٠)، والبخاري في التاريخ الكبير (٢/ ١٠٨)، والجرح والتعديل (٢/ ١٥٦٠)، والذهبي في سير الأعلام (٥/ ٩٠)، وابن سعد في طبقاته (٧/ ٤٦١)، الثقات (٤/ ٦٦) .

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (١٩٧٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٩٣، ٢٤٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٩٧)، والحاكم في المستدرك (١/١٢)، وابن حبان في صحيحه (٤٨ ـ االموارد)، والبخاري في الأدب المفرد (٣١٢، ٣٣٢)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٤٧٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٨٤٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٢٣٥)، وابن أبي عاصم في سننه (٢/ ٤٨٦)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ١١٧)

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٨٠ ـ ٢٥٩٥] [٨١ ـ (٠٠٠ كتاب البر والصلة، ٢٤ باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ، وأحمد في مسنده (٤/ ٤٣١)، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ١٩٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٤٨٥)، والألباني في إرواء الغليل (٧/ ٢٤٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٧٣)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٤٨٤)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ١١٩)

عن عائشة قالت: سمع رسول الله ﷺ أبا بكر وهو يلعن رقيقه فالتفت إليه وقال: «**يا أبا بكر اللعانين والصديقين**» مرتين أو ثلاثة، فأعتق أبو بكر يؤمئذ رقيقه، وجاء إلىٰ النبي فقال ﷺ: «**إن اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة**» (١)

وقال أنس: كان رجل مع رسول الله ﷺ علىٰ بعير فلعن بعيره، فقال ﷺ: «**يا عبد الله لا تسر معنا علىٰ بعير**(٢) **ملعون**»، قال ذلك إنكارًا عليه

واللعن: عبارة عن الطرد والإبعاد من الله، وذلك غير جائز إلا علىٰ من يتصف بصفة بعده من الله وهو الكفر والظلم بأن يقول: فلعنة الله علىٰ الظالمين وعلىٰ الكافرين

وقال ﷺ: «**من لعن المؤمن فهو مثل أن يقتله**» (٣)

ويقرب من اللعن الدعاء علىٰ الإنسان بالشر علىٰ الظالم، كقول الإنسان: لا صحح الله جسمه ولا سلمه الله وما يجري مجراه، فكل ذلك مذموم

---

(١) أخرجه الزبيدي في الاتحاف (٧/ ٤٨٥)، وأحمد في مسنده (٦/ ٤٤٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٩٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٨٢٠)، والبخاري في الأدب المفرد (٣١٦)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٩٥٣٠)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ١٢٠).

(٢) أخرجه :المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٧٤)، وابن حجر في المطالب العالية (٢٧٠٠)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٤٨٥)

(٣) أخرجه:. البخاري في صحيحه (٨/ ١٩) وقال النووي في حديث «**لا ينبغي لصديق أن يكون لعانا**» :.فيه الزجر عن اللعن وأن من تخلق به لا يكون فيه هذه الصفات الجميلة لأن اللعنة في الدعاء يراد بها الإبعاد من رحمة الله تعالىٰ وليس الدعاء بهذا من أخلاق المؤمنين

ثم قال: ولهذا جاء في الحديث الصحيح: «**لعن المؤمن كقتله**» لأن القاتل يقطعه عن منافع الدنيا وهذا يقطعه عن نعيم الآخرة ورحمة الله تعالى، وقيل معنى لعن المؤمن كقتله في الإثم وهذا أظهر

النووي في شرح مسلم (١٦/ ١٢٣) طبعة دار الكتب العلمية .

وفي الخبر: إن المظلوم ليدعوا علىٰ ظالمه حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضل يطالبه يوم القيامة» (١)

باب وعد الكاذب

قال ﷺ: «**ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان**» (٢)

وقد أثنى الله تعالىٰ علىٰ نبيه إسماعيل ﷺ فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ (٣) وذلك أنه وعد إنسانًا في موضع فلم يرجع إليه فبقي اثنين وعشرين يوما في انتظاره.

عن عبد الله بن أبي الحمساء (٤) قال: بايعت النبي ﷺ ببيع وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكان فنسيت اليوم والغد فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه

---

(١) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٧/ ٤٩٣).
والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ١٢٢)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (٢١١)، والفتني في تذكرة الموضوعات (١٨٤)

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٥٣٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٨٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٠٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٧٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٤٠٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٢٥٥)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٢٦٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٥٩٤)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (٣١)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٣/ ٤٣٧)

(٣) سورة مريم (٥٤)

(٤) عبد الله بن أبي الحمساء ﷺ العامري صحابي أخرج له أبو داود
ترجمته: تهذيب التهذيب (٥/ ١٩٢)، تقريب التهذيب (١/ ٤١٠)، الكاشف (٢/ ٨١)، تاريخ البخاري الكبير (٣/ ٢٦)، الجرح والتعديل (٥/ ٤٢)، أسد الغابة (٣/ ٢١٧)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ٣٠٦)، الإصابة (٤/ ٦٣)، الاستيعاب (٣/ ٨٩٢).

فقال: «**يا فتى لقد شققت علي وأنا ها هنا منذ ثلاث أنتظرك**» (١)

وروي أن رسول الله ﷺ وعد أبا الهيثم خادمًا فأوتي بثلاثة من السبي فأعطى اثنين وبقي واحد فجاءت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تطلبه منه وهي تقول: ألا ترى أثر الرحى يا رسول الله في يدي فذكر موعده لأبي الهيثم فآثره به علىٰ فاطمة لما سبق من موعده معه مع أنها كانت تدير الرحا بيدها الضعيفة فهكذا الوعد فإن اللسان سباق إلىٰ الوعد وربما لا تسمح النفس بالوفاء فيصير خلفا وذلك من أمارات النفاق .

باب الكذب

وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب قال ﷺ: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم ولا يكلمهم الله يوم القيامة، المنان بعطية، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب، والمسبل إزاره**» (٢)

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٤٩٩٦)، كتاب الأدب باب في العدة، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٩٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٢٢٤)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٥٠٦)، والقاضي في الشفا (١/ ٢٥٧)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (٣٢)، والقرطبي في تفسيره (١/ ١١٥)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٢٣٩)، وابن سعد في طبقاته (٧/ ٤١)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٧١] كتاب الإيمان باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية

والترمذي في سننه (١٢٠٠)، كتاب البيوع باب ما جاء فيمن حلف علىٰ سلعة كاذبًا، والنسائي (٧/ ٢٤٧ . المجتبى) وابن ماجه في سننه (٢٢٠٧، ٢٢٠٨)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٥٣، ٥/ ١٥٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٩١)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ١١٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٥٧). وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ١٣٠) .

وسئل رسول الله ﷺ قال: هل يزني المؤمن يا رسول الله، قال: يكون ذلك، قال: هل يسرق، قال: يكون ذلك، قال: فهل يكذب، قال: لا، ثم قرأ ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١)

قال عبد الله بن عامر(٢) جاء رسول الله ﷺ إلىٰ بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت ألعب فقالت لي أمي: يا عبد الله تعالىٰ أعطيك، فقال ﷺ لها: وما أردت أن تعطيه، فقالت: تمرًا، فقال ﷺ: «**إن لم تفعلي كتبت عليك كذبة**» (٣)

وقال ﷺ: «**إن العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميلٍ من نتنه مما جاء به**» (٤)

وقال مالك بن دينار: الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه»

أمَّا ما رخص فيه الكذب(٥) بأن يكون في الصدق سفك دم مسلم.

---

(١) سورة النحل (١٠٥)

(٢) عبد الله بن عامر بن ربيعة العنزي المدني العدوي ولد في عهد النبي ﷺ وأخرج له أصحاب الكتب الستة ووثقه العجلي توفي سنة بضع وثمانين

ترجمته: تهذيب التهذيب (٥/ ٢٧٠)، تقريب التهذيب (١/ ٤٢٥)، الجرح والتعديل (٥/ ١٢٢)، ميزان الاعتدال (٢/ ٤٢٥)، تاريخ البخاري الكبير (٥/ ٥٧)، أسد الغابة (٣/ ٢٨٦)، الإصابة (٤/ ١٣٨)، الثقات (٣/ ٢١٩)، الوافي بالوفيات (١٧/ ٢٢٨).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٤٩٩١)، كتاب الأدب باب في التشديد في الكذب ، وأحمد في مسنده (٤٤٧)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (٣٣)

(٤) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٧/ ٥١٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٠٧٦)، والطبراني في المعجم الصغير (٢/ ٣٠)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ١٣٢)

(٥) روى مسلم في صحيحه [١٠١. (٢٦٠٥)] كتاب البر والصلة والآداب، ٢٧. باب تحريم الكذب وبيان المباح منه ، عن أم كلثوم بنت عقبه بن أبي معيط أنها سمعت رسول الله ﷺ =

قد (اختلف)[1] من الظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم إصلاح ذات البين أو مقصود الحرب إلا بكذب فالكذب مباح إلا أنه ينبغي أن يحترز منه ما أمكن وما عداه مثل أن يأخذ ظالم من ماله ويسأله عنه فله أن ينكره أو يأخذه السلطان فليسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالىٰ فله أن ينكره ويقول ما زنيت وما شربت

وأما شهادة الزور فأيضًا مذموم وهو من الكبائر

وقال ﷺ: «**إياكم وشهادة الزور والشرك بالله لقوله تعالىٰ**: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ [**الحَجّ**: ٣٠] واجتنبوا قول الزور ومن كتم الشهادة كان كمن شهد بالزور»

= وهو يقول: «**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ويقول خيراً وينمي خيراً**» قال ابن شهاب ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها.

قال النووي: قال القاضي : لا خلاف في جواز الكذب في هذه الصور، واختلفوا في المراد بالكذب المباح فيها ما هو فقالت: طائفة: هو علىٰ إطلاقه وأجازوا قول ما لم يكن في هذه المواضع للمصلحة وقالوا الكذب المذموم ما فيه مضرة واحتجوا بقول إبراهيم ﷺ : ﴿ بل فعله كبيرهم ﴾، ﴿ إني سقيم ﴾ وقوله إنها أختي، وقول منادي يوسف عليه السلام ﴿ أيتها العير إنكم لسارقون ﴾، قالوا ولا خلاف أنه لو قصد ظالم قتل رجل هو عنده مختف وجب عليه الكذب في أنه لا يعلم أين هو .

النووي في شرح مسلم (١٦/ ١٣٠)

طبعة دار الكتب العلمية .

(١) كذا بالأصل

باب الغيبة

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ﴾ [الحُجرَات: ١٢]

قال ﷺ: «**إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا، وإن الرجل ليزني فيتوب فيتوب الله عليه، وإن صاحب الغيبة لا يغفر الله له حتى يغفر له صاحبه**»(١)

(قال الفقيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الغيبة علىٰ أربعة أوجه الأول: كفر، والثاني: نفاق، والثالث: معصية، والرابع: مباح، وهو مأجور فيها

فأما الوجه الذي هو كفر فهو إذا اغتاب من المسلم قيل له: لا تغتب فيقول هذا ليس غيبة وأنا صادق في ذلك، فقد استحل ما حرم الله تعالىٰ وصار كافرًا

وأما الوجه الذي هو نفاق فهو أن يغتاب الإنسان إنسانًا ولا يسميه عند من يعرفه أنه يريد به فلانًا، فهو يغتابه ويرى من نفسه أنه متورع فهذا نفاق

وأما الوجه الذي هو معصية فهو أن يغتاب من الإنسان إنسانًا ويسميه ويعلم أنها معصية فهو عاص وعليه التوبة

والرابع: أن يغتاب من الفاسق فاسقًا معلناً بفسقه بصراحة(٢)، أو صاحب

---

(١) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٧/ ٥٣٣) والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ١٣٨)، وابن أبي حاتم في علل الحديث (١٨٥٤)

في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ﴾ قال ابن كثير: فيه نهي عن الغيبة وقد فسرها الشارع كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود بسنده عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله ما الغيبة؟ قال ﷺ: «**ذكرك أخاك بما يكره**» قيل أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال ﷺ: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**»، وقال أبو داود بسنده عن أبي حذيفة عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: قلت للنبي ﷺ: **حسبك من صفية كذا وكذا قال غير مسدد تعني قصيرة فقال: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته»** وحكيت له إنساناً فقال ﷺ: «**ما أحب أني حكيت إنسانا، وإن لي كذا وكذا**»

تفسير ابن كثير (٤/ ٢١٣)

(٢) تباح الغيبة لغرض شرعي في ستة أسباب:

أحدها: التظلم فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلىٰ السلطان والقاضي وغيرهما

الثاني: الاستعانة علىٰ تغيير المنكر ورد العاصي إلىٰ الصواب.

الثالث: الاستفتاء بأن يقول للمفتي: ظلمني فلان أو أبي أو أخي أو زوجي بكذا فهل له ذلك. =

بدعة، فهو مأجور لأنهم يحذرون منه إذا عرفوا حاله لقوله ﷺ: «**اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس**»[١] من تنبيه الغافلين)

ويقال: ثلاثة لا تكون غيبتهم غيبة: سلطان جائر، وفاسق معلن، وصاحب بدعة . يعني إذا ذكر فعلهم وبذاءهم بغيب فلا بأس لكي يحذرهم الناس

وأما الغيبة فإن لم يبلغ فلو تاب فيكفي الشرائط الثلاثة وهي أن يندم علىٰ ما فعل، ويترك في الحال مثله ويعزم علىٰ أن لا يعود إليه أبدًا فإن تاب فيأتي المغتاب ويستحل منه وأما إذا لم يبلغ إلىٰ صاحب تلك الغيبة، فتوبته أن يستغفر الله ويتوب إليه[٢]، ولا يخبر صاحبه فهو أحسن لكي لا تدخل قلبه

= **الرابع**: تحذير المسلمين من الشر وذلك من وجوه منها جرح المجروحين من الرواة والشهود والمصنفين وذلك جائز بالإجماع بل واجب صونا للشريعة

الخامس: أن يكون مجاهرا بفسقه أو بدعته كالخمر ومصادرة أموال الناس وجباية المكوس وتولي الأمور الباطلة فيجوز ذكره بما يجاهر به ولا يجوز بغيره إلا بسبب آخر

السادس: التعريف فإذا كان معروفا بلقب كالأعمش والأعرج والأزرق والقصير والأعمى والأقطع ونحوها جاز تعريفه به ويحرم ذكره به تنقصا

النووي في شرح مسلم (١٦/ ١١٧، ١١٨)

طبعة دار الكتب العلمية .

(١) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (١/ ١١٤، ٢/ ٤٩٢)، والكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (١٥٧)

(٢) والتوبة من مهمات الإسلام وقواعده المتأكدة ووجوبها عند أهل السنة بالشرع وعند المعتزلة بالعقل ولا يجب علىٰ الله قبولها إذا وجدت بشروطها عقلا عند أهل السنة لكنه سبحانه وتعالى يقبلها كرما وفضلا وعرفنا قبولها بالشرع والإجماع خلافا لهم وإذا تاب من ذنب ثم ذكره هل يجب تجديد الندم فيه خلاف لأصحابنا وغيرهم من أهل السنة قال ابن الأنباري يجب وقال إمام الحرمين لا يجب، وتصح التوبة من ذنب وإن كان مصرا علىٰ ذنب آخر، وإذا تاب توبة صحيحة بشروطها ثم عاود ذلك الذنب كتب عليه ذلك الذنب الثاني ولم تبطل توبته ، هذا مذهب أهل السنة في المسألتين وخالفت المعتزلة فيهما، قال أصحابنا: ولو تكررت التوبة ومعاودة الذنب صحت، ثم توبة الكافر من كفره مقطوع بقبولها وما سواها من أنواع التوبة هل قبولها مقطوع به أم مظنون فيه خلاف لأهل السنة واختار إمام الحرمين أنه مظنون وهو الأصح والله أعلم

النووي في شرح مسلم (١٧/ ٥٠)

طبعة دار الكتب العلمية .

ولـو أنه قـال بهتاناً لم يكـن ذلك فيـه فإنه يحتـاج إلىٰ التوبة في ثلاثة مواضع:

أحدها: أن يرجع إلىٰ الناس الذين تكلم بالبهتان عندهم ويقول: إني قد ذكرت عندكم فلانًا بكذا وكذا فاعلموا أني كنت كاذبًا في ذلك

والثاني: أن يذهب إلىٰ الذي قال عليه البهتان ويطلب منه أن يجعله في حل

والثالث: أن يستغفر الله تعالىٰ ويتوب إليه فليس شيء من الذنوب أعظم من البهتان ، فإنه في سائر الذنوب يحتاج إلىٰ توبة واحدة، وفي البهتان يحتاج إلىٰ التوبة في ثلاثة مواضع

وقد قرن الله تعالىٰ البهتان بالكفر، فقال تعالىٰ: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [**الحج: ٣٠**] [١]. (من تنبيه الغافلين)[٢]

قال ﷺ: «**رأيت قومًا ليلة أسري بي إلىٰ السماء يخمشون وجوههم بأظفارهم فقلت: يا جبرائيل من هؤلاء قال: هؤلاء الذين يغتابون الناس**»

وأوحى الله تعالىٰ إلىٰ موسى بن عمران: من مات تائبًا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة، ومن مات مصرًا عليه فهو أول من يدخل النار

ولما رجم رسول الله ﷺ الرجل في الزنا قال رجل لصاحبه: هذا قعص كما يقعص الكلب، فمر النبي ﷺ وهما معه بجيفة فقال: «**انهشا منها**» قالا: يا رسول الله أنهش جيفة، قال: «ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذا» [٣]

---

(١) روى البخاري في صحيحه (٣/ ٢٢٥)، ومسلم (١٤٣، ١٤٤)كتاب الإيمان، عن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين. وكان متكئا فجلس فقال: «**ألا وقول الزور وشهادة الزور**» ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يقولها حتى قلت لا يسكت

(٢) ما بين قوسين وجدناه بالهامش

(٣) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٧/ ٥٣٦)

قال أبو هريرة: من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة، فيقال له: كُلْهُ ميتاً كما أكلته حياً، فيأكله ويصيح ويكلح[(١)]

قال قتادة: إن عذاب القبر ثلاثة أثلاث: ثلثه من الغيبة، وثلثه من البول، وثلثه من النميمة[(٢)]

وقال الحسن: والله الغيبة أسرع في الدين للمؤمن من الأكلة في الجسد

وقال علي بن الحسين: إياك والغيبة[(٣)] فإنها إدام كلاب الناس

وقال سعيد بن جبير: يؤتى بالعبد يوم القيامة فيرفع كتابه فلا يرى صلاته وصيامه ولا سائر عمله فيقول: يا رب هذا كتاب غيري كان لي حسنات ليس فيه

فيقال له: إن ربك لا يضل ولا ينسى ذهب عملك كله باغتيابك الناس

واعلم أن الغيبة أن تذكر أخاك بما يكره ولو بلغه إليه سواء ذكرت نقصانًا في بدنه أو في نسبه أو في خلقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه حتى ثوبه.

---

(١) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٧/ ٥٣٦) والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٩٥)

(٢) روى البخاري في صحيحه (٢١٨) كتاب الوضوء ٥٩. الباب الذي يلي باب ما جاء في غسل البول، عن ابن عباس قال:

مر النبي ﷺ بقبرين فقال: « **إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**» ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين، فغرز في كل قبر واحدة قالوا: يا رسول الله لم فعلت؟ قال: «**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**»

(٣) مما تباح من الغيبة كما ذكرنا تحذير المسلمين من الشر ومنها: الإخبار بعيبه عند المشاورة في مواصلته، ومنها إذا رأيت من يشتري شيئاً معيبا أو عبدا سارقا أو زانيا أو شاربا أو نحو ذلك تذكره للمشتري إذا لم يعلمه نصيحة لا بقصد الإيذاء والإفساد، ومنها إذا رأيت متفقها يتردد إلىٰ فاسق أو مبتدع يأخذ عنه علما وخفت عليه ضرره فعليك نصيحته ببيان حاله قاصدا النصيحة، ومنها: أن يكون له ولاية لا يقوم بها علىٰ وجهها لعدم أهليته أو لفسقه فيذكره لمن له عليه ولاية ليستدل به علىٰ حاله فلا يغتر به ويلزم الاستقامة

النووي في شرح مسلم (١٦/ ١١٧) طبعة دار الكتب العلمية.

وقال ﷺ: «**أتدرون ما الغيبة» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره» قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول، قال: «وإن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته»**[١]

ثم الغيبة لا تقتصر علىٰ اللسان بل يدخل فيها الإشارة والإيماء والرمز والغمز والكلمة والحركة، وكل ما يفهم المقصود فهو حرام

باب الظلم

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ **[إبراهيم: ٤٢]**[٢] أي لا تظنن الله غافلاً يا محمد أي: ناسيًا أعمال المشركين والظالمين، هذه تعزية للمظلوم ووعيد للظالم ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ **[إبراهيم: ٤٢]**[٣] أي: نؤخر عذابهم، ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ **[إبراهيم: ٤٢]**[٤] أي تتحير فيه الأعين من هول ذلك اليوم

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٧ . (٢٥٨٩)] كتاب البر والصلة ، ٢٠ باب تحريم الغيبة ، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٤٧)، والبخاري في الأدب المفرد (٤٢٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٨٢٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٧٢)، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/ ٤٦٩)

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ﴾ يا محمد ﴿غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ أي: لا تحسبه إذ أنظرهم وأجلهم أنه غافل عنهم مهمل لهم لا يعاقبهم علىٰ صنعهم بل هو يحصي ذلك عليهم ويعده عدا، ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ أي من شدة الأهوال يوم القيامة ثم ذكر تعالىٰ كيفية قيامهم من قبورهم ومجيئهم إلىٰ قيام المحشر فقال: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي: مسرعين ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: رافعي رءوسهم إلىٰ آخره. تفسير ابن كثير (٢/ ٥٥٧)

(٣) كذا بالأصل

(٤) أخرجه: مسلم في صحيحه [٥٥. (٢٥٧٧)] كتاب البر والصلة ، ١٥. باب تحريم الظلم وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٩٢، ٣/ ٣٢٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ١١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٩٣، ١٠/ ١٣٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٣٥)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٤٦)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ١٩٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٨٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٩٦)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٥٨).

واعلم أن أشد الناس عذابًا يوم القيامة الظالمين، ولا يغتر في ظلمه بتأخير العذاب، وإنما يعجل بالعقوبة من يخاف (يفوت)(١)

(من أكل مال ظلمًا زلت قدمه علىٰ الصراط يوم تزل الأقدام، ومن أكل مال ظلمًا يجرجر علىٰ بطنه لنار جهنم)(٢)

عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ(٣): «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم علىٰ أن يسفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**»

(الشح البخل مع الحرص الذي يحمله علىٰ أخذ الحرام)(٤)

عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**ينادى المنادي يوم القيامة بصوت يفهمه العربي والعجمي ألا لا ظلم اليوم ألا لعنة الله علىٰ الظالمين**

من مشي مع ظالم يعينه علىٰ ظلمه أزال الله قدميه يوم تزل الأقدام، ومن

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) وجدناه بالهامش وفيه أيضًا بأسفل الصفحة في الهامش: "اعلم أن من أكل مال ظلما أوقد في بطنه نار يوم القيامة ولا تقربوا من ظالم، ومن أراد أن يأكل نار فليأكل مال ظلم. نقل من تنبيه الغافلين"

(٣) رواه مسلم في صحيحه [١٣٧. (١٦١٠)] كتاب المساقاة، ٣٠. باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها، عن سعيد بن زيد، أن رسول الله ﷺ قال: «**من اقتطع شبراً من الأرض ظلما طوقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين**»

قال النووي: قال العلماء: هذا تصريح بأن هذا تصريح بأن الأرضين سبع طبقات وهو موافق لقول الله تعالىٰ: ﴿سَبْعَ سَمَوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ وأما تأويل المماثلة علىٰ الهيئة والشكل، فخلاف الظاهر، وكذا قول من قال المراد بالحديث سبع أرضين من سبع أقاليم لأن الأرضين سبع طباق، وهذا تأويل باطل أبطله العلماء بأنه لو كان كذلك لم يطوق الظالم بشبر من هذا الإقليم شيئاً من إقليم آخر بخلاف طباق الأرض، فإنها تابعة لهذا الشبر في الملك فمن ملك شيئاً من هذه الأرض ملكه وما تحته من الطباق

النووي في شرح مسلم (١١/ ٤١)

طبعة دار الكتب العلمية . .

(٤) وجدناه بالهامش

اقتطع شبــرًا من الأرض بغير حق يجيء به من سبع أرضين يلعنه إلىٰ يوم القيامة»[١].

(لو نظر إلىٰ وجه الظالم والسلطان الذي يظلم الناس، تذهب البركة أربعون يومًا، ومن نظر لوجه عالم جاءت البركة أربعون يوما لا شك فيها نقل من التفسير)[٢]

وفي الخبر عن النبي ﷺ أنه قال: «**الظالم يعض أصبعه عن الندامة عما فعل من الظلم حتى أكل أصبعه ووصل إلىٰ كفه فأكله حتى إلىٰ ساعده فأكل كتفه ثم وصل إلىٰ قلبه**»

قيل: لما خلق الله الملائكة فاستوى علىٰ أقدامهم رفعوا رؤسهم فقالوا: يا رب مع من أنت؟ قال: أنا مع المظلوم حتى يؤدى حقه

وقيل: أول ظلم ظهر في أمة محمد ﷺ تنح عن الطريق

روي عن رسول الله ﷺ عن ربه جلت قدرته، يقول الله: «**اشتد غضبي علىٰ من ظلم من لم يجد ناصرًا غيري**»

فيه تحذير علىٰ الظالم سيما علىٰ الضعفة الذين لا يكون لهم عونا غير الله والله عزيز ذو انتقام ينصر المظلوم ويخذل الظالم

عن ابن عمر عن النبي ﷺ: لما مر بالحجر قال: «**لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم، ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى اجتاز الوادي**» [٣]

---

(١) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٨٨)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٥٣).

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٨٠)، كتاب أحاديث الأنبياء ، ١٧ . باب فلما جاء آل لوط المرسلين، ومسلم في صحيحه [٣٩ ـ(٢٩٨٠)] كتاب الزهد، وأحمد في مسنده (٢/ ٦٦، ٩٦)، والدارمي في سننه (٤٥٣)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٦٢٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٥١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٢٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٦٠)، وابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ١٠)

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون له دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحملت عليه**» (١)

(قال الفقيه رحمه الله: ليس شيء من الذنوب أعظم من الظلم، لأن الذنب إذا كان فيما بينك وبين الله تعالىٰ فإن الله تعالىٰ كريم يتجاوز عنك، وإن كان الذنب بينك وبين العباد فلا حيلة لك سوى ارضاء الخصم، فينبغي للظالم أن يتوب من الظلم(٢) ويتحلل من المظلوم في الدنيا فإذا لم يقدر عليه فينبغي أن يستغفر له ويدعو له، فإنه يرجى أن يحلله بذلك

وعن ميمون بن مهران(٣): أن الرجل إذا ظلم إنساناً فأراد أن يتحلل منه ففاته ولم يقدر عليه فاستغفر الله تعالىٰ في دبر صلاته خرج من مظلمته من تنبيه الغافلين)(٤)

وعن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تكونوا إمعة، تقولون إن أحسن**

---

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه (٢٤٤٩)، كتاب المظالم ١٠ . باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له هل يبين مظلمته

والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٢٩)، والقرطبي في تفسيره (٩/ ٢٦٢، ١٥/ ٢٥٥، ٣٣٨) .

(٢) فيما رواه مسلم في صحيحه [٥٥. (٢٥٧٧)] كتاب البر والصلة، ١٥. باب تحريم الظلم ، عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: ياعبادي: إني حرمت الظلم علىٰ نفسي.

قال العلماء : معناه تقدست عنه وتعاليت والظلم مستحيل في حق الله سبحانه وتعالى كيف يجاوز سبحانه حدا وليس فوقه من يطيعه، وكيف يتصرف في غير ملك والعالم كله في ملكه وسلطانه وأصل التحريم في اللغة المنع فسمى تقدسه عن الظلم تحريما لمشابهته للممنوع في أصل عدم الشيء .

(٣) ميمون بن مهران، أبو أيوب الجزري الرقي الفقيه الجريري ثقة فقيه، ولي الجزيرة لعمر بن عبد العزيز وكان يرسل، أخرج له: البخاري في الأدب ومسلم وأصحاب السنن الأربعة، توفي سنة (١١٧، ١١٨)

(٤) وجدناه بالهامش

الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا» [١]

(في اللغة هو الذي يقول لكل أحد: أنا معك، والمراد به ها هنا أن الذي يقول أنا أكون مع الناس كما يكونون معي)[٢]

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما المفلس**» قالوا المفلس فينا من لا درهم ولا متاع

فقال: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**»

وقال: **لتؤدين الحقوق إلىٰ أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**» [٣]

(فإذا كان يوم القيامة يؤخذ القرن من الشاة القرناء ويعطى الجلحاء قرنًا حتى تقتص لنفسها من الشاة القرناء)[٤]

---

(١) أخرجه: مسلم في صحيحه [٥٩ ـ (٢٥٨١)] كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم عن أبي هريرة، والترمذي (٢٤١٨)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٠٣، ٣٧٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٢٢٩، ٦/ ٩٣)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٢٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٢٧)، والقرطبي في تفسيره (٤/ ٢٧٣)، والطبري في تفسيره (٢٨/ ٩٩)

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) أخرجه: مسلم في صحيحه [٦٠ ـ (٢٥٨٢)] كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، والترمذي في سننه (٢٤٢٠)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٣٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٩٣)، والبخاري في الأدب المفرد (١٨٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١١٥، ٣/ ٣٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٢٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٤٠١)، والعقيلي في الضعفاء (١/ ٢٨٥)

(٤) أخرجه: الترمذي في سننه (١٩٧٠، ٢٦٤٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٤/ ٩٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد ـ(١٠/ ١٥٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٨٨)، =

وقال ﷺ: «**اتقوا دعوة المظلوم فإنها تحمل علىٰ الغمام يقول الله ﷻ وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين**» (١)

وقيل: «**ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام المقسط والصائم حين يفطر، والمظلوم، فإنها تفتح لها أبواب السماء وترفع فوق الغمام فيقول الله ﷻ وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين**»

قيل:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا فالظلم مرتعه يفضي إلى الندم
ونادم حقوقك والمظلوم منتصب يدعو عليك وعين الله لم تنم
جلَّت مصيبة مظلوم يظلمه إن المظلوم علىٰ بال من النقم
فاحذر يا أخي من المظلوم ودعوته كيلا تصيبك سهام الليل في الظلم

وقال آخر:

ابشر لأولي العدل والانصاف بالنعم والجائرين بعقب السوء والنقم
والعادلون في نور عدلهم والظالمون غداة الحشر في الظلم

باب حلف الباطل

قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧]

= والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٥٢)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٢٩)، وابن حبان في صحيحه (٢٤٠٩ ـ الموارد) وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧٦٧، ٨٧٠).

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٥٢٦، ٣٥٩٨)، وابن ماجه في سننه (١٧٥٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٤٥)، وابن حبان في صحيحه (٨٩٤، ٢٤٠٧ الموارد)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٢١٣)، وابن المبارك في الزهد (٣٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٨٩)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٣٣)، والزيلعي في نصب الراية (٤/ ٦٨)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٨٨)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٨٢)

أي عرضاً يسيراً، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ بكلام خير، ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧] (١)

قال رسول الله ﷺ: «**من حلف علىٰ مال أخيه فاقتطعه ظلماً لقي الله معرضًا عنه**» (٢)

(عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من حلف بغير الله فقد أشرك بالله**»(٣) **لأنه لا يجوز الحلف إلا بالله فإذا حلف بالأصنام تعظيمًا كفر، فعليه بكلمة التوحيد، وإن لم يكن الحلف تعظيماً لها فقد فسق، فعليه بالاستغفار**

وقال ﷺ: «**اليمين علىٰ نية المستحلف**»(٤) يعني اليمين علىٰ نية الطالب الحلف واعتقاده)(٥)

وروي عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حلف علىٰ يمين ليقطع مال**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٢٢ . (١٣٨)] كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجره بالنار، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٥٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٦١٩)

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (١٥٣٥)، الحاكم في المستدرك (١/ ١٨)، وأحمد في مسنده (٢/ ٦٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٦٠٦)، وابن حبان في صحيحه (١١٧٧ الموارد)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٤١٩)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٤/ ١٦٨)، والطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٣٥٨)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ١٥٥)

(٤) أخرجه: مسلم في صحيحه [٢١ . (١٦٥٣)] كتاب الإيمان باب يمين الحالف علىٰ نية المستحلف والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٤١٦٩)، والقرطبي في تفسيره (٦/ ٢٨٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٣٤، ٢٣٥)، وأحمد في مسنده (١/ ٤٦٠، ٤/ ١٩٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٤٤)، والطبراني في المعجم الصغير (١/ ٢٢٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ١٧٨)، وابن حبان في صحيحه (١١٩٠ الموارد) والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٥٠)، والطحاوي في مشكل الآثار (١/ ١٨٤)

امرء مسلم وهو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان» [(١)]

قال أبو هريرة: (ومن أخذ من الأرض شبراً طوقه الله يوم القيامة من سبع أرضين، ومن اقتطع مال امرء مسلم بيمينه فلا بورك له)[(٢)]

وروي عن جابر أن النبي ﷺ قال: «**من حلف علىٰ عين كاذبة بغير حق فليتبوأ مقعده في النار**» قال: وإن كان يسيرًا

قال: «**وإن كان قضيباً من أراك**» [(٣)]

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ [(٤)]: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، رجل قدم علىٰ فضل ماء الطريق فيمنع منه ابن السبيل، ورجل بايع رجلاً لا يبايعه إلا لدينا فإن أعطاه ما يريد وفى له وإلا لم يف، ورجل ساوم سلعة بعد القبض وحلف لقد أعطى كذا وكذا فصدقه الآخر وأخذها**»

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١٧١، ٤/ ١٣٠)، أحمد في مسنده (١/ ١٨٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٥)، والخطيب في تاريخ بغداد (١/ ٣٢٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٩١٠)

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٧٢٧)، والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٤٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٥)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١٤٨، ٢٣٤)، ومسلم في صحيحه [١٧١ . (١٠٦)] كتاب الإيمان، باب بيان لفظ تحريم إسبال الإزار وأبو داود في سننه كتاب اللباس، والترمذي في سننه (١٢١١)، والنسائي (٥/ ٨١ . المجتبى)، وابن ماجه في سننه (٢٢٠٨)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٨٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٩١)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ١١٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ١٣٠).والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٧٩٥) والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٨٠)

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٢ . (١٦٠٧)]، كتاب المساقاة، ٢٧ باب النهي عن الحلف في البيع، والنسائي (٧/ ٢٤٦ . المجتبى)، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٩٧، ٢٩٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٦٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٧٩٣)

(وقال ﷺ: «**إياكم وكثرة الحلف في البيع فإنه ينفق ويمحق**»(١) أي ينقص البركة)

عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اليمين الفاجرة منفقة للسلعة ممحقة للكسب**» (٢)

وعن أبي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اليمين الفاجرة تعقم الرحم**» (٣)

عن عبد الله بن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أكبر الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين واليمين الغموس والذي نفسي بيده لا يحلف أحد وإن كان علىٰ مثل جناح بعوضة إلا كانت نكتة في قلبه إلىٰ يوم القيامة**» (٤)

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه بنحوه [١٣١ ـ (١٦٠٦)] كتاب المساقاة، ٢٧ ـ باب النهي عن الحلف في البيع وأحمد في مسنده (٢/ ٢٣٥، ٢٤٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٦٥)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٤٨٤)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٧٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٨٦)

(٢) أخرجه: ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٥/ ٣١١)، والدولابي في الكنى والأسماء (١/ ٣٦)

(٣) أخرجه: الترمذي في سننه (٣٠٢٠)، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٩٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٧٧٧)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ١٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٤٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٣٢٧)

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٢١٨ ـ (١٣٧)] كتاب الإيمان ، ٦١ ـ باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، والنسائي (٨/ ٢٤٦ ـ المجتبى)، وأبو عوانه في مسنده (١/ ٣٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٥)، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٦٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٦٢٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/٧)، قال النووي قوله ﷺ: «**فقد أوجب الله تعالىٰ له النار وحرم عليه الجنة**» ففيه الجوابان المتقدمان المتكرران في نظائره، أحدهما: أنه محمول علىٰ المستحل لذلك إذا مات علىٰ ذلك فإنه يكفر ويخلد في النار، والثاني: معناه فقد استحق النار ويجوز العفو عنه وقد حرم عليه دخول الجنة أول وهلة مع الفائزين وأما تقييده ﷺ بالمسلم فليس يدل علىٰ عدم تحريم حق الذمي بل معناه أن هذا الوعيد الشديد وهو أنه يلقى الله تعالىٰ وهو عليه غضبان لمن اقتطع حق المسلم

النووي في شرح مسلم (٢/ ١٣٨) طبعة دار الكتب العلمية .

عن أبي أمامة الحارسي أن رسول الله ﷺ قال: «**من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرَّم عليه الجنة**» فقال له الرجل: وإن كان شيئًا يسيرًا، فقال: «**وإن كان قضيباً من أراك**» (١)

باب النهي عن الحرام

قال الله تعالىٰ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ [المَائدة: ١٠٠] الآية

عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا وقعت لقمة من الحرام في بطن بني آدم يلعنه كل ملك في السماء والأرض ما دامت تلك اللقمة في بطنه فإن تاب تاب الله عليه**»(٢)

عن عبد الله بن سلام قال قال رسول الله ﷺ: «**إن الدرهم يصيبه الرجل من حرام أو ربا أعظم عند الله من ثلاثين زنية يزنيها في الإسلام، وإن أبواب الحرام والربا اثنان وسبعين بابًا، أدناها كالذي يأتي أمه في الإسلام سبعين مرة**» (٣)

(١) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٧/ ٧٣٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ١٣٩)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٦٤)، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (٢/ ٨٣)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٢٤٥)

(٢) تقدم قريبا

(٣) قال تعالىٰ: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾

قال ابن كثير: كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون علىٰ الشيء القليل الذي أعطوه فيجيء المسكين إلىٰ أبوابهم فيستقلون أن يعطوه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك فيردونه ويقولون ما هذا بشيء إنما نؤجر علىٰ ما نعطي ونحن نحبه، وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون علىٰ الذنب اليسير الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك يقولون إنما وعد الله النار علىٰ الكبائر فرغبهم في القليل من الخير أن يعملوه فإنه يوشك أن يكثر وحذرهم اليسير من الشر، فإنه يوشك أن يكثر فنزلت: ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة ﴾ يعني وزن أصغر النمل ﴿ خيرا يره ﴾ يعني في كتابه ويسره ذلك قال: يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة وبكل حسنة عشر حسنات فإذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضا بكل واحدة عشر ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات فمن زادت حسناته علىٰ سيئاته مثقال ذرة دخل الجنة . تفسير ابن كثير (٤/ ٥٤١) .

عن أبي يزيد البسطامي رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ: خرج يوما وعليه أثر البكاء فقيل له في ذلك فقال: بلغني أن عبد الله يجيء يوم القيامة إلىٰ موقف الحساب مع خصم له، فيقول: يا رب إني كنت رجلاً قصابًا فجاءني هذا (وانستام)[١] مني اللحم ووضع أصبعه علىٰ لحمي حتى دسمت أصبعه، ولم يشتر اللحم، فأنا اليوم أحتاج إلىٰ ذلك القدر

فيأمر الله أن يعطي من حسنات خصمه بقدر حقه، وكان ميزان ذلك قد خفف بمقدار ذرة، فيوضع ذلك، فترجح فيؤمر به إلىٰ الجنة، فينقص ميزان خصمه بهذا القدر فيأمر به إلىٰ النار

عن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّٰهُ عَنْهُ أنه قال: أن آدم لما تناول من الشجرة المنهية فأصابه من المحنة ما أصابه، وهبط إلىٰ الأرض تقيأ متعمدًا فوقع من فيه علىٰ الأرض فنبت من ذلك شجرة سم وتناولت منه الحية، فصار منها سماً قاتلاً إلىٰ يوم القيامة، وأصل السُّم من ذلك الشجرة[٢] فصارت ثمرة الشجرة التي تناولها آدم حرام عليه فصار فيه سماً قاتلاً

فكذلك من تناول الحرام يصير فيه سماً يضره في عقباه في نار جهنم

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّٰهُ عَنْهُ ولما نزل آدم إلىٰ الأرض وتاب وقبل توبته، كان

---

(١) كذا بالأصل وأظنها «**واشتم**»

(٢) قوله تعالىٰ: ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة﴾ فهو اختبار من الله تعالىٰ وامتحان لآدم وقد اختلف في هذه الشجرة ما هي، فقال السدي عمن حدثه عن ابن عباس الشجرة التي نهي عنها آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هي الكرم، وكذا قال سعيد بن جبير والسدي والشعبي وجعدة بن هبيرة ومحمد بن قيس، وعن ابن جرير وابن أبي حاتم سندهما عن ابن عباس قال: الشجرة التي نهي عنها آدم هي السنبلة، وقال محمد بن إسحاق عن بعض أهل اليمن عن وهب بن منبه أنه كان يقول: هي البر ولكن الحبة منها في الجنة كلى البقر ألين من الزبد وأحلى من العسل، وعن سفيان الثوري عن حصين عن أبي مالك: ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ قال: النخلة، وقال ابن جرير عن مجاهد التينة، وبه قال قتادة

مختصرا من ابن كثير في تفسيره (١/ ٧٩) .

بقي في نفسه قوة تلك الشجرة جامع حواء بتلك القوة، فتولد منه قابيل حتى قتل أخاه هابيل، فضره الحرام، وكان قليلا فكيف من كان طعامه كثيرًا حرامًا يضره في الدنيا والآخرة

وقال ﷺ: «**كل لحم نبت من الحرام فالنار أولى به**» (١)

وقال: «**من صلى وفي بطنه حرام وعلىٰ ظهره سلك من حرام لم يقبل صلاته وترك درهم حرام أحب إلىٰ الله من أن يتصدق مائة ألف وترك درهم بشبهة**(٢) **أحب إلىٰ الله من أن يتصدق بستمائة**»

وقال سفيان: من أنفق من الحرام كان كمن طهر الثوب النجس بالبول

وأوحى الله إلىٰ موسى ﷺ: درهم حلال تكسب أحب إليّ من عبادة ستين سنة، وعبد آبق يرده أحب إليّ من عبادة سنة

قال: يا رب أما درهم حلال(٣) فقد عرفته والعبد الآبق لا أدري ما هو؟

---

(١) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٥/ ٢٢٦، ٦/ ٨، ١٠٦)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٧)

(٢) روى البخاري في صحيحه(٥٢) كتاب الإيمان، ٤٠. باب فضل من استبرأ لدينه ، عن النعمان ابن بشير، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الحلال بين والحرام بين، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ألا وإن لكل ملك حمى ألا إن حمى الله في أرضه محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**»

وكذا رواه مسلم في صحيحه [١٠٧. (١٥٩٩)] كتاب المساقاة ، ٢٠. باب أخذ الحلال وترك الشبهات

(٣) وقال النووي: أما المشتبهات فمعناه أنها ليست بواضحة الحل ولا الحرمة، فلهذا لا يعرفها كثير من الناس ولا يعلمون حكمها وأما العلماء فيعرفون حكمها بنص أو قياس أو استصحاب أو غير ذلك ، فإذا تردد الشيء بين الحل والحرمة ، ولم يكن فيه نص ولا إجماع اجتهد فيه المجتهد فألحقه بأحدهما بالدليل الشرعي فإذا ألحقه به صار حلالا وقد يكون غير خال عن الاحتمال البين فيكون الورع تركه، ويكون داخلا في قوله ﷺ «**فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه**» وما لم يظهر للمجتهد فيه شيء وهو مشتبه فهل يؤخذ بحله أم بحرمته =

قال: عبد تردّه إليَّ وتذكره الآي

قال ﷺ: «**ليأتين أقوامًا يوم القيامة حسناتهم كأمثال الجبال فيجعلها الله تعالىٰ هباء منثوراً**»، قالوا: لم ذلك يا رسول الله؟

قال: «**كانوا إذا أشرفوا علىٰ حرام مضوا فيه فأحبط الله أعمالهم**»

باب الربا

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾(١) الآية

الذين يأكلون الربا في الدنيا لا يقومون يوم القيامة من قبورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان. أي يفزعه.

وهذه علامة آكل الربا، يبعثه الله يوم القيامة مجنونا يخنق وبهذا يبعثون، وبهم خبل من الشيطان

قال رسول الله: «**ليلة أسري بي إلىٰ السماء رأيت رجالاً بطونهم كالبيوت فيها الحيات يرى خارج بطونهم قلت، من هؤلاء يا جبرائيل؟ قال: أكلة الربا**

قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله الربا وآكله وشاهده**» (٢)

= أم يتوقف فيه ثلاثة مذاهب حكاها القاضي عياض وغيره والظاهر أنها مخرجة علىٰ الخلاف المذكور في الأشياء قبل ورود الشرع وفيه أربعة مذاهب الأصح أنه لا يحكم بحل ولا حرمة ولا إباحة ولا غيرها لأن التكليف عند أهل الحق لا يثبت إلا بالشرع، والثاني أن حكمها التحريم والثالث الإباحة، والرابع التوقف والله أعلم

النووي في شرح مسلم (١١/ ٢٣)
طبعة دار الكتب العلمية.

(١) سورة البقرة (٢٧٥)

(٢) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٦/ ١٥١)، وذكره الهندي في الكنز (٩٧٦٤)

وقال ﷺ: «**إذا أراد الله بقرية هلاكا أظهر فيهم الربا**»

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**سيأتي علىٰ الناس زماناً لا يبقى فيهم إلا آكل الربا، فمن لم يأكل الربا أصابه من غباره**»

وقال مجاهد: درهم الربا[1] أعظم عند الله من ثلاثين زنية

قال عبد الله بن سلام: الربا اثنتان وسبعون إنما أصغرها خطيئة مثل الذي جامع أمه في الإسلام

ودرهم ربا يصيبه الرجل أعظم من بضع وثلاثين زنية يزنيها

ثم قال: اتقوا الله يعني في الربا، ولعلكم تفلحون

ويقال: يحشر أهل الربا منكوسين وأرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها نعوذ بالله

باب أكل مال اليتيم والإحسان إليه

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ

(١) وقد أجمع المسلمون علىٰ تحريم الربا في الجملة، وإن اختلفوا في ضابطه وتفاريعه قال الله تعالىٰ: ﴿ وأحل الله البيع وحرم الربا ﴾ والأحاديث فيه كثيرة مشهورة، ونص النبي ﷺ في هذه الأحاديث علىٰ تحريم الربا في ستة أشياء الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح فقال أهل الظاهر: لا ربا في غير هذه الستة بناء علىٰ أصلهم في نفي القياس، قال جميع العلماء سواهم لا يختص بالستة بل يتعدى إلىٰ ما في معناها وهو ما يشاركها في العلة، واختلفوا في العلة التي هي سبب تحريم الربا في الستة فقال الشافعي: العلة في الذهب والفضة كونهما جنس الأثمان فلا يتعدى الربا منهما إلىٰ غيرهما من الموزونات وغيرها لعدم المشاركة، قال والعلة في الأربعة الباقية: كونها مطعومة فيتعدى الربا منها إلىٰ كل مطعوم في الذهب والفضة كقول الشافعي، وقال في الأربعة العلة فيها كونها تدخر للقوت وتصلح له فعداه إلىٰ الزبيب لأنه كالتمر وإلى القطنية لأنها في معنى البر والشعير

النووي في شرح مسلم (١١/ ٩)
طبعة دار الكتب العلمية .

نَارًاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴿١٠﴾﴾ (١)

قال رسول الله ﷺ: «**شر المأكل أكل مال اليتيم، وهذه من الكبائر التي أوعد الله في كتابه المرسلين**» (٢)

ويروى أنه ﷺ قال: «**ليلة أسري بي آليت عند العرش (. . .)** (٣) **جل جلاله أن لا أشفع لآكل مال اليتيم**»

قال السدي: يبعث آكل مال اليتيم ظلما يوم القيامة ولهب النار يخرج دخانه من فيه وأُذنه وأنفه وعينيه يعرف من رآه أنه آكل مال اليتيم(٤)

وقال ﷺ: «**رأيت ليلة أسري بي إلىٰ السماء قومًا لهم مشافر كمشافر الإبل إحداهما قالصة علىٰ منخريه والآخرى علىٰ بطنه وخزنة جهنم يلقمونهم جمر جهنم وصخرها ثم يخرج من أسافلهم فقلت: يا جبريل من هؤلاء، قال: الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً**»

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ست موبقات ليس فيهن توبة آكل مال اليتيم(٥)،

---

(١) سورة النساء(١٠)

وقد روى البخاري في صحيحه (٤/ ٢١٢)، ومسلم في صحيحه [١٤٥. (٨٩)] كتاب الإيمان ٤٨. باب بيان الكبائر و أكبرها ، عن أبي هريرة رفعه «**اجتنبوا السبع الموبقات**» وذكر منها أكل مال اليتيم

(٢) أخرجه:. السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٢٥)

(٣) كلمة غير واضحة بالأصل

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره عن ابن أبي حاتم (١/ ٤٥٦)، وذكر أيضا من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال لما نزلت: ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما﴾ الآية انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه فجعل يفضل له الشيء من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله ﴿ ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير﴾ الآية فخلطوا طعامهم بطعامهم

تفسير ابن كثير (١/ ٤٥٦) .

(٥) قال تعالىٰ: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا﴾

=

وقذف المحصنات، والفرار من الزحف، والسحر، والشرك بالله، وقتل بشر من الأنبياء

عن أبي الورد[١]: سمعت عبد الله بن أبي أوفى[٢] يقول: قال رسول الله ﷺ: «**من مسح رأس اليتيم رحمة له كتب له بكل شعرة مرت عليه يده حسنة ومحي عنه بكل شعرة سيئة مرت عليه يده، ورفع له بكل شعرة درجة، ويقال طوبى للبيت الذي فيه اليتيم وويل للبيت الذي فيه يتيم وويل لأهل البيت إذا لم يعرفوا حقه**» [٣].

عن أبي الدرداء قال: إن رجلا جاء إلىٰ النبي ﷺ فقال: عندي يتيم فبما أضربه يا رسول الله؟ قال: «**فبما تضرب ولدك**» يعني لا بأس أن يضربه لتأديبه ضربا غير مبرح مثل ما يضرب ولده وذلك إذا لم يقدر أن يؤدبه بغير ضرب فينبغي أن يفعل ذلك، فإن ضرب اليتيم أمر شديد

(عن أبي الدرداء أن جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فشكا إليه قسوة قلبه، فقال[٤]:

= وقال تعالىٰ: ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده﴾ قال الشعبي ومالك وغير واحد من السلف في قوله تعالىٰ :﴿حتى يبلغ أشده﴾ يعنى حتى يحتلم، وقال السدي : حتى يبلغ ثلاثين سنه، وقيل أربعون سنه وقيل ستون سنة وهذا كله بعيد .
تفسير ابن كثير (٢/ ١٩٤) .

(١) أبو الورد المازني أخرج له: ابن ماجه ، وهو صحابي له حديث واحد، ترجمته: تهذيب التهذيب (١٢/ ٢٧٢) تقريب التهذيب (٢/ ٤٨٦)، أسد الغابة (٦/ ٣٢٨)، الكشاف (٣/ ٣٨٧)، الإصابة (٧/ ٤٥٨)

(٢) عبد الله ابن أبي أوفى علقمه بن خالد بن الحارث الخزاعي صحابي وأحد من بايع بيعة الرضوان وعمر بعد النبي وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابي وتوفي سنه (٨٧)

(٣) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٦/ ٢٩١)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٢٠٧)، والقيسراني في تذكرة الموضوعات (٨٩٣)

(٤) أخرجه :. أحمد في مسنده (٢/ ٢٦٣، ٣٨٧) وللمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٤٩)، والخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ٢٩١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٠٠١)، والذهبي في الطب النبوي (١٤١)

«إن أردت أن يلين قلبك فامسح برأس اليتيم وأطعمه» (١)

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن اليتيم إذا ضُرب اهتز العرش لبكائه فيقول الله** ﷻ: يا ملائكتي من أبكى الذي غيبت أباه في التراب وهو أعلم به قال: وتقول الملائكة: ربنا لا علم لنا، قال الله تعالىٰ: أشهدكم يا ملائكتي أن من أرضاه فإني أرضيه يوم القيامة» (٢)

عن عبد الرحمن قال: قال الله تعالىٰ لداود: يا داود كُن لليتيم(٣) كالأب الرحيم واعلم أنك كما تزرع كذلك تحصد واعلم أن المرأة الصالحة المطيعة لزوجها كالملك المتوج بالذهب كلما رآها قرت عينيه، والمرأة السوء لزوجها كالحمل الثقيل علىٰ الشيخ الكبير

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) أخرجه:. القرطبي في تفسيره (٢٠/ ١٠١)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٢/ ٧٢٢)، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (٢/ ٢٩٩)

(٣) روى البخاري في صحيحه (٥٣٠٤)، ومسلم في صحيحه [٤٢. (٢٩٨٣)] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**أنا وكافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة وأشار مالك بالسبابة والوسطى**»

وقال النووي: كافل اليتيم القائم بأموره من نفقة وكسوة وتأديب وتربية وغير ذلك، وهذه الفضيلة تحصل لمن كفله من مال نفسه، أو من مال اليتيم بولاية شرعية، وأما قوله في حديث مسلم: «**كافل اليتيم له أو لغيره**» فالذي له أن يكون قريبا له كجده وأمه وجدته وأخيه وأخته وعمه وخاله وعمته وخالته وغيرهم من أقاربه والذي لغيره أن يكون أجنبيا

شرح مسلم للنووي (١٨/ ٨٨)

طبعة دار الكتب العلمية .

باب النهي عن شرب الخمر

قال اللّه تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ﴾ [المَائدة: ٩٠]

وقد قرن الله تعالىٰ تحريم الخمر[(١)]، بعبادة الأوثان تبليغاً وإبلاغاً في النهي في شربها

عن عثمان بن عفان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا يجمع الخمر والإيمان في جوف امرءٍ أبدًا**»

قال رسول الله ﷺ: «**مدمن الخمر كعابد الوثن**» [(٢)]

(قال ﷺ: «**ما أسكر كثيره فقليله حرام**» [(٣)]

وفي رواية أخرى: «**ما أسكر الفرق فالجرعة حرام**»

---

(١) قال جمهور فقهاء الحجاز وجمهور المحدثين قليل الأنبذة وكثيرها المسكرة حرام، وقال العراقيون وإبراهيم النخعي من التابعين وسفيان الثوري وابن أبي ليلى وشريك وابن شبرمة أبو حنيفة وسائر فقهاء الكوفيين وأكثر علماء البصريين إن المحرم من سائر الأنبذة المسكرة هو السكر نفسه لا العين وسبب اختلافهم تعارض الآثار والأقيسة في هذا الباب
فقه السنة (٢/ ٣٢١).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (٣٣٧٥)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ١٥٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٦)، والزيلعي في نصب الراية (٤/ ٢٩٨)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٢٨٠)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ١٨٢)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ١٢٣)، والقيسراني في تذكرة الموضوعات (٧٠٧) والألباني في الأحاديث الصحيحة (٢/ ٢٩٤)

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٣٦٧١)، والترمذي في سننه (١٨٦٥)، والنسائي (٨/ ٣٠٠. المجتبى) وابن ماجه في سننه (٣٣٩٣)، وأحمد في مسنده (٢/ ٩٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٩٦)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٤١٣)، والطبراني في المعجم الكبير (٤/ ٢٤٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٥٧)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ١٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٦٤٥)، والخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ٩٤)

وفي آخر: الفرق ستة عشر رطل بالبغدادي

مسألة: وحد السكران: عند الشافعي يخلطه كلامه المنظوم ويتكشف سره المكتوم وعند الحنفي إن لم يعلم التمييز بين السماء والأرض وبين الرجل والمرأة. نقل من (روحه)[١]

وروي عن بعض الصحابة أنه قال: من زوج كريمته شارب الخمر فكأنما ساقها إلىٰ الزنا

فمعناه أن شارب الخمر إذا شرب سكر أكثر كلامه في الطلاق فقد حرمت عليه امراته ولا يشعر

وروي عن ابن مسعود ﷺ قال: إذا مات شارب الخمر[٢] فادفنوه ثم احبسوني ثم انبشوا قبره فإن لم تجدونه مصروفا عن القبلة فاقتلوني)[٣]

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من شرب الخمر في الدنيا سقاه الله من سم الأساود وسم العقارب من شربها تسقط وجهه في الإناء قبل أن يشربها ولا يقبل الله صلاة ولا صياما حتى يتوب فإن مات قبل أن يتوب كان حقا علىٰ الله أن**

---

(١) كذا بالأصل

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) اتفقوا علىٰ أن الخمر حرام قليلها وكثيرها وفيها الحد وكذلك اتفقوا علىٰ أنها نجسة وأجمعوا علىٰ أن من استحلها حكم بكفره واتفقوا علىٰ أن عصير العنب التي إذا اشتد وتغير طعمه وقذف بزبده فهو خمر حرام، ثم اختلفوا فيه إذا مضى عليه ثلاثة أيام ولم يشتد ولم يسكر، فقال أحمد: إذا مضى علىٰ عصير العنب ثلاثة أيام صار خمرًا وحرم شربه وإن لم يشتد ولم يسكر ، وقال الباقون: لا يصير خمرًا حتى يشتد ويسكر ويقذف بزبده، واتفقوا علىٰ أن كل شراب مسكر فقليله وكثيره حرام ويسمى خمرًا وفيه الحد، وسواء كان ذلك من عصير العنب النيء أو ما عمل من التمر والزبيب والحنطة والشعير والذرة والأرز والعسل والجوز ونحوها، مطبوخًا كان ذلك أو نيئًا

اختلاف الأئمة الفقهاء (٢/ ٢٩٢)

من تحقيقنا. طبعة دار الكتب العلمية.

يسقيه بكل جرعة شربها في الدنيا شربة من صديد جهنم ألا وكل مسكر خمر، وكل خمر حرام» [١]

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يسقى شارب الخمر يوم القيامة بكل قدح شربها في الدنيا سبعين قدحا من صديد جهنم ويعذب في قبره سبعون لونًا من العذاب ولا يقبل الله منه صومًا ولا قيامًا**».

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أطعم شارب الخمر لقمة سلط الله علىٰ جسده حية وعقربًا ومن قضى حاجته فقد هدم الإسلام، ومن أقرضه فقد أعانه علىٰ قتل مؤمن وإن مات فلا تشهدوه ومن جالسه حشره الله يوم القيامة أعمى لا حجة له، ومن شرب فلا تزوجوه وإن مرض فلا تعودوه وإن مات فلا تشهدوه؛ فوالذي بعثني بالحق نبيًا ما من أحد يشرب** [٢] **إلا وهو ملعون في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ومن شرب الخمر فقد كفر بجميع ما أنزل الله علىٰ محمد ﷺ وعلىٰ أنبيائه صلوات الله عليهم أجمعين لا يستحل الخمر إلا الكافر ومن استحل الخمر فقد كفر**»

(قال النبي ﷺ: «**ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها**» [٣]

---

(١) أخرجه: ابن ماجه في سننه (٣٣٩٠)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٩)، والطبراني في المعجم الصغير (١/ ٥٤)، والألباني في إرواء الغليل (٨/ ٤٠)، والأشربة لأحمد بن حنبل (٣٩)

(٢) الفقهاء متفقون علىٰ وجوب حد شارب الخمر علىٰ أن حده الجلد، ولكنهم مختلفون في مقداره فذهب الأحناف ومالك إلىٰ أنه ثمانون جلدة وذهب الشافعي إلىٰ أنه أربعون، وعن الإمام أحمد روايتان، قال في المغني: وفيه روايتان أحدهما: أنه ثمانون وبهذا قال مالك والثوري وأبو حنيفة ومن تبعهم لإجماع الصحابة فإنه روي أن عمر استشار الناس في حد الخمر فقال عبد الرحمن بن عوف: اجعله كأخف الحدود ثمانين فضرب ثمانين
فقه السنة (٢/ ٣٣٥).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٣٦٨٨)، وابن ماجه في سننه (٤٠٢٠)، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٤٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٩٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٣٢١)، =

صدق رسول الله ﷺ)[١]

قال أنس بن مالك إذا دارت الأقداح واحمرت الوجنات وتشاموا الرياحين رفضتهم الملائكة وحضرهم الشياطين واهتز العرش وغضب عليهم الرب ولعنهم الله من فوق عرشه

قال رسول الله ﷺ: **«إن في النار وادٍ يستغيث أهل النار كل يوم سبعين ألف مرة في ذلك الوادي بيت من نار في ذلك البيت جُب من نار في ذلك الجب تابوت من نار في ذلك التابوت حية من نار لها ألف رأس، في كل رأس ألف فم في كل فم عشرة ألف ناب كل ناب ألف زراع»**

قال أنس: قلت يا رسول الله لمن يكون هذا العذاب؟

قال: **«شارب الخمر من حملة القرآن»**

(قال ﷺ: **«العص أشد في الإثم من الخمر لأنه في الخمر يكون خلا، وهو أن يكون حلالا وليس في العص خلاً بعدما فعلت»**

قيل: يا رسول الله وما العص

قال: هو الذي فعلت من ماء وخبز وسويق ودقيق[٢]، فهو أشد من

= والبخاري في تاريخه الكبير (١/ ٣٠٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٢٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٢٩٢)، والخطيب في تاريخ بغداد (٦/ ٢٥)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ١٣٨، ٧٠١)

(١) وجدناه بالهامش

(٢) الحنفية احتجوا على قولهم بأن نبيذ الحنطة والتين والأرز والشعير والذرة والعسل وغيره حلال، نقيعًا ومطبوخًا إذا لم يسكر ولا يجد شاربه حتى يسكر منه واحتجوا بما روي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أتى السقاية عام حجة الوداع فاستند إليها وقال: اسقوني، فقال العباس: ألا أسقيك مما ننتبذ في بيوتنا، فقال: ما تسقي الناس: فجاءه بقدح من نبيذ فشمه فقطب وجهه ورده فقال العباس: يا رسول الله أفسدت على أهل مكة شرابهم، فقال النبي ﷺ: **«ردوا علي القدح»** فردوه فدعا بماء زمزم وصب عليه وشرب وقال: **«إذا اغتلمت هذا الأشربة فاقطعوا غلمتها بالماء»** ووجه الاستدلال بهذا الحديث أن التقطيب لا يكون إلا من التغيير الشديد ولأن المزج بالماء كان لقطع هذه الشدة وشربه لها دليل حلها بالنص انظر الفقه على المذاهب الأربعة (٥/ ١٨)

الخمر فاجتنبوا العص» . نقل من الشرح الكبير)[١]

قال ﷺ: «**جاءني جبريل متغيرا لونه ، قلت: يا جبرائيل من الذي غير لونك؟ قال: اطلعت في النار فرأيت واديًا في جهنم يغلي، قلت لمالك لمن يكون هذا؟ قال: للمتكبرين وللمدمنين الخمر والقوادين**»

باب الزنا

قال ﷺ: «**الزنا يورث الفقر**» [٢]

وقال ﷺ: «**زنا العيون النظر**» [٣]

وقال عيسى عليه السلام: إياكم والنظر فإنها تزرع في القلب الشهوة وكفى لصاحبها فتنة .

وقال ﷺ: «**النظر سهم مسموم من سهام إبليس بيانه في تمامه، فمن تركها من مخافة الله أثبتهم إيمانا ويجد حلاوته في قلبه**» [٤]

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) أخرجه: المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٧١)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٨٠)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٦/ ٢٤٢٥)، والسيوطي في الدرر المنتثرة (٩٢)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٣٨)

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٠ . (٢٦٥٧)] كتاب القدر ٥ . باب قدر على ابن آدم حظه من الزنى وغيره ، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٧٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٨٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٥٦)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٣٢١)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٤١)، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٢٦)، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ١٩)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٥٣٣)، وابن حجر في المطالب العالية

(٤) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٦٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٤)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٢٤٥)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٢٣٥)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٤٣٨، ٤٣٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣١٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٤١)

وأما نظر الفجأة فغير مؤاخذ بها ناظرها وفيه ذكر بغض البصر

(قال ﷺ: «**النظرة الأولى لك والثانية عليك**»

لأن المقصود يحصل بالنظرة الأولى في معرفة ذلك الشخص ، والثانية معصية بلا فائدة

وقال الغزالي: العين جاسوس القلب، والقلب ملك والجوارح رعياه، فإذا وقع النظر علىٰ شيء يخبر القلب لأنه جاسوسه ويشتغل القلب بخبره ويخلوا عن ذكر الله تعالىٰ)[(١)]

وقال ﷺ: «**من أصاب امرأة حرامًا ملأ عينيه نارًا يوم القيامة ثم يأمر به إلىٰ النار ومن قدر عليها فتركها دخل برحمة الله إلىٰ الجنة**»

وقال مجاهد: إذا أقبلت المرأة جلس الشيطان علىٰ رأسها فيزينها لمن ينظر إليها وإذا أدبرت جلس علىٰ عجزها فزينها لمن ينظر إليها

قال رسول الله ﷺ:[(٢)] «**إياكم والزنا فإن فيه ست خصال ثلاثة منها في الدنيا وثلاثة منها في الآخرة، فأما التي في الدنيا فيذهب بها بهاء الوجه، وينقص الرزق، وينقص العمر، وأما التي في الآخرة فعذاب القبر، وسواد الوجه، وسخط الرب**»

---

(١) وجدناه بالهامش وأخرجه: الطحاوي في شرح معاني الآثار (٣/ ١٥)

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ١١١)، والألباني في السلسلة الضعيفة (١٤١/ ١٤٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٥٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٠٢)، وابن كثير في تفسيره (٣/ ١٥٦)، وابن حجر في لسان الميزان (١/ ٣٠)، وابن الجوزي في الموضوعات (١٨/ ٨٥٢٧)، وابن حبان في المجروحين (١/ ٩٨)، وابن القيسراني في تذكرة الموضوعات (٣٥٢)، والسيوطي في اللالئ المصنوعة (٢/ ١٣، ١٠٤)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٢١)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٢٢٧)

عن ابن عباس ﵁، عن النبي ﷺ: «**من قبَّل غلامًا بشهوة فكأنما نكح أمه سبعين مرة، ومن ناكح مع أمه فكأنما افتضى عذراء بغير مهر، ومن افتضى عذراء بغير مهر، فكأنما زنا سبعين مرة ثيبًا ومن زنا ثيباً حبس في النار سبعين سنة**» (١)

وقال ﷺ: «**من ناكح بيده، جاء يوم القيامة ويده حبلى، حتى يدخل النار مع الداخلين**»

وقال ﷺ: «**ملعون ملعون الفاعل، وقال الضارب بيده حتى تقضى حاجته، يحشر مع إبليس يوم القيامة**»

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**أهل الزنا**(٢) **ليس علىٰ وجوههم بهاء ولا نور، ولم يجعل في رزقهم بركة، وهم عند الله أنتن من الجيفة، وليس في النار أشد عذاباً من أهل الزنا**»

ويحرم إتيان المرأة، لما روى أبو موسى ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**إذا أتيت المرأة المرأة فهما زانيتان**»، وفيه التعزير دون الحد

---

(١) أخرجه: السيوطي في اللآلئ المصنوعة (٢/ ١٠٨)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٢٢١)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٥٠)

(٢) اتفقوا علىٰ أن البينة التي تثبت بها الزنا أن يشهد له أربعة عدول رجال ويصفون حقيقة الزنا واختلفوا هل يشترط العدد في الإقرار به؟

فقال أبو حنيفة وأحمد: لا يثبت الزنا بالإقرار إلا أن يقر البالغ العاقل علىٰ نفسه بذلك أربع مرات.

وقال مالك والشافعي: يثبت بإقراره مرة واحدة.

واختلفوا في صفة إقرار الزاني بذلك فقال أبو حنيفة لا يقبل اقراره إلا في أربعة مجالس من مجالس المقر، فلو أقر عن يمين الحاكم ويساره وورائه وأمامه كانت أربع مجالس، وقال أحمد: إن أقر أربع مرات في مجلس واحد وفي مجالس قبل إقراره، واتفقوا علىٰ أنه إذا أقر بالزنا ثم رجع عنه فإنه يسقط الحد عنه ويقبل رجوعه.

اختلاف الأئمة العلماء (٢/ ٢٥٤، ٢٥٥)

من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية.

باب اللواط[١]

عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ: «**لعن الله مخنثي الرجال ومذكرات النساء**»

عن الضحاك عن ابن عباس قال: من عمل عمل قوم لوط بعثه الله يوم القيامة منكوس الخلق

عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال: حد الزنا وحد الذي يعمل عمل قوم لوط واحد، والذي يعمل أعمال قوم لوط أعظمهم وزرًا

وقال ﷺ: «**إذا تكاف الرجال بالرجال والنساء بالنساء، فلترتقب أمتي العذاب**»

عن مكحول قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليأتين علىٰ أمتي زمان كما أتى علىٰ قوم لوط، والذي نفسي بيده لا تذهب الأيام والليالي حتى يكافي الرجل بالرجل والنساء بالنساء، وذلك عند اقتراب الساعة**»

وعن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: من عمل أعمال قوم لوط[٢] في شبابه إذا كبر أن يدعوا الرجال إلىٰ نفسه

---

(١) جريمة اللواط من أكبر الجرائم وهي من الفواحش المفسدة للخلق والفطرة والدين والدنيا بل وللحياة نفسها، وقد عاقب الله عليها بأقسى عقوبة فخسف الله بقوم لوط وأمطر عليهم حجارة من سجيل جزاء فعلتهم القذرة، ومع إجماع العلماء علىٰ حرمة هذه الجريمة وعلىٰ وجوب أخذ مقترفيها بالشدة إلا أنهم اختلفوا في تقدير العقوبة المقررة لها إلىٰ مذاهب ثلاثة: مذهب القائلين بالقتل مطلقًا، ٢ ومذهب القائلين بأن حده حد الزاني فيجلد البكر ويرجم المحصن، ٣. ومذهب القائلين بالتعزير فقه السنة (٢/ ٣٦٥)

(٢) وكان لوط عليها السلام قد نزح عن محلة عمه الخليل عليهما السلام بأمره له وإذنه، فنــزل بمدينة سدوم من أرض غور زغر، وكان أم تلك المحلة ولها أرض ومعتملات وقرى مضافة إليها، ولها أهل من أفجر الناس وأكفرهم وأسوأهم طوية، وأردأهم سريرة وسيرة، يقطعون السبيل ويأتون في ناديهم المنكر، ولا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون، ابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم وهي إتيان الذكران من =

قال ابن عباس: إذا فشا في هذه الأمة أرسل الله عليهم الحجارة من السماء، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [**هُود: ٨٣**]

قال: حجارة أعدها الله لهم علىٰ كل حجر اسم صاحبه واسم أبيه

فذلك قوله تعالىٰ: ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾ [**هُود: ٨٣**] يعني معلومة معدودة لكل رجل، وهي في السماء الدنيا

عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله جل ثناؤه خلق العباد لا يعبأ بهم لهم أرحام في أصلابهم فإذا ضرب ذلك عليهم يدعوا الرجال إلىٰ أنفسهم**»

قيل: أفلا يتولدون؟ قال: لا، لأن أرحامهم منكوسة

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**إني لأسمع أصوات القواصف والعواصف من الرعد فأخشى أنها الحجارة التي أعدت للظلمة نعوذ بالله**» (١)

روى أبو موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال: «**إذا أتى الرجل الرجل فهما**

= العالمين، وترك ما خلق الله من النساء لعباده الصالحين، فدعاهم لوط إلىٰ عبادة الله تعالىٰ وحده لا شريك له، ونهاهم عن تعاطي هذه المحرمات والفواحش المنكرات، والأفاعيل المستقبحات فتمادوا علىٰ ضلالهم وطغيانهم واستمروا علىٰ فجورهم وكفرانهم، فأحل الله بهم من البأس الذي لا يرد ما لم يكن في خلدهم وحسبانهم وجعلهم مثلة في العالمين

قصص الأنبياء لابن كثير (ص ١٩٢).

(١) روى الترمذي في سننه (٣٤٥١) عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ إذا سمع الرعد والصواعق قال: «**اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك**»

وفي مسلم (٨٩٩)، عن عائشة أنها قالت: كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال: «**اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به**»

زانيان وإذا أتيت المرأة المرأة فهما زانتيتان» [(١)]

عن ابن عباس ﷺ من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به، لأن تحريمه أغلظ

عن الضحاك فــي هذه الآية: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ **[الأنعَام: ٦٥]** يعني الحجارة، ﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ **[الأنعَام: ٦٥]** يعني به الخسف وذلك حيــن عمروا المساجد وخربوا القلوب، وقلــت الفقهاء والتمسوا الدنيا بذكر الآخرة وائتمنـوا الخائن وخون الأمين واشتغلت الفساق وتزينوا بالدنيا، ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، أكلوا الربا وشربوا الخمر، وأظهروا الزنا وعملوا بعمل قوم لوط[(٢)]، استوجبوا نقمة الله وحلول سخطه إذا تكافى النساء بالنساء، والرجال بالرجال، فعندها عليهم العذاب ما ينزل بأهل المعصية

---

(١) أخرجه ابن حجر في تلخيص الحبير (٤/ ٥٥)، والذهبي في ميزان الاعتدال (٧٨٥١)،وابن حجر في لسان الميزان (٥/ ٨٦٦)، وذكره الهندي في الكنز (٣٠٠٧٣٦)

(٢) اتفقــوا علىٰ أن اللواط حرام وأنــه مــن الفواحش واختلفوا هل يوجب الحد؟ فقــال مالك والشافعي وأحمد: يوجب الحد وقــال أبــو حنيفة يعزر أول مــرة فإن تكــرر ذلــك منه قبل

ثم اختلفــوا موجبو الحد في صفته فقال مالك والشافعي في أحد قوليه وأحمد في أظهر روايتيه: حده الرجم بكل حال بكرًا كان أو ثيبًا، ولا يعتبر فيه الإحصان، وقال الشافعي في القول الآخر: حده حد الزاني فيعتبر فيه الإحصان والبكارة فعلى المحصن الرجم وعلىٰ البكر الجلد .

اختلاف الأئمة العلماء (٢/ ٢٥٦)

من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية .

باب تحريم القتل

القتل بغير الحق حرام، وهو من الكبائر العظام

وروى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: «**لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا**» (١)

وروى ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لو أن أهل السموات والأرض اشتركوا في قتل مسلم لعذبهم الله تعالىٰ إلا أن يشاء ذلك**» (٢)

عن أبي ذر الغفاري قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن جميع أمة محمد ﷺ اشتركوا في دم رجل مؤمن لكان حقا علىٰ الله أن يدخلها النار**»

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن الثقلين اجتمعوا علىٰ قتل مؤمن لأكبهم علىٰ مناخرهم في النار، وإن الله حرم الجنة علىٰ القاتل والآمر**» (٣)

وعن جندب بن عبد الله(٤) قال: سأل رجل النبي ﷺ فقال يا رسول الله ماذا تقول في القاتل والآمر؟

---

(١) أخرجه النسائي في المحاربة (٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٩٨)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٢/ ٤٥٤)، والعجلوني في كشف الخفاء (١/ ٥٣١)، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١٢/ ١٨٩)

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (١٣٩٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٩٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٤٦٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٩٤)، والقرطبي في تفسيره (٢/ ٢٥١)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٣٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٩٧)، وابن حبيب في مسند الربيع (٣/ ٤).

(٣) ذكر السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٩٩)

(٤) جندب بن عبد الله بن سفيان أبو عبد الله أبو سفيان البجلي العلقمي الأحمسي صحابي أخرج له أصحاب الكتب الستة

ترجمته: تهذيب التهذيب (٢/ ١١٧)، تقريب التهذيب (١/ ١٣٤، ١٣٥)، والبخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٢٢١)، الجرح والتعديل (٢/ ٢١٠٢)، أسد الغابة (١/ ٣٦١)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ٩١)، الاستيعاب (١/ ٢٥٦)، الإصابة (١/ ٥٠٨)، الوافي بالوفيات (١١/ ١٩٣)، سير الأعلام (٣/ ١٧٤).

قال ﷺ: **«النار قسمت علىٰ سبعين جزءًا فللآمر تسع وستون وللقاتل جزء واحد»**

وروي عن رسول الله ﷺ: **«من جاء بمثل محجمة دم رجل مسلم لم ينظر الله إليه، ومن لم ينظر الله إليه فقد هلك ولو أن رجلا أخذ فأسًا وخرب الكعبة سبعين مرة، وقتل مؤمنا واحدًا فيكون قتل المؤمن الواحد أعظم عند الله إثما من الذي خرب الكعبة»** (١)

وسأل رجل عبد الله بن عباس فقال: يا عبد الله، رجل قتل مؤمنا متعمدًا قال: ومن قتل مؤمنا متعمدًا فجزاؤه جهنم، قال له: أرأيت إن تاب وآمن وعمل صالحاً، ثم اهتدى قال: ثكلتك أمك، كيف أتى له الهدى وقد سمعت النبي ﷺ يقول(٢) **«إن المقتول يجيء يوم القيامة ورأسه في يده الشمال والأخرى القاتل وأوداجه تشخب دما . أي تسيل دما . في قبالة العرش (حتى يدنيه من العرش)**(٣)

فيقول يا رب سل هذا فيم قتلني، فما نزلت آية بعد هذه تنسخها

(وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يكون لمسلم أن يهجر مسلماً فوق**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ٦)، ومسلم في صحيحه [٢٥)] كتاب القسامة والترمذي في سننه (١٤٠٢)، وابن ماجه في سننه (٢٥٣٤)، وأبو داود في سننه (٤٣٥٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢١٣، ٢٨٤)، والدارقطني في سننه (٣/ ٨٢، ٨٤)، وأحمد بن حنبل في مسنده (١/ ٣٨٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٤٤٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٧٠)، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١٢/ ٢٠١)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ٣، ٨/ ١٣٨)، ومسلم في صحيحه [كتاب القسامة (٢٨)] وابن ماجه في سننه (٢٦١، ٢٦١٧)، والنسائي في سننه (٧/ ٨٤)، وأحمد بن حنبل في مسنده (١/ ٣٨٨، ٤٤٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٩٢)، وابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٣٢)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢٣٤)، وابن حجر في فتح الباري (١١/ ٣٩٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٩٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٩/ ٤٢٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٨٧، ٨٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٤٤٨)

(٣) وجدناه بالهامش

ثلاثة أيـام فإذا لقيـه سلم عليـه ثلاث مرات كل ذلـك لا يرد عليه فقد بـاء بإثمه»

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار**» (١)

وعن أبي خراش السلمي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه**»(٢) صدق من نطق(٣)

وحكي أنه وفد دم في أيام الحسين بن طاهر فجاء الخصم إليه ليطلي الدم والحسين لم يكن يرى إراقة الدم

فقال للخصم: إني لأكره في أيامنا إراقة الدم فخذ الدية فاكتف بها

فأبى الخصم ذلك، وقال: أنا أريد القصاص

فقال الحسين: أنا أبذل من مالي عشرين ألف درهم حتى ترضى منه ولا تطلب القصاص فأبى الخصم(٤)

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٢٣٧، ٨/ ٢٣، ٢٥، ٦٥) ومسلم في صحيحه كتاب البر والصلة باب (٨) (٢٣، ٢٥) وأبو داود في سننه (٤٩١١، ٤٩١٤) والترمذي في سننه (١٩٣٢، ١٩٣٣)، وابن ماجه في سننه (٤٦)، وأحمد بن حنبل في مسنده (١/ ١٧٦، ١٨٣)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٢٢٣، ٢٠٢٢٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٣٠٣)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣٣٥)، وابن حجر في فتح الباري (١٠/ ٤٩٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٣٤١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٥٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٠٣٥)

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤٩١٥)، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٢٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٦٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٤٠٤) والدولابي في الكنى والأسماء (١/ ٢٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٠٣٦)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٧/ ١٩٣)، والشجري في أماليه (٢/ ١٤٠)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٢٢٣)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٣١٣)، والألباني في السلسلة الضعيفة (٩٢٨)

(٣) وجدناه بالهامش

(٤) قال النووي فيما روى مسلم في صحيحه حديث «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**» قال العلماء في هذا الحديث تحريم الهجر بين المسلمين أكثر من ثلاث ليال وإباحتها في الثلاث الأول بنص الحديث، والثاني بمفهومه، قالوا وإنما عفي عنها في الثلاث لأن =

فقال الحسين: إن كنت لا تقبل إلا القصاص فاذهب إلىٰ أمير خراسان عبد الله ابن طاهر فكتب إليه كتابًا وذكر جميع ما جرى بينه وبين الخصم

فقال عبد الله بن طاهر: أنا أبذل من مالي أربعين ألف درهم حتى لا يكون في أيامنا إراقة الدم، فأبى الخصم

فقال عبد الله بن طاهر: إن كان لا بد من ذلك فاذهب إلىٰ بغداد عند الخليفة حتى يأذن لك، فذهب إلىٰ بغداد فطلب القصاص

فقال الخليفة: سمعت أبي يقول: سمعت جدي أسنده إلىٰ رسول الله ﷺ أنه قال: «**كل بلدة فيها إراقة الدم فإنه يذهب نصف بركة ذلك البلدة والآن قد ذهب نصف البركة لتلك البلدة أفتريد أن تريق دما آخر ليذهب جميع بركتها ألا ترحم تلك البلدة وأهلها وجميع المسلمين**.

فقال الخصم: قد عفوت عن القاتل وتركت الدية[١] بحرمة هذه البلدة

باب التنجيم

روى ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه فقد**

= الآدمي مجبول علىٰ الغضب وسوء الخلق ونحو ذلك فعفي عن الهجرة في الثلاثة ليذهب ذلك العارض، وقيل إن الحديث لا يقتضي إباحة الهجرة في الثلاثة وهذا علىٰ مذهب من يقول لا يحتج بالمفهوم ودليل الخطاب

النووي في شرح مسلم (١٦/ ٩٦)
طبعة دار الكتب العلمية.

(١) اتفقوا علىٰ أن دية الحر المسلم مائة من الإبل في مال القاتل العامد إذا آل إلىٰ الدية، ثم اختلفوا هل هي حالة أو مؤجلة، فمذهب الشافعي وأحمد ومالك إلىٰ أنها حالة، وقال أبو حنيفة: هي مؤجلة في ثلاث سنين (اختلاف الأئمة العلماء) (٢/ ٢٣٠)

وقال في فقه السنة: الدية هي المال الذي يجب بسبب الجناية وتؤدي إلىٰ المحنة عليه أو وليه، يقال وديت القتيل أي أعطيت ديته، وهي تنتظم ما فيه القصاص وما لا قصاص فيه وتسمى الدية بالعقل وأصل ذلك أن القاتل كان إذا قتل قتيلا جمع الدية من الإبل فعقلها بفناء أولياء المقتول أي شدها بعقالها ليسلمها إليهم.
فقه السنة (٢/ ٤٦٥).

كفر بما أُنزل علىٰ محمد ﷺ »(١)

فإن قيل: فما تقول في قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾(٢)

فالجواب: إنما أراد بها الاهتداء إلىٰ الطريق في المسير والقبلة في الصلاة، لا إلا علم الغيب، فإنما علم الغيب تفرد به تعالىٰ (بكواكب دون الكواكب والناظرين إلىٰ الكواكب)(٣)

وحكي عن بعض الخلفاء أنه رأى ملك الموت عليه السلام في المنام فقال: كم من عمري فأشار إليه بخمسة أصابع، فلما استيقظ من منامه دعا بالمعبرين فسألهم عن تفسير رؤياه فكان بعضهم يعبرها بخمسة أيام، وبعضهم بخمسة أشهر وبعضهم بخمس سنين(٤)

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٣٩٠٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١١٧، ١١٨)، وابن حجر في المطالب العالية (٢٤٦٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٤)، والبغوي في شرح السنة (١٢/ ١٨١)، وابن حجر في فتح الباري (١٠/ ٢١٧)، والزبيدي في الإتحاف (٢/ ٢٨٥)، والسيوطي في الدر المنثور (١٠/ ١٠٣)، وابن القيسراني في تذكرة الموضوعات (٧٢٩)، والألباني في التوسل (٢٤)

(٢) سورة النحل (١٦)

(٣) في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤﴾ قال ابن كثير: هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالىٰ بعلمها فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالىٰ بها، فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه تعالىٰ سواه ولكن إذا أمر بكونه ذكرا أو أنثى أو شقيا أو سعيدا علم الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غدا في دنياها وأخراها ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾ في بلدها أو غيره من أي بلاد الله كان لا علم لأحد بذلك وهذه شبيهة بقوله تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ الآية

تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦٩)

(٤) كذا بالأصل

فقال بعض العلماء: أنه لم يصب أحد من المعبرين في تأويل رؤياك وإنما تأويلها أنه أشار إليك بخمسة أشياء لا يعلمها إلا الله تبارك وتعالى، وهي تذكر في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤] الآية

وقيل في قوله تعالىٰ: ﴿۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ (١) يعني ما أشهدت المنجمين خلق السموات ولا العرافين خلق السموات والأرض، ولا المتطببين خلق أنفسهم

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**منكم من يؤمن بالله كافر بالكواكب؛ فأما من قال مطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مؤمن بالله وكافر بالكواكب، فأما من قال مطرنا بنوء كذا فهو كافر بالله مؤمن بالكواكب**» (٢)

وأنشد:

بلغا عني المنجم أني ... كافر بالذي قضته الكواكب
عالم أنّ من تكهن أو كهن ... كل علىٰ المقادير كاذبُ
موقن إنما يكون وما كان ... قضاء من المهيمن واجب

(١) الكهف (٥١)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٥ . (٧١)] كتاب الإيمان، ٣٢. باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ١٨٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٥١٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٦٢)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٩٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢١٣)

باب الطب

(قال في المصابيح: ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء)[(١)] وقال: (لكل داء دواء، فإذا أصيب الدواء برأ بإذن الله)[(٢)]

وقال ﷺ: «**أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء، ولا تداووا بالحرام**»

عن أسامة بن شريك قال: قالوا: يا رسول الله: «**أفنتداوى قال: نعم يا عباد الله تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد وهو الهرم فإن الله ما أنزل دواء له**»[(٣)]

وروي أن رجلا أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أنا طبيب

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٦٧٨)، كتاب الطب، ١ ـ باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء وابن ماجه في سننه (٣٤٣٨، ٣٤٣٩)، وأحمد في مسنده (١/ ٣٧٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٣٥٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٨٥)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٥١٥)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٩. (٢٢٠٣)] كتاب السلام، ٢٦. باب لكل داء دواء واستحباب التداوي، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٣٥)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٢٧٦)

فقال النووي: هذا فيه بيان واضح لأنه قد علم أن الأطباء يقولون المرض هو خروج الجسم عن المجرى الطبيعي، والمداواة رده إليه وحفظ الصحة بقاؤه عليه فحفظها يكون بإصلاح الأغذية وغيرها، ورده يكون بالموافق من الأدوية المضادة للمرض وبقراط يقول الأشياء تداوى بأضدادها، ولكن قد يدق ويغمض حقيقة المرض وحقيقة طبع الدواء فيقل الثقة بالمضادة، ومن هاهنا يقع الخطأ من الطبيب فقط، فقد يظن العلة عن مادة حارة فيكون عن غير مادة أو عن مادة باردة، أو عن مادة حارة دون الحرارة التي ظنها فلا يحصل الشفاء فكأنه ﷺ نبه بآخر كلامه علىٰ ما قد يعارض به أوله فيقال: قلت لكل داء دواء ونحن نجد كثيرين من المرضى يداوون فلا يبرءون، فقال: إنما ذلك لفقد العلم بحقيقة المداواة لا لفقد الدواء وهذا واضح والله أعلم.
النووي في شرح مسلم (١٤ / ١٦٠)
طبعه دار الكتب العلمية.

(٣) وجدناه بالهامش

فقال ﷺ: «**الطبيب هو الله أنت رفيق**» (١)

وروي عن ابن مسعود أنه لما مرض مرضه الذي مات فيه قيل ما تشتكي؟ فقال: ذنوبي، فقال: ما تشتهي؟ قال: مغفرة ربي، قيل: ألا ندعوا لك طبيبًا يداويك؟ فقال: رآني الطبيب فقال: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [**هُود: ١٠٧**]

وحكي أن موسى ﷺ قال: يا رب ممن الداء؟ قال: (مني) قال: فممن الدواء: قال: (مني) قال فما يصنع الأطباء؟ قال: (يطيبون أنفس عبادي)(٢)

وشكى رجل إلىٰ يونس بن عبيد وجعًا في بطنه فقال يونس: يا عبد الله إن هذه الدار لا توافقك فالتمس دارًا توافقك

وحكي أن موسى ﷺ كان يشتكي بعض أهله البطن، فقال له ربه: عليك يا موسى بحشيشة كذا

فأخذ موسى منها وعالج المريض، فشفي

ثم عاوده في وقت آخر ذلك الداء، فعالج موسى بتلك الحشيشة فلم تنفعهن فأنطق الله ﷻ الحشيشة حتى قالت: يا موسى أولاً من عند ربك، فوجدت المواد وجئتني الآن من عند نفسك فحُرمت المراد

(١) ذكر الهندي في الكنز (٢٨٠٧٢)

(٢) قال النووي في حديث مسلم «**لكل داء دواء**» الحديث في هذا الحديث إشارة إلىٰ استحباب الدواء وهو مذهب أصحابنا وجمهور السلف وعامة الخلف

قال القاضي : في هذه الأحاديث جمل من علوم الدين والدنيا ، وصحة علم الطب وجواز التطبب في الجملة واستحبابه بالأمور المذكورة في هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم، وفيها رد علىٰ من أنكر التداوي من غلاة الصوفية، وقال: كل شيء بقضاء وقدر فلا حاجة إلىٰ التداوي، وحجة العلماء هذه الأحاديث ويعتقدون أن الله تعالىٰ هو الفاعل وأن التداوي هو أيضا من قدر الله، وهذا كالأمر بالدعاء وكالأمر بقتال الكفار وبالتحصن ومجانبة الإلقاء باليد إلىٰ التهلكة مع أن الأجل لا يتغير والمقادير لا تتأخر ولا تتقدم عن أوقاتها ولا بد من وقوع المقدرات والله أعلم .

النووي في شرح مسلم (١٤/ ١٦٠)

طبعة دار الكتب العلمية .

(عن أبي سعيد الخدري قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: إن أخي استطلق بطنه، فقال رسول الله ﷺ: «**اسقه عسلا**»[(١)] فسقاه

ثم جاء فقال: سقيته فلم يزده إلا استطلاقًا ، فقال له ثلاث مرات، ثم جاء الرابعة فقال «**اسقه عسلاً**» فقال: لقد سقيته فلم يزده إلا استطلاقًا

فقال رسول الله ﷺ: «**صدق الله في إخباره وكذبت بطن أخيك، اسقه عسلاً**»[(٢)] فسقاه فبرأ . من المصابيح)[(٣)]

ومرض سهيل بن عبد الله فأشار إليه الطبيب باجتناب المشمش، فخالف سهل الطبيب وأكل من المشمش عشرين، فشفاه الله في الوقت

ومرض أحد الصحابة فقال الطبيب اجتنب الجبن، فإنه يضرك، فقال: لو علمت أن الجبن يضر وينفع لسجدت له

وأنشد:

لئن كان علم الطب ينجي من الردى ويشفي العليل فما بال الطبيب يموت
وما الطب إلا علم الظن وشبهة لأحكام الظنون ثبوت

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ١٥٩، ١٦٦)، ومسلم في صحيحه كتاب السلام (٩١)، والترمذي في سننه (٢٨٢)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٩، ٩٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٣٤٤)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٠٢)، والبغوي في السنة (١٢/ ١٤٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٥٢١)، وابن كثير في تفسيره (٤/ ٥٠١)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ١٦٤)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ١٥٩، ١٦٦)، ومسلم في صحيحه كتاب السلام باب (٣١) رقم . ٩١، والترمذي في سننه (٢٠٨٢)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٣/ ١٩، ٩٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٣٤٤)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٠٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٤٤)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠١٧٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢٣)، وابن حجر في فتح الباري (١٠/ ١٣٩، ١٦)، وابن كثير في تفسيره (٤/ ٥٠١)، والألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٤)، والطبراني في تفسيره (١٤/ ٩٤)، والقرطبي في تفسيره (١٠/ ١٣٧)

(٣) وجدناه بالهامش

وما هو مكتوب عليك فكائن ... وما لك مكتوب فليس يفوت
فسلم وأيقن أن ربك قادر ... قضايا تجري والعباد سكوت

باب الكهانة

(الكهانة الإخبار عن علم الغيب من غير وحي)[١]

عن عائشة قالت: سأل أُناس رسول الله ﷺ عن الكهانة فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ليسوا بشيء**» [٢]

فقالوا: يا رسول الله فإنهم يتحدثون أحيانًا بالشيء يكون حقًّا

فقال رسول الله ﷺ: «**تلك الكلمة من الحق يحفظها الجن فيقربها في أذن وليه قر الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة**» [٣]

(يعني بصوت الدجاجة، بصوت لا يفهم، فذلك الجني يصوت في أذن الكاهن بحيث لا يطلع عليه غيره)[٤]

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٥٨)، ومسلم في صحيحه كتاب السلام ٣٥ باب (١٢٣)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٦/ ٨٧)، والطحاوي في مشكل الآثار (٣/ ١١٤)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٣٤٧)، وابن حجر في فتح الباري (١٠/ ٥٩٥)، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٦/ ٦٢)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ١٧٦)، ومسلم في صحيحه كتاب السلام (١٢٢/ ١٢٣٢)، وأحمد في مسنده (٦/ ٨٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٣٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٩٩)، والبغوي في شرح السنة (١٢/ ١٨٠)، وابن حجر في فتح الباري (١٠/ ٢١٦، ٥٩٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٥٩٣)، وابن كثير في تفسيره (٦/ ١٨٣)، والقرطبي في تفسيره (٧/ ٤)، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٦/ ٦٢)، والطحاوي في مشكل الآثار (٣/ ١١٥)

(٤) وجدناه بالهامش

قال رسول الله ﷺ: «**من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل صلاته أربعين يومًا**» (١)

(العراف من جملة أنواع الكهانة)(٢)

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول، أو أتى حائضًا، أو أتى في دبر، فقد برئ (أي فقد كفر)(٣) بما أنزل علىٰ محمد ﷺ**» (٤)

قال ابن عباس: إن الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات، فكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها فيلقون علىٰ الكهنة

فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات، فلما ولد محمد ﷺ منعوا السموات أجمع(٥)، فما منهم أحد يريد أن يسترق السمع إلا رمي بشهابه

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب السلام (١٢٥)، والبغوي في شرح السنة (١٢/ ١٢٨)، وابن القيسراني تذكرة الموضوعات (٧٣٠)، والألباني في التوسل (٢٤)

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) وجدناه بالهامش

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٣٩٠٤)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٢٩)، والزبيدي في الإتحاف (١٩٨/٤، ٢/ ٢٨٥) والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ١٩٨) ، والهيثمى في مجمع الزوائد (٥/ ١١٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٥، ٣٤) والسيوطي في الدر المنثور (١٠/ ١٠٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ١٠٤، ٨/ ٢٤٦)، وابن حجر في المطالب العالية (٣٤٦٤)

(٥) قال تعالىٰ ﴿وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا ﴾ الآيات قال ابن كثير: يخبر تعالىٰ عن الجن حين بعث الله رسوله محمدا ﷺ وأنزل عليه القرآن وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرساً شديداً وحفظت من سائر أرجائها وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك لئلا يسترقوا شيئاً من القرآن فيلقوه علىٰ ألسنة الكهنة فيلتبس الأمر ويختلط ولا يدرى من الصادق وهذا من لطف الله بخلقه، ورحمته بعباده وحفظه لكتابه العزيز، ولهذا قال الجن: ﴿ وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديداً وشهبا وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا ﴾ أي من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهابا مرصدا له لا يتخطاه ولا يتعداه بل يمحقه ويهلكه تفسير ابن كثير (٤/ ٤٢٩) .

فإذا توارى النجم عنكم فقد أدركه لا يخطئ أبدًا

فيحرق وجهه أو جبينه أو يده، ولكنه لا يقتله فمنهم من يخلبه فيصير غولا في البراري يضل الناس

قال: فلما منعوا تلك المقاعد ذكروا ذلك لإبليس فقال: لقد حدث في الأرض حادثًا فبعثهم فوجدوا رسول الله ﷺ يتلوا القرآن فقالوا: والله هذا الحدث

عن (أبي لهب بن كعب)(١) قال: حضرت مع رسول الله ﷺ فذكرت عنده الكهنتة فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله نحن أول نزع لحراسة السماء ورجم الشياطين ومنعهم عن استراق السمع(٢)

ولما رأينا ذلك اجتمعنا إلىٰ كاهن يقال له خطر بن مالك، وكان شيخًا كبيرًا، قد أتى عليه ثلاثمائة وستين سنة، قلنا له: يا خطر هل عندكم علم من هذه النجوم التي يرمى بها فقد فزعنا وخفنا سوء عاقبتنا

فقال لنا: اغدوا علي بالسحر ائتني سفري أخبركم، إما بخير أو ضرر

فانصرفنا عنه يومًا، فلما كان وقت السحر أتيناه فإذا هو قائم علىٰ قدميه شاخصًا إلىٰ السماء بعينه، فناديناه: يا خطر فأومئ إلينا أن أمسكوا فأمسكنا وانفض من السماء نجم عظيم وصرخ الكاهن بأعلى صوته أصابه خائره عقابه، عاجله عذابه، أحرقه شهابه زائله جوابه يا ويله حاله تغير أحواله ثم أمسك طويلاً فقال: يا لهب بن

---

(١) كذا بالأصل

(٢) قال السدي في ميلاد النبي ﷺ وفزعت الشياطين فأتوا إبليس فحدثوه بالذي كان من أمرهم ـ فقال: ائتوني من كل أرض بقبضة من تراب أشمها. فأتوه فشم فقال صاحبكم بمكة فبعث سبعة نفر من جن نصيبين فقدموا مكة فوجدوا نبي الله ﷺ قائما يصلي في المسجد الحرام يقرأ القرآن فدنوا منه حرصا علىٰ القرآن حتى كادت كلاكلهم تصيبه، ثم أسلموا فأنزل الله تعالىٰ أمرهم علىٰ رسوله ﷺ

وقد ذكر السدي في أول كلامه: لم تكن السماء تحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو دين لله ظاهر فكانت الشياطين قبل محمد ﷺ قد اتخذت المقاعد في السماء الدنيا يستمعون ما يحدث في السماء من أمر فلما بعث الله محمدا ﷺ رجموا ليلة من الليالي..... إلىٰ آخر كلامه.

انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٤٣٠).

خطان أخبركم بالحق والبيان أقسمت بالكعبة والأركان والبلد الآمن ذي سكان والمنع للسمع لعتات الجان بثاقب في كفه سلطان من أجل مبعوث عظيم الشان يبعث بالتنزيل والفرقان[١] تبطل به عبادة الأوثان

فقلنا: يا خطر إنك لتذكر أمرًا عظيمًا، فما تقول فترى لقومك أن يفعلوا؟

قال: أرى لهم ما قد رأى لنفسي أن تتبعوا خير قبيل برهانه مثل شعاع الشمس يبعث من مكة دار الخمس بمحكم التنزيل غير لبس

فقلنا: من هو وما اسمه وما مدته؟

قال: والموت والعيش أنه لمن قريش ما في حكمه طيش ولا في خلقه هيش يكون في جيش وأي جيش، من آل قحطان وآل بيش، والبيش الاختلاط من كل قبيلة، قلنا له: من أي البطون هو بين لنا ومن أي قريش؟

قال: والبيت والدعائم والديار والحمائم بطن من ولد إبراهيم[٢] إنه لنسل

---

(١) في القرآن الكريم آيات تدل علىٰ أن اليهود والنصارى كانوا يعلمون حق العلم. مما ورد في التوراة والإنجيل. أن نبيًا كريمًا سيظهر لهداية العالم إلىٰ الطريق المستقيم، وقد ذكر اسمه وصفاته فيهما فمنهم من هداه الله وآمن به ومنهم من أضله الله وجعل علىٰ قلبه وسمعه وبصره غشاوة فعادى تلك الرسالة وعارض صاحب الرسالة، ومن هذه الآيات قوله ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ والمعنى ولما جاءهم القرآن من عند الله مصدقًا لما معهم من التوراة وكانوا قبل مجيئه يقولون اللهم انصرنا علىٰ المشركين بالنبي العربي المنتظر فلما جاءهم محمد علىٰ الصفات التي يعرفونها في التوراة كفروا به حسدًا وخوفًا لأنه من العرب وليس من بني إسرائيل فلعنة الله علىٰ الكافرين
انظر عظمة الرسول (ص٩٤).

(٢) هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف. واسمه المغيرة ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ـ واسمه عامر ـ بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدان بن عدنان ، وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم صلى الله عليهما وعلىٰ نبينا وسلم بإجماع الناس
انظر تاريخ الإسلام في بداية السيرة العطرة الجزء الأول

هاشم من معشر أكارم يبعث بالملاحم وقتل كل ظالم ثم قال: الله أكبر الله أكبر، جاء الحق وظهر، وانقطع عن الإنس الخبر، هذا هو البيان، أخبرني به رأس الجان

ثم قال: هذا نبأي وسكت، وأغمي عليه، فما أفاق إلا بعد ثلاثة أيام

فلما أفاق قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم مات، فقال رسول الله ﷺ: «**سبحان الله سبحان الله لقد نطق بمثل نبوة وإنه ليحشر يوم القيامة أمة واحدة**»

باب السحر

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [**البَقَرَة: ١٠٢**] الآية

قال الكبكي: هي أن كتبوا السحر (والنيرنجات)[١] علىٰ لسان آصف[٢] ثم

---

(١) قال المازري ﵀: مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة علىٰ إثبات السحر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافا لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته وأضاف ما يقع منه إلىٰ خيالات باطلة لا حقائق لها وقد ذكره الله تعالىٰ في كتابه وذكر أنه مما يتعلم وذكر ما فيه إشارة إلىٰ أنه مما يكفر به وأنه يفرق بين المرء وزوجه وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له النووي في شرح مسلم (١٤/ ١٤٦) طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) آصف بن برخيا وهو ابن خالة سليمان ،وقال ابن جرير في تفسيره بسنده عن شهر بن حوشب قال لما سلب سليمان ملكه كانت الشياطين تكتب السحر في غيبة سليمان فكتبت من أراد أن يأتي كذا وكذا فليستقبل الشمس وليقل كذا وكذا، ومن أراد أن يفعل كذا وكذا فليستدبر الشمس وليقل كذا وكذا، فكتبته وجعلت عنوانه هذا ما كتب آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم، ثم دفنته تحت كرسيه فلما مات سليمان ﵇ قام إبليس لعنه الله خطيبا قال: يا أيها الناس إن سليمان لم يكن نبيا إنما كان ساحرا فالتمسوا سحره في متاعه وبيوته، ثم دلهم علىٰ المكان الذي دفن فيه فقالوا والله لقد كان سليمان ساحرا هذا سحره بهذا تعبدنا وبهذا قهرنا فقال المؤمنون بل كان نبيا مؤمنا فلما بعث الله النبي محمد ﷺ وذكر داود وسليمان فقالت اليهود: انظروا إلىٰ محمد يخلط الحق بالباطل يذكر سليمان مع الأنبياء إنما كان ساحرا يركب الريح فأنزل الله تعالىٰ: ﴿ واتبعوا ما تتلو الشياطين علىٰ ملك سليمان وما كفر سليمان﴾ الآية تفسير ابن كثير (١/ ١٣٦) .

دفنوها تحت مصلاها حين نزع الله ملكه فلم يشعر ذلك سليمان، فلما مات استخرجوا من تحت مصلاه وقالوا للناس إن سليمان ملككم بهذا فتعلموه

فأما علماء بني إسرائيل وحكمائهم قالوا: معاذ الله أن يكون هذا من علم سليمان، وإن كان هذا من علم سليمان لقد هلك سليمان

وأما السفلة فقالوا: هذا من علم سليمان، فأظهر الله براءته مما رمي به، فقال: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ [البَقَرَة: ١٠٢] [(١)] الآية

قال السدي: كانت الشياطين تصعد إلىٰ السماء فتقعد في مقاعد السمع فيستمعون كلام الملائكة فيما يكون من الأرض من موت أو غيره

فيأتون الكهنة ويخلطون بما سمعوا كذبًا وزورًا، يسر في كلمة عدد من سبعين كذبةويخبرونهم بذلك

فاكتتب الناس ذلك وفشا في بني إسرائيل أن الجن تعلم الغيب فبعث الله سليمان في الناس فجمع تلك الكتب وجعلها في صندوق ودفنها تحت كرسيه

وقال: لا أسمع أحد يقول عن الشياطين تعلم الغيب إلا ضربت عنقه

فلما مات سليمان[(٢)] وذهب العلماء والذين كانوا يعرفون أمر سليمان ودفنه

---

(١) كذا بالأصل

(٢) قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ وقال أصبغ بن الفرج وعبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال سليمان لملك الموت: إذا أمرت بي فأعلمني فأتاه فقال: يا سليمان قد أمرت بك قد بقيت لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب، فقام يصلي فاتكأ علىٰ عصاه قال: فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متوكئ علىٰ عصاه ولم يصنع ذلك فرارا من ملك الموت، قال: والجن تعمل بين يديه وينظرون إليه يحسبون أنه حي، قال: فبعث الله دابة الأرض. يعني إلىٰ منسأته. فأكلتها حتى إذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها فخر فلما رأت الجن ذلك انفضوا وذهبوا

قال: فذلك قوله: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾

قال أصبغ: وبلغني عن غيره أنها مكثت سنة تأكل من منسأته حتى خر .

انظر قصص الأنبياء لابن كثير (ص ٥١٤) .

الكتب تمثل الشيطان على صورة إنسان فأتى نفرًا من بني إسرائيل فقال هل أدلكم على كنز لا تأكلون أبدًا

قالوا: نعم، قال فاحفروا تحت الكرسي وذهب معهم فأراهم المكان

وقام ناحيته قالوا: ادن، قال: لا، ولكني ها هنا فإن لم تجدوه فاقتلوني

وذلك أنه لم يكن من الشياطين أحد يدنوا من الكرسي إلا احترق

فحفروا فوجدوا تلك الكتب فلما خرجوا قال الشيطان إن سليمان كان ساحرًا يضبط الجن والإنس والشياطين والطير بهذا

ثم طار الشيطان وذهب، وفشا في الناس أن سليمان كان ساحرًا

واتخذ بني إسرائيل تلك الكتب فلذلك أكثر ما يوجد السحر في اليهود(١)، فلما جاء محمد ﷺ خاصمته اليهود بها، فبرأ الله سليمان من ذلك وأنزل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ فإن السحر كفر ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾(٢) ما كيفية السحر

فقد ورد في الخبر عن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنها قالت: قدمت على امرأة من أهل دومة الجندل، جاءت تبتغي رسول الله ﷺ بعد موته

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٤٣ ـ (٢١٨٩)، كتاب السلام ١٧ ـ باب السحر، عن عائشة قالت: سحر رسول الله ﷺ يهودي من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم قالت: حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة دعا رسول الله ﷺ ثم دعا ثم دعا الحديث بطوله

قال النووي: قال القاضي عياض وقد جاءت روايات هذا الحديث مبنية أن السحر إنما تسلط على جسده ، وظواهر جوارحه لا على عقله وقلبه واعتقاده ويكون معنى قوله في الحديث: حتى يظن أنه يأتي أهله ولا يأتيهن ويروى يخيل إليه أي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة عليهن فإذا دنى منهن أخذته أخذة السحر فلم يأتهن ولم يتمكن من ذلك كما يعتدي المسحور .

النووي في شرح مسلم (١٤/ ١٤٧) طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) البقرة (١٠٢)

(حداثه)[١] ذلك تسأله عن شيء دخلت فيه من السحر

قالت عائشة لعروة[٢] يا بن أختي فرأيتها حين لم تجد رسول الله ﷺ حتى أني لأرحمها تقول: إني أخاف أن أكون قد هلكت، كان لي زوج فغاب عني فدخلت علىٰ عجوزة فشكوت إليها ذلك فقالت: إن فعلت بما آمرك فاجعله يأتيك فلما جن الليل جاءت بكلبين أسودين، فركبت علىٰ أحديهما وركبت الآخر ولم يكن كثيراً حتى وقفنا ببابل[٣] فإذا برجلين معلقين بأرجلهما

فقالا: ما جاء بك؟ فقلت: أتعلم السحر

فقالا: إنما نحن ها هنا فتنة، فلا تكفري وارجعي، فأبيت

فقلت: لا، فقالا: فاذهبي إلىٰ ذلك التنور فبولي، فذهبت ففزعت فلم أفعل

فرجعت إليهما، قالا، فعلت: قلت: نعم، فقالا: رأيت شيئًا، قلت لم أر شيئًا

قالا: لم تفعلي، فارجعي إلىٰ بلادك فلا تكفري فإنك علىٰ رأس أمرك[٤]

---

(١) كذا بالأصل

(٢) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، أبو عبد الله الأسدي المدني ثقة فقيه مشهور، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (٩٤، ٩٥، ٩٩)
ترجمته: تهذيب التهذيب (٧/ ١٨٠)، تقريب التهذيب (٢/ ١٩)، الكاشف (٢/ ٢٦٢)، الجرح والتعديل (٦/ ٢٢٠٧)، التاريخ البخاري الكبير (٧/ ٣١)، سير الأعلام (٤/ ٤٤١)، الثقات (٥/ ١٩٤).

(٣) استدل به علىٰ أن بابل المذكورة في القرآن هي بابل العراق لا بابل دنباوند كما قاله السدي وغيره ثم الدليل علىٰ أنها بابل العراق ما قاله ابن أبي حاتم بسنده عن علي بن أبي طالب ﷺ مر ببابل وهو يسير فجاء المؤذن يؤذنه بصلاة العصر فلما برز منها أمر المؤذن فأقام الصلاة فلما فرغ قال: إن حبيبي ﷺ نهاني أن أصلي بأرض المقبرة ونهاني أن أصلي ببابل فإنها ملعونة

(٤) قال المازري واختلف الناس في القدر الذي يقع به السحر، ولهم فيه اضطراب، فقال بعضهم: لا يزيد تأثيره علىٰ قدر التفرقة بين المرء وزوجه؛ لأن الله تعالىٰ إنما ذكر ذلك تعظيماً لما يكون عنده، وتهويلا به في حقنا، فلو وقع به أعظم منه لذكره، لأن المثل لا يضرب عند المبالغة إلا بأعلى أحوال المذكور قال: ومذهب الأشعرية أنه يجوز أن يقع به =

قالت: فما رجعت فأبيت قالا: اذهبي إلىٰ ذلك التنور فبولي

فذهبت إليه فبلت فيه، فرأيت فرسًا مقنعًا بحديد خرج مني حتى ذهبت في السماء وغاب عني حتى ما أراه

فجئتهما فقالت: قد فعلت، قالا: ما رأيت؟

قلت: رأيت فرسًا مقنعا بالحديد خرج مني فذهب في السماء وغاب عني حتى ما أراه

فقالا: قد صدقت، ذلك إيمانك خرج منك، اذهبي

فقلت للعجوزة: والله ما أعلم شيئًا وما قالا ليس شيئًا، فقالت: بلى، إن تريدي شيئًا إلا كان خذي هذا القمح فابزري فبذرت، فقالت: اطلعي فاطلعت فقلت احقلي فأحقلت فقالت: افركي فأفركت، ثم قالت: اطحني فأطحنت

ثم قالت: اخبزي فأخبزت

فلما كان أني لا أريد شيئًا إلا كان سقط في يدي وندمت

والله يا أم المؤمنين ما فعلت شيئًال قط ولا أفعله أبدًا(١)

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ١٠٢] أي السحر ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ [البَقَرَة: ١٠٢] أحد من خلقه، ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ [البَقَرَة: ١٠٢] أي بعلمه وقضائه

= أكثر من ذلك. قال وهذا هو الصحيح عقلا لأنه لا فاعل إلا الله تعالى، وما يقع من ذلك فهو عادة أجراها الله تعالى، ولا تفترق الأفعال في ذلك، وليس بعضها بأولى من بعض، ولو ورد الشرع بقصوره عن مرتبة لوجب المصير إليه، ولكن لا يوجد شرع قاطع يوجب الاقتصار علىٰ ما قاله القائل الأول، وذكر التفرقة بين الزوجين في الآية ليس بنص في منع الزيادة، وإنما النظر في أنه ظاهر أم لا

النووي في شرح مسلم (١٤/ ١٤٧) طبعة دار الكتب العلمية.

(١) قد استدل بهذا الأثر من ذهب إلىٰ أن الساحر له تمكن في قلب الأعيان لأن هذه المرأة بذرت واستغلت في الحال

وقال آخرون: بل ليس له قدرة إلا علىٰ التخييل كما قال تعالىٰ: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ وقال تعالىٰ: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾

ومشيئته ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾(١) يعني أنهم لا يضرهم في الآخرة، أي: تعجلوا نفعاً في الدنيا

عن معاذ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمع اثنان حتى ينادي منادي في السماء إن الله قد زوج فلانة من فلان، ولا يفترقان حتى ينادي مناد في السماء أن الله فرق بين فلان وفلان**»

باب ذم الغضب(٢)

اعلم أن الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة أنها لا تطلع إلا علىٰ الأفئدة أنها المستكنة في الفؤاد استكانة الجمرة تحت الرماد يستخرجها الكبر الدفين في قلب كل جبار عنيد

كما يستخرج الحجر النار من الحديد فمن استوقدته نار الغضب فقد قويت به قرابة الشيطان حيث قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ **[الأعراف: ١٢]**

فإن شأن السكون الوقار، والنار الحركة والاشتعال والاضطراب

---

(١) البقرة (١٠٢)

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «**إن الشيطان ليضع عرشه علىٰ الماء ثم يبعث سراياه في الناس فأقربهم عنده منزلة أعظمهم عنده فتنة، يجيء أحدهم فيقول: ما زلت بفلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا ، فيقول إبليس لا والله ما صنعت شيئًا، ويجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله قال: فيقربه ويدنيه ويلتزمه ويقول نعم أنت .**»

تفسير ابن كثير (١/ ١٤٣)

(٢) روى البخاري في صحيحه (٦١١٤) كتاب الأدب ، ٧٦ . باب الحذر من الغضب عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»

وكذا رواه مسلم [١٠٧ .(٢٦٠٩)] كتاب البر والصلة ٣٠ . باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب عن أبي هريرة .

فبالغضب[١] والحسد هلك من هلك وفسد من فسد

(قال الفقيه رَحِمَهُ اللَّهُ **عليكم بالصبر عند الغضب وإياكم والعجلة عند الغضب، فإن العجلة ثلاثة أشياء وفي الصبر ثلاثة أشياء فأما الثلاثة التي في العجلة: أحدها الندامة في نفسه، والثاني: الملامة عند الناس والثالث: العقوبة**

وفي الحليم ثلاثة أشياء: السرور في نفسه والمحمدة عند الناس، والثواب من الله تعالىٰ فإن الحلم يكون مرا في أوله حلوا في آخره (من تنبيه الغافلين)

قال رسول الله ﷺ: «**إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار**» [٢]

وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ. من المصابيح)[٣]

عن أبي هريرة أن رجلا جاء إلىٰ النبي ﷺ قال: يا رسول الله قل لي قولاً واقلل لعلي أعقله

قال ﷺ: «**لا تغضب**» فأعاد عليه مرتين، كل ذلك يرجع إليَّ: «**لا تغضب**» وقال له الرجل: يا رسول الله أي شيء أشد قال: «**غضب الله**»

---

(١) قال النووي في حديث مسلم المتقدم في التخريج قبل هذا: تعتقدون أن الصرعة الممدوح القوي الفاضل هو القوي الذي لا يصرعه الرجال بل يصرعهم وليس هو كذلك شرعًا بل هو من يملك نفسه عند الغضب فهذا هو الفاضل الممدوح الذي قل من يقدر علىٰ التخلق بخلقه ومشاركته في فضيلته

النووي في شرح مسلم (١٦/ ١٣٣)
طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤٧٨٤)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٦)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٦٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٥١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥١١٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ١٣٢)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ١٣)، والقيسراني في تذكرة الموضوعات (١٠٩٢)

(٣) وجدناه بالهامش

قال فما يعيذني من غضب الله، قال: «**لا تغضب**»[(١)]

وقال ﷺ: «**من كف غضبه كف الله عنه عذابه، ومن اعتذر إلىٰ ربه قبل الله عذره، ومن حزن لسانه ستر الله عورته**»[(٢)]

وقال ﷺ: «**إن أشدكم من غلب نفسه عند الغضب، وأحلمكم من عفى عند القدرة**»[(٣)]

(قال الغزالي: معالجي الغضب يحتجون بالعلم والعمل، أما العلمي أن يتفكر في الأخبار الواردة في فضل كظم الغيظ، وأيضًا أن يخوف نفسه بعذاب الله بأن يقول: قدرة الله تعالىٰ أعظم من قدرتي علىٰ هذا الإنسان

وأيضًا يتفكر في قبح صورته عند الغضب فهو يشبه الكلب الضاري

أما العملي يقول باللسان: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم[(٤)] اللهم اغفر لي

---

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه (٦١١٦) كتاب الأدب، ٧٦، باب الحذر من الغضب، والترمذي في سننه (٢٠٢٠) كتاب البر والصلة باب ما جاء في كثرة الغضب، وأحمد في مسنده (٢/ ١٧٥، ٣٦٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٠٥)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٦١٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٣٤٥)، وابن حبان في صحيحه (١٩٧١، ١٩٧٢، الموارد)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٦٩)، والطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٣٩٢)، والزبيدي في الاتحاف (٨/ ٤، ٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٤٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٠٤)

(٢) أخرجه: المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٥٢٥)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٤٥٣، ٨/ ٢٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٩٨)، وابن كثير في تفسيره (٢/ ١٠٠)

(٣) أخرجه السيوطي في جمع الجوامع (١١٩٦)

(٤) روى مسلم في صحيحه [١٠٩ . (٢٦١٠)] كتاب البر والصلة والآداب ، ٣٠ باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب عن سليمان بن صرد قال: استب رجلان عند النبي ﷺ فجعل أحدهما تحمر عيناه وتنتفخ أوداجه، قال رسول الله ﷺ «**إني لأعرف كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**» فقال الرجل: وهل ترى بي من جنون؟

وقال النووي: فيه أن الغضب في غير الله تعالىٰ من نزغ الشيطان وأنه ينبغي لصاحب الغضب أن يستعيذ فيقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وأنه سبب لزوال الغضب، وأما قول هذا الرجل الذي اشتد غضبه هل ترى بي من جنون، فهو كلام من لم يفقه في دين الله تعالىٰ ولم يتهذب بأنوار الشريعة =

ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني في مضلات الفتن)[١]

وقال ﷺ: «**الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبي العسل**» [٢]

وقال وهب بن منبه: الكفر علىٰ أربعة أركان: الغضب، والشهوة، والخرق، والطمع

ثم من آثار الغضب في الظاهر: تغير اللون وشدة الرعدة في الأطراف واضطراب الحركة والكلام

ثم يظهر الزَّبد علىٰ الأشداق، ومن اللسان فأنطقه بالشتم، والفحش وقبائح الكلام الذي يستحي منه ذوي العقول

ومن الجوارح الضرب والتمزيق

فـإن عجز عن المغضوب عليـه وهرب منه، رجع الغضب علـىٰ صاحبه فيمزق ثـوب نفسه، ويضرب يـده علىٰ الأرض، ويعده عدوًا مثـل السكران ويضرب الجمـادات والحيوان فيضرب القصعة علىٰ الأرض ويشتم البهيمة ويخاطبها ويقول: إلىٰ متى منك كيت وكيت، كأنه يخاطب عاقلاً فذلك من قلة عقله[٣]

= المكرمة وتوهمه أن الاستعاذة مختصة بالمجنون، ولم يعلم أن الغضب من نزغات الشيطان ولهذا يخرج الإنسان من اعتدال حاله ويتكلم بالباطل ويفعل المذموم، وينوي الحقد والبغض وغير ذلك من القبائح المترتبة علىٰ الغضب .

النووي في شرح مسلم (١٦/ ١٣٤) طبعة دار الكتب العلمية .

(١) وجدناه بالهامش

(٢) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٨/٦)، والعراقي في تنزيه الشريعة (٢/ ١٠٣)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ١٦١)

(٣) في حديث البخاري المتقدم قريبًا في قوله ﷺ للرجل الذي سأله الوصية «**لا تغضب**» فردد مرارًا، قال: «**لا تغضب**» فلم يزده في الوصية علىٰ لا تغضب مع تكرراه الطلب وهذا دليل ظاهر في عظم مفسدة الغضب وما ينشأ منه ويحتمل أن هذا القائل هل ترى بي من جنون كان من المنافقين أو من جفاة الأعراب والله أعلم

المرجع السابق (١٦/ ١٣٤) .

ثم الغضب علىٰ ثلاثة أقسام: ما هو ضرر في حق الكافة مثل إن قصد بالضرب والجرح وأخذ الثوب منه وإخراجه من الدار التي هي مسكنه

أو أراق الماء الذي هو لعطشه

فهذه أضرار لا بد من أن يغضب لها الإنسان

الثاني: ما لا ضرر لأحد كالجاه والمال الكثير والغلمان، والدواب مثل إن كانت له دار زائدة فهدمها ظالم، فيجوز أن لا يغضب فإنه لا يجب وجودها والغضب علىٰ الضرر يأخذها

والثالث: ما يكون ضروريًا في حق بعض الناس دون بعض كالكتاب للعالم آلات الصناعات من الصانع، فإنه مضطر إليه ويحبه فيغضب علىٰ من يحرقه ويخرقه فالغضب علىٰ هذا الوجه غير محال، ولكن عليه (الترديد)[1] إلىٰ الحد

فإنه يغلب في أحوال كالبرق الخاطف

وكان رسول الله ﷺ يغضب حتى تحمر وجنتاه[2]

لا يعمل بموجب الغضب، بل ليعود إلىٰ الحق لما روي أن عائشة رضي الله عنها غضبت مرة فقال ﷺ «**ما لك جاء شيطانك**»

فقالت: وما لك شيطان

---

(١) ما غضب النبي قط إلا في الله وذلك لما روي في مسلم في صحيحه [٩. (١٦٨٨)] كتاب الحدود.

باب قطع السارق الشريف وغيره ، عن عائشة أن قريشا أهمهم شأن المرأة التي سرقت في عهد النبي ﷺ في غزوة الفتح فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد وابن حبان في صحيحه رسول الله ﷺ فأتى بها رسول الله ﷺ فكلمه فيها أسامة بن زيد فتلون وجه رسول الله ﷺ فقال: «**أتشفع في حد من حدود الله**» فقال له أسامة: استغفر الله الحديث

(٢) كذا بالأصل

فقال: «**بلى، ولكن دعوت الله فأعانني عليه فأسلم ولا يأمر إلا بخير**»

فلم يقل لا شيطان لي، ولكن قال: لا يحملني علىٰ الشر[(١)]

وروي أن سليمان ﷺ لما شتم فقال: إن خفت موازيني مما تقول فأنا أشر مما تقول وإن ثقلت مما تقول موازيني لم يضرني ما تقول

وكان ﷺ: «**إذا غضبت عائشة أخذ بأنفها وقال: يا عويش قولي: اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن**» [(٢)]

ويستحب أن يقول ذلك، فإن لم يزل بذلك فاجلس إن كنت قائمًا، واضطجع إن كنت جالسًا

فإن لم يزل بذلك، فليتوضأ بالماء البارد فإن النار لا تطفئ إلا بالماء، والغضب من النار

---

(١) أخرجه: مسلم في صحيحه [٧٠ .(٢٨١٥)] كتاب صفات المنافقين ، ١٦ . باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس

وأحمد في مسنده (٦/ ١١٥، ٢٧٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٤٢٢)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٤٢٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٣٢١)، وابن حجر في التلخيص (١/ ١٢١)، والبيهقي في دلائل النبوة (١/ ١٠٢) .

قال النووي: قال القاضي: اعلم أن الأمة مجتمعة علىٰ عصمة النبي ﷺ من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه وفي هذا الحديث إشارة إلىٰ التحذير من فتنة القرين ووسوسته وإغوائه فأعلمنا بأنه معنا لنحترز منه بحسب الإمكان .

(٢) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٥/ ١٠٤، ٨/ ٢٢)، وابن كثير في تفسيره (٤/ ٦٠)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ١٧٠)

باب الحلم

اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ وما كظم إلا بعد ما هاج غيظة يحتاج فيه إلىٰ مجاهدة شديدة ولكن إذا تعود ذلك صار اعتيادًا فلا يهيج الغيظ

(وذكر عن لقمان الحكيم[١] أنه قال لابنه: يا بني ثلاث لا تعرف إلا في ثلاث: لا يعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا يعرف الشجاع إلا عند الحرب، ولا يعرف الأخ إلا عند الحاجة)

وقال ﷺ: «**اطلبوا العلم، واطلبوا مع العلم السكينة والحلم (لينوا)[٢] لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه**»

ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم علمكم[٣]

وقال ﷺ: «**ابتغوا رفعة غدٍ**»

قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟

قال «**تصل من قطعك، وتعطي من حرمك وتحلم علىٰ من جهل عليك**»[٤]

---

(١) هو لقمان بن عنقاء بن سدون. واسم ابيه ثاران في قول حكاه السهيلي، وقد ذكره الله تعالىٰ بأحسن الذكر، وأنه آتاه الحكمة، واختلف السلف فيه هل كان نبيا أو عبدا صالحًا من غير نبوة، علىٰ قولين: الأكثرون علىٰ الثاني

وقال سفيان الثوري بسنده عن ابن عباس قال: كان لقمان عبدًا حبشيًا نجاراً، وقال قتادة عن عبد الله بن الزبير: قلت لجابر بن عبد الله: ما انتهى إليكم من شأن لقمان؟ قال: كان قصيرًا أفطس الأنف من النوبة .

قال ابن جرير بسنده عن خالد الربعي قال: كان لقمان عبدًا حبشيًا نجارًا فقال له مولاه: اذبح لنا هذه الشاة، فذبحها فقال: أخرج لنا أطيب مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب ثم فعل في أخبث مضغتين فأخرج اللسان والقلب فسأله مولاه فقال له: إنه ليس من شيء أطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا (مختصر من تفسير ابن كثير) .

تفسير ابن كثير (٣/ ٤٥٩) .

(٢) كذا بالأصل

(٣) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٨/ ٢٧)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٤/ ١٦٤٣)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ١٧٢)

(٤) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٨/ ٢٧)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٧/ ٢٥٥٧)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ١٧٢)

وقال ﷺ: **«أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم»**

قالوا: يا رسول الله وما أبو ضمضم؟

قال: رجل فيمن كان قبلكم إذا أصبح يقول: اللهم إني تصدقت اليوم بعرضي علىٰ من ظلمني[(١)]

وقال ﷺ: **«إن الرجل ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وأنه ليكتب جبارًا عنيدًا، وما يملك إلا أهل بيته»** [(٢)]

وقال ﷺ: **«إذا جمع الله الخلائق ينادي المنادي: أين أهل الفضل، فيأتون سراعًا إلىٰ الجنة»**[(٣)]

فيقولون: نحن أهل الفضل، فيقول لهم الملائكة ما فضلكم؟، فيقولون: إذا ظلمنا صبرنا، وإذا أسيء إلينا غفرنا، وإذا جُهل علينا حلمنا

فيقول لهم: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين» [(٤)]

وسب رجل ابن عباس، فلما فرغ قال ابن عباس: يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها له، فنكس الرجل رأسه واستحيا

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز: أشهد إنك من الفاسقين

---

(١) أخرجه البغدادي في موضح أوهام الجمع والتفريق (١/ ٢٧)، والألباني في إرواء الغليل (٨/ ٣٢)، والذهبي في ميزان الاعتدال (٧٧٥٦)، وابن حجر في لسان الميزان (٥/ ٧٦٥).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٦٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٢٨٩)، وأحمد في مسنده (٦/ ١٣٣، ١٨٧)، وابن حبان في صحيحه (٢٨٤ . الموارد)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١٩٨)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ٤٥٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٠٤)

(٣) أخرجه ابن حجر في المطالب العالية (٤٦٢٧)، وابن كثير في تفسيره (٦/ ٧٥، ٣٦٦)

(٤) في قوله تعالىٰ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ۝٥٨﴾

قال ابن كثير: أي ماكثين فيها أبدًا لا يبغون عنها حولاً، لهم أجر العاملين، نعمت هذه الفرق أحدًا علىٰ أعمال المؤمنين .

تفسير ابن كثير (٣/ ٤٣٤) .

فقال   ليس يقبل الله شهادتك

وقال معاوية لعرابة بن الأوس: بم سدت قومك يا عرابة؟ قال: يا أمير المؤمنين كنت أحلم[١] عن جاهلهم ، وأعطي سائلهم ، وأسعى في حوائجهم

فمن فعل فهو مثلي، ومن جاوزني فهو أفضل مني

ومر عيسى ابن مريم عليهما السلام بقوم من اليهود فقالوا له شراً، فقالوا عيسى عليه السلام لهم خيرًا

فقيل له في ذلك فقال: كل ينفق بما عنده

(قال ﷺ: «**من كف أذاه عن الناس، كان حقًّا علىٰ الله أن يكف عنه عذاب القبر**»[٢] . روح البيان)[٣]

اعلم أن كل ظالم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله، فالغيبة بالغيبة والتجسر والتجسر، والسب بالسب

قال ﷺ: «**إن امرء عيرك بما ليس فيك فلا تعيره بما فيه**»

وينبغي أن يكون انتقاصه واستنصاره[٤] لله لا لنفسه

---

(١) قال الذهبي   كان يضرب المثل بحلم معاوية وقد أفرد ابن أبي الدنيا، وأبو بكر بن أبي عاصم تصنيفًا في حلم معاوية، قال ابن عون: كان الرجل يقول لمعاوية: والله لتستقيمن بنا يا معاوية أو لنقومنك فيقول: بماذا، فيقولون: بالخشب، فيقول: إذا نستقيم

وعن قبيصة بن جابر قال: صحبت معاوية فما رأيت رجلا أثقل حلمًا ولا أبطأ جهلا ولا أبعد أناة منه .

تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (٥١ ـ ٦٠)

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) أخرجه: المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٦٣)

(٤) في حديث مسلم «**رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم علىٰ الله لأبره**»

قال النووي : الأشعث الملبد الشعر المغير غير مدهون ولا مرجل، ومدفوع الأبواب أي لا قدر له عند الناس فهم يدفعونه عن أبوابهم ويطردونهم عنهم احتقارًا له لو أقسم علىٰ الله لأبره أي لو حلف علىٰ وقوع شيء أوقعه الله إكرامًا له بإجابة سؤاله وصيانته من الحنث في يمينه وهذا لعظم منزلته عند الله تعالىٰ وإن كان حقيرًا عند الناس، وقيل : معنى القسم هنا الدعاء وإبراره وإجابته والله أعلم .

النووي في شرح مسلم (١٦/ ١٤٤) طبعة دار الكتب العلمية .

ولما روي أن عمر رأى سكرانًا ، فأراد أن يأخذه ويعزره فشتمه السكران، فرجع

فقيل له: يا أمير المؤمنين لما شتمك تركته، قال: لأنه أغضبني، ولو عزرته لكان ذلك لغضب نفسي، ولم أحب أن أضرب مسلما حمية لنفسي[(١)]

باب العفو

اعلم أن العفو: أن يستحق حقا فيسقطه ويبدأ عنه من عذاب أو غرامة أو غير ذلك

قال ﷺ: «**التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة، فتواضعوا يرفعكم الله، والعفو لا يزيد العبد إلا عزا فاعفوا يعزكم الله، والصدقة لا تزيد المال إلا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله**» [(٢)]

قال عقبة[(٣)] أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: «**يا عقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق الدنيا والآخرة: تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفوا عمن ظلمك**» [(٤)]

وجاء رجل إلىٰ النبي ﷺ يشكو مظلمة فأمره النبي ﷺ أن يجلس وأراد أن يأخذه بمظلمته فقال: إن المظلومين هم المفلحون يوم القيامة فأبى أن يأخذها حين سمع الحديث

---

(١) هكذا كانت أخلاق عمر ﷺ متأسي بعلمه الكبير سيدنا محمد ﷺ ألا يحكم وهو غضبان ولا يغضب إلا لله

(٢) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٨/ ٣٩، ٣٥٣)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٨٤)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ١٧٨)

(٣) عقبة بن عامر بن عبس الجهني أبو حماد صحابي مشهور له رواية وفضل، ولي إمرة مصر لمعاوية وليها بعد عتبة بن أبي سفيان ثم عزله معاوية وأغزاه البحر سنة (٤٧)، وله معرفة القرآن والفرائض وكان فصيحا شاعراً كاتبًا قارئًا له هجرة سابقة

تاريخ الإسلام وفيات (٥١ . ٦٠)

(٤) أخرجه: والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٢٦٩)، والزبيدي في الاتحاف (٨/ ٤٠)

وقال ﷺ: «**ثلاث من جاء بهن مع الإيمان دخل من أي باب الجنة شاء وزوج من الحور العين حين شاء**» (١)

من أدى دينا خفيا وقرأ في دبر كل صلاة (قل هو الله أحد) عشر مرات وعفى عن قاتله

قال أبو بكر: وإحداهن يا رسول الله، قال وإحداهن

وقال ﷺ: «**إذا وقف العباد نادى مناد ليقم من أجره علىٰ الله فليدخل الجنة، قيل وما الذي أجره علىٰ الله .**

قال: العافون عن الناس، فقال كذا وكذا ألفًا فيدخولها بغير حساب» (٢)

وروي أن سارقًا دخل علىٰ خباء عمار بن ياسر فقيل له: اقطعه فإنه من أعدائنا.

فقال: بل أستر عليه لعل الله أن يستر علينا يوم القيامة(٣)

وجلس ابن مسعود ﷺ في السوق وكانت دراهمه في عمامته فوجدوها قد سرقت.

فقال: جلست وإنها لمعي فجعلوا يدعون علىٰ السارق ويقولون: اللهم اقطع يد السارق

فقال عبد الله بن مسعود: اللهم إن كان له علىٰ أخذها حاجة فبارك فيها، وإن كان حمله عليّ الجراءة علىٰ الذنب فأجعله آخر ذنوبه

---

(١) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٨/ ٤١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٣٠١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٢٤٣)، وابن حجر في المطالب العالية (٣٤٠٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٤١١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٠٥)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ١٧٩)، وابن كثير في تفسيره (٨/ ٥٤٥)

(٢) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٨/ ٤١)

(٣) قال النووي فيما رواه مسلم «**من ستر مسلمًا ستره الله**» قال القاضي يحتمل وجهين: أحدهما: أن يستر معاصيه وعيوبه عن إذاعتها في أهل الموقف والثاني ترك محاسبته عليها وترك ذكرها قال والأول أظهر لما جاء في الحديث الآخر بذنوبه يقول سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم

النووي في شرح مسلم (١٦/ ١١٨) طبعة دار الكتب العلمية .

وقال فضيل[١]: كان رجل من أهل خراسان زاهد وقد جلس في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت[٢] دنانير كانت معه، فجعل يبكي

فقال الفضيل: أعلى الدنانير، فقال: لا ولكن مثلني وإياه بين يدي الله فأشرف عقلي علىٰ ادحاض حجته، فبكائي رحمة

وقال بعضهم: إذا أراد الله أن يخيف عبدًا قيد له من يظلمه

باب الرفق

اعلم أن الرفق محمود، ويضاد العنف

فالرفق في الأمور ثمرة لا تثمر إلا حسن الخلق، ولأجل هذا اثنى عليه رسول الله[٣]، فقال: يا عائشة من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة.

ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة

---

(١) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر أبو علي التميمي اليربوعي الخراساني ثقة عابد، إمام أخرج له أصحاب الكتب الستة خلا ابن ماجه، توفي سنة (١٧٨) أو قبلها

ترجمته: تهذيب التهذيب (٨/ ٢٩٤)، تقريب التهذيب (٢/ ١١٣)، تاريخ البخاري الكبير (٧/ ١٢٣)، الجرح والتعديل (٧/ ٤١٦)، ميزان الاعتدال (٣/ ٣٦١)، لسان الميزان (٧/ ٣٣٧)، الثقات (١١٢٤)، تراجم الأخبار (٣/ ٢٥١).

(٢) احترم الإسلام المال من حيث إنه عصب الحياة واحترم ملكية الأفراد وجعل حقهم فيه حقًا مقدسًا لا يحل لأحد أن يعتدي عليه بأي وجه من الوجوه ولهذا حرم الإسلام السرقة والغصب والاختلاس والخيانة والربا والغش والتلاعب بالكيل والوزن والرشوة، وشدد في السرقة قضى بقطع يد السارق التي من شأنها أن تباشر السرقة، والحكمة من تشديد العقوبة كما نقله النووي عن القاضي عياض: لأن السرقة يندر إقامة البينة عليها، فعظم أمرها واشتدت عقوبتها ليكون أبلغ في الزجر عنها

فقه السنة (٢/ ٤١٠، ٤١١).

(٣) في الأحاديث فضل الرفق والحث علىٰ التخلق به وذم العنف والرفق سبب كل خير ومعنى يعطي الرفق أي يثيب عليهما لا يثيب علىٰ غيره، وقال القاضي: يتأتى به من الأغراض ويسهل من المطالب ما لا يتأتر بغيره

النووي في شرح مسلم (١٦/ ١١٩) طبعة دار الكتب العلمية.

وقال ﷺ: «**إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليه الرفق**»[(١)]

وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفر علىٰ بعير صعب فجعلت تضربه يمينًا وشمالاً فقال ﷺ:[(٢)] «**يا عائشة عليك بالرفق فإن الرفق لا يدخل في شيء إلا زانه ولا ينزعه من شيء إلا شانه**»

باب ذم الحسد

قال ﷺ: «**الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**»[(٣)]

وروي أن موسى عليه السلام لما تعجل إلىٰ ربه رأى في ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه فقال: إنه الكريم علىٰ ربه ، فسأل ربه أن يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال: «**أحدثك بعمله بثلاث: كان لا يحسد الناس علىٰ ما أتاهم الله من فضله، وكان لا يعق والديه، ولا يمشي بالنميمة**»[(٤)]

وقال ﷺ: «**استعينوا علىٰ قضاء الحوائج بالكتمان لها، فإن كل ذي نعمة محسود**»[(٥)]

قال ﷺ: «**ستة يدخلون النار قبل الحساب**»[(٦)]، قيل: من هم يا رسول الله؟،

(١) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٨/ ٤٦)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ١٨١).

(٢) أخرجه: أحمد بن حنبل في مسنده (٦/ ٥٨، ٢٢٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٩٣)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٤٨)

(٣) أخرجه: ابن ماجه في سننه (٤٢١٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٤١٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٥٤٧)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ٢٩٤، ٨/ ٥٠)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٤٥)، والخطيب في تاريخ بغداد (١/ ٢٢٧)، والقرطبي في تفسيره (٥/ ٢٥١)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٤٢٦، ٤٣٠)

(٤) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٩٥)، والسيوطي في اللالىء المصنوعة (٢/ ٤٣)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٨٤)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٥٣)

(٥) روى مسلم في صحيحه [١٠٢ . (٢٦٠٦)] كتاب البر والصلة والآداب ، ٢٨ . باب تحريم النميمة ، عن ابن مسعود قال: إن محمدًا ﷺ قال: «**ألا أنبئكم ما العضة هي النميمة القالة بين الناس**». . الحديث

(٦) أخرجه الزبيدي في الاتحاف (٨/ ٥٤)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ١٨٤)، والفتني في تذكرة الموضوعات (٢٤)

فقال: الأمراء بالجور والعرب بالمعصية والدهاقن[١] بالتكبر والتجار بالخيانة، وأهل الرستاق[٢] بالجهالة، والعلماء (بالحسد)[٣]

وقال رجل للحسين: هل يحسد المؤمن، قال: ما أنساك بني يعقوب، نعم ولكن غمر في صدره فإنه لا يضرك ما لم تعديه يدًا ولا لساناً

وقال الحسن يا ابن آدم لم تحسد أخاك فإن كان الذي أعطاه الله لكرامة فلم تحسد من أكرمه الله وإن كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره إلىٰ النار[٤]

وقال بعضهم: لا ينال من المجالس إلا مذمة وذلا، ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضًا، ولا ينال من الخلق إلا جزعًا وغمًا، ولا ينال عند الموت إلا شدة وهولاً ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالاً

قال بعض السلف: أو خطيئة كانت هي الحسد حسد إبليس آدم أن يسجد له وأيضًا قتل قابيل هابيل[٥] لحسده إياه

(١) الدهقان: رئيس المدينة أو رئيس الإقليم ومن له مال وعقار وجمعها دهاقين دهاقنة

(٢) الرستاق: موضع فيه زرع وقرى أو بيوت مجتمعة جمعها رساتيق

(٣) قال العلماء: الحسد قسمان: حقيقي ومجازي فالحقيقي تمني زوال النعمة عن صاحبها، وهذا حرام بإجماع الأمة مع النصوص الصحيحة

وأما المجازي فهو الغبطة وهو أن يتمنى مثل النعمة التي علىٰ غيره من غير زوالها عن صاحبها، فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة وإن كانت طاعة فهي مستحبة، والمراد بالحديث لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين وما في معناهما .
النووي في شرح مسلم (٦/ ٨٥) طبعة دار الكتب العلمية .

(٤) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٨/ ٥٣)، وابن حجر في لسان الميزان (٢٣/ ٢٩٠)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ١٨٤)

(٥) قوله تعالىٰ: ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر﴾ الآيات

قال ابن كثير: يقول تعالىٰ مبينًا وخيم عاقبة البغي والحسد والظلم في خبر ابني آدم لصلبه في قول الجمهور وهما قابيل وهابيل وكيف عدا أحدهما علىٰ الآخر فقتله بغيًا وحسدًا له فيما وهبه الله من النعمة وتقبل القربان الذي أخلص فيه لله ﷻ ففاز المقتول بوضع الآثام والدخول إلىٰ الجنة، وخاب القاتل ورجع بالصفقة الخاسرة في الدارين .
تفسير ابن كثير (٢/ ٤٢)

قال ﷺ:(١) «**أخوف ما أخاف علىٰ أمتي أن يكثر لهم المال فيتحاسدون، فيقتل بعضهم بعضًا، ومثل الحاسد كمثل رجل يرمي حجرًا علىٰ عدوه، فلم يصبه بل رجع عليه، ففقأ عينه، فيزيد غضبه ثانيا، فرمى أشد من الأولى، فلم يصبه بل رجع وفقأ عينه الأخرى فزاد غيظه ثالثًا، فرمى ثالثة فعاد إليه فشجه، وعدوه سالم في كل حال يغرون به ويضحكون عليه**»(٢)

وهذا حال الحسد وسخرية الشيطان كمه، بل ذلك أقبح من هذا، لأن الحجر العائد لم يفوت إلا العين، ولو بقيت لفاتت بالموت لا محالة، والحسد يعود بالإثم، والإثم لا يموت ولعله يسوق بالموت إلىٰ غضب الله، وإلى النار

نعوذ بالله من غضب الله

باب ذم الدنيا(٣)

وقال أبو هريرة: قال لي رسول الله ﷺ: «**ألا أريك الدنيا جميعها بما فيها؟**»

قلت: بلى يا رسول الله

(١) روى مسلم في صحيحه [٢٦١ . (٨٤٥)] كتاب صلاة المسافرين، ٤٧ . باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، عن ابن عمر رفعه: «**لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار**»

(٢) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٨/ ٨٤)

(٣) قال النسفي رحمه الله في زهرة الرياض: لما تولى سليمان الملك جاءه جميع الحيوانات يهنئونه إلا نملة واحدة فإنها جاءت تعزيه، فعاتبها النمل في ذلك فقالت: كيف أهنيه وقد علمت أن الله تعالىٰ إذا أحب عبدا زوى عنه الدنيا وحبب إليه الآخرة، وقد شغل سليمان بأمر لا يدري ما عاقبته فهو بالتعزية أولى من التهنئة

وقال بعض العارفين: رأيت كأن القيامة قد قامت والناس يذهبون إلىٰ الجنة زمرا زمرًا فنظرت إلىٰ طبقة أحسن الناس وجها فذهبت لأكون معهم فأحالت الملائكة بيني وبينهم، فقلت لهم: ولم؟، قالوا: هؤلاء هم السابقون، لا يكون معهم إلا من كان له قميص واحد، وأنت لك قميصان، ومن كل شيء اثنان فاستيقظت مرعوباً وصار لا يملك إلا واحدًا من كل نوع . انظر بستان الفقراء ونزهة القراء(٢/ ١١٢، ١١٥) من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية .

فأخذ بيدي وأتى واديًا من أودية المدينة فإذا مزبلة فيها رؤس ناس وعذرات وخرق وعظام

ثم قال: يا أبا هريرة هذا الرؤوس كانت تحرص كحرصهم وتأمل كأملهم، ثم هي اليوم عظام بلا جلد، ثم صارت رمادًا

وهذه العذرات ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها، ثم قذفوها من بطونهم وهذه الخرق ألوان ثيابهم التي كانوا يتزينون بها وهي صائرة إلىٰ بالية

وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينجعون أطراف البلاد، فمن كان باكيًا فليبك علىٰ الدنيا

قال: فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا

وقال ﷺ: «**ليجيئن أقوامًا يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة، فيؤم بهم إلىٰ النار**.

فقالوا: يا رسول الله أيصلون؟ قال: «**نعم، كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنيهة من الليل، فإذا عرض لهم من الدنيا وثبوا عليه**».

وقال عيسى عليه السلام: لا يستوي حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في إناء واحد

وروي أن جبرائيل عليه السلام قال لنوح عليه السلام: كيف وجدت الدنيا يا أطول الأنبياء عمرًا؟

قال: كدار بها بابان دخلت من إحديهما وخرجت من الآخرى

وروي أن موسى بن عمران عليه السلام مر علىٰ رجل وهو يبكي، فقال: يا رب عبدك يبكي من مخافتك فارحمه، فقال تعالىٰ: يا بن عمران لو نزل دماغه مع دموعه ورفع يديه حتى تسقط لم أغفر له وهو يحب الدنيا

وقال: إذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون بالزهد اعلم أنهم في سخرية الشيطان.

وقال أبو أمامة الباهلي: لما بعث محمد ﷺ أتت إبليس جنوده فقالوا قد بعث نبي وأخرجت الأصنام

قال: يحبون الدنيا، قالوا: نعم، قال: ولئن كانوا يحبونها ما أبالي ألا تعبد

الأصنام وأنا أغدوا عليهم وأروح بثلاث: أخذ المال من غير حقه، وامساكه من حقه، وإنفاقه في غير حقه، والشر كله لهذا تبع

وقال: شر من سأل الله الدنيا، فإنه يسأل طول الوقوف بين يدي الله تعالىٰ

وقيل لحكيم: الدنيا لمن هي؟ قال: لمن تركها والآخرة لمن هي؟ قال: لمن طلبها(١)

وقد روي أن عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوزة هتماء عليها من ذلك زينة، فقال لها: كم تزوجت ، قالت: لا أحصيهم

فقال: وكلهم ماتوا عندك أم كلهم طلقك

قالت: بل كلهم قتلت

فقال عيسى عليه السلام: بؤسا لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين كيف تهلكهم واحدا بعد واحد، ولا يكونون منك علىٰ حذر

واعلم أن الله عز وجل قد أهان الدنيا، وأنه لم يرضها لأوليائه، وهي عنده حقيرة قليلة

---

(١) ذكر بعض المفسرين في سورة النمل: إن إبليس يعرض الدنيا علىٰ من يريدها كل يوم فيقول: من يشتري من يضره ولا ينفعه ويهمه ولا يسره ؟

فيقول أصحابها وعشاقها: نحن ، فيقول: إنها معيوبة، فيقولون: لا بأس، فيقول ثمنها ليس بالدراهم والدنانير، ولكن بنصيبكم من الجنة، فإني أشتريتها بأربعة أشياء: بلعنة الله وغضبه وسخطه وعذابه، وبعت الجنة بها .

فيقولون: رضينا بذلك فيقول: أريد أن أربح بأن توطنوا قلوبكم علىٰ أن تدعوها، فيقولون رضينا بذلك، فيقولون: نعم، فيبيعهم إياها ثم يقول: بئست التجارة .

وجاء عن الشافعي رحمه الله: من زهد قرت عيناه غدًا بما يرى من السرور ثم قال شعرًا:

وما هي إلا جيفة مستحيلة … عليها كلاب همهم اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سلمًا لأهلها … وإن تجتذبها نازعتك كلابها

وقال غيره:

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره … ونال من الدنيا سرورًا وأنعما
كبان يبني بنيانه فأتمه … فلما استوى ما قد بناه تهدما

المرجع السابق (٢/ ١٢١)

إن رسول الله ﷺ زهد فيها وحذر أصحابه من فتنتها وأصحابه أكلوا منها قصدًا وقدموا فضلا، وحذر منها ما يكفي وتركوها وما يلهى ولبسوا من الثياب ما ستر العورة، وأكلوا من الطعام ما سد الجوع(١)

نظروا إلىٰ الدنيا بعين أنها فانية، وإلى الآخرة بأنها باقية، وخربوا الدنيا وعمروا الآخرة، ارتحلوا عنها بقلوبهم لما علموا سيرتحلون بأبدانهم

صبروا قليلا ونعموا طويلا، كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم

باب ذم حب المدح والرياسة

قال ﷺ:(٢) «**حب الدنيا والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل**»، قيل: يا رسول الله أي أمتك أشر؟

---

(١) روى الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٢٠)، عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: أن الله تعالىٰ ناجى موسى عليه السلام بمائة ألف وأربعة وعشرين ألف كلمة في ثلاثة أيام، وكان مما ناجاه أن قال: يا موسى إنه لم يتصنع بمثل الزهد في الدنيا ولم يتقرب إليّ المتقربون بمثل الورع عما حرمت عليهم، ولم يتعبد إليّ المتعبدون بمثل البكاء من خشية الله، قال موسى: يا رب البرية ومالك يوم الدين، ويا ذا الجلال والإكرام، ماذا أعددت لهم، وماذا أجزيتهم؟ قال: أما الزاهدون في الدنيا فإني أبحتهم جنتي يتبوأون منها حيث شاءوا وأما الورعون عما حرمت عليهم، فإني استجيب لهم وأجلهم وأكرمهم فأدخلهم الجنة بغير حساب وأما البكاءون من خشيتي فأولئك لهم الرفيق الأعلى ليشاركوا فيه

بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ١١٧) من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) قال محمد بن واسع رحمه الله: اشتهيت كبدًا مشويًا أربعين سنة، ثم خرجت للجهاد لعل أن يقع في سهمي من الغنيمة شاة فأكل منها شهوتي فرأيت في المنام ثلاثة نزلوا من السماء فكتبوا: هذا خرج ليقال: شجاع، هذا خرج يجاهد، وهذا خرج رياء، ثم نظروا إليّ فقالوا: هذا شهواني اشتهى كبدًا مشويًا فقلت بالله لا تفعلوا أنا تائب إلىٰ الله تعالىٰ لا أعود ولا أعود.

وقال الجنيد رحمه الله: دخلت علىٰ سري السقطي رحمه الله فرأيته يبكي فسألته فقال: جاءتني بنتي البارحة وقالت: هذه ليلة حارة أفأغلق لك الكوز حتى يبرد، قلت: نعم، فرأيت في منامي حورية لم أر أحسن منها، فقلت: لمن أنت؟ قالت: لمن لا يشرب الماء البارد من الكيزان، قال: فأخذت الكوز وضربته به الأرض فكسرته

بستان الفقراء (٢/ ١١٦) من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية .

قال: «**الأغنياء**»

قال ﷺ: [١] «**سيأتي بعدكم أقوام يأكلون بأطايب الدنيا وألوانها ويركبون غرة الخيل، وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها، لهم بطون من القليل لا تشبع وأنفس من الكثير لا تقنع، عاكفين علىٰ الدنيا يغدون ويرحون إليها، اتخذوها آلهة من دون إلههم، فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن أدركهم ذلك الزمان أن لا يسلم عليهم، ولا يعود مرضاهم ولا يشيع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أعان علىٰ هدم الإسلام**» [٢]

وقال رجل: يا رسول الله ما لي لا أحب الموت ؟

فقال: «**أمعك من مال**»، **قال: نعم يا رسول الله، قال**[٣]: **قدم مالك فإن قلب الملاء مع ماله، إن قدمه أحب أن يلحقه، وإن خلفه أحب أن يتخلف معه**»

وقال ﷺ: «**ما ذئبان جائعان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر فساد فيها من أحب المال والجاه في دين الرجل المسلم**» [٤]

وفيه نهي عن حُب الرياسة والوقوع في آفاتها

قال معاذ بن جبل: حُب الرياسة سيف إبليس لقطع العبودية إذا ضرب بها وحب الرياسة نار في بني آدم إذا توقد أحرق صفاء ضمائرهم وحب الرياسة صفة الربوبية من تعلق بها هلك مع الهالكين

وقال ﷺ: «**من أحب أن يقوم له الناس فليتبوأ مقعده من النار**» [٥]

---

(١) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٧/ ٥٧٠، ٨/ ٤٤٩، ١٠/ ١٧٨)

(٢) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٨/ ١٤٥)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٢٢٧)، والفتني في تذكرة الموضوعات (١٧٤)

(٣) أخرجه: العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٢٢٧)

(٤) روى أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ١٧)، عن البراء بن عازب، عن النبي ﷺ قال: «**إن لله خواص يسكنهم الرفيع من الجنان في أعلى عليين، كانوا أعقل الناس**»، قلنا يا رسول الله كيف كانوا أعقل الناس؟ قال: كان همهم المسابقة إلىٰ الله والمسابقة إلىٰ ما يرضيه، زهدوا في الدنيا وفي فضولها وفي رياستها ونعيمها فهانت عليهم، فصبروا قليلا فاستراحوا طويلا

(٥) أخرجه: الترمذي في سننه (٢٣٧٦)، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٥٦، ٤٥٧)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ١٤٤، ٢٣٨)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٤٢٠)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٩٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٥٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء =

وقيل فيه رياسة الرجال بغير إيمان ولا تقوى إلا له هي خساسة، وكل رياسة بغير علم أذل من الجلوس علىٰ الكناسة، وأشرف منزل وأعز عز وخير رياسة ترك الرياسة

اعلم إنما هلك الناس بخوف مذمة الخلق وحب مدحهم فذلك من المهلكات فلا ينبغي أن يفرح الإنسان بعروض الدنيا، وإن فرح فلا ينبغي أن يفرح بمدح المادح بها، وإن كانت الصفة أن يستحق الفرح بها كالعلم والورع فلا ينبغي أن يفرح بها

لأن الخاتمة غير معلومة وخطر الخاتمة باق، ففي خطر الخاتمة شغل من الفرح بكل ما في الدنيا، فإن الدنيا دار أحزان لا دار سرور وكفى لكل سرور مرارة فطامها وآفات المدح علىٰ الممدوح عظيمة

وقال خالد بن معدن: من مدح إمامًا أو واحدًا ليس فيه علىٰ رؤوس الأشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر لسانه

وروي أن رجلا عند النبي ﷺ مدح رجلا فقال ﷺ: «**ويحك قطعت عنق أخيك لو سمعها ما أفلح**» (١)

قال ﷺ: «**إن الله تعالىٰ يغضب إذا مُدح الفاسق**» (٢)

وقال الحسن: ومن دعى لظالم بالبقاء فقد أوجب أن يعصى الله في الأرض، فالظالم الفاسق ينبغي أن يُذم ليغتم ولا يمدح ليفرح

= (٣/ ٢١٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٨١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٤٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ١٤١)، وابن حبان في صحيحه (٢٤٧٢ الموارد)

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٥٢٢٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٤٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٣١)، والخطيب في تاريخ بغداد (٢/ ١٧٣، ١١/ ٣٦١)، وابن كثير في البداية والنهاية (٨/ ١٢٦، ١٠/ ٣٥٠)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٣٧٨)، والفتني في تذكرة الموضوعات (١٧٢)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٣٥٢)، وأحمد في مسنده (٤/ ٩١)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٦ . (٣٠٠٠) كتاب الزهد باب النهي عن المدح، وأحمد في مسنده (٥/ ٥١)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٥٧١، ٨/ ٢٥٦)، والعجلوني في كشف الخفاء (٢/ ١٦)

وقال: لو مشى رجل إلىٰ رجل بسكين مرهف كان خيرًا له أن يثني عليه

وقال علي كرم الله وجهه لما أثني عليه: اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيرًا مما يظنون يسقط بذلك العجب

وقال بعض السلف: من فرح بمدح فقد أمكن الشيطان أن يدخله في بطنه.

وقال بعضهم: إذا قيل لك نعم الرجل أنت فكان أحب إليك من أن يقول بئس الرجل أنت، والله بئس الرجل

وفي بعض الأخبار: قاصم الظهور أن رجلا أثنى علىٰ رجل خيرًا عند رسول الله ﷺ فقال: «**لو كان صاحبك حاضرًا فرضي بما قلت فمات علىٰ ذلك دخل النار**»(١) نعوذ بالله

باب فضيلة الخمول

قال ﷺ:(٢) «**إن من أهل الجنة أشعث أغبر ذو طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأذنوا علىٰ الأمراء لم يؤذن لهم وإذا خطبوا لم ينكحوا لهم وإذا قالوا لم ينصت لهم وإذا غابوا لم يفتقدوا وإذا حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى حوائج أحدهم يتجلجل في صدورهم لو قُسم نوره يوم القيامة علىٰ الناس لوسعهم**»

وقال ﷺ: «**إن من أمتي من لو أتى أحدهم وسأله دينارًا لم يعطه إياه، ولو**

---

(١) قال النووي فيما روى مسلم من الحديث المتقدم وقوله ﷺ: «**ويحك قطعت عنق صاحبك**»:ـ قال العلماء النهي محمول علىٰ المجازفة في المدح والزيادة في الأوصاف أو علىٰ من يخاف عليه فتنة من إعجاب ونحوه إذا سمع المدح، وأما من لا يخاف عليه ذلك لكمال تقواه ورسوخ عقله ومعرفته فلا نهي في مدحه في وجهه إذا لم يكن فيه مجازفة، بل إن كان يحصل بذلك مصلحة كنشطه للخير والازدياد منه أو الدوام عليه أو الاقتداء به كان مستحبا والله أعلم، وأما قوله ﷺ: «**قطعت عنق صاحبك**» وهذه استعارة من قطع العنق الذي هو القتل لاشتراكهما في الهلاك لكن هلاك هذا الممدوح في دينه وقد يكون من جهة الدنيا لما يشتبه عليه من حاله بالإعجاب

النووي في شرح مسلم (١٨/ ٩٩) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) أخرجه :. الزبيدي في الإتحاف (٨/ ٢٥٦)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٢٨٢)، والفتني في تذكرة الموضوعات (١٧٧)

سأله درهما أو فلسا لم يعطه إياه ولو سأل الله تبارك وتعالىٰ الجنة أعطاه إياها ، ولو سأله الدنيا يعطه لهوانها عليه ، ذو طمرين لا يؤبه له ، لو أقسم علىٰ الله لأبره» [(١)]

وقال ﷺ : «**إن أهل الجنة كل أشعث أغبر**» [(٢)]

وروي : قحطت المدينة وكان بها رجل صالح لازم في مسجد رسول الله ﷺ فبينما هم في دعاءهم إذ جاء رجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتين أوجز فيهما ، ثم بسط يديه فقال : يا رب أقسمت عليك ألا أمطرت السماء علينا الساعة ، فلم يرد يديه حتى تغشت السماء بالغيم وأمطرت حتى صاح أهل المدينة من مخافة الغرق

فقال : يا رب إن كنت علمت أنهم قد اكتفوا فرافع عنهم فسكن

فقيل له في ذلك فقال : أطعت الله فيما أمرني ونهاني وسألت الله فأعطاني[(٣)]

وفي حديث أبي هريرة[(٤)] : إن أقرب الناس من الله يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا ، الأتقياء والأخفياء الذين إن شهدوا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفقدوا تعرفهم بقاع الأرض تحف بهم ملائكة السماء ، نعم الناس بالدنيا ونعموا في طاعة الله ، افترش الناس الفرش ، وافترشوا الجباه والركب ضيع الناس فعل النبيين وأخلاقهم وهم حفظوها

تبكي الأرض إذا فقدتهم ويسخط الله علىٰ كل بلد ليس فيها واحدا منهم

وكان حويش يبكي ويقول : بلغ اسمي المسجد الجامع

واعلم أن الجاه هو انتشار الصيت والاشهار هو مذموم ، بل المحمود الخمول إلا من شهد الله دينه بغير طلب منه

---

(١) أخرجه :. الزبيدي في الإتحاف (٨/ ٢٢٥) والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٢٧٠).

(٢) أخرجه :. الشجري في أماليه (٢/ ٢٠٥)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٢٢٥، ٢٣٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٧٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٥٢)، وابن حجر في المطالب العالية (٣٢١٣)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٢٧٠)، وأحمد بن حنبل في الزهد (١٢٠)

(٣) انظر ما قبله

(٤) أخرجه :. الزبيدي في الإتحاف (١/ ٧٣، ٧/ ٣٨٧) وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٢/ ٤٠٠)

ويقال لا يجد الحلاوة في الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس.

وقال: كم نفس فرحت بما نالت من المنزلة والوقار، فأحبطت بذلك ثواب الطاعات والأعمال فقد أثبت اسمه في جريدةالمنافقين وهو يظن أنه عند الله من المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا المقربون

باب ذم الحرص والطمع

قال ﷺ: «**لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله علىٰ من تاب**».

(وإنما جعل هذا المال لتقام به الصلاة ويؤتى به الزكاة)[(١)]

وقال ﷺ: «**ما من أحد غني ولا فقير إلا يود يوم القيامة أنه كان أدنى قوتًا في الدنيا**» [(٢)]

وقال ﷺ: «**أجملوا في طلب الرزق فإنه ليس للعبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب وهي راغمة**» [(٣)]

وقال ﷺ: «**يا أبا هريرة إذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز ماء**»[(٤)]

ويروى أن الله تعالىٰ قال: «**يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن منها إلا**

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١١٥)، ومسلم في صحيحه (١١٦.] كتاب الزكاة، باب وأحمد في مسنده (٣/ ١٢٢، ٢٤٣)، والدارمي في سننه (٢/ ٣١٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٤١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٢٧٣).

(٣) أخرجه :. العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ١٩٥)

(٤) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٨/ ١٥٩)، ٥/ ٤١٦) والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٦٦)، وبلفظ: «**أجملوا في طلب الدنيا . . .**» أخرجه: ابن ماجه في سننه في السنن الكبرى (٥/ ٢٦٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٣٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٢٦٥)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٨٩٨)

القوت[1] فأنا أعطيك منها القوت وجعلت حسابها علىٰ غيرك فأنا إليك محسن» .

وقال عمر: إن الطمع فقر وإن اليأس غنى وإنه من يئس عما عند الناس استغنى .

وفي الخبر إن آدم عليه السلام أوصى ابنه شيث عليه السلام بخمسة أشياء: أمره بأن يوصي بها أولاده من بعده:

أولها: قال له: قل لأولادك لا تطمئن بالدنيا فالطمأنينة في الجنة الباقية فلم يرض الله مني وأخرجني منها

والثاني: قل لهم لا يعلموا بهؤلاء نساءهم فإني علمت هؤلاء امرأتي وأكلت من الشجرة فلحقتني الندامة

والثالث: كل عمل تريدونه فانظر إلىٰ عاقبته، لو نظرت عاقبة الأمر لم يصبني ما أصابني

والرابع: إذا اضطربت قلوبكم بشيء فاجتنبوه فإنني حين أكلت من الشجرة اضطرب قلبي ولم أرجع فلحقتني الندامة

والخامس: استشيروا في الأمور فإنني لو شاورت الملائكة لم يصبني ما أصابني .

كل من بلغ كافرًا جاهلا فعليه التوبة من جهله وكفره فإن بلغ مسلمًا تبعا لأبويه غافلا عن حقيقة إسلامه فعليه التوبة عن غفلته . الإحياء

قال ﷺ: «**كل عمل ابن آدم ينقطع إلا من ثلاث فذكر فيه: وولد صالح يدعو له**»[2]

---

(١) أخرجه:. ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٦/ ٢٤٢٥) وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٤٩٠)

(٢) حديث: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث . . . . الحديث**» أخرجه: مسلم في صحيحه [١٤. (١٦٣١)] كتاب الوصية، ٣. باب ما يلحق الانسان من الثواب بعد وفاته، والترمذي في سننه (١٣٧٦) وأبو داود في سننه (٢٨٨٠)، والنسائي (٦/ ٢٥١. المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٧٢)

قال النووي في حديث مسلم «**إذا مات ابن آدم . . .**» معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته، وينقطع تجدد الثواب له إلا في هذه الأشياء الثلاثة لكونه كان سببها فإن الولد من كسبه، وكذلك العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيف وكذلك الصدقة الجارية وهي الوقف وفيه فضيلة الزواج لرجاء ولد صالح النووي في شرح مسلم (١١/ ٧٢) طبعة دار الكتب العلمية

وقال بعض الحكماء: وأمهات الخطايا ثلاثة أشياء: الحسد والحرص والكبر فأما الكبر فأصله من إبليس حيث تكبر، فأبى أن يسجد لآدم فلُعن (من لبس ثوبا مزيناً للتفاخر والتكبر ألبسه الله ثوب مزلة يوم القيامة).

والحرص كان أصله من آدم حيث قيل له الجنة كلها مباح لك إلا هذه الشجرة، فحمله الحرص علىٰ أكلها حتى سقط منها

والحسد أصله من قابيل بن آدم حين قتل أخاه هابيل فصار كافرًا، ومأواه النار أبدًا

وقال شقيق البلخي: لا تقعد قلبك مع المرأة فإن اليوم لك وغداً لغيرك، فإن أطعتها أدخلتك النار، ولا تقعد قلبك مع المال فإن المال عارية اليوم لك وغدا لغيرك، فلا تتعب نفسك بمال غيرك فإن المهنى لغيرك والوزر عليك

وإنك إذا قعدت قلبك بالمال منعته من حق الله تعالىٰ ودخل فيك الفقر(١) وأطعت الشيطان

قال الفقيه رحمة الله عليه: الحرص علىٰ وجهين: مذموم وغير مذموم، وتركه أفضل

---

(١) الفقر عند الصوفية مقام شريف، وهو يقتضي مقام الصبر، والفقير: هو الذي أحصر في سبيل الله ولا يستطيع ضربًا في الأرض يحسبه الجاهل غنيًا من التعفف، وتعرفه بسيماه لا يسأل الناس إلحافا، والصوفية سموا فقراء لتخليهم عن الأملاك، وحقيقة الفقر الصوفي أن لا يستغني العبد إلا بالله

ورسم هذا الفقر: عدم الأسباب كلها ونعت الفقير الصوفي: السكون عند العدم والبذل والإيثار عند الوجود، ويقول الجنيد: إذا لقيــت الفقير . يقصد الصوفي ، فلا تبدأه بالعلم، وابدأه بالرفق فإن العلم يوحشه، والرفق يؤنسه .

وقيل: ليس الفقر عند الصوفية الفاقة والعدم لكنه الفقر المحمود الثقة بالله تعالىٰ والرضا بما قسم، والفقر علىٰ ثلاث طبقات فمنهم من لا يملك شيئًا ولا يطلب بظاهره ولا بباطنه من أحد شيئًا، ولا ينتظر من أحد شيئًا، وإن أعطى شيئًا لم يأخذه فهذا مقام المقربين، ومنهم من لا يملك شيئًا ولا يسأل أحداً، ولا يطلب ولا يعرض وإن أعطى شيئًا من غير مسألة أخذ، ومنهم من لا يملك شيئًا وإذا احتاج انبسط إلىٰ بعض إخوانه ممن يعلم أنه يفرح بانبساطه إليه فكفارة مسألته صدقة .

المعجم الصوفي (ص١٩٤)

فأما الحرص الذي هو مذموم فهو أن يشتغل به عن أوامر الله تعالى، ويريد جمع المال للتكاثر والتفاخر

وأما الذي هو غير مذموم فهو أن لا يترك شيئًا من أوامر الله لأجل جمع المال، ولا يريد به التفاخر والتكاثر، فهذا غير مذموم

باب فضيلة قصر الأمل

قال ﷺ لعبد الله بن عمر: **«إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، وخذ من حياتك لموتك، ومن صحتك لسقمك فإنك يا عبد الله لا تدري ما اسمك[(١)] غدا»** [(٢)]

لأن طول الأمل يقسي القلب ويصرف الهم إلىٰ الدنيا، وينسي الموت وذلك سبب الشقاوة

ولأن النبي ﷺ قال: **«إن أشد ما أتخوف عليكم اثنان اتباع الهوى وطول الأمل»** [(٣)]

أما اتباع الهوى يصرف قلوبكم عن الحق، وأما طول الأمل يصرف همكم إلىٰ الدنيا

وروي عن عبد الله بن عمر، أن النبي ﷺ قال[(٤)]: **«كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعد نفسك من أهل القبور»** [(٥)]

(١) بأسفل السطر يعني تسمى سعيداً أم شقياً ، حياً أم ميتاً

(٢) أخرجه:. الزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٢٣٦، ٢٥١)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٤٣٧)

(٣) أخرجه:. الزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٢٣٧)، والشجري في أماليه (٢/ ١٦١)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٤٣٧)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٣٢٩)

(٤) وجدناه بالهامش

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤١٦، ٨/ ١١٠)، والترمذي في سننه (٢٣٣٣)، وابن ماجه في سننه (٤١١٤)، والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٢٣٦، ٤٢٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٢٧٤)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٣٩٩، ٤١٨)، والمنذري في =

وقالت (أم المنذر) اطلع رسول الله ﷺ ذات عشية إلىٰ الناس فقال: «**يا أيها الناس أما تستحيون من الله تعالىٰ**»

قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟

قال: «**تجمعون ما لا تأكلون، وتأملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون**» [(١)]

وروي أن أسامة بن زيد اشترى وليدة بمائة دينار إلىٰ شهر

فقال ﷺ: «**ألا تعجبون[(٢)] من أسامة المشتري إلىٰ شهر، إن أسامة لطويل الأمل، والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي إلا ظننت أن شفرتي لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي، ولا لقمة لقمتها إلا ظننت أني لا أسيغها حتى أغص بها في الموت**» .

(وروي عن النبي ﷺ أنه قال: اللهم من أحبني فارزقه العفاف والكفاف، ومن أبغضني فأكثر ماله وولده . أي النعمة حتى يكفي)[(٣)]

عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يتمسح بالتراب[(٤)]، فأقول: يا رسول الله الماء قريب

= الترغيب والترهيب (٤/ ٢٤٢)، والطبراني في المعجم الصغير (١/ ٣٠)، وابن حجر في فتح الباري (١١/ ٢٣٣)، والشجري في أماليه (٢/ ١٩٣)، والألباني في السلسلة الصحيحة (١١٥٧، ١٤٧٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٣١٣، ٣/ ٣٠١)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ١٩٤)

(١) تخريجه في الصفحة التالية فانظره

(٢) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال (٤٣٤٠٩)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٧/ ٢٥٥٨)

(٣) وجدناه بالهامش

(٤) واعلم أن التيمم ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهو خصيصة خص الله سبحانه وتعالى به هذه الأمة زادها الله تعالىٰ شرفاً، وأجمعت الأمة علىٰ أن التيمم لا يكون إلا في الوجه واليدين سواء كان عن حدث أصغر أو أكبر، وسواء تيمم عن الأعضاء كلها أو بعضها، واختلف العلماء في كيفية التيمم، فمذهبنا ومذهب الأكثرين أنه لا بد من ضربتين، ضربة للوجه وضربة لليدين إلىٰ المرفقين، وممن قال بهذا من العلماء علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمر، والحسن البصري والشعبي، وسالم بن عبد الله بن عمر وسفيان الثوري ومالك وأبو حنيفة وأصحاب الرأي وآخرون النووي في شرح مسلم (٤/ ٤٩) طبعة دار الكتب العلمية .

فيقول: «**ما يدريني لعلي لا أبلغه**» [١]

(قال الفقيه رحمة الله عليه: من قصر أمله أكرمه الله تعالىٰ بأربع كرامات:

أحدها: أنه يقويه علىٰ طاعته لأنه إذا علم أنه يموت عن قريب فلا يهتم لما يستقبله من المكروه ويجتهد في الطاعات فيكثر عمله

والثاني: أنه يقل صومه إذا علم أنه يموت عن قريب

والثالث: يجعله راضيًا بالقليل لأنه إذا علم أنه يموت عن قريب فلا يطلب الكثير، وإنما يكون أكثر همومه هم آخرته

والرابع: أنه ينور قلبه، ويقال نور القلب من أربعة أشياء، بطن جائع، وصاحب صالح، وحفظ الذنب القديم، وقصر الأمل

ومن طال أمله عاقبه الله تعالىٰ بأربعة أشياء: أنه يتكاسل عن الطاعة، ويكثر همومه في الدنيا[٢]، ويصير حريصًا علىٰ جمع المال، ويقسو قلبه لأنه يقال قسوة القلب من أربعة أشياء: بطن ممتلئ وصاحب السوء ونسيان الذنب الماضي، وطول الأمل

فينبغي للمسلم أن يقصر أمله فإنه لا يدري في أي نفس يموت، وفي أي قدم يموت

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ **[لقمان: ٣٤]** [٣] يعني بأي قدم يموت . من تنبيه الغافلين)[٤]

وقال عبد الله بن مسعود: خط لنا رسول الله ﷺ خطا مربعًا، وخط في وسطه

(١) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٢٣٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/٤٧)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٤٣٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٤٢) وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق(٢/ ٣٩٩) أبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٩١)

(٢) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٩/ ٥٤، ١٠/ ٢٣٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٢٧٦)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٢٧١، ٤٣٧)

(٣) هذه من مفاتيح الغيب الخمس ومعناها أي ليس أحد من الناس يدري أين مضجعه من الأرض أفي بحر أم بر أو سهل أو جبل، وقد جاء في الحديث «**إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له اليها حاجة**»

(٤) وجدناه بالهامش

خطا خارجًا منه، وخط خطوط صغارًا إلىٰ جانب الخط الذي في الوسط فقال ﷺ: **«أتدرون ما هذا»** (١)

قلنا الله ورسوله أعلم

فقال: هذا الإنسان للخط الذي في(٢) الوسط، وهذا الأجل ما يحيط به، وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الأعراض(٣) أي: الآفات والعاهات من المرض، والجوع، والعطش، وغيرها من العلل. للخطوط التي حوله تنهشه إن أخطأه ، هذا نهشه هذا، وذلك الأمل يعني الخط الخارج

وحكـي أن عيسى عليه السلام صعد جبلا فرأى شيخًا يعبـد الله تعالـىٰ في حرّ الشمس

فقال له: لم لا تظل حتى يكفيك من حرّ الشمس والبرد، فقال يا نبي الله إني سمعت الأنبياء عليهم السلام أني لأعيش أكثر من سبعمائة سنة ، فلم أجد من عقلي أن اشتغل بالبناء فقال عيسى عليه السلام: إني لأخبرك ما يعجبك

فقال فما ذاك؟ قال: يكون في آخر الزمان قوم لا ينتهي عمرهم أكثر من مائة سنة وهم يبنون القصور والدور والبساطين(٤) ويأملون أمل عمر ألف سنة

---

(١) روى أحمد في مسنده (٦/ ٧١) عن النبي ﷺ **«الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له»** والدنيا عبارة عن خطوط النفس وبمعنى أن كل ما تتلذذ به نفسك هو دنياك، وكل ما بعد الموت يسمى آخرة ويقولون كل مالك فيه حظ قبل الموت فهو دنياك إلا ما يبقى معك بعد الموت

المعجم الصوفي (ص٩٦) .

(٢) بأسفله: الخطوط الصغار

(٣) أخرجه: البخاري في صحيحه (٨/ ١١١)، وابن ماجه في سننه (٤٢٣١)، وأحمد بن حنبل في مسنده (١/ ٣٨٥، ٣/ ١٨)، والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٢٣٨)، وابن حجر في فتح الباري (١١/ ٢٣٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٢٦٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٩٤) والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٤٣٨)، والكحال في الأحكام النبوية في الصناعة الطبية (١/ ١٢١)

(٤) الزهد هو خلو القلب عما خلت منه اليد، وأن تترك الدنيا لا تقول أبني بيتًا أو مسجداً

والزاهد لا يملك من الله سببا ولا يبلغ أحد حقيقة الزهد حتى تكون فيه ثلاث خصال عمل بلا علاقة وقول بلا طمع وعذر بلا رياسة والزهد في الحرام لأن الحلال مباح، وهو في الحرام واجب =

فقال الشيخ: أف لعقلهم ، والله لو أدركت زمانهم لجعلت عمري في سجدة واحدة

ثم قال لعيسى عليه السلام: ادخل في هذا الكهف حتى ترى عجبًا

فدخل ورأى سريرًا من حجر وعليه ميت وعلىٰ رأسه لوح من حجر مكتوب عليه: أنا فلان الملك، أنا الذي عمرت ألف سنة، وبنيت ألف مدينة، وألف قصر وتزوجت بألف بكر، وصرفت ألف عسكر ثم مصيري إلىٰ ما ترى

﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢]

باب السخاء

اعلم أن السخاء من أخلاق الأنبياء، وهو أصل من أصول النجاة

قال ﷺ: «**السخاء شجر من شجر الجنة، أغصانها متدالية إلىٰ الأرض، فمن أخذ منها غصنًا من أغصانها قادة من ذلك الغصن إلىٰ الجنة**» (١)

والبخل شجرة في النار، ومن كان بخيلا أخذ غصنًا من أغصانها، فلم يتركه ذلك الغصن حتى دخل النار

=
وفي الحلال فضيلة .

والزهاد علىٰ ثلاث طبقات فمنهم المبتدئون الذين خلت أيديهم من الأملاك، وخلت قلوبهم مما خلت منه أيديهم ومنهم المتحققون الذين يتركون حظوظ الدنيا من جميع ما في الدنيا، والفرقة الثالثة الذين زهدوا في الزهد وتابوا من زهدهم لأن الدنيا لا شيء والزهد في لا شيء غفلة .

والفرق بين الزهد والفقر هو أن الفقر يمكن وجوده بدون الزهد، كأن يترك الفقير الدنيا بعزم ثابت إلا أن ميله إليها لا يزال باقيًا والزهد أيضًا، يمكن وجوده بدون الفقر كأن يزهد الشخص في الدنيا رغم إقبالها عليه .

المعجم الصوفي ص(١١٧، ١١٨)

(١) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٨/ ١٧١)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٩٧)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٢٤٨، ٣٨/٣٢)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٨٢)، والعجلوني في كشف الخفاء (١/ ٥٤٥)، والسيوطي في اللآلىء المصنوعة (٢/ ١٣٩) والشوكاني في الفوائد المجموعة(٧٨)

قال ﷺ [١]: «**خلقان يحبهما الله تعالىٰ وهو السخاء وحسن الخلق وخلقان يبغضهما الله، البخل وسوء الخلق، وإذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله في حوائج الناس**»

وقــال ﷺ: «**الرزق إلــىٰ مطعم الطعــام أسرع من السكيــن إلىٰ ذروة البعير**»

وإن الله تعالىٰ يباهي الملائكة بمطعم الطعام[٢]

وقال ﷺ: «**إن لله تعالىٰ عباداً يخصهم بالنعم لمنافع العباد، فمن بخل بتلك المنافع عن العباد نقلها الله تعالىٰ عنه وحولها إلىٰ غيره**» [٣]

وقال ﷺ: «**من عظمت نعمة الله عليه عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال**» [٤]

وقال ﷺ: «**طعام الجواد دواء، وطعام البخيل داء**» [٥]

---

(١) أخرجه: الزبيــدي في الإتحاف (٨/ ١٧١)، والعراقــي في المغني عن حمــل الأسفــار (٣/ ٢٣٨)، والسيوطي فــي الدر المنثور (٦/ ١٩٦) وبلفظ إذا أراد الله بعبد خيرا استعمله فقيل كيف يستعملــه يا رسول الله؟ قــال: يوفقه لعمل صالح قبل الموت » أخرجه: الترمذي في سننه (٢١٤٢)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٣٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٤٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٩٢)، وابن حبان في صحيحه (١٨٢١. الموارد)

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٣٢٧، ٣٣٤) والزبيدي في الإتحاف (٨/ ١٢٤، ٤/ ٤٣٤)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١٦)

وبلفظ« **اطعمــوا الطعام وأطيبوا الكلام وأفشوا السلام**» أخرجه: والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٩٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٠١)، وابن كثير في تفسيره (٤/ ١٩١)

(٣) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٨/ ١٧٥)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٢٣٩) والفتني في تذكرة الموضوعات (٦٤)

(٤) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٨/ ١٧٥)

(٥) أخرجه: الزبيدي في الإتحــاف (٨/ ١٧٥)، والشوكاني في الفوائــد المجموعة (٨١)، والعراقــي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٢٣٩)، والفتني في تذكــرة الموضوعات (٦٤)

وقال ﷺ[١]: «**كل معروف فعلته إلىٰ غنى أو فقير صدقه، وكل ما أنفق الرجل علىٰ أهله ونفسه، وكتب له صدقة وما أنفق الرجل من نفقته فعلى الله خلفها**». **والله أعلم**.

وقال: «**الشاب الفاسق السخي، أحب إلىٰ الله تعالىٰ من الشيخ العابد البخيل**».

وقال إبليس: أبغض الناس إليَّ الفاسق السخي، وأحبهم إليّ العابد البخيل

وقال ﷺ: «**من أكل وذو العينين ينظر إليه فهو في النار**»

حكاية: كان لهارون [٢] جارية وكان يحبها غاية الحب، حتى كان يبيت معها ليلة ومع زبيدة[٣] ليلة، وكان لزبيدة تاج فسألتها ذلك التاج

---

(١) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٨/ ١٧٨، ١٧٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٥٧)، وابن حجر في المطالب العالية (٨٩٥)، وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (١٣)، والفتني في تذكره الموضوعات (٦٢)، وفي مسند أبي حنيفة (٧٧)

(٢) هارون الرشيد بن محمد المهدي ابن المنصور، استخلف بعهدٍ من أبيه سنة (١٧٠) عند موت أخيه الهادي، وكان كثير الغزو والحج، ولد بالري سنة (١٤٨) وأمه أم ولد اسمها الخيزران، وكان أبيض طويلاً جميلاً مليحاً مسمناً فصيحاً له نظر في العلم والآداب، وكان يحب العلم وأهله ويعظم حرمات الإسلام ويبغض المراء في الدين والكلام في معارضة النص

وكان يبكي علىٰ نفسه وعلىٰ إسرافه وذنوبه، سيما إذا وعظ، توفي سنة (١٩٣).
تاريخ الإسلام وفيات (١٩١. ٢٠٠).

(٣) زبيدة بنت جعفر بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي، واسمها أمة العزيز وكنيتها أم جعفر الهاشمية العباسية، والدة الأمين محمد بن الرشيد، وقيل: لم تلد عباسية خليفة إلا هي، وكان لها حرمة عظيمة، وبر، وصدقات، وآثار حميدة في طريق الحج، والمنصور جدها هو الذي لقبها زبيدة

وقيل: كان في قصرها من الأموال والحشم والخدم والآلات ما يقصر عنه الوصف، من جملة ذلك مائة جارية كل منهن تحفظ القرآن، وتوفيت سنة (٢١٦).

فقالت: أعطيكه بشرط أن تهبين لي قسمك فقبلت منها ذلك، ووهبت منها التاج، فلما دخل عليها لم يرتاحها، فسألها فأخبرته فوهب منها الجارية مع التاج

فكانا علىٰ ذلك إذ جاء مسكين فدفعت إليه التاج

فقال هارون ما هذا

قالت: وهبته من أجلك فوجدتك معه، فالآن أهبه من أجل ربي لأجده معه

فللعاقل يكفي الإشارة، وللمنكر لا ينفع (ولا وقار)[1] نفعنا الله بفضله.

باب الإيثار في السخاء

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] [2] الآية

عن عبد الله بن عمر: أهدي لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة مشوية وقال: أخي أحوج إليه مني، فبعث إليه فما زال يبعث واحد بعد واحد حتى

(١) كذا بالأصل

(٢) يعني حاجة أي يقدمون المحاويج علىٰ حاجة أنفسهم ويبدءون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلىٰ ذلك، وهذا المقام أعلى من حال الذين وصف الله بقوله تعالىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ وقوله: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾
فإن هؤلاء يتصدقون وهم يحبون ما تصدقوا به، وقد لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به، وهؤلاء آثروا علىٰ أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلىٰ ما أنفقوه، ومن هذا المقام تصدق الصديق، رضي الله عنه بجميع ماله فقال له رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» فقال: أبقيت لهم الله ورسوله
تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣٨).

تداوله سبع أبيات ثم رجعت إلىٰ الأول[١]، فنزلت: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الحَشر: ٩] الآية

ومنها ما روي عن أبي جهم بن حذيفة قال: انطلقت يوم تبوك أطلب ابن عمي ومعي ماء أردت أن أسقيه إن كان به رمق فأسقيه، فرأيته ومسحت وجهه فقلت أسقيك الماء ، فأشار برأسه نعم، فإذا رجل آخر يقول: آه من العطش فأشار ابن عمي أن اذهب إليه

فإذا هو هشام بن العاص أخو عمرو بن العاص، فقلت: أسقيك الماء قال: بلى، فلما دنوت سمعت صوتًا آخر يقول: آه من العطش فأشار إلـيّ أن اذهب إليه

فإذا هو ميت فرجعت إلىٰ هشام فإذا هو ميت، فرجعت إلىٰ ابن عمي فإذا هو ميت»

ومن فضل السخاء ينقل الأجانب إلىٰ درجة الأحباء فكيف بالأحباء

ويحكى عن عبد الله بن المبارك[٢] قال: حججت سنة من السنين، فرأيت

---

(١) وروى البخاري في صحيحه (٤٨٨٩) كتاب تفسير القرآن، ٥ . باب قوله تعالىٰ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ عن أبي هريرة قال: أتى رجل لرسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أصابني الجهد، فأرسل إلىٰ نسائه فلم يجد عندهن شيئًا فقال رسول الله ﷺ: «**ألا رجل يضيف هذا الليلة يرحمه الله**» فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فذهب إلىٰ أهله فقال لامرأته ضيف رسول الله ﷺ لا تدخري شيئًا ، قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية، قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم، وتعالي فأطفئ السراج ونطوي بطوننا الليلة ففعلت، ثم غدا الرجل علىٰ رسول الله ﷺ فقال: «**لقد عجب الله** ﷻ ـ أو ضحك ـ **من فلان وفلانة**» فأنزل الله ﷻ ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾

(٢) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي مولاهم التركي ثم المروزي ، الحافظ، فريد الزمان وشيخ الإسلام وكانت أمه خوارزمية، ولد سنة (١١٨)، وطلب العلم وهو ابن بضع عشرة سنة، وقال عنه أحمد بن حنبل: لم يكن في زمان ابن المبارك مثل نفسه، وقال مهدي: ابن المبارك أفضل من الثوري، وتوفي ؒ سنة (١٨١) وقال الرشيد لما بلغه موت ابن المبارك قال: مات اليوم سيد العلماء

تاريخ الإسلام وفيات (١٨١. ١٩٠) .

رسول الله ﷺ في المنام فقال: إذا رجعت إلىٰ بغداد، فإذا دخلت محلة كيت وكيت فاطلب مهرام المجوسي واقرئه مني السلام، وقل له: إن الله تعالىٰ راض عنك، فانتبهت وقلت لا حول ولا قول إلا بالله العلي العظيم، هذا رؤيا الشيطان

فتوضأت وطفت الكعبة وصليت ما شاء الله فغلبني النوم، فرأيت كذلك ثلاث مرات فلما أتممت الحج، ورجعت إلىٰ بغداد وطلبت المحلة والدار فوجدته شيخًا.

فقلت: أنت بهرام المجوسي[1] قال: نعم، قلت: هل لك عند الله خير، قال: نعم، كان لي أربع بنات وأربع بنين زوجتهن من أبنائي، فقلت: هذا حرام، هل غير هذا؟ قال: نعم جعلت وليمة حين زوجت البنات لأبنائي ، فقلت: هذا حرام، هل غير هذا؟

قال: عندي ابنة من أجمل النساء ما وجدت لها كفؤًا فتزوجتها[2] وأولمت تلك

---

(١) المجوس فرقة عبدوا الله من حيث الأحدية فكما أن الأحدية مفنية لجميع المراتب والأسماء والأوصاف فكذلك النار فإنها أقوى العناصر وأرفعها؛ فإنها مفنية لجميع الطبائع بمحاذاتها لا تقاربها طبيعة إلا وتستحيل إلىٰ النارية لغلبة قوتها، فكذلك الأحدية لا يقابلها اسم ولا وصف إلا ويندرج فيها ويضمحل فلهذه اللطيفة عبدوا النار، وحقيقتها ذاته تعالىٰ
المعجم الصوفي (ص٢٢١).

(٢) اتفقوا علىٰ أن المحرمات في كتاب الله أربعة عشر من النسب سبع، ومن جهة النسب سبع، فأما النسب فالأم والجدة وإن علت سواء كن من جهة الأب أو الأم، والبنت وبنت الابن، وبنت الولد وإن سفلت، والأخوات وبناتهن وإن سفلت والعمة ويجوز تزويج بنتها والخالة، ويجوز تزويج بنتها وبنات الأخت وإن سفلت، وأما المحرمات من النسب فهن: الأمهات من الرضاعة وأمهاتهن وإن بعدت والأخت من الرضاعة وبناتها وإن سفلت وأم الزوجة والربائب المدخول بأمهاتهن، وحليلة الابن وإن سفل محرمة علىٰ الأب وإن علا، وسواء دخل الابن بامرأته أم لم يدخل والجمع بين الأختين من النسب والرضاع ، وامرأة الأب محرمة علىٰ الابن وإن سفل، وكذلك امرأة الجد وإن علا وحرمت السنة الجمع بين المرأة وعمتها وبينها وبين خالتها وبين كل امرأتين لو كانت واحدة منهما رجلا لم يجز أن تتزوج بالأخرىٰ
اختلاف الأئمة العلماء (٢/ ١٤٤) من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية .

الليلة وهي أول ليلة دخلت بها، وكانت تلك الليلة من المجوسي بها أكثر من ألف، قلت: هذا حرام هل غير هذا؟

قال: نعم، تلك الليلة التي تزوجت ابنتي جاءت امرأة مسلمة من أهل دينك بسرج إلىٰ سرج من سراجي، فأوقدت السراج وخرجت، وأطفأت السراج ثم دخلت ثانية وأوقدت السراج، ثم خرجت ثم أطفأته ثانياً ودخلت ثالثًا وأوقدت ثم أطفأت فقلت في نفسي لعل هذه جاسوسة فخرجت خلفها فدخلت منزلها علىٰ بنات لها فلما دخلت قلن لها: يا أمهاه هل جئت لنا بشيء فإنه لم يبق لنا صبر من الجوع(١)

فدمعت عيناها وقالت: استحييت من ربي أن أسأل أحدًا دونه وخاصة من عدو وهو مجوسي، فلما سمعت كلامها رجعت إلىٰ داري وأخذت طبقًا وملأته من كل شيء وذهبت لها في دارها

فقال ابن المبارك: هذا خير، فلك البشارة فبشرته برؤيا رسول الله ﷺ وقصصت عليه القصة

فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، وخرجت ساعته

(١) مما يروى في فضل الصدقة ما حكاه السيوطي في الحاوي للفتاوي: خرج علي رضي الله عنه يبيع إزار فاطمة رضي الله عنها ليأكلوا بثمنه، فباعه بست دراهم فرآه سائل فأعطاه إياها

فجاء جبريل في صورة أعرابي ومعه ناقة فقال: يا أبا الحسن اشتر هذه الناقة فقال: ما معي ثمنها، قال: إلىٰ آجل، فاشتراها بمائة، ثم عرض له ميكائيل في طريقه فقال: أتبيع هذه الناقة؟ قال: نعم واشتريتها بمائة، قال: ولك من الربح ستون فباعها له، فعرض له جبريل فقال: بعت الناقة؟ قال: نعم، قال: ادفع لي ديني فدفع له مائة ورجع بستين، فقالت: له فاطمة: من أين لك هذا، قال: تاجرت مع الله تعالىٰ بست فأعطاني ستين، ثم جاء النبي ﷺ وأخبروه بذلك فقال: «**البائع جبريل والمشتري ميكائيل والناقة لفاطمة تركبها يوم القيامة**»

السيوطي في الحاوي للفتاوي (٢/ ٨٧).

فمات، فلم أبرح حتى غسلته[١] وكفنته وصليت عليه[٢]

وكان عبد الله بن المبارك يقول: عباد الله استعملوا السخاء والإحسان مع خلق الله تعالىٰ فإنه يقلب الأعداء إلىٰ درجة الأحباء

ويحكى: أوحى الله تعالىٰ إلىٰ بعض أنبيائه أني قضيت عمر فلان نصفه بالفقر، ونصفه بالغنى، فأخبره حتى أقدم ما شاء، فدعي نبي الله بالرجل فأخبره ، فقال: حتى أشاور زوجتي فقالت: اختر نصف الغنى حتى يكون هذا أول، فقال لها إن الفقر بعد الغنى صعب شديد، والغنى بعد الفقر طيب لذيذ، فقالت: لا بل أطعني في هذا

فرجع إلىٰ النبي ﷺ فقال: اخترت نصف العمر الذي قضى فيه الغنى أن يقدم فوسع الله عليه الدنيا وفتح باب النعم

فقالت امرأته: إن أردت أن تبقى هذه النعمة فاستعمل السخاء مع خلق ربك، فكان إذا اتخذ لنفسه ثوبًا اتخذ للفقير مثله، وإذا تناول طعامًا أطعم الفقير مثله[٣] وإذا خرج درهما لحاجة نفسه أخرج إلىٰ الفقير مثله

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٥ .(٢١٦٢) كتاب السلام ، ٣ . باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ قال: «**حق المسلم خمس: رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس**»

(٢) اختلف أهل العلم في الذي يغسل الميت فقال بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم: إذا غسل ميتًا فعليه الغسل، وقال بعضهم: عليه الوضوء، وقال مالك: أستحب الغسل من غسل الميت ولا أرى ذلك واجبًا، وهكذا الشافعي، وقال أحمد: من غسل ميتًا أرجو أن لا يجب عليه الغسل، وأما الوضوء فأقل ما قيل فيه وقال إسحق: لا بد من الوضوء.

قال: وقد روى عن عبد الله بن المبارك أنه قال: لا يغتسل ولا يتوضأ من غسل الميت . انظر الترمذي في سننه عقبة حديث (٩٩٣) كتاب الجنائز .

(٣) روى مسلم في صحيحه [٧٤ . (٣٠٠٧)] كتاب الزهد، ١٨ . باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر عن عبادة بن الصامت وذكره أبي اليسر وما فعله مع غلامه من إلباسه حله مثل حلته، فقال: بصر عيني هاتين وسمع أذني هاتين، ودعاه قلبي هذا وأشار إلىٰ مناط قلبه رسول الله ﷺ وهو يقول: «**أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون**»

فلما تم نصف عمره قضا له بالغنى أوحى الله إلىٰ نبي ذلك الزمان إني كنت قضيت نصف عمره بالفقر ونصف عمره بالغنى فوجدته شاكرًا وللشاكرين المزيد، فبشره أني قضيت باقي عمره بالغنى

وحكي أن أبا بكر الوراق كان له ضيافة وكان اشترى للفقراء رؤسا مشوية وكانوا في أكلها إذ دخل الكلب[١] ووقف، وجعلوا يخرجونه فقال أبو بكر: دعوه فإنه ضيف من ربه وأخذ رأسًا مشوية ونزع منه العظام وجعل اللحم علىٰ (الجبر)[٢] وقدمه إليه، وأكل الكلب منه حتى شبع وسقاه الماء حتى روى وخرج

فقيل له: يا شيخ: كان يكفيك خيراً أن تلقيه

فقال: رسول من مولاي بُعث إلي ليختبرني أن سخاوتي مع الآدميين أو مع جميع الخلق وكان علي ذلك إحدى وثلاثين يومًا كل يوم يجيء إليه ذلك الكلب في وقته فيقدم إليه رأسًا مشويًا، ثم لم يجيئه بعد ذلك فاستخبر عنه، فقيل له: إنه مات وألقي في المزابل فاسترجع ، ثم قال: ما لي عمل أزكى عند الله من هذا الآن إلا إطعام العباد، الذي يدخله العجب والرياء ولا عجب ولا رياء في إطعام الكلاب

---

(١) في حديث البخاري ومسلم وسيأتي قريبًا في سقي الكلب وقد ذكر في الصحيحين بلفظ في آخره قالوا: يا رسول الله وإن لنا في البهائم لأجرًا؟ فقال: «**في كل كبد رطبه أجر**»

قال النووي: معناه في الإحسان إلىٰ كل حيوان حي يسقيه ونحوه أجر، وسمي الحي ذا كبد رطبه لأن الميت يجف جسمه وكبده .

ففي الحديث الحث علىٰ الإحسان إلىٰ الحيوان المحترم وهو ما لا يؤمر بقتله .

فأما المأمور بقتله فيمتثل أمر الشرع في قتله، والمأمور بقتله كالكافر الحربي والمرتد والكلب العقور والفواسق الخمس المذكورات في الحديث وما في معناهن، وأما المحترم فيحصل الثواب بسقيه والإحسان إليه بإطعامه وغيره سواء كان مملوكًا أو مباحًا وسواء كان مملوكًا له أو لغيره والله أعلم .

النووي في شرح مسلم (١٢/ ٢٠٢) طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) كذا بالأصل

وأيضًا أنه كان اتخذ دعوة ، فلما جاء الهر والكلاب[(١)] يلحسان القدور فلم يجدوا فيها شيء، فقال للطباخ أعد طبخ القدور التي كنت تطبخها للآدميين للكلاب مثلها حتى تشبع خلق الله وليس من المروءة أن تشبع وخلق الله جياع

وحكي عن جابر بن عبد الله أنه دخل علىٰ علي بن أبي طالب[(٢)] ﷺ فقال: يا جابر قوام هذا الدين بأربعة: عالم يستعمل علمه، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم، وغني جواد بمعروفه، وفقير لا يبيع آخرته بدنيا غيره

يا جابر: من كثر نعمة الله كثر حوائج الناس، فإن لم يفعل عرضها للزوال ما أحسن الدنيا وإقبالها إذ أطاع الله فمن نالها ولم يواس الناس من فضله عرضها لإدبارها فاحذر زوال الفضل

يا جابر: واعط من سألها فإن ذي العرش جزيل العطاء يضعف بالخير أمثالها

ويروى أن رجلا من بني إسرائيل[(٣)] وكان فاجرًا مسرفًا علىٰ نفسه بارتكاب

---

(١) روى مسلم في صحيحه أيضًا [١٥٥ . (٢٢٤٥)] كتاب قتل الحيات وغيرها، ٥ . باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينما كلب يطيف بركة قد كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها فاستقت له فسقته إياه فغفر لها به**»

قال النووي: أما البغي فهي الزانية والبغايا بالمد هو الزنى ومعنى يطيف أي يدور حولها ومعنى نزعت بموقها أي خفها ومعنى نزعت أي استقت .

(٢) روى البخاري في صحيحه كتاب الرقاق باب في الأمل وطوله، تعليقًا عن علي قال: ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب وغدًا حساب ولا عمل

(٣) أخرجه: البخاري في صحيحه (٢٣٦٣) كتاب المساقاة، ١٠ . باب فضل سقي الماء

ومسلم في صحيحه [١٥٣ . (٢٢٤٤)] كتاب قتل الحيات وغيرها، ٥ . باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها وأبو داود في سننه في كتاب الجهاد وأحمد في مسنده (٢/ ٥١٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٨٥) .

الفواحش، فأتى في بعض أسفاره علىٰ بئر فإذا كلب يلهث من العطش علىٰ رأس البئر فرق له ونزل في البئر ونزع خفيه وسقى الكلب وأرواه

فأوحى الله إلىٰ نبي ذلك الزمان أني قد غفرت لذلك المسرف الخاطئ العاصي بشفقته علىٰ خلق من خلقي

باب ذم البخل

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ﴾(١) الآية

وقال ﷺ: «**إياكم والشح أهلك من كان قبلكم حملهم علىٰ أن يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم**» (٢)

وقال ﷺ: «**لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة ولا جبار**» (٣)

---

(١) سورة آل عمران (١٨٠)

روى البخاري في صحيحه (٤٥٦٥) كتاب تفسير القرآن من سورة آل عمران ١٤ . باب «**ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله . . .** »الآية

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**من أتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة**» الحديث

(٢) أخرجه: أبو داود في الزكاة باب في الشح رقم (١٦٩٨) وأحمد في مسنده (٢/ ١٩١، ١٩٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٤٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ١١، ٤١٥)، وابن حبان في صحيحه (١٥٦٦ ١٥٨٠ . الموارد) وابن أبي شيبة في مصنفه (٩/ ٩٧)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ١٩١)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٥٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٣٤)

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٤١١)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ١٩٧، ١٩٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٩٧)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٢٦٤)، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٣٤٧)

وروي أن رسول الله ﷺ رأى رجلا متعلقًا بأستار الكعبة وهو يقول: بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي، فقال ﷺ: «**ما ذنبك صفه لي**»، قال: هو أعظم من أن أصفه لك قال: «**ويحك ذنبك أعظم أم الأرضون؟**» قال: بل ذنبي يا رسول الله، قال: «**فذنبك أعظم أم السموات؟**» فقال: بل ذنبي أعظم، فقال: «**فذنبك أعظم أم الله؟**»، قال: بل الله أعظم وأعلىٰ، قال: ويحك فصف لي ذنبك، قال: إني رجل ذو ثروة من المال وإن السائل ليأتيني ليسألني فكأنما يستقبلني بشعلة من النار، فقال ﷺ: «**لو صليت ألف وألف عام تجري من دموعك الأنهار ويسقى بها الأشجار ثم مت وأنت لئيم لأكبك الله في النار**[1] **ويلجمك أما علمت قوله تعالىٰ:** ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾[2]

ولقي يحيى بن زكريا إبليس فقال له: يا إبليس أخبرني بأحب الناس إليك وأبغض الناس إليك ؟

قال: أحب الناس إليّ المؤمن البخيل وأبغض الناس إليّ الفاسق السخي ثم قال: لأن البخيل قد كفاني ببخله والفاسق السخي أتخوف أن يطلع الله عليه في سخائه فيقبله

وأما حد السخاء وعلاج البخل[3]: فاعلم أنه ما من إنسان إلا ويرى نفسه سخياً

---

(١) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٨/ ١٩٧)

(٢) سورة التغابن (١٦)

(٣) روى مسلم في صحيحه [٧٦ (١٠٢١)] كتاب الزكاة ٢٣ . باب مثل المنفق والبخيل، عن أبي هريرة قال: ضرب رسول الله ﷺ مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد قد اضطرت أيديهما إلىٰ ثديهما وتراقيهما فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه حتى تغشى أنامله وتعفوا أثره، وجعل البخيل كلما هم بصدقه قلصت، وأخذت كل حلقة مكانها» قال: فأنا رأيت رسول الله ﷺ يقول بإصبعه في جيبه فلو رأيته يوسعها ولا توسع

وربما يراه غيره بخيلاً، وما من إنسان إلا ويجد فيه حب المال ولأجله يحفظ المال ويمسكه فلو صار بإمسك المال بخيلاً لا ينفك من البخل بالبخيل الذي يوجد الهلاك منع الواجب فكل من أدى ما يجب عليه فليس ببخيل

نعم تقول الواجب قسمان: واجب بالشرع، وواجب بالمروءة والعادة

فمانع الزكاة والنفقة في الشرع[١] فهو بخيل، وواجب المروءة ترك المضافة والاستقصاء في المحقرات فالذي يرد اللحم إلىٰ القصاب، والخبز إلىٰ الخباز مثلاً لنقصان دانق، فهذا يعد بخيلاً

وكذلك من يسلم إلىٰ عياله القدر الذي يفرضه القاضي، ثم يضايقهم في لقمة زادوا عليها عُد بخيلاً كذلك إن كان بين يديك رغيف فحضر من يظن أنه يأكل معه، فأخفاه عدَّ بخيلاً فمن أدى واجب الشرع، وواجب المروءة اللائقة به فقد تبرأ من البخل

نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة علىٰ ذلك، فالذي يبذل من (الهجاء)[٢] الملامة ليس من الجود

(١) اتفقوا علىٰ أن وجوب نفقه الرجل علىٰ من يلزمه نفقته كالزوجة والوالد الصغير والأب ثم اختلفوا في نفقات الزوجات هل يعتبر بحال الزوجين جميعاً أو بتقدير الشرع؟

فقال أصحاب أبي حنيفة ومالك وأحمد: يعتبر بحال الزوجين جميعا فيجب علىٰ الزوج الموسر لزوجته الموسرة نفقة الموسرين وعلىٰ المعسر لزوجته المعسرة نفقة المعسرين وعلىٰ الموسر للفقيرة نفقة المتوسطين وعلىٰ الفقير للموسر أقل الكفاية والباقي في ذمته وليست مقدرة بتقدير محدود .

وقال الشافعي: هي مقدرة لا اجتهاد فيها، وهي معتبرة بحال الزوج وحده فعلى الموسر مُدان .

اختلاف الأئمة العلماء (٢/٢٠٧) من تحقيقنا . طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) كذا بالأصل

باب العجب

قال ﷺ: «**لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب**»[(١)]

فجعل العجب أكبر من الذنوب

وقيل لعائشة رضي الله عنها: متى يكون الرجل مسيئاً؟

قالت: إذا ظن أنه محسن

وقيل: أوحى الله تعالىٰ إلىٰ موسى: يا موسى قل للعالم: لا يعجبك علمك، فإن أعجبك فقل: إلىٰ متى أجلك وقل للقوي: لا يعجبك قوتك، فإن أعجبك فامنع ملك الموت إذا جاءك، وقل للغني: لا يعجبك غناءك فإن أهل الدنيا يردون فرادى.

فأسباب ما به العجب ثمانية أقسام:

الأول: أن يعجب ببدنه وصحته وقوته، فلينظر أنها كيف تمزقت في التراب وتفتت في القبور

الثاني: القوة، وكما أعجب عوج[(٢)] علىٰ قوته فاقتلع جبلاً ليطبقه علىٰ عسكر

---

(١) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٨/ ٤٠٨، ٩/ ١٨٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٥٧١)، والعراقي في المغني عن حمل الاسفار (٣/ ٣٥٩، ٤/ ١٤٨)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٢٣١)، والقيسراني في تذكرة الموضوعات (٦٤٢)

(٢) قال ابن كثير في قصص الأنبياء: ذكروا أن عوج بن عنق خرج من عند الجبارين إلىٰ بني إسرائيل ليهلكهم، وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة ذراع ثلاثة وثلاثين ذراعا وثلث ذراع هكذا ذكره البغوي وغيره وليس بصحيح لقوله ﷺ «**إن الله خلق آدم طوله ستون ذراعاً ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن**»

قالوا: فعمد عوج إلىٰ قمة جبل فاقتلعها ثم أخذها بيديه ليلقيها علىٰ جيش موسى، فجاء طائر فنقد تلك الصخرة فخذقها فصارت طوقاً في عنق عوج بن عنق ثم عمد موسى إليه فوثب عصاه وطولها عشرة أذرع فوصل إلىٰ كعب قدمه فقتله.

ثم قال في موضع آخر: هذا من الهذايانات التي لولا أنها مسطرة في كثير من كتب التفاسير وغيرهما من التواريخ وأيام الناس لما تعرضنا لحكايتها لسقطاتها وركاكتها ثم إنها مخالفة للمعقول والنقول. قصص الأنبياء (ص ٨٨، ٣٦٤)

موسى عليه السلام فنقب الله تلك القطعة حتى صارت في عنقه

الثالث: العجب على العقل والكياسة وترك المشورة واستجهال الناس بالاستغناء بالرأي والعقل هو لا يظن بنفسه إلا الخير، ولا يفطن بجهل نفسه فيزداد عجباً، بل ينبغي أن يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه

الرابع: العجب بالنسب الشريف حتى يظن بعضهم أنهم ينجوا بسبب شرف نسبهم، ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال المحمودة لا بالنسب

وقال ﷺ: «**يا معشر قريش يأتي الناس يوم القيامة بالأعمال وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون: يا محمد يا محمد فأقول هكذا أعرض عنكم فبين إن مالوا إلى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش**» وقال ﷺ: «**يا فاطمة بنت محمد، ويا صفية عمة محمد اعملا لأنفسكما لا أغني عنكما من الله شيئاً**»(١)

فمن عرف هذه كيف يعجب بنسبه

الخامس: العجب بنسب السلاطين الظلمة وأعوانهم دون نسب الذين عدلوا، وهذا غاية الجهل لأنهم لو انكشف ذلهم في القيامة قد تعلق الخصماء والملائكة يجرونهم على وجوههم إلى جهنم لتبرأوا إلى الله منهم، ولكان انتسابهم إلى الكلب والخنزير أحب إليهم من انتسابهم إليهم

السادس: العجب بكثرة الأولاد والخدم والغلمان والأقارب والأنصار والأتباع

---

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه (٤٧٧١) كتاب تفسير القرآن، من سورة الشعراء، ١ـ باب «**لا تخزني يوم يبعثون**»

ومسلم في صحيحه [٣٥٠ . (٢٠٥)] كتاب الإيمان، ٨٩ـ باب في قوله تعالى « **وأنذر عشيرتك الأقربين والنسائي في الوصايا، باب إذا وصى لعشيرته الأقربين وأحمد في مسنده (٢/ ٤٤٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٨١)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٤٢٠)، والطحاوى في شرح معاني الآثار (٣/ ٢٨٦)، وابو عوانة في مسنده (١/ ٩٥)، وابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٣٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد ج (١/ ٤٩)**

والسيوطي في الدرر المنثور (٥/ ٩٥)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٢٦٥)، والربيع بن حبيب في مسنده (٣/ ١٣) .

ثم كيف يعجب بهم وأنهم متفرقون، وإذا مات فيدفن في قبره ذليلاً مهيناً وحده لا يوافقه ولد ولا أهل ولا عشيرة، فيسلمونه إلىٰ الحيات والعقارب والديدان، وهو أحوج أوقاته، وهم يهربون منه وكذلك يهربون يوم القيامة، فأي خير يعجبك فيمن يفارقونك في أشد أهوالك

بل لا ينفعك إلا عملك وفضل الله

السابع: العجب بالمال

ورأى رسول الله ﷺ رجلاً غنياً جلس جواره فقير فانقبض منه فجمع ثيابه

فقال ﷺ: «**أخشيت أن يعود عليك فقره**»(١)

وقال ﷺ: «**بينما رجل يمشى في حُلَّة ـ حسن الثوب ـ فعجب نفسه، فخسف به الأرض، فهو يتجلل إلىٰ يوم القيامة**»(٢)

فهذا عجب المال

الثامن: العجب بالرأي الخطأ

أخبر رسول الله ﷺ أن ذلك يغلب علىٰ آخر هذه الأمة، وبذلك هلكت الأمم السالفة وجميع أهل البدع والضلال أصروا عليها لعجبهم لرأيهم

(قال الفقيه: من أراد أن يكسر العجب فعليه بأربعة أشياء:

أولها: أن يرى التوفيق من الله تعالىٰ فإنه يشتغل بالشكر، ولا يعجب لنفسه

---

(١) أخرجه: العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٣٦٦)

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه (٤/ ٢١٥)، ومسلم في صحيحه [٥٠ . (٢٠٨٨)] كتاب اللباس، ١٠. باب تحريم التبختر في المشي، مع إعجابه بثيابه

وأحمد في مسنده (٢/ ٥٣١)، والدارمي في سنته (١/ ١١٦)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٣٤٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٧١١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٤٥)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٣٢٩)، وابن كثير في البداية والنهاية (١/ ٣١٠) .
قال النووي: يتجلجل بالجيم أي يتحرك وينزل مضطرباً قيل: يحتمل أن هذا الرجل من هذه الأمة فأخبر النبي ﷺ بأنه سيقع هذا، وقيل هو إخبار عمن قيل هذه الأمة وهذا هو الصحيح وهو معنى إدخال البخاري له في باب ذكرين اسرائيل والله أعلم .

والثاني: أن ينظر إلىٰ نعم الله التي أنعم بها عليه فإذا نظر إلىٰ نعمائه استقل عمله ولا يعجب به

أن يخاف أن لا يتقبل منه، فإذا اشتغل بالخوف، لم يعجب بنفسه

والرابع: أن ينظر في ذنوبه التي أذنب قبل ذلك فإذا خاف أن ترجح سيئاته علىٰ حسناته فقد كسر العجب، وكيف يعمله ولا يدري ماذا يخرج في كتابه يوم القيامة

وإنما يتبين عجبه وسوره بعد قراءة الكتاب ـ من تنبيه الغافلين ـ)(١)

باب فضيلة التواضع

قال ﷺ: «**ما تواضع لله عبداً إلا زاده الله عزاً**»(٢)

وروي أن رسول الله ﷺ كان في نفر من أصحابه في بيته يأكلون، فقام سائل علىٰ الباب وبه زمانة ينكره منها

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) أخرجه: مسلم في صحيحه [٦٩ . (٢٥٨٨)] كتاب البر والصلة، ١٩. باب استحباب العفو والتواضع والترمذي في سننه (٢٠٢٩، ٢٣٦٩)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٨٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٨٧، ١٠/ ٢٣٥)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٤٣٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥)، (٣/ ٣٠٧، ٥٨٨) والزبيدي في الإتحاف (١/ ٢٩٥، ٦/ ٢٥٧)، وابن كثير في تفسيره (٧/ ٣١٠)

قال النووي: قوله ﷺ: «**وما تواضع احد لله إلا رفعه الله**» فيه وجهان: أحدهما: يرفعه في الدنيا ويثبت له تواضعه في القلوب منزله ويرفعه الله عند الناس ويحل مكانه

والثاني: أن المراد ثوابه في الآخرة ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا .

قال العلماء: وهذه الأوجه في الألفاظ الثلاثة موجودة في العادة معروفه وقد يكون المراد الوجهين معا في جميعها في الدنيا والآخرة والله أعلم. قلت: يقصد بالألفاظ الثلاثة التي وردت في حديث مسلم: « **ما نقصت صدقه من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد الله إلاّ رفعه الله**»

فأذن له رسول الله ﷺ، فلما أجلسه رسول الله ﷺ علىٰ فخذه فكأن رجل من قريش اشمأز منه وكرهه، فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زَمَانة مثلها

وقال عيسى عليه السلام: طوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة، طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة، طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون إلىٰ الله يوم القيامة

قال ﷺ: «**إذا رأيتم المتواضعين من أمتي فتواضعوا لهم، وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم، فإن ذلك مذلة وصغار**»[(١)]

وروي أن رسول الله ﷺ كان يطعم، فجاء رجل اسمه أسود به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس إلىٰ أحد إلا قام من جنبه ، فأجلسه النبي ﷺ إلىٰ جنبه.[(٢)]

وكان سليمان بن داود عليهما السلام إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف حتى يجيء إلىٰ المساكين ويقعد معهم، ويقول: مسكين جالس مع مسكين، وقال: كما تكره أن يراك الأغنياء في الثياب الدّون، فكذلك فاكره أن يراك الفقراء في الثياب المرتفعة

قال سلمان الفارسي: يا جرير أتدري ما ظلمة النار يوم القيامة؟ قال: لا، قال: فإنه ظلم الناس بعضهم بعضاً في الدنيا

وقال أبو يزيد: ما دام العبد يظن أن في الخلق أشر منه، فهو متكبر، فقيل:

---

(١) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٨/ ٣٥٤) والشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٥٣)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٣٣٢)، والفتني في تذكرة الموضوعات (١٩١).

(٢) أخرجه: الفتني في تذكرة الموضوعات (١٢١)

متى يكون متواضعاً؟ قال: إذا لم ير لنفسه مقالاً وحالاً

وعن عمر بن شبة[١] قال: كنت بمكة فرأيت رجلاً راكباً علىٰ بغلة بين الصفا والمروة، وبين يديه غلمان، فإذا هم يعنفون الناس

ثم عدت فدخلت بغداد، فإذا أنا برجل حافي حاسر طويل الشعر، قال: فجعلت أنظر إليه أتأمله

فقال لي: ما لك تنظر إليَّ؟، فقلت: شبهتك برجل رأيته بمكة ووصفت له الصفة، فقال: أنا ذلك الرجل، فقلت: ما فعل الله بك؟، قال: إني رفعت حين يتواضع فيه الناس، فوضعني الله حيث يرفع الناس

وقال بعضهم: كانت عندنا زلزلة، وريح حمراء، فذهبت إلىٰ محمد بن مقاتل[٢]، فقلت: يا أبا عبد الله أنت إمامنا فادع الله، فبكى ثم قال: ليتني لم أكن سبب هلاككم

قال: فرأيت النبي ﷺ في المنام فقال: إن الله ﷻ دفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل

وكان عطاء السلمي إذا سمع صوت الرعد فعد وأخذ بطنه كأنه امرأة ماخض

وقال: هذا من أجلي يصيبكم، لو مات عطاء لاستراح الناس

---

(١) عمر بن شبة بن عبيدة بن زيد بن رائطة، أبو زيد بن أبي معاذ، النمري البصري، النحوي، الإخباري أخرج له: ابن ماجه، صدوق له تصانيف توفي سنة (٢٦٣، ٢٦٤)

ترجمته: تهذيب التهذيب (٧/ ٤٦٠)، تقريب التهذيب (٢/ ٥٧)، الكاشف (٢/ ٣١٣)، الجرح والتعديل (٦/ ٦٢٤)، الوافي بالوفيات (٢٢/ ٤٨٨)، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣١٩)، الثقات (٨/ ٤٦٦) .

(٢) محمد بن مقاتل، أبو عبد الله الرازي، وكان من كبار الفقهاء، وكان من الضعفاء والمتروكين، وتوفي سنة (٢٤٨) ولم يخرج له أحد من أصحاب الكتب الستة

ترجمته: تهذيب التهذيب (٩/ ٤٦٩)، تقريب التهذيب (٢/ ٢١٠)، ميزان الاعتدال (٤/ ٤٧)، لسان الميزان (٥/ ٣٨٨)، تراجم الأحبار (٤/ ٨٤)، الجرح والتعديل (٨/ ١٠٥) .

وتفاخر[(١)] قرشي عند سلمان يوماً، فقال سلمان: لكني خلقت من نطفة، ثم أعود جيفة منتنة، ثم إلىٰ الميزان، فإن ثقل فأنا كريم، وإن خف فأنا لئيم

قال علي ﷺ: من أراد أن ينظر إلىٰ أحد من أهل النار فلينظر إلىٰ رجل قاعد وبين يديه قوم قيام

وقال أنس: لم أر شخصاً أحب إليهم من رسول الله ﷺ كانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهة ذلك"

وكان رسول الله ﷺ يعالج في بيته كان يعلف الناضج ويقم البيت، ويعتقل البعير ويحلب الشاة، ويخصف النعل، ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه، ويطحن عنه إذ أعيا[(٢)]

فمن طلب التواضع فليقتد به، ومن رأى نفسه فوق محله ﷺ، ولم يرض بما رضي هو به في أشد جهله، فلقد كان أعظم منصباً في الدنيا والدين فلا عز إلا في الاقتداء به

---

(١) روى مسلم في صحيحه [١٣٦ . (٢٦٢٠)] كتاب البر والصلة والآداب، ٣٨. باب تحريم الكبر، عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالى: العز إزاري والكبرياء ردائي، فمن نازعني عذبته**»

قال النووي: الضمير في إزاره ورداؤه يعود إلىٰ الله تعالىٰ للعلم به، وفيه محذوف تقديره: قال الله تعالىٰ ومن ينازعن ذلك أعذبه، ومعنى ينازعني يتخلف بذلك فيصير في معنى المشارك وهذا وعيد شديد في الكبر مصرح بتحريمه، وأما تسميته إزاراً ورداء فمنحاز واستعارة حسنة كما تقول العرب فلان شعاره الزهد ودثاره التقوى لا يريدون الثوب الذي هو شعار أو دثار بل معناه صفته كذا قال المازري: ومعنى الاستعارة هنا أن الإزار والرداء يلصقات بالإنسان ويلزمانه وهما جماله، قال: فضرب ذلك مثلاً لكون العز والكبرياء بالله تعالىٰ أحق وله ألزم واقتضاهما جلاله ومن مشهور كلام العرب فلان واسع الرداء وغمر الرداء أي واسع العطية .
شرح مسلم للنووي (١٦/ ١٤٣) .

(٢) أخرجه: أحمد في مسنده (٦/ ١٦٧)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٩٨، ١٤٧)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٤٩٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (١/ ٣٢٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٨٢٢)، وابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ٥١)، والعراقي المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٣٥٤)، والقرطبي في تفسيره (١٠/ ١٤٥)

باب التوبة

وقال رسول الله ﷺ: «**التائب حبيب الله، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له**»[(١)]

فالتوبة أن يندم علىٰ ما سبق من ذنوبه ويستغفر باللسان، ويعزم علىٰ أن لا يعود إليه أبداً

(قال رسول الله ﷺ: «**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»[(٢)]

وقال: «**يا أيها الناس توبوا إلىٰ الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة**». من المصابيح »[(٣)]

وقال عبد الله بن مسعود: " من قال استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثاً غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر "[(٤)]

وقال ﷺ: «**لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في أرض مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه، فنام ساعة ليستريح فاستيقظ، فإذا راحلته قد ذهبت فطلبها حتى اشتد عليه الحرّ والتعب، قال أرجع إلىٰ المكان الذي كنت فيه فأنام**

---

(١) أخرجه: ابن ماجه في سننه (٤٢٥٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٥٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٠٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٢١٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٩٧)، والزبيدي في الاتحاف (٨/ ٥٠٣)، والتبريري في مشكاة المصابيح (٢٣٦٣)، والسيوطي في الدرر المنثور (١/ ٢٦١)، والشجري في أماليه (١/ ١٩٨)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٥١) والقرطبي في تفسيره (١٨/ ٢٠٠)

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) أخرجه: ابن ماجه في سننه (٣٨١٦)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٥٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٠٨)، وابن حبان في صحيحه (٢٤٥٦، ٢٤٥٨ ـ الموارد)، وابن كثير في تفسيره (٤/ ١٦٠) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ١٨٨)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٥٦)، والحافظ في الفتح (١١/ ١٠١)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٣١٤/ ٣٣٨) والشجري في أماليه (١/ ٢٣٤)، والسيوطي في الدر المنثور(٦/ ٦٣)

(٤) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٥/ ٢٥٧) والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٧٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٣٥٣)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٣١٤/ ٣٣٨)

حتى أموت، فوضع رأسه علىٰ ساعده ليموت، فاستيقظ فإذا راحلته عنده وعليهاطعامه وشرابه، فالله أشد فرحاً بتوبة عبده من هذا براحلته»[١]

وقال ﷺ: «**ولو علمتم الخطايا حتى تبلغ السماء، ثم ندمتم لتاب الله عليكم**»[٢]

وروي أن العبد إذا كشف الغطاء يقول: يا ملك الموت أخرني يوماً أعتذر فيه إلىٰ ربي وأتوب إليه، وأتزود صالحاً

فيقول ملك الموت فنيت الأيام فلا يوم، (أي تمت وانقضت الأيام التي قدَّرها الله لك وعدَّها من أعمارك، فلم يبق لك يوم غير ما عدّلك)[٣]

فيقول: أخرني ساعة، فيقول: فنيت الساعات فلا ساعة فيغلق عليه أبواب التوبة، فيغرغر بروحه، ويتردد أنفاسه في شراسيفه، ويتجرع غصة اليأس والحسرة والندامة، خرجت روحه علىٰ تضييع العمر

فإن كانت سبقت له من الحسنى فيموت علىٰ التوحيد، وذلك حسن الخاتمة، وإن كان غير ذلك فيموت علىٰ الكفر، وذلك سوء الخاتمة نعوذ بالله منها

وروي أنه كان في بني إسرائيل شاب عَبَد الله عشرين سنة، ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال: إلهي أطعتك عشرين سنة، ثم عصيتك عشرين سنة، فإن رجعت إليك أتقبلني[٤] فسمع قائلاً يقول ولا يرى شخصاً أجبتنا

---

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه (٦٣٠٩، ٦٣٠٨)، كتاب الدعوات، ٤. باب التوبة ومسلم في صحيحة [٥. (٢٧٤٥)] كتاب التوبة، ١. باب في الحض علىٰ التوبة والفرح بها، والترمذي (٢٤٩٨) وابن ماجه في سننه (٤٢٤٩)، وأحمد في مسنده (٢/ ٥٠٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٩٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٣٥٨)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٥٠٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٠٤، ١٠٥)، وابن حجر في المطالب العالية (٣٢٣٧) .

(٢) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٨/ ٥٢٤)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ١٣) وابن أبي الدنيا في حسن الظن (٣٢)

(٣) وجدناه بالهامش

(٤) للتوبة ثلاثة أركان: الإقلاع والندم علىٰ فعل تلك المعصية والعزم علىٰ أن لا يعود إليها ابداً فإن كانت المعصية لحق آدمي فلها ركن رابع وهو التحلل من صاحب ذلك الحق وأصلها الندم وهو ركنها الأعظم

=

فأجبناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فأمهلناك، فإن رجعت إلينا قبلناك

وحكي عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: دخلت مع النبي ﷺ علىٰ رجل من الأنصار وهو في سكرات الموت فقال له النبي ﷺ: «**تب إلىٰ الله**»، فلم يعمل بلسان الرجل فأحال بعينه نحو السماء، فتبسم رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ما حملك علىٰ هذا التبسم؟ قال: إن هذا المريض لم يعمل بلسانه بالتوبة، أومأ بقلبه إلىٰ السماء وندم بقلبه

قال الله تعالىٰ للملائكة: يا ملائكتي عبدي عجز عن التوبة بلسانه فندم بقلبه، فلا أضيع ندمته وتوبته(١)، أشهدكم أني قد غفرت له، يا ملائكتي أيما عبد تاب قبل موته بساعة قبلت توبته وغفرت له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر

يدل عليه حديث عن رسول الله ﷺ أن جبرائيل أتاه عند موته فقال: «**يا محمد الله يقرئك السلام ويقول: من تاب قبل موته بسنة فقبلت توبته، فقال: يا جبرائيل السنة لأمتي كثيرة فذهب جبرائيل ثم رجع فقال: الله يقرئك السلام ويقول: من تاب قبل موته بشهر قبلت توبته فقال: يا جبرائيل الشهر لأمتي كثير، فذهب جبرائيل ثم رجع فقال: الرب يقرئك السلام ويقول: من تاب قبل موته بجمعة**

= واتفقوا علىٰ أن التوبة من جميع المعاصي واجبة وأنها واجبة علىٰ الفور لا يجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة، والتوبة من مهمات الإسلام وقواعده المتأكدة ووجوبها عند أهل السنة بالشرع وعند المعتزلة بالعقل ولا يجب علىٰ الله قبولها إذا وجدت بشروطها عقلا عند أهل السنة لكنه سبحانه وتعالى يقبلها كرماً وفضلاً، وعرفنا قبولها بالشرع والإجماع خلافاً لهم.

النووي في شرح مسلم (١٧/ ٥٠) طبعة دار الكتب العلمية.

(١) إذا تاب من ذنب ثم ذكره هل يجب تجديد الندم فيه خلاف لأصحابنا وغيرهم من أهل السنة، قال ابن الأنباري يجب، وقال إمام الحرمين: لا يجب، وتصح التوبة من ذنب وإن كان مصراً علىٰ ذنب آخر، وإذا تاب توبة صحيحة بشروطها ثم عاود ذلك الذنب، كتب عليه ذلك للذنب الثاني ولم تبطل توبته هذا مذهب أهل السنة في المسألتين، وخالفت المعتزلة فيهما، قال أصحابنا ولو تكررت التوبة ومعاودة الذنب صحت، ثم توبة الكافر من كفره مقطوع بتوبتها وما سواها من أنواع التوبة، هل قبولها مقطوع به أم مظنون فيه خلاف لأهل السنة واختيار إمام الحرمين أنه مظنون وهو الأصح والله أعلم

النووي في شرح مسلم (١٧/ ٥٠) طبعة دار الكتب العلمية.

قبلت توبته، فقال: يا جبرائيل الجمعة لأمتي كثيرة، فذهب ورجع وقال: يقول الله ﷻ من تاب قبل موته بيوم قبلت توبته فقال يا جبرائيل اليوم لأمتي كثير، فذهب ورجع فقال: الله يقرؤك السلام ويقول: إن كانت السنة لأمتك كثيرة والشهر والجمعة واليوم والساعة كثيرة فمن أمضى جميع عمره في المعاصي ولم يرجع إليَّ قبل موته لا بسنة ولا بشهر ولا جمعه ولا يوم ولا ساعة حتى تبلغ الروح الحلق ولم يمكنه الاعتذار بلسانه فاستحيا مني وندم بقلبه غفرت له ولا أبالي»

كما قال ﷺ: [١] «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»

(وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**المستغفر باللسان المصر علىٰ الذنوب كالمستهزئ بربه**»[٢] وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا أذنب الرجل ذنباً فقال: يا رب إني أذنبت ذنباً، أو قال: عملت ذنباً ـ فاغفر لي قال الله تعالىٰ: عبدي عمل ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنوب ويأخذ به، فقد غفرت لعبدي**»[٣]

وهذا كله لكرامة محمد ﷺ، وكان في الأمم الماضية إذا أذنبوا ذنباً حرم عليه حلاله وإذا أذنب واحد منهم ذنباً وجد علىٰ بابه مكتوب أو علىٰ جبهته أن فلان ابن فلان قرأ ذنب كذا وكذا، وتوبته كذا، فسهل الله الأمر علىٰ هذه الأمة

---

(١) أخرجه: ابن ماجه في سننه (٤٢٥٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٥٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٠٠)، وأبو نعيم في حليه الأولياء (٤/ ٢١٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٩٧)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٥٠٣، ٥٠٦، ٥٢٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٣٦٣)، والشجري في أماليه (١/ ١٩٨)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٦١)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٥١)

(٢) أخرجه: المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٩٧)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٦٤)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٤٧)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٦١٦)

(٣) أخرجه: البخاري في صحيحه (٧٥٠٧) كتاب التوحيد، ٣٥. باب قول الله تعالىٰ: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾

ومسلم في صحيحه [٢٩. (٢٧٥٨)] كتاب التوبة، ٥. باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٥٩)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٥٤) .

فقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾[(١)][(٢)]

فالواجب علىٰ كل مسلم أن يتوب حين يصبح وحين يمسي وقال مجاهد: من لم يتب إذا أمسى وأصبح فهو من الظالمين

وينبغي للعبد أن يتوب إلىٰ الله تعالىٰ في كل يوم ووقت، ولا يكون مصراً علىٰ الذنب وإن كان عاد في اليوم سبعين مرة، ومن تاب عن معصية ثم ذكرها وجب تجديد الندم عليها، كلما ذكرها، وتصح التوبة من ذنب مصراً علىٰ آخر[(٣)]

ولو تاب من ذنب وفعله مرة أخرى، لم تبطل التوبة ويتوب عن الآخر لقول النبي ﷺ: «**ما أصر من استغفر، ولو عاد في اليوم سبعين مرة**» تاب الله علينا توبة نصوحاً[(٤)]

اعلم أن الناس في الآخرة ينقسمون علىٰ أربعة أقسام الهالكون، والمعذبون، والناجون، والفائزون

ونعني بالهالكين الآيسين من رحمة الله، فالجاحدون المتكبرون المكذبون، فهم الآيسون من رحمة الله أبد الآباد، وهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا محالة كل يوم عن محجوبه فيحول بينه وبين ما يشتهيه، فهؤلاء محروقين مع نار جهنم بنار الفراق، نعوذ بالله منها

---

(١) سورة النساء (١١٠)

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) روى مسلم في صحيحه [٢٤ ـ (٢٧٥٦)] كتاب التوبة، ٤. باب في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله، إذا مات فحرقوه، ثم اذروا نصفه في البر ونصفه في البحر، فو الله لئن قدر الله عليه لنعذبنه عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين، فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم، فأمر الله البر فجمع ما فيه وأمر البحر فجمع ما فيه، ثم قال: لم فعلت هذا؟ قال: من خشيتك يا رب وأنت أعلم فغفر الله له**»

(٤) أخرجه: أبو داود في سننه (١٥١٤)، والترمذي في سننه (٣٥٥٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٨٨)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٥٩/ ٦٠٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٣٤٠)، والطبري في تفسيره (٤/ ٦٤)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٢٤٩)، وذكره الحافظ في الفتح (١١/ ٩٩)

وأما المعذبون فإن هذه رتبة من يشك بأصل الإيمان ولكن قصَّر في الوفاء، فهو موحد بلسانه لا بالحقيقة، ومن اتبع هواه فقد اتخذ إلهه هواه

(ويقال التوبة النصوح[١] أن يتوب من الذنوب الظاهرة والباطنة، وترى كثيراً من الناس يتوبون من الذنوب الظاهرة، ولا يتوبون من الذنوب الباطنة، فمثله كمثل مزبلة بسط عليها الديباج والناس ينظرون ويتعجبون منه، فإذا كشف الغطاء وهو الديباج، اعرضوا عنها

وكذلك مثل قلوب الخلق ينظرون إلىٰ الطاعات الظاهرة فإذا كشف الغطاء عن أبصارهم وأسرارهم يوم تبلى السرائر عرضت الملائكة عنهم ـ من الرياض ـ)[٢]

وأما الناجون: أعني بالنجاة السلامة فقط دون الفوز والسعادة، وهم قوم لم يخدموا ليخلع عليهم ولم يقصد، وهذا حال المجانين والصبيان من الكفار والمعتوهين في الذين لم يبلغوا الدعوة في أطراف البلاد، فلم يكن لهم معرفة ولا جحود ولا طاعة ولا معصية، فما هم من الجنة ولا من أهل النار، ولكن الإشكال والاشتباه أغلب في هذا المقام

وأما الفائزون هم العارفون دون المقلدين وهم المقربون السابقون،فإن المقلدين كان لهم فوزاً في الجنة وهم أصحاب اليمين

وهؤلاء هم المقربون فإنهم لا يحرصون علىٰ الحور والقصور والنعيم، ولو أعطوها ما لم يقنعوا ولا يطلبون إلا لذة المناجاة، والنظر إلىٰ وجه الكريم فهم غاية السعادة ونهاية اللذات

---

(١) قوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ الآية

قال ابن كثير: قال جرير بسنده عن عمر بن الخطاب قال: يذنب الذنب ثم لا يرجع فيه، وقال الثوري عن سماك عن النعمان عن عمر قال: التوبة النصوح أن يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه أو لا يريد أن يعود فيه، وقال أبو الأحوص وغيره عن سماك عن النعمان سئل عمر عن التوبة النصوح فقال: أن يتوب الرجل من العمل السيء ثم لايعود إليه أبداً، وقال الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله: «**توبة نصوحاً، قال: يتوب ثم لا يعود**»

ولهذا قال العلماء: التوبة النصوح هو أن يقلع عن الذنب في الحاضر ويندم علىٰ ما سلف منه في الماضي ويعزم علىٰ أن لا يفعل في المستقبل، ثم إن كان الحق لآدمي رده إليه بطريقه . تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩٢) .

(٢) وجدناه بالهامش

ومنها: الإصرار والمواظبة، ولذلك قيل لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار

ومنها: أن يستصغر الذنب كل ما استغفره العبد كبر عند الله، وكل ما استعظمه صغر عند الله

وقد جاء في الخبر: «**المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه، والمنافق يرى ذنبه كذباب مرّ علىٰ أنفه فأطاره**»(١)

وقال بعضهم الذنب الذي لا يغفر قول العبد ليت كل شيء علمته مثل هذا

ومنها: السرور بالصغير والفرح(٢)، وكلما غلب حلاوة الصغيرة علىٰ العبد عظم في سويداء القلب حتى أن المذنبين من يتمدح بذنبه ويشتد فرحه بمقارفته إياه كما تقول: أما رأيتني كيف أفضحته وكيف ذكرت مساويه حتى خجلته، وكيف مزقت عرضه، وكيف خدعته في المعاملة، وكيف استقحمته

ومنها: أن يتهاون بستر الله عليه، وإهماله، ولا يدري إنما يهمل ليزداد من المعاصي، فيكون ذلك لأمنه من مكر الله وجهله بمكانه من الغرور بالله كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾(٣)الآية ومنها أن يظهر الذنب بعد ما أتاه ويذكره بعد إتيانه فإن ذلك جناية علىٰ ستر الله عليه

وقال ﷺ «**كل أمتي معافى إلا المجاهرين**»(٤)

---

(١) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٨/ ٥٧١)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٣٢).

(٢) قال ابن أبي حاتم بسنده عن الحسن قال: التوبة النصوح أن تبغض الذنب كما أحببته وتستغفر منه إذا ذكرته، فأما إذا جزم بالتوبة وصمم عليها فإنها تجب ما قبلها من الخطيئات كما ثبت في الصحيح: «**الإسلام يجب ما قبله، والتوبة يجب ما قبلها** »

وهل من شرط التوبة النوح الاستمرار علىٰ ذلك إلىٰ الممات ثم لا يعود فيه أبداً كما ثبت في الحديث والأثر، أو يكفى العزم علىٰ أن لا يعود في تفكير الماضي بحيث لو وقع منه ذلك الذنب بعد ذلك ضاراً في تفكير ما تقدم لعموم قوله ﷺ: «**التوبة تجب ما قبلها**»

تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩٢) .

(٣) سورة المجادلة (٨)

(٤) أخرجه: البخاري في صحيحه (٦٠٦٩) كتاب الأدب، ٦٠. باب ستر المؤمن علىٰ نفسه، ومسلم في صحيحه [٢٥. (٢٩٩٠)] كتاب الزهد والرقائق، ٨. باب النهي عن هتك الإنسان =

(قال الفقيه رحمه الله: الذنب علىٰ وجهين: ذنب فيما بينك وبين الله، وذنب فيما بينك وبين العباد، أما الذنب الذي بينك وبين الله، فتوبته الاستغفار باللسان والندم بالقلب والإضمار أن لا يعود إليه أبداً، فإن فعل ذلك لا يفارق من مقامه حتى يغفر له، إلا أن يترك شيئاً من الفرائض فلا تنفعه التوبة ما لم يقض ما فاته، ثم يندم ويستغفر الله

وأما الذنب الذي بينك وبين العباد فإن لم ترضهم فلا تنفعك التوبة حتى يحلوك ـ من تنبيه الغافلين ـ)[١]

وقال بعضهم: لا تذنب فإن كان لا بد فلا ترغب غيرك فيه فتذنب ذنبين[٢]

ومنها أن يكون المذنب عالماً يقتدى به، فإذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه، كلبس العالم الابرسيم، وركب مركب الذهب، وأخذ مال الشبهة وأموال السلاطين وغير ذلك

فهذه ذنوب يتبع العالم عليها، فيموت العالم ويبقى شره منتشراً في العالم، فطوبى إذا مات مات ذنبه وويل إذا مات يبقى ذنوبه، ويحتملها الناس ويذهبون بها في الآفات

وروي كان في بني إسرائيل عالماً يميل الناس بالبدعة ثم أدركته توبته فعمل في الصلاح دهراً

= ستر نفسه، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٨٣٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٩٣٨٠) والزبيدي في الإتحاف (٦/ ١٧٢)، والطبراني في المعجم الصغير (١/ ٢٢٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٣٠)

(١) وجدناه بالهامش

(٢) قال النيساريوي: الحكمة في تسليط إبليس علىٰ المؤمن: أنه أوقعه في معصيه وتأب منها يكون أشد علىٰ إبليس، كالصياد إذا وقع في شبكته صيد ثم ذهب فإنه يكون عليه قبل وقوعه.

وفي الحكمة في خلق إبليس: قيل: أراد الله تعالىٰ أن يغفر ذنوبنا ويردها عليه فيضاعف عليه العذاب، وأيضاً فلولا النار لم يظهر طيب رائحة العود، وكذلكم لولا الشيطان لم يظهر فضل المؤمن بمخالفته له، وذلك بتوفيق الله تعالىٰ أو التوبة عما فعله بوسوسته مع موافقته القدر، وأيضاً لأن المدينة لا بد لها من كناس يدفع عنها القاذورات فلا يغني عنها صاحب المسك مثلاً.

بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ٢٦٣) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية .

فأوحى الله إلىٰ نبيهم قل له لو كان ذنبك بيني وبينك لغفرته، ولكن كيف من أهلكت من عبادي وأدخلتهم النار

فبهذا يتضح أن أمر العالم (محظرا)[١] فعليه وظيفتان:

أحدهما: ترك الذنب، والثاني إخفاءه

باب تمام التوبة

اعلم أن تمام التوبة طول الحسرة والحزن وانسكاب الدمع وطول البكاء ودوامها إلىٰ آخر العمر [٢]

فلو حدثه طبيب أن مرض ولده لا يبرأ وأنه سيموت طال حزنه، فليس ولده أعز من نفسه ولا الطبيب أعلم وأصدق من رسول الله ﷺ ولا الموت أشد من النار ولا المرض أدل من علىٰ الموت من المعاصي علىٰ سخط الله فكل ما كان الندم أشد كان تكفيراً للذنوب له وأؤجر ، فعلامة صحة الندم رقة القلب، فينبغي له بالقلب أن يتضرع إلىٰ الله في سؤال المغفرة ويتذلل تذلل العبد الآبق، وباللسان الاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول: رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي، وبالجوارح الطاعات والصدقات وأنواع العبادات

(وقال بعض الحكماء: إنما تعرف توبة الرجل في أربعة أشياء:

أحدها: أن يملك لسانه من الفضول والغيبة والكذب

---

(١) كذا بالأصل

(٢) وجدت المعصية من المؤمن لأن روحه وجدت بالمجاورة من روح الكافر في صلب آدم والكافر يفعل الحسنة لأنه وجد روح المؤمن أيضاً، فإذا كان يوم القيامة بسط الله تعالىٰ بساط الحكمة ويضع عليه أعمال بني آدم، فتهب ريح فيطير كل جنس إلىٰ جنسه فتصير معصية المؤمن إلىٰ معصية الكافر، وتصير حسنة الكافر إلىٰ حسنة المؤمن، ويرث كل من المؤمن والكافر منزل الآخر في الدار التي أعدها الله له، وذلك لأن كلا منهما له منزل في الجنة ومنزل في النار، فيصير له منزلان

بستان الفقراء ونزهه القراء (٢/ ٢٥٩). من تحقيقنا. طبعة دار الكتب العلمية .

والثاني: أن لا يرى في قلبه لأحد حسداً ولا عداوة

والثالث: أن يفارق أصحاب السوء

والرابع: أن يكون مستعداً للموت نادماً مستغفراً لما سلف من ذنوبه مجتهداً علىٰ طاعة ربه

وقيل لبعض الحكماء: هل للتائب علامة ليعرف بها أنه قبلت توبته[١] قال: نعم، علامته أربعة أشياء:

الأول: أن ينقطع عن أصحاب الفسق ويريهم هيبته من نفسه ويخالط الصالحين

والثاني: أن يكون منقطعاً من كل ذنب ومقبلاً في جميع الطاعات

والثالث: أن يذهب عنه فرح الدنيا كلها من قلبه ويخزن الآخرة دائماً في قلبه

والرابع: أن يرى نفسه فارغاً عما ضمن الله ـ يعني الرزق ـ مشتغلاً بما أُمر به فإذا وجد فيه هذه العلامات فهو من الذين قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ـ من تنبيه الغافلين ـ)[٢]

وروي أن الذنب ثمانية أعمال وكان العفو عنه مرجواً أربعة في القلب وهي: التوبة، والعزم علىٰ التوبة وحب الإقلاع عنه وخوف العقاب عليه، ورجاء المغفرة

وأربعة في الجوارح وهي أن يصلي عقيب الذنب ركعتين ثم يستغفر الله سبعين مرة فيقول: سبحان الله وبحمده مائة مرة ثم يتصرف بصدقة، ثم يصوم يوماً

(١) قال ابن عطاء في الحكم العطائية: إنما أمر إبراهيم عليه السلام بذبح ولده إسماعيل لأنه رأى عاصياً، فدعا عليه فهلك

ثم ثانيا وثالثا فقال الله تعالىٰ: كف عن عبادي أما تعلم أني أرحم بهم، إن تابوا تبت عليهم أو يخرج من أصلابهم من يعبدني فالمشيئة مشيئتي، فإذا سألتني هلاك عبدي فإنا أسألك ذبح ولدك واحده بواحدة .

(٢) وجدناه بالهامش

وفي الخبر: «**إذا عمل سيئة فأتبعها حسنة يكفرها، السر بالسر، والعلانية بالعلانية**»[١]

فإن كان قد ترك الصلاة أو نقص في أركانها، فينبغي أن يحسب مرة بلوغه ويقضي الباقي

وحكم الكبيرة أن الصلوات الخمس لا يكفرها، وهذا أمر يتعلق بالآخرة، والإبهام أليق علىٰ أن يكون الناس علىٰ وجل فلا يجترئون اعتماداً علىٰ الصلوات الخمس

وأما الصوم فإن كان قد عمد أو نسي النية[٢] بالليل أو تفريط آخر يستقل بقضاءها

وأما الزكاة فتجب في جميع ماله وعد السنين من أول ملكه المال من زمان البلوغ، فيؤدي وأنه في ذمته بغالب الظن

وأما الحج فإن كان قد استطاع في بعض السنين ثم أفلس فعليه الخروج، فإن مات قبل الحج مات عاصياً فهذا تدارك

وأما المعاصي فينبغي أن يقيس من أول بلوغه عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه ويده ورجليه وفرجه وسائر جوارحه في جميع أيامه وساعاته فإن كان ذلك ما لا يتعلق بمظلمة العباد

---

(١) أخرجه: أحمد في مسنده (٥/ ١٦٩)، والشجري في أماليه (١/ ٢٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٨١) والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٦٠٣)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ١١١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٢١٧)

(٢) اتفقوا علىٰ وجوب النية للصوم المفروض في شهر رمضان وأنه لا يجوز إلاّ بنية، ثم اختلفوا في تعينها، فقال الشافعي ومالك وأحمد في أظهر روايتيه: لا بد من التعيين فإن لم يعين لم يجزه وإن نوى صوماً مطلقاً، أو نوى صوم التطوع لم يجزه

وقال أبو حنيفة: لا يجب التعيين وإن نوى صوماً مطلقاً أو نفلاً أجزأه، وهي الرواية الأخرى عن أحمد، ثم اختلفوا في وقت النية لفرض شهر رمضان، فقال مالك والشافعي وأحمد: يجوز في جميع الليل وأول وقتها بعد غروب الشمس وآخره طلوع الفجر الثاني، وتجب النية قبل طلوعه، وقال أبو حنيفة: تجوز نيته من الليل ولم ينو حتى أصبح ونوى أخر أنه النية ما بينه وبين الزوال .

اختلاف الأئمة العلماء (١/ ٢٢٨، ٢٢٩) من تحقيقنا. طبعة دار الكتب العلمية .

فالتوبة عنها الندم والتحسر، فيتبع بكل سيئة حسنة فيمحها

ويكفر سماع الملاهي سماع القرآن، ويكفر الجلوس في المسجد بالاعتكاف فيها مع العبادات، ويكفر مسح القرآن محدثاً، بإكرام المصحف وكثرة قراءة القرآن منه بأن يكتب المصحف ويجعله وقفاً ويكفر شرب الخمر بالتصدق بكل شراب طيب واجب حلال عنده

وكذلك جميع المعاصي يعالج بضده بأن يمحو كل سيئة بحسنة، فهذه أحكام حكم ما بينه وبين الله تعالى، فإن لم يكن له أعمال فيكفر بالهموم وأما مظالم العباد فيكفر غصب أموالهم بالتصدق بملكه الحلال

ويكفر الغيبة[1] بالثناء علىٰ أهل الدين

ويكفر قتل النفس بإعتاق الرقاب لأن ذلك إحياء، وبتسليم الدية إلىٰ المستحق إن كان القتل خطأ، ووصول الدية[2] إلىٰ المستحق، إما منه أو من عاقلته، وهو في عهدته قبل الوصول

وأما قتل العمد فبالقصاص، فإن شاء عفى عنه، وإن شاء قتله ولا يجوز له، وليس هذا كما لو زنى أو شرب أو سرق، أو مباشراً ما يجب فيه حداً لله، فإنه لا يلزمه في التوبة أن يهتك ستره ويفضح نفسه

وأما الأموال الحاضرة، فليرد إلىٰ المالك إن عرف معيناً وإن لم يعرف له مالكاً

---

(١) قال الإمام أبو الليث السمرقندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويقال لا تكون الغيبة إلَّا في قوم معلومين فلو ذكر عن أهل مصر من الأمصار فقال: هم قوم سوء لا تكون غيبة لأن فيهم البر والفاجر وعلم أنه لم يرد به الجميع ولكن الكف عن ذلك أفضل قلت: الأقرب أن هذا غيبة محرمة لأنه كذب فإن علم أنه أراد بعضهم الموصوفين بما ذكره وقصد تحذير الناس منهم والنصيحة فهو مأجور

بستان الفقراء (٢/ ٢٤٧) من تحقيقنا . طبعة دار الكتب العلمية

(٢) الدية هي المال الذي يجب بسبب الجناية وتؤدى إلىٰ المجني علية أو وليه يقال: وديت القتيل أي أعطيت ديته، وهي تنظيم ما فيه القصاص وما لا قصاص فيه وتسمى الديه بالعقل وأصل ذلك أن القاتل كان إذا قتل قتيلاً جمع الدية من الإبل فعقلها بفناء أولياء المقتول أي شدها بعقالها ليسلمها إليهم

اختلاف الأئمة العلماء (٢/ ٢٣٠) من تحقيقنا . طبعه دار الكتب العلمية .

فعليه أن يتصدق، وإن اختلط بالحرام الحلال عرف ذلك القدر وتصدق به، وليقتصر عليه، فإن رأس المعاصي أكل الحرام فكيف يكون تائباً مع الإصرار

باب الصبر علىٰ المصائب

روي أن رجلاً قال: يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسمي، فقال ﷺ: «**لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسمه، إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه، فإذا ابتلاه صبّره عليه**»(١)

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة جيء بأهل الأعمال فوزنوا أعمالهم بالميزان أهل الصلاة والصيام والحج والصدقات، ثم يؤتى بأهل البلاء**(٢) **فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم الديوان، يصب عليهم الأجر صباً كما يصب عليهم البلاء صباً في الدنيا؛ فيود أهل العافية في الدنيا لو أنهم كانت تقرض أجسادهم بالمقاريض لما يرون ما يذهب بأهل البلاء من الثواب، فذلك قوله:** ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾»(٣)

عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: يؤتى يوم القيامة بأنعم أهل الأرض فيغمس في النار غمسة فيخرج أسود محترقاً فيقال: هل مرَّ بك نعيم، وكنت فيه؟ فيقول له: لم أزل في هذا البلاء منذ خلقتني

ويؤتى بأشد أهل الأرض شدة وبلاء في الدنيا فيغمس في الجنة غمسة ـ يعني يدخل ساعة ـ فيخرج كأنه القمر ليلة البدر فيقال له هل مرت بك شدة؟

---

(١) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٩/ ١٤٢، ٥٢٤، ٦٥٠)، وابن حبان في المجروحين (٣/ ١٢٢)، والقيسراني في تذكره الموضوعات (١٥٦)، والسيوطي في اللالىء (٢/ ٢١٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٦٥، ١٠/ ١٩١)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٨٠)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ١٢٨)،

(٢) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٩/ ١٤٤)، وذكره الهندي في كنز العمال (٦٨١٤) والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١١٢)، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (١/ ٤٥)، وابن المبارك في الزهد (٢٢٠)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١١٦٧) .

(٣) سورة الزمر (١٠)

فيقول: لا لم أزل في هذا النعيم منذ خلقتني»[(١)]

ويقال: إن الله يحتج بأربعة أنبياء علىٰ أربعة أجناس يوم القيامة، يحتج علىٰ الأغنياء بسليمان بن داود عليهما السلام، فيقول الغني: أشغلني الغنى عن عبادتك فاحتج بسليمان ﷺ ويقول: لم يكن في الدنيا أغنى من سليمان فلم يمنعه الغنى عن عبادتي .

ويحتج علىٰ العبد بيوسف ﷺ، فيقول: كنت عبداً والرق منعني عن عبادتك، فيقول له: إن يوسف لم يمنعه رقه[(٢)] عن عبادتي

وعلىٰ الفقراء بعيسى ابن مريم، فيقول الفقير إن حاجتي منعتني عن عبادتك، فيقول: أنت أحوج أم عيسى أحوج؟ لم يمنعه فقره عن عبادتي

ويحتج علىٰ المريض بأيوب ﷺ، فيقول المريض: منعني المرض عن عبادتك، فيقول مرضك كان أشد من مرض أيوب لم يمنعه عن عبادتي فلا يكون لأحد عند الله عذر يوم القيامة وكان الصالحون يفرحون بالمرض والشدة لأنه كفارة للذنوب

وينبغي للعاقل أن يتفكر في ثواب المصيبة ليسهل الله عليه المصيبة، فإن ثواب المصيبة إذا استقبله يوم القيامة يود أن يكون جميع أقربائه وجميع أولاده ماتوا قبله لينال ثواب المصيبة وقال ﷺ: «**لن يبتلى أحد أشد عليه من ذهاب دينه**»[(٣)] **والعياذ بالله من ذلك**

---

(١) أخرجه: مسلم في صحيحة [٥٥ . (٢٨٠٧)] كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، ١٢. باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار، وصبغ أشدهم بؤساً في الجنة، وأحمد في مسنده (٣/ ٢٥٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ٢٤٨)

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾

قال ابن كثير: لما استشعر إخوة يوسف بأخذ السيارة له لحقوهم، وقالوا: غلامنا أبق مناما فاشتره منهم بثمن بخس، أي قليل نزر، وقيل هو الزيف ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾

قال ابن مسعود وابن عباس ونوف البكالي وعطية العوفي: باعوه بعشرين درهما، اقتسموها درهمين درهمين، وقال مجاهد: اثنان وعشرون درهماً وقال عكرمه ومحمد بن إسحاق أربعون درهما والله تعالىٰ أعلم . قصص الأنبياء (ص ٢٣٧)

(٣) أخرجه: المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٠٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٠٨)

ولن يبتلى أحد بشيء بعد ذهاب دينه أشد عليه من ذهاب بصره، ولن يبتلي أحد بذهاب بصره فيحتسب إلا لقى الله يوم القيامة لا ذنب له»

وقال ﷺ: «**أول ما ينظر إلىٰ الله يوم القيامة من كان ضريراً في الدنيا** »

وروي عن سلمان الفارسي أن الله تبارك وتعالىٰ ليبتلي العبد بالبلاء[(١)]، ثم يعافيه فيكون كفارة لذنوبه، وإن الله تبارك وتعالى ليبتلي الفاجر بالبلاء، ثم يعافيه فيكون بمنزلة البعير عقله أهله فلا يدري فيما عقلوه، ثم أرسلوه فلا يدري فيما أرسلوه

وقال ﷺ: «**ليتمنين أهل العافية لو كانوا في الدنيا أنه كانت قطعت لحومهم بالمقاريض**»

عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أشد بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، وإن العبد ليبتلى علىٰ حسب دينه**»[(٢)]

واعلم أن المصاب إنما يخرج من مكان الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة في الشكوى وإظهار الكآبة غير العادة في الملبس والمطعم والفرش، وهذه الأمور داخلة تحت اختياره، فينبغي أن يجتنب جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله تعالىٰ وديعة استرجعت كما روي عن رميصاء[(٣)] امرأة أبي طلحة وذلك

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٥٢. (٢٠٥٧٣)] كتاب البر والصلة والآداب، ١٤. باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة ليشاكها، عن أبي سعيد وأبي هريرة أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: «**ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب، ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلّا كفر به من سيئاته**»

(٢) أخرجه: أحمد في مسنده (٦/ ٣٦٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٠٤)، وأحمد في الزهد (٣٥٧)، والشجري في أماليه (٢/ ٢٨٨)، والكحال في الاحكام النبوية في الصناعة الطبية (١٦٨)، وابن سعد في طبقاته (٨/ ٢٣٨) وذكره الألباني في السلسة الصحيحة (١١٦٥)

(٣) الرميصاء بنت ملحان بن خالد، أم سليم الأنصارية، يقال اسمها سهلة، أو رميلة، أو رميثة، أو مليكة، أو أنسة وهي الغميصاء، أو الرميصاء، اشتهرت بكنيتها، وهي امرأة أبي طلحه، ووالدة أنس بن مالك وكانت من الصحابيات الفاضلات ماتت في خلافة عثمان

ترجمتها: تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٢٠)، تقريب التهذيب (٢/ ٥٩٩)، الثقات (٣/ ١٣٢)، الدر المنثور (٢٠٨)، الاستيعاب (٤/ ١٨٤)، الإصابة (٧/ ٦٥٦، ٨/ ٤٥)، تجريد أسماء الصحابة (٢/ ٢٧٠)، حلية الأولياء (٩/ ٥٧) .

أنها قالت: توفي ابن لي وزوجي أبو طلحة غائب، فقمت فسجيته في ناحية من البيت

فقدم أبو طلحة فقمت فهيأت له إفطاره فجعل يأكل فقال: كيف الصبي؟، قلت: بأحسن حال بحمد الله حتى أصاب مني حاجته، ثم قلت: ألا تعجب من جيراننا، قال: وما لهم؟، قلت: اعيروا عارية فلما طلبت منهم جزعوا، فقال: بئس ما صنعوا

فقلت: هذا ابنك كان عارية من الله، وإن الله تعالىٰ قبضه إليه فحمد الله واسترجع

ثم عدا علىٰ رسول الله فأخبره، فقال ﷺ: «**اللهم بارك لهم في ليلتهم**»(١)

قال الراوي: لقد رأيت لهم بعد ذلك سبعة من الولد كأنهم قد قرأوا القرآن

وروي أنه ﷺ قال: «**رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا برميصاء امرأة أبي طلحة**»(٢).

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول شيء كتبه الله في اللوح: إني أنا الله لا إله إلا أنا ومحمد رسولي، من استسلم لقضائي وصبر علىٰ بلائي وشكر نعمائي كتبته صديقاً وبعثته مع الصديقين وأدخلته جنتي، ومن لم يستسلم لقضائي ولم يصبر علىٰ بلائي، ولم يشكر نعمائي، فليخرج من تحت سمائي، وليطلب ربًّا سواي**»(٣)

(قوله ﷺ: «**الرضا بقضاء الله تعالىٰ دليل الإيمان، والغضب بحكمه دليل الكفر**»(٤)

وقيل: حقيقة الإيمان الصبر والشكر لقوله ﷺ: «**الإيمان نصفان، نصفه صبر**

---

(١) أخرجه: أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٥٩)

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه (٥/ ١٢)، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٧٢)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٤٥)

(٣) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٩/ ٦٧٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٩٣، ٣١٦)، والفتني في تذكره الموضوعات (١٨٩)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٥٢)

(٤) الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٥٦)

ونصفه شكر، ولو تريد رضا الله تعالىٰ بقليل من العمل فاصبر»[١]

وقال ابن المبارك: المصيبة واحدة، فإن جزع صاحبها فهي اثنتان، معنى صارت المصيبة اثنتان: أحديهما المصيبة، والثاني: ذهاب أجر المصيبة، وهي أعظم من المصيبة

قوله ﷺ: «**من يرد الله به خيراً أوصى إليه بمصيبة ليطهره بها من الذنوب، وليرفع درجته بتلك المصيبة، والمصيبة اسم لكل مكروه يصيب أحداً ليطهره)**[٢]

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الصبر علىٰ ثلاثة أوجه: صبر علىٰ الطاعة، وصبر علىٰ المعصية، وصبر علىٰ المصيبة

ومن صبر علىٰ المعصية أعطاه الله يوم القيامة ثلاثمائة درجة، ما بين كل درجة كما بين السماء والأرض

ومن صبر علىٰ الطاعة أعطاه ستمائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض

ومن صبر علىٰ المصيبة أعطاه الله يوم القيامة سبعمائة درجة ما بين كل درجتين من العرش إلىٰ الثرى[٣]

وحكي أنه كان في زمن موسى عليه السلام عابداً مجتهداً يخرج كل يوم إلىٰ الجبانة مقيداً رجله مُغلاّ علىٰ يديه يعبد الله علىٰ هذه الحالة

فقال لامرأته ذات اليوم إني اشتهيت الشوى منذ كذا وكذا سنة، فلم أذق بعد أن آكله ولا يأكله الفقراء، فأُعاقب عليه

---

(١) أخرجه: السيوطي في الدر المنثور (١/ ٦٦)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٣)، والقضاعي في مسند الشهاب (١٥٩)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٥٩)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٦٢٥)

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) روى مسلم في صحيحه [٤٦ ـ (٢٥٧٢)] كتاب البر والصلة والآداب، ١٤. باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها، عن عائشة سمعت رسول الله ﷺ قال: «**ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة**»

فقالت امرأته: إني أبعث إلىٰ غنمي حتى يُحمل إليَّ عشرة أحمال[(١)] فأتصدق بتسع منها، وأدَّخر منها واحدة لتأكلها

فأجابها العابد إلىٰ ذلك، فبعثت المرأة إلىٰ غنمها حتى حملت عشرة أحمال، فتصدقت بتسع منها وذبحت واحدة لزوجها حتى أوقدت التنور لتشويه، وكان لها ابنان أحدهما ابن اثنا عشر سنة والآخر سبع سنين وكانا يتلاعبان في الدار فصب أحدهما شيئًا من السواد علىٰ ثوب الآخر، فغضب وقال لأمزقن ثوبك بهذا السكين كما سودت ثوبي فكان معه سكين حاد

فلما أراد أن يمزق من ثوب أخيه أخطأ السكين ووقع في سرة أخيه فخرَّ ميتاً، فنظرت الأم إليه وذهبت إلىٰ الباب لتغلق، فحسب الابن أنها أغلقته لتأخذه، فهرب فزعاً فارتقى السلم وصعد علىٰ السطح، وكان علىٰ السطح مقابل التنور كوة واسعة فجعل الابن يعدو، وزلت رجله وسقط في الكوة ووقع في التنور، فتداركته الأم وهو يحترق فيه فأخرجته وهو ميت[(٢)]

فأدخلته بيتاً وفرشت له فراشاً ووضعته علىٰ الفراش وحملت أخيه المقتول ووضعه يجنبه فغشتهما فتوارى السر

وقالت: يارب صبرني حتى أتمم شهوة عبدك منذ كذا وكذا سنة، فلم يحتمل قلبها أن يشوى الحَمل في ذلك التنور فاستعارت من جيرانها تنوراً وشوت الحمل فيه ووضعته حتى جاء العابد مساءً واستقبلته المرأة ومسحت الغبار عن وجهه ورفعت

(١) الحَمَل: الصغير من الضأن، جمعها: حملان، وأحمال

(٢) في حديث مسلم المتقدم قريباً فيما يصيب المسلم قال النووي: في هذه الأحاديث بشارة عظيمة للمسلمين فإنه قلما ينفك الواحد منهم ساعة من شيء من هذه الأمور وفيه تكفير الخطايا بالأمراض والأسقام ومصائب الدنيا وهمومها وإن قلت مشقتها، وفيه رفع الدرجات بهذه الأمور وزيادة الحسنات وهذا هو الصحيح الذي عليه جماهير العلماء، وحكى القاضي عن بعضهم أنها تكفر الخطايا فقط ولا ترفع درجة ولا تكتب حسنة، قال: وروي نحوه عن ابن مسعود قال الوجع لا يكتب به أجر بل تكفر به الخطايا فقط واعتمد علىٰ الأحاديث التي فيها تكفير الخطايا ولم تبلغه الأحاديث التي ذكرها مسلم المصرحة برفع الدرجات وكتب الحسنات

النووي في شرح مسلم (١٦/ ١٠٥) طبعة دار الكتب العلمية .

القيد عن رجله، والغلَّ من يديه وأجلسته وقدمت الطعام إليه، فقال لها العابد: أين أبنائي؟

قالت: ذهبا إلىٰ زيارة بعض الغلمان، فقالت للعارف كل أنت وكانت تلقمه لقماً حتى يشبع وفرغ من الأكل، ثم قالت امرأته: قد وقعت لي مسألة أسألك عنها

قال: وما هي؟ قالت: وديعة[1] عندي منذ سنتي عشرة سنة الآن يستردها صاحبها وليس يتحمله قلبي أن أردها من كثرة ما اجتهدت في حفظها وأصيح وأبكى من ذلك

قال العابد: صاحب الوديعة أحق منك وإن طالت المدة

وقالت: وكانت عندي وديعة أخرى

قال العابد: أيتها المرأة رُدي الودائع ولا تفضحيني في بني إسرائيل، فقالت المرأة: اعلم أيها الرجل أن أولادنا كانا وديعة من الله عندنا وقد استردهما، فاصبر لحكم الله وقصَّت القصة عليه

فقال الرجل: لو كنت تصبري مع ضعف قلبك أفلست أصبر كذلك، افتحي الباب حتى أبصرهما

ففتحت فإذا هما يلعبان في فراشهما وقد أحياهم الله ﷻ ببركة صبرهما ورضائهما بحكم الله وهو قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[2]

(وعن أبي الدرداء أنه قال: توفي ابن لسليمان بن داود عليهما السلام فوجد

---

(١) اتفقوا علىٰ أن الوديعة أمانة محضة وأنها من القرب المندوب إليها وإن في حفظها ثواباً وإن الضمان لا يجب علىٰ المودع إلاً بالتعدي وأن القول قول المودع في التلف والرد علىٰ الإطلاق مع يمينه ثم اختلفوا فيما إذا كان المودع قد قبضها ببينة فهل يقبل في ردها بغير بينة؟.

فقال أبو حنيفة والشافعي: يقبل قوله في ردها بغير بينة، وقال مالك: لا يقبل قوله في ردها إلاَّ ببينة، وعن أحمد روايتان أظهرهما كمذهب أبي حذيفة والشافعي والأخرى كمذهب مالك واتفقوا علىٰ أنه متى طلبها وجب علىٰ المودع أن لا يمنعها مع الإمكان فإن لم يفعل فهو ضامن.

اختلاف الأئمة العلماء (٢/ ٥) من تحقيقنا. طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) سورة البقرة (١٥٥)

عليه وجداً[١] شديداً، فأتاه ملكان فجلسا بين يديه، بزي الخصوم

فقال أحدهما: بذرت بذراً يعني زرعت زرعاً ولم استحضره، فمر به هذا فأفسده

فقال للآخر: ما تقول؟، قال: أخذت الجادة فأتيت علىٰ زرع فرأيت يميناً وشمالاً فإذا الطريق عليه

قال سليمان: ولم بذرت علىٰ الطريق، أما علمت أن لا بد للناس من الطريق

فقال الملك: لم تحزن علىٰ ولدك أما علمت أن الموت سبيل الآخرة

وذكر في الخبر أن سليمان تاب إلىٰ ربه ولم يجزع علىٰ ولده بعد ذلك . . . من تنبيه الغافلين ـ)[٢]

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**من مات له ثلاثة أولاد لم يدخل النار إلاَّ تحلَّة القسم**»[٣]

يعني أن الله تعالىٰ قال: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[٤] (ومعنى واردها أتى النار وجاوز عليها)[٥]

---

(١) الوجد: الحزن، ووجد موجدة: غضب، ووجد فلان وجداً: حزن

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) بلفظ: «**لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد تمسه النار إلاّ تحلة القسم**» أخرجه: البخاري في صحيحه (١٢٥١) كتاب الجنائز، ٦ ـ باب فضل من مات له ولد فاحتسب، ومسلم في صحيحه [١٥٠] كتاب البر والصلة والآداب، والترمذي في سننه (١٠٦٠) كتاب الجنائز، باب ما جاء في ثواب من قدم ولداً، والنسائي (٤/ ٢٥.المجتبى)، وابن ماجه في سننه (١٦٠٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٦٧)

(٤) سورة مريم (٧١)

(٥) وجدناه بالهامش

باب الشكر

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**ينادى يوم القيامة ليقم الحامدون، فيقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة**»

قيل: وما الحامدون؟، قال: «**الذين يشكرون الله في السراء والضراء**»[(١)]

وروي أن موسى عليه السلام قال: يا رب كيف أشكرك، وشكري لك نعمة أخرى منك وجب الشكر علىٰ ذلك

فأوحى الله إليه: إذا عرفت هذا شكرتني ورضيت منك

وقال الجنيد رحمه الله[(٢)]: أن لا ترى لنفسك أهلاً للنعمة

وحكي أنه شكى بعضهم فقره إلىٰ بعض أرباب البصائر وأظهر شدة اغتمامه

فقال: أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم، فقال: لا

قال: أيسرك أنك أخرس ولك ولك عشرة آلاف درهم، قال: لا

قال: أيسرك أنك أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفاً، قال: لا

قال: أيسرك أنك مجنون ولك ثلاثون ألفاً، قال: لا، قال: أما تستحي أن تشكو مولاك وعندك عروض بخمسين ألفاً

---

(١) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٩/ ٤٨)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٧٩).

(٢) الجنيد بن محمد بن الجنيد، أبو القاسم النهاوندي الأصل البغدادي القواريري الزجاج، وقيل كان أبوه قواريرياً، يعنى زجاجاً، كان شيخ العارفين وقدوة السائرين وعلم الأولياء في زمانه، ولد ببغداد بعد العشرين ومائتين، واختص بصحبة السري السقطي والجرمي وأبي حمزة البغدادي وأتقن العلم ثم أقبل علىٰ شبابه واشتغل بما خلق له وحدث بشيء يسير ومن أقواله: أقل ما في الكلام سقوط هيبة الرب جل جلاله من الإيمان، وقال: من خالفت إشارته معاملته فهو مدع كذاب، توفي سنة (٢٩٨) فرحمة الله تعالىٰ عليه

اعلم أنا جعلنا النعيم في ستة عشر ضرباً، وجعلنا صحة البدن نعمة من النعم الواقعة في الرتبة المتأخرة، بهذه النعمة الواحدة لو أردنا أن نستقصي الأسباب التي بها تمت هذه النعمة لم نقدر عليها، ولكن الأكل أحد أسباب الصحة

فلنذكر نبذة من جملة الأسباب التي تتم نعمة الأكل

الطرف الأول: في نعم الله[١] تعالىٰ في خلق أسباب الإدراك: اعلم أن الله خلق النبات وهو أكمل وجوداً من الحجر والمدر والحديد والنحاس وسائر الجواهر التي لا تنموا ولا تفتدي فإن النبات خلق فيها قوة تجتذب الغداء إلىٰ نفسه من جملة أصله إلاَّ أن النبات مع هذا الكمال ناقص، فإنه لو أعوزه غذاء يساق إليه ويماس أصله وإلا جف ويبس ولم يمكنه طلب الغذاء من موضع آخر والنبات عاجز عن ذلك فمن نعمة الله تعالىٰ أن خلق لك آلة الإحساس وآلة الحركة في طلب الغداء فانظر إلىٰ ترتيب حكم الله تعالىٰ في خلق الحواس الخمس التي هي آلة الإدراك وهو اللمس والشم والبصر والسمع والذوق ثم كل ذلك لا يكفيك لو لم يخلق في مقدمة دماغك إدراك آخر يسمى مشتركاً ينادى إليه هذه المحسوسات الخمس ولو طال عليك أمر هذه الحواس، ويشاركك فيه الحيوانات فميَّزك الله

(١) قال تعالىٰ: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ﴾ قال ابن كثير: يخبر تعالىٰ عن عجر العباد عن تعداد النعم فضلاً عن القيام بشكرها كما قال طلق بن حبيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن حق الله أثقل من أن يقوم به العباد وإن نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين، وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللهم لك الحمد غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا**»، وقد روي في الأثر أن داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: يا رب كيف أشكرك وشكري لك نعمة منك علي؟ فقال الله تعالىٰ الآن شكرتني يا داود. أي: حين اعترفت بالتقصير عن أداء شكر النعم، وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الحمد لله الذي لا شكر نعمة من نعمه الَّا بنعمة جارحة توجب علىٰ مؤديها شكره بها، وقال القائل في ذلك:

لو كل جارحه مني لها لغة ... تثني عليك بما أوليت من حسن
لكان ما زاد شكري إذ شكرت به ... إليك أبلغ في الإحسان والمنن

تفسير ابن كثير (٢/ ٥٥٦).

وأكرمك بصفة أخرى من الكل وهي العقل فيه يدرك مضرة الأطعمة ومنفعتها في الحال والمآل

الطرف الثاني: من أصناف النعم خلق الإرادة

اعلم أنه لو خلق لك البصر حتى تدرك الغذاء ولم يخلق في الطبع والشوق وسهولة ما يستحثك علىٰ الحركة لكان الصبر معطلاً

ثم هذه الشهوة لو لم تسكن إذا أخذت مقدار الحاجة لأهلكته نفسه، فخلق الله الكراهة عند الشبع ليترك الأكل به

الطرف الثالث: من نعم الله تعالىٰ في خلق القدرة وآلات الحركة فلا بد من آلات الحركة، وقدرة في تلك آلات علىٰ الحركة لتكون حركتها بمقتضى الشهوة طلباً

وبمقتضى الكراهة هرباً، ولذلك خلق الله تعالىٰ لك الأعضاء ما هو للطلب كالرجل للإنسان والجناح للطير، والقوائم للدواب

وذكر ذلك يطول فنقول: رؤيتك الطعام باليد وحركتك لا تكفي ما لم تأخذه، فافتقرت إلىٰ آلات باطنة ، فأنعم الله عليك[١] بخلق الله اليدين، ثم إنك أخذت الطعام باليدين فمن أين يكفيك هذا ما لم يدخل إلىٰ المعدة فجعل الفم نافذ إلىٰ المعدة

ثم إن وضعت الطعام في الفم وهي قطعة واحدة فلا يتمكن من ابتلاعه فيحتاج إلىٰ طاحونة يطحن بها الطعام، فخلق لك اللحيين من عظمين وركب فيها الأسنان وخلق الأضراس وغير ذلك مما يطول ذكرها

الطرف الرابع: من نعم الله في الأصول التي منها يحصل علىٰ الأطعمة

---

(١) في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ ما بين ثمار وزرع مختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح والمنافع وسخر الفلك بأن الله تعالىٰ وسخر البحر لحملها ليقطع المسافرون بها من إقليم إلىٰ إقليم آخر لجلب ما هنا إلىٰ هناك، وما هناك إلىٰ هنا وسخر الأنهار تشق الأرض من قطر إلىٰ قطر رزقاً للعباد من شرب وسقي وغير ذلك من أنواع المنافع
تفسير ابن كثير (٢/ ٥٥٥) .

فنقول: إذا وجدت وجبات لو أكلتها فنيت فبقيت جائعاً فما أحوجك إلىٰ أن تنمو الحبة في نفسها وتزيد وتتضاعف حتى تفي بتمام حاجتك، فخلق الله سبحانه في حبة الحنطة من القوى ما يفتدي كما خلق فيك

فلو تركته في البيت لم يزد، ولو تركته في الماء لم يزد ولو تركته في الأرض ولا ماء لم يزد، بل لا بد من أرض فيه ماء يمتزج ماؤه بالأرض فيصير طيباً

الطرف الخامس: في نعم الله تعالىٰ في الأسباب الموصلة للأطعمة إليك

اعلم أن هذه الأطعمة كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة ولأجلها يوجد في بعض الأماكن دون بعض

فانظر كيف سخر الله تعالىٰ التجار وسلط عليهم الحرص علىٰ طلب المال[1] وشهوة الربح، فانظر كيف سلط الله سبحانه الجهل والغفلة عليهم

الطرف السادس: في إصلاح الأطعمة: اعلم أن الذي ينبت من الأرض وما يخلق من الحيوانات لا يمكن أن يؤكل وهي كذلك بل لا بد لكل واحد من إصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بإلقاء البعض وإبقاء البعض إلىٰ أمور أُخر لا تحصى

الطرف السابع: في إصلاح المصلحين: اعلم أن هؤلاء الصناع المصلحين للأطعمة وغيرها لو تفرقت دورهم، وتنافرت طباعهم تنافر طباع الوحوش، لتبددوا وتباعدوا، ولم ينتفع بعضهم بالبعض لكانوا كالوحوش لا يحويهم مكان واحد ولا يجمعهم عرض واحد

الطرف الثامن: في بيان نعمة الله في خلق الملائكة واعلم أن كل جزء من أجزاء ذلك بل من أجزاء النبات لا يعتد إلاَّ بأن يوكل به سبع من الملائكة، وهذا

---

(١) روى الترمذي في سننه (١٢٠٩) كتاب البيوع، باب ما جاء في التجار وتسمية النبي ﷺ إياهم، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ قال: «**التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء**»

وفي رقم (١٢١٠) عن رفاعة رفعه «**يا معشر التجار**» فاستجابوا لرسول الله ﷺ ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه، فقال: «**إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً، إلَّا من اتقى الله وبر وصدق**»

وقال الترمذي في الحديث الأول: حسن. وقال في الحديث الثاني: حديث حسن صحيح.

أقله إلىٰ عشرة وإلى مائة وإلى ما وراء ذلك ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾(١)

باب الرجاء والخوف(٢)

اعلم أن للرجاء جناحان بهما يطير المقربون إلىٰ كل مقام محمود، بهما ينقطع من طرق الآخرة كل عقبة كؤدة

وروي عن أنس أن الأعرابي قال: يا رسول الله من يلي حساب الخلق؟ فقال ﷺ: «**الله تعالىٰ هو بنفسه**»

قال: نعم، فتبسم الأعرابي

فقال ﷺ: «**صدق ولا كريم إلاَّ الله، وهو أكرم الأكرمين**»

وروي أيضاً أن الله تعالىٰ شرف الكعبة وعظمها ولو أن عبداً هدمها حجراً حجراً، ثم أحرقها ما بلغ جميع ذلك من استخف بولي من أولياء الله

قال رجل: ومن أولياء الله

---

(١) سورة إبراهيم (٣٤)

(٢) قال بعض الحكماء: الحزن يمنع الطعام، والخوف يمنع الذنوب، والرجاء يقوي علىٰ الطاعة.

وعن النبي ﷺ قال: «**المؤمن بين مخافتين: بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب، ولا بعد الدنيا دار إلَّا الجنة أو النار**».

وقال صالح بن عبد الكريم: الخوف والرجاء لهما نوران فقيل: أيهما أنور؟، فقال: الرجاء، فبلغ ذلك أبا سليمان الداراني رحمه الله فقال: واعجباه الخوف يتشعب منه الصوم والصلاة والأعمال الصالحة، فكتب إليه: الخوف راجع إلىٰ سوء الآداب، والرجاء راجع إلىٰ كرم المولى سبحانه بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ٣٥١)

من تحقيقنا. طبعة دار الكتب العلمية.

قال ﷺ: «**المؤمنون كلهم لله أولياء أما سمعت قوله تعالىٰ**: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾(١)

وقيل إن مجوسياً استطعم إبراهيم الخليل ﷺ فقال: إن أسلمت أطعمتك، فمرَّ المجوسي فأوحى الله إلىٰ إبراهيم لم تطعمه إلا بترك دينه، ونحن نُطعمه من سبعين سنة نُطعمه علىٰ كفره فلو أضفته ليلة ماذا عليك

فمـر إبراهيم خلفه فأضافه فقال المجوسي: ما السبب فيما بدا لك، فذكر له.

فقال المجوسي: أهكذا يعاتبك ثم عرض عليه الإسلام، فأسلم

فقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها**»(٢)

وفـي الخبـر: «**إن لله مائة رحمة، أظهـر منها فـي الدنيا رحمـة واحدة بها يتراحم الخلائـق وتحن الوالـدة إلىٰ ولدها وتعطف البهيمة علـىٰ ولدها، فـإذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة إلىٰ التسع وتسعين ثم يبسطها علـىٰ جميع الخلائق**»(٣)

---

(١) سورة البقرة (٢٥٧)، وقد أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٩/ ١٧٩)

(٢) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٩/ ١٨٣)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ١٤٨)

وبلفظ: «**لله أرحم بعباده من هذه بولدها**» بعد أن ذكر قصه عن امرأة من السبي لها صبي فقد منها ثم وجدته

أخرجه: البخاري في صحيحه (٨/ ٩)، ومسلم في صحيحه [٢٢ . (٢٧٥٤)] كتاب التوبة، ٤. باب في سعة رحمة الله تعالىٰ وأنها سبقت غضبه

(٣) أخرجه: مسلم في صحيحه [٢٧. (٢٧٥٢)] كتاب التوبة، ٤. باب في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه، وابن ماجه (٤٢٩٣)، وأحمد في مسنده (٢/ ٥٢٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٦، ٤/ ٢٤٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢٤٨٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٣٦٥، ٢٣٦٦)، وابن المبارك في الزهد (٣١٢)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ١٨٣)

(قال الله تعالىٰ في بعض الكتب: ولا يبكي عبد من خشيتي إلاَّ أجرته من نعمتي ولا يبكي عبد من خشيتي إلاَّ أبدلته ضحكاً في نور قدسي في الجنة ومن بكى من خشية الله حتى تسيل قطرة من دموعه علىٰ الأرض لا تمسه النار أبداً

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾[1] كان تحته لوح من ذهب مكتوب فيه خمسة أسطر، أولها: عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك، وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن، وعجبت لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها وفي الخامس: لا إله إلا الله محمداً رسول الله

ويقال: ضحك المؤمن من غفلته عن أمر الآخرة ولولا غفلته ما ضحك[2])[3]

واعلم أن الله عاتب نوحاً حيث دعا علىٰ قومه بالهلاك في قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[4] ثم ابتلاه الله بفراق ابنه، وأيضاً عاتب موسى لأجل قارون حين استغاثه فلم يُغثه فقال الله: يا موسى لو استغاثني مرة أغثته

وأيضاً عاتب جبرائيل عليه السلام لأجل فرعون حين حشا فمه طيناً

---

(١) سورة الكهف (٨٢)

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٣٤). من حديث أبي ذر

وروى ابن جرير بسنده عن الحسن،. وذكره عن عمر مولى غفرة، وذكره عن جعفر بن محمد .

(٣) وجدناه بالهامش

(٤) سورة نوح (٢٦)

باب فضيلة البكاء

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**سبعة في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله**[١] **فمنهم إمام عادل، وشاب نشأ في طاعة الله تعالى، ورجل قلبه متعلق بالمساجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان يتحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات جمال وحسب فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه**»[٢]

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**ولو أن عبداً بكى في أمة لرحم الله تلك الأمة ببكاء ذلك العبد، وما من شيء إلا له وزن ما خلا القطر من الدموع من خشية الله فإنها تطفئ بحوراً من نار**»[٣]

قال: وبلغنا أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «يا عليّ أوصيك بخصال فاحفظها عليَّ أولهن الصدق والورع والخوف من الله، والبكاء من خشيته، فإن لك بكل دمعة بيتاً في الجنة»[٤]

---

(١) قال النووي: قال القاضي: إضافة الظل إلىٰ الله تعالىٰ إضافة ملك وكل ظل فهو لله وملكه وخلقه وسلكانه والمراد هنا ظل العرش، والمراد يوم القيامة إذا قام الناس لرب العالمين ودنت منهم الشمس وأشتد عليهم حرها وأخذهم العرق ولا ظل هناك بشيء إلاَّ العرش وقد يراد به هنا ظل الجنة وهو نعيمها والكون فيها كما قال تعالىٰ ﴿وندخلهم ظلاً ظليلاً﴾ قال القاضي: وقال ابن دينار: المراد بالظل هنا الكرامة والكنف والكف من المكارة في ذلك الموقف، قال: وليس المراد ظل الشمس، قال القاضي: وما قاله معلوم في اللسان يقال فلان في ظل فلان أي في كنفه وحمايته

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه (٦٦٠، ١٤٢٣)، ومسلم في الزكاة [٩١ . (١٠٣١)] كتاب الزكاة، ٣٠. باب فضل إخفاء الصدقة، والترمذي في سننه (٢٣٩١)، والنسائي (٨/ ٢٢ المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٣٩)، وابن خزيمة في صحيحه (٣٥٨)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ١١٢، ٥/ ٧) والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢١٧)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٣/ ١١٥) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٧٠١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٧٢)

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٠٦)

(٤) أخرجه: البيهقي في دلائل النبوة (٧/ ٢٢٩)، وابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ٢٥٢)

(ابكـوا إلىٰ الله تعالـى، فإن لم تستطيعوا أن تبكوا فتباكوا ـ يعني تشبهوا بالباكين ـ)[١]

عن أسد بن وداعة أن رسول الله ﷺ سُئل أي المؤمن أفضل؟، قال: «**مؤمن مغموم القلب ليس فيه غلّ ولا حسد** »[٢]

(قال الله تعالىٰ في بعض الكتب ولا يبكي عبد من خشيتي إلا أجرته في نعمتي، ولا يبكي عبد من خشيتي إلا أبدلته ضحكاً في نور قدسي في الجنة، وفي البكاء من خشية الله حتى تسيل قطرة من دموعه علىٰ الأرض لا تمسه النار أبداً

وكان النبي ﷺ، لا يضحك إلا تبسماً[٣]ففي هذا الخبر دليل علىٰ أن التبسم مباح، وإنما النهي عن ضحك القهقهة، فينبغي للعاقل أن لا يضحك القهقهة وإنما ضحك القهقهة في الدنيا إلا بكى كثيراً في الآخرة، فكيف من ضحك في الدنيا كثيراً كيف يكون حالته يوم القيامة)[٤]

وعن أبي هريرة قال: من فرح في الدنيا حزن غداً في القيامة ومن حزن في الدنيا فرح غداً في الآخرة

عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ [٥]: «**يا أبا ذر إياك والضحك، فإن الضحك مهرمة القلب**»

فإن جبرائيل ﷺ قال: والذي بعثك بالحق وجعلني أميناً فيما بينه وبينك ما ضحكت منذ خلقت جهنم»

---

(١) وجدناه علىٰ السطر

(٢) أخرجه أبو نعيم حلية الأولياء (١/ ١٨٣، ٦/ ٦٩)

(٣) أخرجه: الترمذي في سننه (٣٦٤٥) كتاب المناقب، باب في صفة النبي ﷺ، وأحمد بن حنبل في مسنده (٥/ ٩٧، ١٠٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٠٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٩/ ١١٤)، وابن المبارك في الزهد (٤٧)

(٤) وجدناه بالهامش

(٥) بلفظ «**إياك وكثرة الضحك**» أخرجه: أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ١٦٨)، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٦/ ٣٥٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٨٦٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٢١)، وابن حبان في صحيحه (٩٤). الموارد، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٦٨٠١)

وقالت عائشة: يا رسول الله هل يدخل الجنة من أمتك بغير حساب؟، قال: **«نعم، من ذكر ذنوبه فبكى»**

باب الخوف من سوء الخاتمة

قال ﷺ: **«أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً**(١)**، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان، وإذا خاصم فجر، وإن كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة من النفاق»**(٢)

وروي عن عيسى عليه السلام أنه قال: يا معشر الحواريين أنتم تخافون المعاصي، ونحن معاشر الأنبياء نخاف الكفر

وكان أبو الدرداء يحلف بالله ما أحد آمن علىٰ إيمانه أن يسلبه إلا سلبه عند الموت»

وقال الله تعالىٰ للنبي ﷺ: **«فوعزتي وجلالي لا أجمع علىٰ عبدي خوفين ولا**

---

(١) قال النووي: قوله ﷺ **«كان منافقا خالصاً»** معناه شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال، قال بعض العلماء: وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه، فأما من يندر ذلك منه فليس داخلاً فيه فهذا هو المختار في معنى الحديث ونقل عن الإمام أبي عيسى الترمذي معناه عن العلماء فقال: إنما معنى هذا عند أهل العلم نفاق العمل، وقال جماعة من العلماء: إعداد به المنافقون الذين كانوا في زمن النبي ﷺ ثواباً بإيمانهم وكذبوا، وأوتمنوا علىٰ دينهم فخانوا ووعدوا في أمر الدين ونصره فاخلفوا، وفجروا في خصوماتهم

النووي في شرح مسلم (٢/ ٤١) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه (٣٤) كتاب الإيمان، ٢٥. باب علامة المنافق، وكذلك في رقم (٢٤٥٩، ٣١٧٨)، ومسلم في صحيحه [١٠٦. (٥٨)] كتاب الإيمان، ٢٥. باب بيان خصال المنافق

والترمذي في سننه (٢٦٣٢)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٨٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٢٣٠)، والزبيدي في الإتحاف (٢/ ٢٦٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٢٠٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٥٩٣).

أمنين، فإذا أمنني في الدنيا أخفته في الآخرة وإذا خافني في الدنيا أمنته في الآخرة»[١] . من تنبيه الغافلين)[٢]

وكان سفيان الثوري لما احتضر جعل يبكي ويحزن فقال: يا عبد الله عليك بالرجاء، فإن عفو الله أعظم من ذنوبك[٣]

فقال: أو علىٰ ذنبي أبكي لو علمت أني أموت علىٰ التوحيد لم أبال أن ألقى بأمثال الجبال العظام من الخطايا

ويقال إن الشيطان يجيء في ذلك الوقت معه قدح ماء فيحركه فيقول المؤمن أعطني من الماء ولا يدري أنه شيطان، فيقول: قل لا صانع للعالم حتى أعطيك فإن لم يجب يجيء في ذلك الوقت معه قدح ماء فيحركه فيقول المؤمن كذلك

فيقول: قل كذب الرسول حتى أعطيك، فمن أدرك الشقاوة يجب إلىٰ ذلك لا يصير إلىٰ العطش فيخرج من الدنيا كافرًا والعياذ بالله، ومن أدركه السعادة يرد كلامه.

(فالواجب علىٰ كل مسلم أن يدعوا الله تعالىٰ أن يجعل خاتمته بخير، فإن أكثر ما يخاف ذهاب الإيمان عند النزع[٤]

---

(١) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٩/ ٢١١)، (١٠/ ٢٧٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣١٨)، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (١/ ٣٧٥)

(٢) وجدناه بالهامش

(٣) روي أن إبراهيم الخليل ﷺ كان كثير البكاء فأتاه جبريل ﷺ وقال له: الجبار يقرئك السلام ويقول: هل رأيت خليلاً يخاف خليله؟

فقال: يا جبريل إذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي .

قال الإمام العالم الشيخ عبد العزيز الديريني رحمه الله هذا خوف المرسلين عليهم الصلاة والسلام مع عصمتهم من المخالفات وطهارتهم عن الزلات وإنما كانت خطاياهم نظرة إلىٰ مباح أو لفظة في ظاهرها مكروه وباطنها صلاح

بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ٣٥٥) من تحقيقنا . طبعة دار الكتب العلمية

(٤) مرض بعض العارفين رحمهم الله فقال لبعض إخوانه اقعد رأسي حتى أموت فإن مت علىٰ الإسلام فاشتر بجميع ما أملكه لوزًا أو سكرًا وفرقه علىٰ صبيان البلد، وقل هذا غرس فلان، وإن لم يكن كذلك فاعلم الناس حتى لا يغتروا بجنازتي، فقعد عند رأسه حتى مات علىٰ الإيمان، فاشترى اللوز والسكر وفرقه علىٰ صبيان البلد، فهذا كان خائفًا فسلم، ومن لم =

وسئل أبو القاسم الحكيم: هل من ذنب ينزع الإيمان من العبد؟ قال: نعم، ثلاثة من الذنوب تنزع الإيمان من العبد، أولها: أن لا يشكر الله تعالىٰ علىٰ ما ألزم به من الإيمان، الثاني: أن لا يخاف فوت الإيمان عنه، والثالث: أن يظلم علىٰ أهل الإسلام)[١]

عن وهب بن منبه: كان في بني إسرائيل سبعون زاهدًا ليس في زمانهم مثلهم، فأوحى الله إلىٰ نبي زمانهم أن هؤلاء السبعون يخرجون من الدنيا كفار، قال: يا رب لم ذلك؟ قال: لأنهم أمنوا عاقبة أمورهم

عن علي بن أحمد كنت أطوف حول البيت، فإذا أنا برجل متعلق بأستار الكعبة يقول: اللهم أخرجني من الدنيا مسلمًا، لا يزيد علىٰ ذلك فقلت له في ذلك، قال: كان لي أخوين كان الأكبر منهما ابن أربعين سنة فلما حضرته الوفاة دعا بالمصحف فظننت أنه يقرأ شيئًا فأخذه بيده فقال: إني بريء عما هو فيه وأنه تحول إلىٰ دين النصرانية، فمات نصرانيًا[٢]

فلما توفي جعل الأخ الأصغر ابن ثلاثين سنة، فلما حضره الموت فجعل كذلك.

فأنا أخاف علىٰ ديني أن أصير مثلهما

وروي عن جعفر بن محمد قال: يكادح إبليس في دقيقتين فقدر عليهم في وقت ثالث

=

يخف من سلب الإيمان فهو في خطر

شكا نبي من بني إسرائيل الجوع والفقر فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: عبدي أما رضيت أن عصمت قلبك أن تكفر بي حتى تسألني الدنيا، فأخذ التراب ووضعه علىٰ رأسه وقال: بلى يا رب قد رضيت .

بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ٣٥٨) من تحقيقنا . طبعة دار الكتب العلمية .

(١) وجدناه بالهامش

(٢) قال الحسن البصري رحمه الله دخل بعض الفقراء بلاد الروم فرأى جارية جميلة، فافتتن بها فخطبها فأبوا أن يزوجوه حتى يتنصر فأجابهم إلىٰ ذلك، فأحضروا القسيس وتنصر، فخرجت الجارية وبصقت في وجهه وقالت: ويحك تركت دين الحق لشهوة ساعة فكيف لا أترك أنا دين الباطل لنعم الأبد أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله

يكادح معه في وقت الصحة والشباب يقول له: ذق الدنيا، فإنك أسد من الأسود، فإن شخت تبت إلىٰ الله كما فعل فلان

فإذا شاخ وكبر جيء إليه فيقول له بوسوسة فراشك نجس وبدنك كذلك، والصلاة جائزة غير أنها في مكان طاهر أفضل فأخر الصلاة حتى تصبح فتقضيها حينئذ.

فإذا أجابه وترك الفرائض بوسوسته يجيء إليه عند النزع يقول وهو جالس عند رجليه: أيها العبد إنك تكسب المعاصي بأمري، وتركت الفرائض، فآمن بي لأنجيك من هذه الشدة

فمن أدركه الشقاوة آمن به فيخرج من الدنيا كافرًا ومن أدركته السعادة، من أدركته رحمة الله رد عليه قوله ويخرج مؤمنًا، أعاذنا الله من خاتمة السوء

فإياك يا مسكين أن تغفل عن الله طرفة عين

فإذا فعلت ذلك كنت في خطر عظيم

فكفاك من المواعظ خوف سوء الخاتمة(١)

وحسب ذلك من الأطعمة ما يقوم به صلبك ومن الكسوة ما يقي من الحر والبرد عن الجسد

وحكي أن برصيصا الزاهد عَبَدَ الله تعالىٰ في صومعته مائتي وعشرين سنة لم يعص الله طرفة عين فصار هو كافر في آخر عمره

وكان ستين ألفًا من تلامذته يمشون في الهواء ببركته

وقصته(٢) أنه عَبد الله تعالىٰ فتعجبت الملائكة من عبادته، قال الله تعالىٰ لهم:

---

(١) روي أن العبد إذا كان عند الموت قعد عنده شيطانان الواحد عن يمينه علىٰ صفة أبيه يقول: يا بني إني كنت عليك ولك محبا ولكن مت علىٰ دين النصارى وهم خير الأديان، والآخر عن شماله علىٰ صفة أمه يقول: يا بني إنه كان بطني لك وعاء وثديي لك سقاء وفخذي لك وطاء ولكن مت علىٰ دين اليهود وهو خير الأديان . ذكره أبو الحسن القابسي في شرح ابن أبي زين له، وذكره بمعناه أبو حامد في كتاب (علم الآخرة)

(٢) قال ابن حجر بسنده عن علي ﷺ إن راهبًا تعبد ستين سنة وإن شيطانًا أراده فأعياه فعمد إلىٰ امرأة فأجنها ولها إخوة فقال لإخوتها: عليكم بهذا القس فيداويها قال: فجاؤا بها إليه فداواها، وكانت عنده فبينما هو يوما عندها إذ أعجبته فأتاها فحملت فعمد إليها فقتلها، فجاء =

لماذا تعجبون منه ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ في علمي أنه يكفر ويدخل النار أبد الأبدين

فسمع إبليس ذلك وعلم أن هلاكه علىٰ يده فجاء إلىٰ صومعته علىٰ شبه عابد قد لبس المسح فناداه فقال له برصيصا: من أراد عبادة الله فالله يكفيه صاحبًا

فقام إبليس يعبد الله ثلاثة أيام لم ينم ولم يشرب ولم يأكل

فقال برصيصا أنا أفطر وأنام وآكل وأشرب وأنت لا تشرب ولا تأكل

ثم قال: إني عبدت الله مائتين وعشرين سنة فلا أقدر علىٰ ترك الأكل والشرب .

قال إبليس: إني أذنبت ذنبًا فمتى ذكرته تنغص عليَّ النوم والأكل والشرب

قال برصيصا: ما حيلتي حتى أصير مثلك؟

قال إبليس: اذهب واعصي الله ثم تب إليه فإنه رحيم حتى تجد حلاوة الطاعة .

قال: كيف أعصيه بعد ما عبدته كذا وكذا سنة

قال إبليس: الإنسان إذا أذنب يحتاج إلىٰ المعذرة

قال: أي ذنب تشير عليّ ، قال: الزنا

قال: لا أفعله، قال: أن تقتل مؤمنًا، قال: لا أفعله

قال: اشرب المسكر(١) فإنه أهون، وخصمك الله

= إخوتها فقال الشيطان للراهب: أنا صاحبك إنك أعييتني أنا صنعت هذا بك فأطعني أنجك مما صنعت بك فاسجد لي سجدة فسجد له قال: إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين فذلك قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦﴾

تفسير ابن كثير (٤/ ٣٤١)

(١) اتفقوا علىٰ أن الخمر حرام قليلها وكثيرها، وفيها الحد ، وكذلك اتفقوا علىٰ أنها نجسة وأجمعوا علىٰ أن من استحلها حكم بكفره، واتفقوا علىٰ أن كل شراب مسكر كثيره فقليله وكثيره حرام ويسمى خمرًا وفيه الحد ، وسواء كان ذلك من عصير العنب النيء أو مما عمل من التمور والزبيب والحنطة والشعير والذرة والأرز والعسل والجوز ونحوها مطبوخًا كان ذلك أو نيئًا ، إلا أن أبا حنيفة فإنه قال: نقع التمر والزبيب إذا اشتد كان حرامًا قليله وكثيره .

اختلاف الأئمة العلماء (٢/ ٣٩٣) من تحقيقنا . طبعة دار الكتب العلمية .

قال: أين أجده؟ قال: اذهب إلىٰ كذا

فذهب فرأى امرأة جميلة واشترى منها الخمر وسكر وزنا بها، فدخل عليها زوجها فضربه وقتله ثم إن إبليس تمثل في صورة إنسان وسعى به إلىٰ السلطان

فأخذه وجلده للخمر ثمانين جلدة وللزنا مائة وأمر بالصلب لأجل الدم

فلما صُلب جاء إبليس إليه في تلك الصورة قال: كيف ترى حالك

قال: من أطاع قرين السوء فجزاؤه هكذا

قال إبليس: كنت في بلائك مائتي وعشرين سنة حتى صلبتك فلو أردت أنزلتك.

قال: أريد وأعطيك ما تريد

قال إبليس: اسجد لي سجدة واحدة

قال: كيف أسجد علىٰ الخشب، قال: اسجد بالإيماء، فسجد وكفر وهرب إبليس لعنة الله عليه

فذلك قوله تعالىٰ: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾ [(١)] أعاذنا الله من خاتمة السوء

(قال كعب الأحبار: إن إبليس كان خازن الجنة أربعين ألف سنة، ومعلم الملائكة ثمانين ألف سنة وواعظ الملائكة عشرين ألف سنة، وسيد الكروبيين ثلاثة

---

(١) سورة الحشر (١٦)

قال ابن جرير بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: كانت امرأة ترعى الغنم وكان لها أربعة إخوة وكانت تأوي بالليل إلىٰ صومعة راهب .

قال: فنزل الراهب ففجر بها فحملت فأتاه الشيطان فقال له: اقتلها ثم ادفنها فإنك رجل مصدق يسمع قولك فقتلها ثم دفنها .

قال: فأتى الشيطان إخوتها في المنام لهم إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم فلما أحملها قتلها ثم دفنها في مكان كذا وكذا فلما أصبحوا انطلقوا فاستعدوا ملكهم علىٰ ذلك الراهب فأتوه فأنزلوه ثم انطلقوا به فلقيه الشيطان فقال إني أنا الذي أوقعتك في هذا ولم ينجيك منه غيري فاسجد لي سجدة واحدة انجيك مما أوقعتك فيه قال: فسجد له، فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه وفقتل .

تفسير ابن كثير (٤/ ٣٤١)

ألف سنة، والروحانيين ثلاثين ألف سنة، وطاف حول العرش أربع عشرة ألف سنة، وكان اسمه في السماء الدنيا العابد، وفي السماء الثانية الزاهد، وفي الثالثة العارف وفي الرابعة الولي، وفي الخامسة التقي، وفي السادسة الحارث، وفي السابعة عزازيل، وفي اللوح المحفوظ إبليس وغافل وعاصي أمر رب العالمين. كشاف.)[١]

باب أحوال الأنبياء في الخوف

(روت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ: إذا تغير الهواء أو هبت الريح يتحمر وجهه[٢] ويتردد في الحجرة، كل ذلك خوفًا من عذاب الله

وقال ﷺ: ما جاءني جبرائيل إلا وهو يرعد فرقًا من الجبار جل جلاله)[٣]

وروي أنه أظهر لإبليس ما أظهر، فطفق جبرائيل وميكائيل عليهما السلام يبكيان، فأوحى الله إليهما (ما لكما تبكيان كل هذا البكاء؟ فقالا: يا ربنا ما نأمن مكرك، فقال الله تعالىٰ: هكذا كونا لا تأمنا مكري)

وروي أن إبليس[٤] كان اسمه عزازيل فسماه إبليس وكان في السماء الدنيا

(١) وجدناه بالهامش

(٢) روى مسلم في صحيحه (١٤/ ٨٩٩) كتاب صلاة الاستسقاء، ٣. باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر، عن عائشة زوج النبي ﷺ كان رسول الله ﷺ إذا كان يوم الريح والغيم عرف ذلك في وجهه وأقبل وأدبر فإذا أمطرت سر به وذهب عنه ذلك، قالت عائشة فسألته فقال: «**إني خشيت أن يكون عذاباً سلط علىٰ أمتي**»

(٣) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٩/ ٢٤٥)، والفتني في تذكرة الموضوعات (١٠٤)

(٤) قال السدي في تفسيره بسنده عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي ﷺ لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى علىٰ العرش فجعل إبليس علىٰ ملك السماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وإنما سموا الجن لأنهم خزان الجنة، وكان إبليس مع ملكة خازنا فوقع في صدره وقال: ما أعطاني الله هذا إلا لمزية لي علىٰ الملائكة فلما وقع ذلك الكبر في نفسه اطلع الله علىٰ ذلك فقال الله للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ **[البَقَرَة: ٣٠]** إلىٰ آخره

تفسير ابن كثير (١/ ٧٦).

عابدًا، وفي الثانية راكعًا وفي الثالثة ساجدًا، وفي الرابعة خاشعًا وفي الخامسة قانتًا، وفي السادسة مجتهدًا، وفي السابعة زاهدًا، وكان رئيسًا علىٰ اثني عشر ألف ملك

وكان جناحاه من زمرد أخضر غير اسمه وجسمه وجعله منكوسًا علىٰ مثال جسد الخنازير ووجهه كالقردة

وقيل إن إبليس عَبَد الله في السماء السابعة مائة ألف وسبعين ألف وخمسة الآف سنة، وكان خازن الجنة مع رضوان ألف سنة

ورأى علىٰ حلقة الجنة مكتوبًا إن لي عبدًا من جملة المقربين آمره أمرًا ولا يمتثل أمري بل يقصر فأطرده عن بابي وألعنه واجعل طاعته وعبادته هباء منثورًا

فقال إبليس: يا رب ائذن لي أن ألعنه فأذن له، فلعن ذلك العبد ألف سنة وهو لا يعرف أنه نفسه

وقيل في رواية أخرى أن إسرافيل نظر في اللوح المحفوظ فرأى مثل ذلك فبكى إسرافيل حتى رحمته الملائكة، فاجتمعوا عنده وسألوه عن بكائه، فقال اطلعت علىٰ سر من سر الله ﷻ، وقص عليهم ذلك، فبكت الملائكة بأجمعهم وصاحوا وقالوا: لا تدبير لنا سوى أن نذهب إلىٰ عزازيل[١] فإنه مستجاب الدعوة

فجاءوا إليه وأخبروه بما قال إسرافيل ﷺ، فرفع عزازيل يديه وقال: يا رب اللهم آمنهم من القطيعة فدعا لهم ونسي اسمه، فاستجاب دعاؤه في حقهم

وقال أبو الدرداء: كان يسمع أزيز قلب إبراهيم ﷺ إذا قام في الصلاة من مسيرة ميل خوفًا من ربه

وروي أن داود[٢] كان إذا أراد أن ينوح مكث قبل ذلك سبعًا لا يأكل من الطعام

---

(١) قال محمد بن إسحاق بسنده عن ابن عباس قال: كان إبليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكان الأرض وكان من أشد الملائكة اجتهادًا وأكثرهم علما، فذلك دعاه إلىٰ الكبر، وكان من حي يسمون جنا

تفسير ابن كثير (١/ ٧٧)

(٢) قال يزيد الرقاشي رحمه الله: خرج داود ﷺ مرة ينوح علىٰ نفسه ومعه أربعون ألفا، فمات منهم ثلاثون ألفا، فما رجع إلا في عشرة آلاف، وكان إذا جاءه الخوف سقط واضطرب حتى يقعد إنسان علىٰ رجليه وآخر علىٰ صدره تتفرق أعضاؤه ومفاصله

بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ٣٥٥) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية .

والشراب ولا يقرب النساء ثم يخرج إلىٰ البرية فيأمر سليمان أن ينادي ألا من أراد أن يسمع نوح داود فيأت ، فتأتي الوحوش والسباع والطير والهوام من الغياض والجبال والبراري ويأتي الناس والعذارى من خدورهن، وكلهم محيطون به، وسليمان ابنه قائم علىٰ رأسه فيأخذ في الثناء علىٰ ربه، ثم يضجون بالبكاء والصراخ ثم يأخذ في ذكر الجنة والنار، فيموت من الهوام وطائفة من الوحوش والسباع، ثم يأخذ في أهوال القيامة والنياحة علىٰ نفسه فيموت من كل نوع طائفة

فلما رأى سليمان من كثرة الموت قال: يا أبتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق فخر داود بعد ذلك مغشيًا

فلما أفاق يدخل بيت عبادته ويغلق بابه، ولا يزال يناجي[1]، ويأتي سليمان بقرص شعير يأكل منها

قال يزيد الرقاشي: خرج داود بالناس ذات يوم يعظهم ويخوفهم فخرج أربعين ألفًا، فمات ثلاثون ألفًا، فما رجع إلا بعشرة آلاف

وروي كان يحيى بن زكريا عليهما السلام ذات يوم علىٰ عين الإرادة وقد وقع رجليه في الماء وقد كاد العطش يهلكه وهو يقول: وعزتك وجلالك لا أذوق برد الشراب حتى أعلم أين مكاني

فهذه أحوال الأنبياء فإنهم أعز خلق الله وأصفيائه

---

(١) في أمر داود عليه السلام قال في بستان الفقراء: وداود عليه السلام نظر إلىٰ امرأة جاره أول نظرة، ثم غض طرفه، ولا إثم في ذلك، ثم اشتهى أن تكون زوجته في الحلال، فخرج زوجها إلىٰ الغزو فقتل من غير أن يتسبب داود في قتله بشيء، هذا أعظم ما ورد في قصته، وما زاد علىٰ هذا فهو باطل.

وقيل: إنه سأله أن يطلقها، قاله ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنه، وقيل: إنما كان خاطبًا وسأله أن ينزل عن خطبتها، وليس في شيء من هذا إثم، وإنما هم كانوا أعلم بالله وأشد خشية وتعظيما، فصارت هذه الأشياء عندهم عظائم لشدة إجلالهم لله وتعظيمهم لهيبته .

بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ٣٥٦) من تحقيقنا . طبعة دار الكتب العلمية .

باب أحوال الصحابة وسلف الصالحين في الخوف

قال أبو بكر ﷺ: يا ليتني كنت مثلك يا طير ولم أكن بشرًا

عن محمد بن عطاء بن خباب عن أبيه قال: كنا جلوسًا عند أبي بكر الصديق ﷺ فوقع طائر علىٰ شجرة فقال: طوبى لك علىٰ هذه الشجرة تأكل من هذه الثمار، تموت فلا يكون لك شيئًا ليتني مكانك[١]

فقلت: أنت صديق رسول الله ﷺ وصاحبه، فأعادها مرة أخرى

وكان عطاء السلمي إذا استيقظ من الليل يمس جسده مخافة أن يكون حدث به مسخ أو شيء لذنوبه

وقال أبو ذر: ليتني كنت شجرة تعضد

وكان في وجه عمر خطان أسودان من الدموع

وقال عائشة ﷺ: وددت كنت نسيًا منسيًا مع ما بشرها به المصطفى أنها سيدة أهل الجنة

ولما سمع عمر ﷺ من رجل يقرأ والطور[٢] في الصلاة فوقف يستمع، ولما بلغ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾[٣] أسند إلىٰ الحائط ووقع

---

(١) قال أبو بكر الصديق ﷺ وددت أني خضرة تأكلني الدواب مخافة العذاب

وقال عمر ﷺ : من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد، ولولا يوم القيامة لكان الأمر غير ما ترون .

وقال أيضًا: لو وقفت بين الجنة والنار، فخيرت بينهما وبين أن أصير رمادًا اخترت أن أكون رمادًا .

بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ٣٥٤) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) قال ابن أبي الدنيا بسنده عن جعفر بن زيد العبدي قال: خرج عمر يعس المدينة ذات ليلة فمر بدار رجل من المسلمين فوافقه قائما يصلي فوقف يستمع قراءته فقرأ ﴿وَٱلطُّورِ ۝١﴾ حتى بلغ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾ قال قسم ورب الكعبة حق، فنزل عن حماره واستند إلىٰ حائط فمكث مليا ثم رجع إلىٰ منزله فمكث شهرًا يعوده الناس لا يدرون ما مرضه ﷺ

تفسير ابن كثير (٤/ ٢٤٠) .

(٣) سورة الطور (٧-٨)

مغشيًا، ومكث شهرًا يعوده الناس لا يدرون ما مرضه

وروي أن فتى من الأنصار دخلت خشية النار فكان يبكي حتى حبسه في البيت، فجاء النبي ﷺ ودخل عليه فأعتنقه وخرّ ميتًا

فقال ﷺ: «**جهزوا صاحبكم فإن الفرق من النار فتت كبده**»(١)

وقرأ صالح المري علىٰ ستة أنفس ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ (٢) فخروا مغشيًا عليهم

فإذا ثلاثة قد أفاقوا وثلاثة قد لحقوا بالله

وقال حاتم الأصم: لا تغتر بموضع صالح، فلا مكان أصلح من الجنة، فلقي آدم ﵇ ما لقي فيها، ولا بكثرة العبادة فإن إبليس بعد طول تعبد لقي ما لقي(٣)

ولا تغتر بكثرة العلم فإن بلعام بن باعوراء كان يحسن اسم الله الأعظم، فانظر ما لقي، ولا تغتر بقرابة الصالحين ولا نسبتهم

فلا شخص أكبر من المصطفى ﷺ لم ينتفع بلقائه أقاربه وأعدائه

عن فرقد السبخي قال: بلغني عن بني إسرائيل أنه دخل بيت المقدس خمسمائة جارية عذراء عليهن لباس الصوف والمرقعات فذكرن ثواب الله وعقابه فمُتن جميعًا

---

(١) أخرجه: الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٩٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٦٢)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ١٨٢)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٣٦٥)

(٢) سورة إبراهيم (١٤)

(٣) قال إبليس يا رب أخرجتني من الجنة لأجل آدم وإن لا أقدر عليه إلا بتسليطك فقال: أنت مسلط عليه، قال: زدني، قال: لا يولد له ولد إلا ولك مثله إلىٰ آخر كلامه

قال آدم: يا رب قد سلطته علي فلا أمتنع منه إلا بك .

قال: لا يولد لك ولد إلا وكلت به من يحفظه، قال: زدني، قال: لا أنزع عنهم التوبة ما دامت أرواحهم في أجسادهم، قال : زدني، قال: اغفر لهم ولا أبالي قال: اكتفت اكتفيت .

فقال إبليس : يا رب جعلت في بني آدم الرسل وأنزلت عليهم الكتب فما رسلي، قال: الكهان، قال: فما كتبي، قال: الوشم، قال: فما حديثي؟ قال: الكذب، قال: فما قرآني، قال: الشعر، قال: فما مؤذني، قال: المزمار، قال: فما مسجدي؟ قال: الأسواق، قال: فما بيتي، قال: الحمام، قال: فما طعامي: قال: الذي لا يذكر عليه اسمي، قال: فما شرابي؟ قال: المسكر .

انظر بستان الفقراء (٢/ ٣٣٥) من تحقيقنا . طبعة دار الكتب العلمية .

في مقعد واحد من هيبة الله تعالى، جعلنا الله وإياكم من الفائزين بحق محمد وآله أجمعين

باب فضيلة الفقر

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلۡ مَتَـٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٌ﴾ [النِّساء: ٧٧] الآية

وروي أن جبرائيل نزل علىٰ رسول الله ﷺ فقال يا محمد إن الله يقرئك السلام ويقول لك: أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبًا ويكون حيث تكون كنت

فأطرق رسول الله ﷺ رأسه ساعة ثم قال: «يا جبرائيل الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له، يجمع فيها من لا عقل له»[(١)]

فقال له جبرائيل: يا محمد ثبتك الله بالقول الثابت

وروي أن عيسى عليه السلام مرّ في سياحته برجل نائم ملتف في عبائه فأيقظه ، فقال: قم يا نائم فاذكر الله، قال: وما تريدني يا عيسى إني تركت الدنيا لأهلها فقال: فنم إذًا حبيبي

(قال الفقيه رحمه الله: اعلم أن للفقير[(٢)] خمسًا من الكرامات: أحدها: أن ثواب عمله أكثر من ثواب عمل الغني في الصلاة والصدقة وغير ذلك

والثاني: إنه إذا اشتهى شيئًا لا يجده يكتب من الأجر، والثالث: أنهم سابقون

---

(١) أخرجه: الزبيدي في الاتحاف (٩/ ٢٧٥)،والقاضي عياض في الشفا (١/ ٢٨٠)، وفي مناهل الصفا (٢٥)

(٢) روي أنه كان في زمن الحجاج رجل معروف باليسار فافتقر، واجتمع عليه دين فقصد الحجاج ودخل عليه فرآه ساجدًا وهو يبكي ويسأل الله تعالىٰ حاجة فلما رأه كذلك رجع وقال: اسأل مما يسأل الحجاج فلما رفع الحجاج رأسه فأخبر بالقصة، فاستدعى الرجل فلما حضر قال له: ما الذي حملك علىٰ الاتيان والرجوع؟

فقال: كان عليَّ خمسمائة درهم دينا، فقلت: أسألك لتقضي ديني، فلما رأيتك تسأل الله حاجة . قلت: ارجع وأسأل ممن يسأله الحجاج، فأمر له بألف درهم وقال له: أوف دينك والباقي أنفقه عليك وعلىٰ عيالك واعلم أن ذلك من الله تعالىٰ لا من الحجاج .
بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ٣٢٨) من تحقيقنا . طبعة دار الكتب العلمية .

إلىٰ الجنة، والرابع أن حسابهم في الآخرة أقل، والخامس: أن ندامتهم أقل من الأغنياء، لأن الأغنياء يتمنون في الآخرة لو كانوا فقراء، ولا يتمنون الفقراء ن لو كانوا أغنياء وفي كل هذا جاءت الآثار به)(١)

وقال ﷺ: «**دخلت الجنة فسمعت حركه أمامي فنظرت فإذا بلال، ونظرت في أعلاها فإذا فقراء أمتي وأولادهم، ونظرت في أسفلها فإذا فيهم الأغنياء والنساء قليل فقلت: يا رب ما شأنهم، فقال: أمَّا النساء فأخرهن الأحمران الذهب والزعفران، وأما الأغنياء فاشتغلوا بطول الحساب** .

فتفقدت أصحابي فلم أر عبد الرحمن بن عوف، ثم جاءني بعد ذلك وهو يبكي فقلت: ما خلفك علي فقال: والله يا رسول الله ما خلصت إليك حتى لقيت السيئات.

فقلت: لما، قال: أحاسب بمالي»، فانظر إلىٰ هذا وهذا عبد الرحمن صاحب السابقة العظيم(٢) مع رسول الله ﷺ

وروي أن أبا الدرداء قال: ذو الدرهمين أشد حسابًا يوم القيامة من ذي الدرهم)(٣)

وقال أبو هريرة: ثلاثة يدخلون بغير حساب رجل يريد أن يغسل ثوبه فلم يكن له خلقًا يلبسه ورجل لم ينصب علىٰ مستوقد قدرين، ورجل دعا سرًّا(٤)

وروي عن أنس: أن الفقراء أرسلوا رسولاً إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: إني رسول الفقراء إليك، فقال: «**مرحبًا بك وبمن جئت من عندهم جئت من عند قوم أحبهم**»(٥) فقال: يا رسول الله الأغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا نقدر عليه،

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) روى أحمد في مسنده (٦/ ١١٥) من حديث أنس، أن عبد الرحمن أثرى وكثر ماله حتى قدمت له مرة سبعين راحلة تحمل البر والدقيق، فلما قدمت سمع لها أهل المدينة رجة، فبلغ ذلك عائشة فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**عبد الرحمن بن عوف لا يدخل الجنة إلا حبوًا**» فلما بلغه قال: يا أمة أشهدك أنها بأحمالها وأحلاسها في سبيل الله

(٣) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٤٠٧)، وذكره الهندي في الكنز (٦١١٨)

(٤) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٩/ ٢١٢، ٢٨٢)

(٥) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٩/ ٢٨٧)

ويتصدقون ولا نقدر عليه، وإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم، ولا نقدر عليه، فقال النبي ﷺ **«بلغ عني إن للفقراء لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليس منها للأغنياء شيئًا: أحديها أن في الجنة غرفًا ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض إلىٰ نجوم السماء ولا يدخلها إلا نبي فقيرًا، وشهيدًا فقيرًا ومؤمن فقيرًا»**.

وثانيها: يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام[1] يتنعمون فيها حيث شاءوا والأغنياء في الحساب، وثالثها: إذا قال الغني سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير ولو أنفق معها عشرة الآف درهم

وكذلك أعمال البر كلها

فرجع إليهم الرسول وأخبرهم فقالوا: رضينا رضينا يا رب، وهذا للفقير لذي تمنعه عوائق عن الله وعدم الشغل عنه

وكم من غني لم يشغله الغنى مثل سليمان بن داود عليهما السلام، وعبد الرحمن بن عوف[2]

وكم من فقير شغله الفقر وصرفه عن المقصد في الدنيا ولا يكون ذلك إلا بعد معرفة سلوك سبيل الآخرة

وقال عيسى عليه السلام: لا تنظر إلىٰ أموال الغني فإن تقليب النظر في أموالهم يذهب بنور إيمانكم

وروي أن فاطمة حين زوجها النبي ﷺ من عليّ دعا أبا بكر وعمر، وسلمان

---

(١) أخرجه: الترمذي في سننه (٢٣٥٣) وأحمد في مسنده (٢/ ٥١٣)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٢٢٢، ٩/ ٢٨٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٢٤٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٩١، ٨/ ٣٠٧)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٣٦٣)

(٢) أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلىٰ الإسلام، وأحد الستة أصحاب الشورى، وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو وقيل عبد الكعبة ، قال عبد الرحمن: كان اسمي عبد عمرو فسماني رسول الله عبد الرحمن، توفي سنة (٣٢ هـ)

الفارسي وأسامة ليحملوا جهاز فاطمة(١) فحملوا طاحونة وجلدًا مدبوغًا ووسادة حشوها ليف، وسبحة من نوى وركوة وقصعة فبكى أبو بكر وقال: هذا جهاز فاطمة.

فقال النبي ﷺ: «**يا أبا بكر هذا كثير لمن كان في الدنيا عابر سبيل**»

فخرجت فاطمة وعليها شملة من صوف، رقعت باثنا عشر مكانًا، وكانت تطحن الشعير باليد، وتقرأ القرآن باللسان، وتفسره بالقلب وتحرك المهد بالرجل وتبكي بالعين

وفي زماننا هذا المرأة تضرب الدف باليد، وتغتاب باللسان وتحب الدنيا بالقلب وتغمز بالعين وترقص بالرجل فكيف تدخل الجنة

باب آداب الفقير

اعلم أن للفقير(٢) آداب في باطنه وظاهره ومخالطته وأفعاله

فأما الباطنة: بأن لا يظهر منه كراهة لما ابتلاه الله به من الفقر، فهذا أقل درجاته وهو واجب، ونقيضه حرام ومحبط لثوابكم بالفقر

---

(١) اتفقوا على أن الصداق مشروع لقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾ [النِّساء: ٤]

واختلفوا هل ينفسخ النكاح بفساد الصداق أم لا؟ فقال أبو حنيفة والشافعي: لا يفسد النكاح بفساد المهر، وعن أحمد روايتان أحدهما: كمذهب الشافعي وأبي حنيفة، والأخرى: يفسد بفساده.

واختلفوا هل يقدر الصداق أم لا؟

فقال مالك وأبو حنيفة: يقدر بما يقطع به السارق مع اختلافهما في قادره عند أبي حنيفة: يقدر بما يقطع به السارق مع اختلافهما في قادره، فهو عند أبي حنيفة عشرة دراهم أو دينار، وعند مالك ربع دينار أو ثلاث دراهم، وقال أحمد والشافعي: لا حد لأقل المهر وكل مال جاز أن يكون ثمنا جاز أن يكون مهرًا.

اختلاف الأئمة العلماء (٢/ ١٥٢، ١٥٣) من تحقيقنا. طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٩/ ٢٨٣، ٢٩٥، ٦٥٠)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ١٩٥)

قال ﷺ: «**يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم، تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا**»(١)

وأرفع من هذا أن لا يكون كارهًا للفقر بل يكون راضيًا وأرفع منه أن لا يكون طالبًا

وقيل: ما أعطي عبد شيء في الدنيا إلا مثل له ثلاث مثلات: شغل، وهم، وطول حساب

(عن ابن عباس رضي الله عنه قال: مر موسى علىٰ ساحل البحر فرأى كافرًا ومؤمنًا يصيدان السمك كان الكافر يسجد للصنم ويرمي الشبكة باسمه والمؤمن يسجد لله ويذكره ويرمي الشبكة، فتوقف موسى عجبًا

فلما كان ساعة أخرج الكافر شبكة مملؤة سمكًا وأخرج المؤمن شبكته خالية من السمك، فتعجب موسى حتى فعل ذلك ثلاث مرات فلما كان في المرة الثالثة أخرج المؤمن الشبكة فإذا فيها سمكة

فلما أراد أخذها خرجت السمكة من الشبكة وهربت في البحر، فبكى موسى وقال: إلهي لم يبق لي صبر(٢) من غم هذا المؤمن

فأوحى الله إليه يا موسى انظر فمثلت له الجنة مفتوحة أبوابها علىٰ بابها مكتوب اسم هذا الرجل المسلم

---

(١) الفقر مقام شريف وهو يقتضي مقام الصبر والفقير هو الذي أحصر في سبيل الله، ولا يستطيع ضربا في الأرض يحسبه الجاهل غنيا من التعفف وتعرفه بسيماه لا يسأل الناس إلحافا، والصوفية سموا فقراء لتخليهم عن الأملاك، وحقيقة الفقر الصوفي أن لا يستغني العبد إلا بالله ورسم هذا الفقر عدم الأسباب كلها، ونعت الفقير الصوفي السكون عند العدم والبذل والايثار عند الوجود المعجم الصوفي (ص١٩٤)

(٢) الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب والفناء في البلوى بلا ظهور شكوى وهو علىٰ أقسام فصبر علىٰ ما هو كسب للعبد، وصبر علىٰ ما ليس بكسب، والصبر علىٰ المكتسب قسمان: صبر علىٰ ما أمر الله تعالىٰ به، وصبر علىٰ ما نهى عنه، وأما الصبر علىٰ ما ليس بمكتسب للعبد فصبره علىٰ مقاساة ما يتصل به من حكم الله فيما يناله فيه من مشقة، وللأهل الصبر ثلاث مقامات ، الأول ترك الشكوى وهو درجة التائبين، والثاني الرضا بالمقدور وهو درجة الزاهدين، والثالث المحبة، أي محبة ما يفعله المولى به وهو درجة الصديقين المعجم الصوفي (ص١٤١) .

وفيها مدائن من فضة وقصور من ذهب مملؤة من نعيم الجنة

ومثل له قصرًا من نار وعلىٰ بابه مكتوب اسم ذلك الرجل الكافر فيه بيت مملؤ من الحيات والعقارب

فأوحى الله إليه: يا موسى قل للعبد المؤمن أيهما أحب إليك أن أسوق إليك حيتان البحر بدلاً عن نعيم الجنة

فعرض عليه موسى فبكى الرجل وقال: إلهي إن منعت عني الرزق صبرت طمعًا لرضاك فكيف الرضا بالجنان)[١]

وأما ظاهره: فبأن يظهر التحمل والتعفف لا يظهر المسكنة والفقر بل يستر فقره.

وقال علي رضي الله عنه: من علامات عقوبة الله بالفقر[٢] أن يشق عليه خلقه ويعصي ربه، ويكثر الشكاية ويسخط القضاء

(قال عيسى عليه السلام إن مثل هذه الدنيا كمثل رجل يسير في مفازة فإذا هو بجمل هائج، فنظر ورائه فإذا الجمل يريده، ونظر قدامه فإذا المفازة ليس فيها ملجأ

فيعدوا والجمل خلفه، فلما أعياه الجمل نظر قدامه فرأى جُبا تحت رجليه، فيقول: أطرح نفسي في هذا الجب لعلي أنجو من هذا الجمل، فيطرح نفسه في الجب فيقع علىٰ شجرة فتعلق بها

فوقف الجمل فوق الجب وهو متعلق بالشجرة فيقول: الجمل فوقي أفلا أنظر إلىٰ قعر الجب وإلى ما تعلقته من الشجرة هل فيها من ثقة

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) يقول الجنيد: إذا لقيت الفقير . يقصد الصوفي . فلا تبدأه بالعلم وابدأه بالرفق، فإن العلم يوحشه والرفق يؤنسه، وقيل: ليس الفقر عند الصوفية الفاقة والعدم، ولكنه الفقر المحمود الثقة بالله تعالىٰ والرضا بما قسم

والفقراء علىٰ ثلاث طبقات: فمنهم من لا يملك شيئًا ولا يطلب بظاهره ولا بباطنه من أحد شيئًا، ولا ينتظر من أحد شيئًا، ولا يسأل أحدًا، ولا يطلب ولا يعرض، وإن أعطي شيئًا من غير مسألة أخذ، ومنهم من لا يملك شيئًا وإذا احتاج انبسط إلىٰ بعض إخوانه ممن يعلم بفرحه بانبساطه إليه فكفارة مسألته صدقة .

المعجم الصوفي (ص١٩٤) .

فنظر إلىٰ قعر الجب فإذا هو ثعبان أسود فاغراً فاه يريده إلىٰ نفسه

وقال: الجمل فوقي والثعبان تحتي فنظر إلىٰ الشجرة هل لها أصل ممسك، فإذا أهله متعلق بعرقين وإذا فأرتان أحدهما سوداء والأخرى بيضاء يقطعان العرقين ولا يزال يتفكر فيما يتوقعه إذا نظر إلىٰ غصن من أغصان الشجرة عليها ثمرات فتناول منها فيجدها حلوًا فيأكلهما فنسب الثعبان تحته والجمل فوقه، ويتلذذ بثمرات ولا يشعر بشيء حتى يقطع الفأرتان عرق الشجرة فيهلك

فهذا مثل صاحب الدنيا، أما الجمل فملك الموت يطلب روحه، وأما الشجرة التي تعلق بها فأجله الذي تعلق بنو آدم وأما الفأرتان فالليل والنهار يقطعان من عمره وأما الثعبان تحته فهي النار والقبر، وأما الثمرات فهي حطام الدنيا، فقد ذاق بنو آدم ورضوا بها ونسوا ملك الموت من خلفه وجهنم من تحته والليل والنهار يقطعان عمره ورضي بحطامها ونسي هذه الأشياء حتى يقطع الليل والنهار عمره ويقع في القبر)[١]

وأما في مخالطته أن لا يتطاول، يتواضع لغني لأجل غنائه بل ينكر عليه ولا يرغب في مجالستهم

وقال الثوري: إذا خالط الفقراء الأغنياء[٢] فاعلم أنه مراء، فإذا خالط السلطان فاعلم أنه لص فإذا طمع فيهم انقطعت عصمته

فإذا سأل منهم ضل

وينبغي أن لا يسكت عن ذكر الحق طمعًا عن عطائهم وأما أفعالهم بأن لا يفتر

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) تناظر الصوفية فيما إذا كان الغني الذي أنعم الله عليه بنعمة المال فشكر الله علىٰ نعمته أفضل أم الفقير الذي يعلن الرضا بما قسم الله له من غير شكوى، فقال بعضهم: إن الغني وهو صفة من صفات الله أفضل من الفقر الذي هو من صفات العبد لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [لقمان: ٢٦] ، وقوله تعالىٰ: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥﴾ [فاطر: ١٥] ، واستشهدوا بالحديث: «**اليد العليا خير من اليد السفلى**» أي اليد التي تعطي خير من اليد التي تأخذ

أما كبار الصوفية مع استثناء عدد قليل منهم فيفضلون الفقر علىٰ الغنى .

المعجم الصوفي (ص١٩٤، ١٩٥) .

بسبب الفقر عن عبادته ولا يمنع بذل ما يفضل عنه لفقيرًا آخر، فإنه ذلك جهد المقل وفضله أكثر من كثير من غني وأن لا يدخر لغد إلا ليوم وليلة، ولا يأخذ إلا قدر الحاجة، ويخرج الباقي

وأما آدابه في قبول العطاء بغير سؤال ثلاثة أمور: أحدها: الهدية، فلا بأس بقبولها وقبولها سنة رسول الله ﷺ

لكن ينبغي أن لا يكون فيها المنة، فإن كان فيه المنة فأولى تركها

وروي عن النبي ﷺ قال: من أتاه رزقًا من غير مسألة فردها فإنما يرد علىٰ الله[1]، وإن كان في بعضها سنته فليرد البعض دون البعض

لما روي أنه أهدى لرسول الله ﷺ سمنًا وأقطًا وكبشًا، فقبل السمن والأقط ورد الكبش

والاستحباب علىٰ الواعظ والعالم آكد

وقد كان الحسن يقبل من أصحابه، وإبراهيم التيمي يسأل أصحابه درهمين وإن يأخذ ما أخذ من السلطان ليتصدق به علىٰ الفقراء

وكان مالك والشافعي يأخذون جوائز الخلفاء والسلاطين مع العلم أنهم قد خالط مالهم الحرام ويفرقونها للمستحقين

الثاني: أن لا يكون غرض المعطي الشهرة والرياء والسمعة[2] فينبغي أن يرد عليه ولا يقبله لقصده الفاسد، وإن قبل يكون معينًا علىٰ عرضه الفاسد وإن كان محتاجًا إليه فالأفضل الأخذ لما روي

(١) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٩/ ٢٩٨، ٢٩٩)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٢٠٢)

(٢) في حديث البخاري ومسلم المتقدم «**سبعة يظلهم الله في ظله** ... » وفيه «**ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله**»

قال النووي: قال العلماء: وهذا في صدقة التطوع فالسر فيها أفضل لأنه أقرب إلىٰ الإخلاص وأبعد من الرياء، وأما الزكاة الواجبة فإعلانها أفضل وهكذا حكم الصلاة فإعلان فرائضها أفضل وإسرار نوافلها أفضل لقوله ﷺ: «**أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة**» شرح مسلم للنووي (٧/ ١٠٩) طبعة دار الكتب العلمية .

قال ﷺ: «**ما المعطي من سعته أعظم أجرًا من الآخذ إذا كان محتاجًا**»[١]

الثالث: أن يترك ولا يأخذ ليصرفه صاحبه إلىٰ ما هو أحوج منه

فهذه آداب الفقير

باب الزهد

اعلم أن الزهد[٢] في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين بطريق الآخرة

وقال ﷺ: «**من آثر الدنيا علىٰ الآخرة ابتلاه الله بثلاث: هم لا يفارق قلبه أبدًا، وفقر لا يستغني به أبدًا، وحرصًا لا يشبع به أبدًا**»

(وحكي أن واحدًا من الصحابة جاع بطنه فلم يجد شيئًا ليصرفه في نفسه، فلما أمسى قام وذهب إلىٰ بيت أبي بكر رضي الله عنه فأخبرهم من جوعه واحتياجه إلىٰ اللقم فما وجدوا شيئًا ليعطوه فرجع خائبًا، فذهب إلىٰ باب عمر رضي الله عنه فسألهم فما وجدوا شيئًا لينفقوه فرجع خائبًا، فذهب إلىٰ باب عثمان رضي الله عنه، فسألهم فما وجدوا شيئًا ليعطوه فانصرف خائبًا

فذهب إلىٰ بيت علي رضي الله عنه فلم يجد شيئًا فانصرف خائبًا فذهب إلىٰ بيت رسول

---

(١) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٩/ ٢٩٩، ٤/ ١٦٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٣٤٥)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٢٦٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٠١)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٤٢٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٦٠٠)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٦٣)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٢٢٦، ٤/ ٢٠٣)

(٢) الزاهد لا يملك مع الله سببًا، ولا يبلغ أحد حقيقة الزهد حتى تكون فيه ثلاث خصال: عمل بلا علاقة، وقول بلا طمع، وعز بلا رياسة، والزهد في الحرام لأن الحلال مباح، وهو في الحرام واجب، وفي الحلال فضيلة

وزهد المحسنين ومن تحتهم من الصالحين والمؤمنين والمسلمين إنما هو في الدنيا ولذاتها، وزهد الشهداء في الدنيا والآخرة جميعًا، وزهد الصديقين في سائر المخلوقات فلا يشهدون إلا للحق وأسمائه وصفاته.

المعجم الصوفي (ص١١٧).

الله ﷺ فأخبر عن جوعه وذهبه إلىٰ بيوت الصحابة ورجوعه منهم خائبًا، فقال ﷺ لو ذهبت إلىٰ باب مائة من المخلوقين منهم طمعًا لرجعت خائبًا إلا إذا سألت من الله تعالىٰ الغني الكريم المعطي لعباده أرزاقهم، فدخل الجائع المسجد فقطع الطمع من المخلوقين وسأل من الله تعالى، فما خرج من المسجد إلا وصل الله تعالىٰ إليه رزقه، فأكل وشبع فحمد الله تعالىٰ وصلى ركعتين شكرًا له كما قال الشاعر:

كيف أخاف العسر والله رازقي ورازق كل الخلق في العسر واليسر
تكفل في أرزاق الخلائق كلهم والوحش في الصحراء والحوت في البحر

قوله ﷺ: «**والقناعة**[١] **راحة**» يعني والقناعة علىٰ أرزاق الله تعالىٰ راحة القلب والنفس كما قال ﷺ إن الزاهد في الدنيا يريح قلبه وبدنه في الدنيا والآخرة، والراغب فيها يتعب قلبه وبدنه في الدنيا والآخرة)[٢]

وقيل إن الزاهدين في الدنيا اختاروا ثلاثة أشياء والراغبون فيها اختاروا أيضًا ثلاثة أشياء

أما الزاهدون اختاروا فراغة القلب عن تشويش الدنيا، وراحة البدن عن تعب الدنيا ونصيبها

واختاروا الآخرة بترك الدنيا

أما الراغبون فيها اختاروا ثلاثة: شغل القلب وتعب النفس، وترك الآخرة باختيار الدنيا. نقل من حديث الأربعين)[٣]

وقيل لعيسى ﷺ يا نبي الله لو أمر أمرتنا أن نبني بيتًا نعبد الله، قال: فاذهبوا فابنوا بنيانًا علىٰ الماء

---

(١) قال الشافعي رحمه الله

عزيز النفس من لزم القناعة ولم يكشف لمخلوق قناعه
أفادتني القناعة كل عز وأي غنى أعز من القناعه
فصيرها لنفسك رأس مال وصيرها مع التقوى بضاعه

(٢) أخرجه: أحمد بن حنبل في الزهد (١٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٥٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٨٦)، والقضاعي في مسند الشهاب (٢٧٨)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٣٣٤)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٤٥١، ٥٣٢)

(٣) وجدناه بالهامش

فقالوا: كيف يستقيم بنيان علىٰ الماء

قال: كيف يستقيم العبادة علىٰ حب الدنيا

وروي أنه ﷺ قال:[١] «**لا تزال لا إله إلا الله ترفع عن العباد سخط الله ما لم يؤثر دنياهم علىٰ دينهم، فإذا فعلوا ذلك وقالوا: لا إله إلا الله، قال الله تعالىٰ: كذبتم لستم بها صادقين**»

وقال يوسف بن أسباط[٢]: إني لأشتهي من الله ثلاث: أن أموت حين أموت وليس في ملكي درهم ولا يكون عليّ دين ولا علىٰ عظمي لحم، فأعطاني ذلك كله.

وروي أن عيسى عليه السلام كان يلبس الصوف ويأكل الشعير والشجر، وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب، ولا يدخر لغد، أينما أدركه المنام نام

وأما تفضيل الزهد فبأوجه مهمات:

الأول: المطعم، فلا بد للإنسان من قوت حلال يقمن صلبه ولا يزيد علىٰ دفع الجوع عند شدة الجوع، ولم يدخر من غدائه لعشائه، وهذا أقوى الدرجات الثلاث

الثانية: الوسطى من الدرجات: أن يدخر شهرًا أو أربعين يومًا

الثالثة: وهي أضعفها أن يدخر لسنة فقط

وهذه رتبة الضعفاء الزهاد، فمن أدرك الأكثر من ذلك فزهده محال لأنه طويل الأمل

---

(١) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٥/ ٤٨٧، ٤٨٨)، والشجري في أماليه (١/ ١٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٧٧)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٣٠)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٧٨)

(٢) يوسف بن أسباط بن واصل، أبو محمد ، أبو علي الشيباني، الكوفي، قال يحيى بن معين: ثقة

وقال العجلي: صاحب سنة وخير دفن كتبه وقال: لا يصلح فكبر عليها ، توفي سنة (١٦٥) .
ترجمته: تهذيب التهذيب (١١/ ٤٠٧)، والبخاري في التاريخ الكبير (٥/ ٣٨٥)، والتاريخ الصغير (٢/ ٢٦٥)، ميزان الاعتدال (٤/ ٤٦٢)، الجرح والتعديل (٩/ ٩٤٠)، لسان الميزان (٦/ ٣١٧)، سير الأعلام (٩/ ١٦٩)

إما بإضافة الجنس فأقله ما يقوت ولو خبزًا من نخالة وأوسطه من شعير[١] وأعلاه خبز بُر غير منخول

فأما ما ضرب النخالة فقد خرج من التزهد، ودخل في التنعيم، وأما الإدام فأقله ملح أو خل، وأوسطه الزيت، وأعلاه اللحم ـ أي لحم كان ـ وذلك في الأسبوع مرة أو مرتين، فإن زاد عن الأسبوع مرتين خرج من أبواب الزهد

الثاني: الملبس وأقل درجاته كساء يتغطاه به ويدفع الحر والبرد ويستر العورة، وأوسطه قميص وقلنسوة وأعلاه أن معه منديل وسراويل وما جاوز هذا القدر فمجاوز عن حد الزهد

وشرطه أن يكون له ثوب يلبسه إذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت

وأما الخشن فأقله المسوح الخشن، وأوسطه ما يتمالك إليه شهر، وأقله ما يبقى يومًا حتى رقع بعضهم ثوبه بورق الأشجار، وإن كان يتسارع الخرق إليه

وأوحى الله إلىٰ بعض أنبيائه قل لأوليائي: لا تلبسوا ملابس أعدائي، ولا تدخلوا مداخل أعدائي فتكونوا كما هم أعداء[٢]

---

(١) في زهد النبي ﷺ روى مسلم (٢٢) كتاب الزهد والترمذي في سننه (٢٣٥٧)، وابن ماجه (٣٣٤٦)، عن عائشة قالت: "ما شبع رسول الله ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض"

وأيضًا فيما رواه مسلم في صحيحه [٢٨ ـ (٢٩٧٢)] كتاب الزهد، عن عائشة: إنا كنا لننظر إلىٰ الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهر وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار، قال: قلت: يا خالة فما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان، التمر والماء إلا إنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم منائح فكانوا يرسلون إلىٰ رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقيناه»

(٢) رأى بعض الزهاد طعامًا وقد فاحت رائحته فاشتهاه وتبع صاحبه إلىٰ السوق، فسمع قائلا يقول: إن البطاط أخذ من جيب فلان دراهم ـ يقصد اللص فهو يشق الجيوب وبط بطا أي شقه ـ فنظروا فرأوا الزاهد فوجدوه غريبا فأخذه الوالي إلىٰ السجن وكان ذلك الطعام محمولا إلىٰ السجن لبعض الأكابر ، فلما قدمه بين يديه قال للزاهد: كل فأكل حتى شبع ثم قال: يا إلهي كنت قادرًا علىٰ أن تطعمني هذا الطعام بغير تهمة السرقة، فهتف به هاتف يقول: من طلب الجيف فليصبر علىٰ عض الكلاب

وإذا بشخص يقول: قد وجدنا اللص الذي أخذ الدراهم، فأخرجوا الغريب من السجن . بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ١٢١) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية .

وروي: أن أهل النار أصحاب الأكسية

وقال ﷺ «**لا يلبس الشعر من أمتي إلا مراء أو أحمق**»[(١)]

وقال الأوزاعي: لباس الصوف في السفر سنة وفي الحضر بدعة

الثالث: المسكن والزهد فيه ثلاث درجات أيضًا أعلاها أن لا يطلب موضعًا خاصًا لنفسه بل يقنع برؤيا المسجد كأصحاب الصفة وأوسطها أن يطلب موضعًا خاصًا مثل مبنى من سعفاء وما أشبهها شبهه، وأدناها أن يطلب حجرة من أمانة وإجارة بأن كان قدر سعته علىٰ حاجته من غير زيادة، فإن طلب أكثر من ذلك فقد جاوز حد الحد والفرض في المسكن دفع الحر والمطر والبرد، وما زاد من ذلك فضول الدنيا

وقال ﷺ: «**كل بناء وبال علىٰ صاحبه إلا ما كان لحر وبرد**»[(٢)]

ونظر عمر رضي الله عنه إلىٰ صرح قد بني بجص وقال ما كنت أظن أن هذا في هذه الأمة . يعني من بناء فرعون، هو من أول من بنى بالجص والأجر[(٣)]، فقد بنى له هامان أولاً، ثم يتبعه الجبابرة

الرابع: أثـاث البيت والزهد فيـها أيضًا درجات فأعلاها حـال عيسى عليه السلام إذا كـان لا يصحب إلا مشط وكوز، فرأى إنسانًا يمشط اللحية بأصبعه فرمى

---

(١) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٩/ ٣٥٩)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٢٢٩)، والفتني في تذكرة الموضوعات (١٥٧)

(٢) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٩/ ٣٦٢)، والبخاري في التاريخ الكبير (١/ ٨٧، ٩/ ٤٥)، وابن عساكر في تاريخ أصبهان (٢/ ٢١٦)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٢٣١)، والفتني في تذكرة الموضوعات (١٧٩) وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (١٧٦)

(٣) قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾﴾ [**غافر: ٣٦**] يقول تعالىٰ مخبرا عن فرعون وعتوه وتمرده وافترائه في تكذيبه موسى عليه السلام أنه أمر وزيره هامان أن يبني له صرحا وهو القصر العالي المنيف الشاهق وكان اتخاذه من الآجر المضروب من الطين المشوي كما قال تعالىٰ ﴿فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا﴾ [**القَصَص: ٣٨**] ولهذا قال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون البناء بالآجر وأن يجعلوه في قبورهم. ولهذا انتقم الله منه فجعله عبرة لغيره في الدنيا والآخرة

تفسير ابن كثير (٤/ ٧٩) .

المشط، ورأى آخر يشرب من النهر بكفيه فرمى الكوز

وأقلها الحذف في كل ما يكفي فيه الحذف

وأوسطه أن يكون له أثاث بقدر الحاجة، لكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصد كالذي معه قصعة واحدة يشرب فيها ويأكل الثريد فيها ويحفظ المتاع فيها

وكان السلف يستعملون كذلك فإن زاد في العدد أو مقاسة الجنس، خرج عن الزهد وركن إلىٰ الفضول

الخامس: النكاح، واعلم أن المرأة لا يشغلها عن ذكر الله، ولكن ترك النكاح احتراز من لذة النظر والمضاجعة والموافقة، فليس هذا من الزهد أصلا

فإن الولد بقاء النسل وتكثير أمة رسول الله ﷺ من القربات[١] ولا يجوز أن يترك زهدًا من غير خوف آفة أخرى

السادس: ما يكون له وعليه إلىٰ هذه الخمسة، وهذه: المال والجاه والخائض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك بل حق الزاهد أن لا ينبغي طلب الجاه أصلاً

وأما المال فينبغي أن يترك الكسب واكتسب حاجة يومه ضروريًا

ونعني بقولنا أنه خرج من حد الزهد أي ما وعد للزاهدين في الدار الآخرة من المقامات المحمودة ليناله

---

(١) في حديث «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج** » الحديث، قال النووي: في هذا الحديث الأمر بالنكاح لمن استطاعه وتاقت إليه نفسه وهذا مجمع عليه لكنه عندنا وعند العلماء كافة أمر ندب لا إيجاب فلا يلزم التزوج ولا التسري سواء خاف العنت أم لا، هذا مذهب العلماء كافة ولا يعلم أحد أوجبه إلا داود ومن وافقه من أهل الظاهر، ورواية عن أحمد فإنهم قالوا: يلزمه إذا خاف العنت أن يتزوج أو يتسرى، قالوا: وإنما يلزمه في العمر مرة واحدة ولم يشترط بعضهم خوف العنت، قال أهل الظاهر: إنما يلزمه التزويج فقط ولا يلزمه الوطء، وتعلقوا بظاهر الأمر في هذا الحديث
النووي في شرح مسلم (٩/ ١٤٨) طبعة دار الكتب العلمية .

باب التوكل

اعلم أن التوكل منزل من منازل الدين وأعلى درجات المتعبدين

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [**الطّلَاق: ٣**]

وقال الحسن: لعن الله أقوامًا ما أقسم الله لهم، ثم لم يصدقوه ثم قرأ: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [**الذّاريَات: ٢٢**] وأما الدخول في البراري، وترك العيال توكلا في حقهم، والقعود عن الاهتمام في أمرهم فهذا حرام، وقد يفضي إلىٰ الهلاك، فلا يجوز أن يضعها إلا بأن يساعدهم مع الجوع مدة

أما ترك الأسباب الدافعة رأسًا فليس من شرط التوكل كالنوم في (المسبعة)[١] أو في مجرى السيل من الوادي أو تحت الجدار المائل والسقف المنكس، فكل ذلك منهي عنه، وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة

وأما الصبر علىٰ إيذاء السباع والعقارب والذباب ليس من التوكل في شيء إذ لا فائدة

وكذلك في الأسباب الدافعة للمال لا ينقص التوكل[٢] كإغلاق باب البيت عند الخروج، ولا بأن يعقل الإبل، لأن هذا أسباب معرفة الله تعالىٰ

واختفى رسول الله في الغار عن أعين الأعداء دفعًا للضرر

أما السعي في إزالة الضرّ بمداواة المرض وأمثاله فليس من التوكل بل تركه حرام عند خوف الموت

---

(١) كذا بالأصل

(٢) قال في كتاب العقائق: إن رجلا من أهل البصرة اجتمع عليه دين فطالبه الغرماء، فلم يجد من يقرضه فهرب إلىٰ الكوفة، ودخل جامعها وقال: يا ملائكة ربي ارفعوا قصتي إلىٰ الله فإني غريب ومديون، فجاء رجل فأيقظه من نومه وقال: يا صاحب القصة اجلس فهذه ثلاثة آلاف دينار، فسأله عن ذلك فقال: كنت نائما فرأيت قائلا يقول: في المسجد غريب ومديون، وقد رفع قصته إلينا، فادفع له ثلاثة آلاف دينار، فإذا نفذن فائتني فأنا فلان ابن فلان، قال: معاذ الله أن أرفع قصتي إلا لمن أرسلك إليّ

بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ١٢٥) من تحقيقنا. طبعة دار الكتب العلمية.

وقال ﷺ ما مررت بملأ من الملائكة إلا قالوا: مُر أمتك بالحجامة»[(١)]

وروي أنه كان إذا نزل عليه الوحي صدع رأسه فكان تعليقه بالحنا

وفي الخبر أنه كان إذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء، وقد جعل علىٰ قرعة خرجت ترابًا

وما روي في تداويه وأمره بذلك خارج عن الحصر وقد صنف كتابًا وسمي طب النبي ﷺ

وروي أن موسى عليه السلام اعتل علة فدخل عليه بنو إسرائيل فقالوا له: لو تداويت بكذا لبرئت فقال: لا نداوي حتى يعافى هو من غير دواء

فطال عليه فقالوا له: هذه العلة معروفة مجرب وإنا لنداوي به فتبرأ

فقال: لا تداووا فدامت العلة، فأوحى الله إليه وعزتي وجلالي لا أبرأتك حتى تداوي[(٢)] بما ذكروه فقال لهم داووا، فداووه. فأحسن في نفسه وبرأ من ذلك، فأوحى الله إليه أردت أن تبطل حكمتي بتوكلك، من أودع العقاقير منافع الأشياء غيري

وروي أن نبيًا من الأنبياء شكى علة يجدها، فأوحى الله إليه كُل البيض

وأما الكي بالنار فليس مثل الفصد والحجامة وشرب المسهل

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٠٩)، والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٣٢٥)، والكحال في الأحكام النبوية في الصناعة الطبية (١/ ٩٦)

(٢) روى مسلم في صحيحه [٦٩ ـ (٠٠٠)] كتاب السلام ٢٦ ـ باب لكل داء دواء، واستحباب التداوي عن جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله** ﷻ »

قال النووي: في هذا الحديث إشارة إلىٰ استحباب الدواء وهو مذهب أصحابنا وجمهور السلف وعامة الخلف .

قال القاضي: في هذه الأحاديث جمل من علوم الدين والدنيا وصحة الطب وجواز التطبب في الجملة واستحبابه بالأمور المذكورة في هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم، وفيها رد علىٰ من أنكر التداوي من غلاة الصوفية، وقال: كل شيء بقضاء الله وقدره فلا حاجة إلىٰ التداوي وحجة العلماء هذه الأحاديث .

النووي في شرح مسلم (٤/ ١٦٠) طبعة دار الكتب العلمية .

والكي عادة بعض الأتراك والأعراب وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك

باب الرضا بقضاء الله تعالى

قال ﷺ «**إذا كان يوم القيامة أنبت الله تعالىٰ لطائفة من أمتي أجنحة يطيرون من قبورهم إلىٰ الجنان، فيتنعمون فيها كيف شاءوا، فيقول لهم الملائكة: هل رأيتم الحساب؟**

فيقولون: ما رأينا حسابًا

فيقولون لهم: هل جزتم الصراط؟

فيقولون: ما رأينا صراطًا

فيقولون: هل رأيتم جهنم؟

فيقولون: ما رأينا شيئًا

فتقول الملائكة: من أي أمة أنتم؟

فيقولون: من أمة محمد ﷺ

فيقولون: أنشدناكم بالله ماذا كانت أعمالكم في الدنيا؟

فيقولون: خصلتان كانت فينا، فبلغنا الله هذه المنزلة، فيقولون وما هما؟

فيقولون: كنا إذا خلونا نستحي أن نعصيه ونرضى باليسير فيما قسم لنا

فتقول الملائكة: يحق لكم هذه»[١]

عن ابن عباس أول من يدعى يوم القيامة الذين يحمدون الله علىٰ كل حال[٢]

---

(١) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٩/ ٦٥٠)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٣٣٥)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٥٠٧)

(٢) في حديث سؤال جبريل ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان في الصحيحين وفيه: «**فأخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**»

قال النووي: واعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر ومعناه أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلىٰ صفات مخصوصة فهي تقع علىٰ حسب ما قدرها سبحانه وتعالى، وأنكرت القدرية هذا وزعمت =

وروي أن عيسى عليه السلام مر علىٰ رجل أعمى أبرص مقعد وهو يقول: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرًا من خلفه

فقال له عيسى: يا هذا أي شيء صرف عنك؟

فقال: يا روح الله من لم يجعل له في قلبه ما جعل في قلبي من المعرفة

فقال: صدقت، فقال: هات يدك فناوله يده فإذا أحسن الناس وجهًا وأذهب ما به فصحب عيسى وتعبد معه

وقال بعض السلف: لو قرض جسمي بالمقاريض لكان أحب إليّ من أن أقول لشيء قضاه لي ليته لم يقضه

باب المحبة والشوق إلىٰ الله تعالى

اعلم أن المحبة لله هو الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات.

وقال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**»(١)

وفي حديث آخر: «**لا يؤمن العبد حتى أكون أحب إليه من أهله**(٢)

= أنه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم عليه سبحانه وتعالى بها، وأنها مستأنفة العلم أي إنما يعلمها سبحانه بعد وقوعها وكذبوا علىٰ الله سبحانه وتعالى وجل عن أقوالهم الباطلة علوًا كبيرًا وسميت هذه الفرق القدرية إنكارهم القدر.
النووي في شرح مسلم (١/ ١٣٨) طبعة دار الكتب العلمية.

(١) أخرجه: أحمد في مسنده (٣/ ٢٠٧، ٢٧٨)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٥٤٧)، والشجري في آماليه (١/ ٥٥)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٢٨٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٧٣)

(٢) وفي لفظ صحيح مسلم قال النووي: قوله ﷺ «**لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين**» قال الإمام أبو سليمان الخطابي لم يرد به حب الطبع بل أراد به حب الاختيار لأن حب الإنسان نفسه طبع ولا سبيل إلىٰ قلبه

قال: فمعناه لا تصدق في حبي حتى تفنى في طاعتي نفسك وتؤثر رضاي علىٰ هواك وإن كان =

وماله والناس أجمعين»(١)

وروي أن رجلاً قال: يا رسول الله إني أحبك

فقال: استعد للفقر، فقال: إني أحب الله، قال: استعد للبلاء»(٢)

وروي أن عيسى ﷺ مرّ بثلاثة نفر قد نحلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم فقال لهم: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟

فقالوا: الخوف من الله، فقال: حق علىٰ الله أن يؤمن الخائف

ثم جاوزهم فإذا بثلاثة أشد نحولا وتغيرّا

فقال: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ فقالوا: الشوق إلىٰ الجنة، قال: حق علىٰ الله أن يعطيكم ما ترجون

ثم جاوزهم إلىٰ ثلاثة أخرى فإذا هم أشد نحولاً وتغيرًا كأن علىٰ وجوههم يرى نورًا

فقال: ما الذي بلغ بكم ما أرى: قالوا: نحب الله تعالى، فقال: أنتم المقربون.

عن علي بن موفق أنه قال: رأيت في النوم كأني أدخل الجنة، فرأيت رجلاً قاعدًا علىٰ مائدة، وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو يأكل، ورأيت رجلا علىٰ باب الجنة يتصفح وجوه قوم فيدخل بعضًا ويرد بعضًا

ثم جاوزتهما إلىٰ حظيرة القدس، فرأيت رجلاً في ساق العرش قد شخص بصره ينظر إلىٰ الله ولا يطرف فقلت لرضوان من هذا؟

= فيه هلاكك.

هذا كلام الخطابي وقال ابن بطال والقاضي عياض وغيرهما: المحبة ثلاثة أقسام: محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد، ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد، ومحبة مشاكله، واستحسان كمحبة سائر الناس، فجمع ﷺ أصناف المحبة في محبته.

قال ابن بطال رحمه الله: ومعنى الحديث أن من استكمل الإيمان علم أن حق النبي ﷺ أكبر عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين، لأن به ﷺ استنقذنا من النار وهدينا من الضلال النووي في شرح مسلم (٢/ ١٤) طبعة دار الكتب العلمية.

(١) أخرجه: مسلم في صحيحه [٦٩ ـ (٤٤)] في الإيمان، الزبيدي في الاتحاف (٩/ ٥٤٧)

(٢) أخرجه: الزبيدي في الاتحاف (٩/ ٥٤٨)، والشجري في أماليه (١/ ١٥٨)

قال: هذا معروف الكرخي[١] عبد الله لا خوف من نار ولا شوقًا إلىٰ جنته بل حاله هكذا النظر إليه إلىٰ يوم القيامة

وذكر آخرين بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل

وقال بعض الأشياخ: لما مات أحمد بن حنبل رأيت في المنام كأن عليه تاج من جوهر عليه حلتان لا يقومهما بالدنيا

وعلى رجليه نعلين من ذهب، وهو يتبختر في مشيته فقلت: يا عبد الله ما هذا؟ قال: هذا مشي الخدام في دار السلام

فقلت ما فعل عبد الوهاب؟ قال: تركته الآن في ظلال من نور يزور ربه الملك الغفور

فهذا مقام المحبين والأبدال[٢]

وقيل لأبي يزيد البسطامي رَحِمَهُ اللهُ بلغت قاف قال: جبل قاف، قال: أمره قريب الشأن في جبل كاف، وجبل صادق عين

وهذه الجبال محيط بالأرضين السفلى حول كل أرض ثانية وثالثة ورابعة كجبل قاف حول هذه الأرض

---

(١) معروف الكرخي هو زاهد العراق، وشيخ الوقت أبو محفوظ معروف بن الفيرزان، وقيل: ابن فيروز، من أهل كرخ بغداد، ومن أقواله: ما أكثر الصالحين وما أقل الصادقين، وعنه قال: من كابر الله صرعه، ومن نازعه قمعه، ومن ماكره خدعه، ومن توكل عليه منعه، ومن تواضع له رفعه، مات رَحِمَهُ اللهُ سنة (٢٠٠)، (٢٠٤)

تاريخ الإسلام وفيات (٢٠١ ٢١٠).

(٢) البدلاء عند الصوفية من رجال الغيب وعددهم سبعة، فمن سافر عن موضعه وترك جسدًا علىٰ صورته حيًا بحياته ظاهرًا بأعمال أصله، بحيث لا يعرف أحد أنه فقد، فذلك هو البدل لا غير، وهو في تلبسه بالأجساد والصور علىٰ صورته علىٰ قلب إبراهيم عليه السلام، وقيل: البدلاء أربعون، والأمناء سبعة والخلفاء من الأئمة ثلاثة، والواحد هو القطب، والقطب عارف بهم جميعا ومشرف عليهم ، ولم يعرفه أحد ولا يتشرف عليه، وهو إمام الأولياء، والثلاثة الذين هم الخلفاء من الأئمة يعرفون السبعة، ويعرفون الأربعين أي البدلاء، والأربعون يعرفون سائر الأولياء من الأئمة ولا يعرفهم من الأولياء من الأئمة ولا يعرفهم من الأولياء أحد، فإذا نقص واحد من الأربعين أبدل مكانه من الأولياء

المعجم الصوفي (ص٤١).

وقد قيل: الدنيا كلها خطوة لولي، وإن ولي الله خطوته خمسمائة عام، وإن بعضهم ليرفع علىٰ جبل قاف وضع الأخرى علىٰ جانب الأخرى في جبل قاف وعبر الأرض كلها بخطوة

وكان بعض الأولياء احتاج إلىٰ مصباح، فرفع يده إلىٰ القمر فاستصبح منه نورًا اقتبسه في جذوة معه

وبعضهم كوشف بالهلال في أول الليلة فرآه مستديرًا كما يرى في أربعة عشر

وبعضهم كوشف بالشمس فرآها نصف الليل تسير في عرض الفلك تقطعه بالليل كما تقطعه بالنهار وكان فوق مما لا يستطيع ذكره

وقيل لبعض المحبين من الأوتاد[(١)]: دخلت إرم ذات العماد، قال: دخلت ألف مدينة لله تعالىٰ في ملكه أدناها ذات العماد

وذات العماد مدينة عاد بن شداد في بلاد اليمن عليها سور له مائة باب بين باب وباب فرسخ مركبة علىٰ أعمدة الذهب والفضة والياقوت والزبرجد فيها ألف ألف عمود من ذلك الجواهر وكانت الجن اصطنعتها لعاد بن شداد بن سام بن نوح[(٢)] عليه السلام

واستخرج الجن هذه العمد من قعور البحار، وكان قد سخر له الجن قبل سليمان بن داود عليهما السلام بأربعمائة عام

وبناها ثلاثمائة سنة، وكان عمره خمسمائة سنة ويقال: يجتمع في هذه المدينة طائفة من الأبدال والعباد

---

(١) الأوتاد هم الرجال الأربعة الذين علىٰ منازلهم الجهات الأربعة من العالم، أي المشرق والمغرب والجنوب والشمال، بهم يحفظ الله تلك الجهات لكونهم محل نظره تعالىٰ
المعجم الصوفي (ص٢٥٦) .

(٢) يقال عاد بن عوص بن سام بن نوح وهي قبيلة منها هود عليه السلام وكانوا عربًا يسكنون الأحقاف وهي جبال الرمل وكانت باليمن بين عمان وحضرموت بأرض مطلة علىٰ البحر وكانوا كثيرًا ما يسكنون الخيام ذات الأعمدة الضخام كما قال تعالىٰ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾﴾
قصص الأنبياء (ص٩٧) .

ويقال فيها صناديق من حجارة طول كل صندوق عشرة أذرع وزيادة

وفيها قبور الأنبياء وأجسامهم صحيحة[١] إلىٰ يومنا هذا وهي محجوبة عن أبصار العباد

وكان سهل التستري وغيره يزور قبور الأنبياء بها ليالي الجمع

فهذه أحوال عباد الله وأولياءه ولا يتنعم ولا يتلذذ أهل الله إلا به

باب أقوال المحبين وأشعارهم

وللمحبين دلائل وعلامات فنذكر منها ما يدل علىٰ حب الله تعالىٰ

قال أبو تراب النخشبي: لا تجزعن فللحب[٢] دلائل ولديه من تحف الحبيب وسائل منها تنعمه بمر بلائه وسروره في كل ما هو فاعل

فالمنع منه عطية مقبولة والفقر إكرام وبر عاجل

ومن الدلائل أن يرى من عزمة طوع الحبيب، وإن (الح الكادل)[٣] ومن الله لا بد أن يرى متبسمًا

(١) حديث: «**إن الله حرم علىٰ الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**» أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٨)، وأبو داود في الدعاء، وابن ماجه في سننه (١٠٨٥)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٦٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٤٩)، وابن حبان في صحيحه (٥٥ ـ الموارد) وابن أبي شيبة في مصنفه (١٢/ ٥١٦)

(٢) الصوفية هم أهل الحب: يحبون الله ورسوله، ويحبون بعضهم بعضًا، والناس جميعًا.
يقول الله تعالىٰ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [**البَقَرَة: ١٦٥**] ، ويقول: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ ويقول: ﴿مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [**المَائدة: ٥٤**] وفي هذا الحب يقول أبو العزائم:

هو الحب نور يكشف الحجب عن قلبي ... فأهتزُّ حال الذكر شوقًا إلىٰ ربي
سقانا رسول الله خمرة حبه ... فأسكرنا طه فهمنا إلىٰ الرب

وتقول رابعة العدوية:

أحبك حبين حب الهوى ... وحبًا لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى ... فشغلي بذكرك عمن سواكا

(٣) كذا بالأصل

والقلب فيه من الحبيب دلائل ومن الدلائل أن يرى منقسمًا متحفظًا من كل ما هو قائل

قال يحيى بن معاذ: ومن الدلائل أن يرى مسمرًا في خرقتين علىٰ شطوط الساحل

ومن الدلائل: حزنه وحسه خوف الظلام فيما له من عادل

ومن الدلائل: أن تراه مسافرًا نحو الجهاد وكل فعل فاضل

ومن الدلائل: ضحكه بَيْنَ الوَرَى والقلب محزون كقلب الثاكل.

ومن الدلائل: أن تراه زاهدًا فيما يراه من الرذائل والنعيم الزائل

ومن الدلائل: أن تراه مسلمًا كل الأمور إلىٰ الملك العادل

ومن الدلائل: أن تراه راضيًا بمليكه في كل حكم نازل

ومن الدلائل: أن تراه باكيًا إن قد رآه علىٰ قبيح فاعل

وليحيى بن معاذ[1] أيضًا رحمه الله شعر:

عطش المحب إلىٰ الحبيب شديد وفؤاده في قرب الحبيب يزيد
نوم المحب نهاره متفكرًا والليل سُهْدٌ والعباد رقود
نوم المحب مفارقًا من جفونه كل المحب من المنام بعيد
يرعى النجوم مراقبًا من حبيبه حتى الصباح فما يفيق بمحود
أنت العليم بأن ودي لك صادقٌ فامنن وأنت علىٰ الضمير شهيد
رحل الكرام إليك في طلب العلا ومناي أنت فما سواك أريد

(١) يحيى بن معاذ الرازي، أبو زكريا الصوفي العارف المشهور، صاحب المواعظ، كان حكيم أهل زمانه رحمه الله، سمع إسحاق بن سليمان الرازي ومكي بن إبراهيم وغيرهما

وعنه: الفقيه أبو نصر بن سلام وأبو عثمان الحيري الزاهد وأبو العباس أحمد بن محمد الماسرجسي وعلي بن محمد القباني ويحيى بن زكريا المقابري ومشايخ الري وهمدان وبلخ ومرو ثم استوطن نيسابور ومات فيها سنة (٢٥٨) وله أقوال ومواعظ ، ومن أقواله: ما جفت الدموع إلا لقساوة القلوب، وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب، وما كثرت الذنوب إلا من كثرة العيوب، وعنه قال: إلهي ما أكرمك إن كانت الطاعات فأنت اليوم تبذلها وغدًا تقبلها، وإن كانت الذنوب فأنت اليوم تسترها وغدا تغفرها .
تاريخ الإسلام وفيات (٢٥١ . ٢٦٠) .

ولسمنون رحمه الله:

بكيت ودمع العين مع العين للنفس راحة ... ولكن مع الشوق يبكي به القلب
وذكري لما ألقاه ليس بنافع ... ولكنه يهيج به الكرب
فلو قيل لي ما أنت؟ قلت ... معذب بنار وَجْدٍ تُضْرِبها العتب
بليت بمن لا أستطيع عتابه ... ويعتبني حتى يقال لي اذهب

ولغيره:

فكان لي قلبي لقلبي أهواء متفرقة ... فاسجمعت ادرائك العين أهوائي
فصار يحسدني من كنت أحسده ... فصرت مولى الورى قد صرت مولائي[١]
فلامنى فيك أحبائي وأعدائي ... ألا لجهلهم عن عظم بلوائي
تركت للناس دنياهم ودينهم ... شغلا يا ديني ودنيائي
اشتعلت نارين في كبدي ... واحدة بين الضلوع وأخرى بين أحشائي
النار أبرد من الثلج علىٰ كبدي ... والسيف أرفق من هجر مولائي

ولغيره:

عجبت لمن يقول ربي ... وهل أنساه فاذكر ما شئت أموات
إذا ذكرتك ثم أحيا ... ولولا حسن ظني جئت فأحيا بالرجال وأموت
شوقًا فكم أحيا عليك ... وكم أموت

(١) لما صعد يحيى بن معاذ المنبر في شيراز فأول ما بدأ به أن قال:

مواعظ الواعظ لن تقبلا ... حتى يعيها قلبه أولا
يا قوم من أظلم من واعظ ... خالف ما قاله في الملا
أظهر بين الناس إحسانه ... وبارز الرحمن لما خلا

ثم وقع من الكرسي، فلم يتكلم يومئذ، وقال أيضًا: لا تكن ممن يفضحه يوم مماته ميراثه ويوم حسابه ميزانه، وعنه قال: لو لم يكن العفو من مراده لم يبتل بالذنب أكرم عباده، وعنه قال: الناس يعبدون الله علىٰ أربع: عامل علىٰ العبادة وراهب علىٰ الرهبة، ومشتاق علىٰ الشوق، ومحب علىٰ المحبة، وقيل ليحيى بن معاذ: فلان لو وعظته، فقال: قفل قلبه قد ضاع مفتاحه لا حيلة لنا فيه.

انظر المرجع السابق.

شربت الحب كأسًا بعد كأس[١] فانقذ الشراب ولا رويت
فليت خياله نصب لعيني فإن أقصرت عن نظري عميت

ولذي النون المصري رَحِمَهُ اللهُ:

أموت وماتت إليك صبابتي وما قضيت من صدق حبك أوطاري
مناي المنا كل المنا أنت لي منا وأنت الغنا كل عند أقصاري
وأنت هدى سؤلي وغاية رغبتي وموضع شكواي ومكنون أضماري
تحمل قلبي فيك ما لا أثبه وإن طال سقمي فيك أو طال أضراري
وبين ضلوعي منك لولاك قد بدا ولم يبد باديه لأهل ولا جاري
وبي منك في الأحشاء داء مخامر[٢] فقد هد مني الركن وانبث أسراري
ألست دليل الركب أن هم تحيروا ومنقذ من أشقى علىٰ جرف هار
أثرت الهدى للمهتدين ولم يكن في أيديهم عشر معشاري
فنلني بعفو منك أحيا بقربه وغثني بيسر منك بطرد إعساري

ولسمنون رَحِمَهُ اللهُ:

أمسى بخدي للدموع رسوم[٣] أسفًا عليك وفي الفؤاد كلوم

---

(١) هناك فرقة من المتصوفة المبطلة، جعلوا همهم في الحب، وشغلوا به وأداروا حديثهم حوله، وشربوا الخمر بدعوى أنها خمرة المحب، ومارسوا السكر علىٰ الحقيقة وخالطوا النساء، وكانت لهم ممارسات مع بعضهم البعض، فارتكبوا الآثام واستباحوا المحرمات، واعتقادهم أن العبد إذا وصل إلىٰ درجة المحبة سقطت عنه التكاليف
المعجم الصوفي (ص٧٢).

(٢) ذكر عن معروف الكرخي أن تلميذًا له قال بعد وفاة معروف: أنه رآه في المنام تحت العرش والله تعالىٰ يسأل الملائكة من هذا؟ فيقولون: أنت أعلم يا رب، فيقول: هذا معروف الكرخي، سكر من حبي فلا يفيق إلا بلقائي

(٣) الرسم هو الخلق وصفاته، لأن الرسوم هي الآثار، وكل ما سوى الله آثاره الناشئة من أفعاله وإياه عني من قال: الرسم نعتي يجري في الأبد بما جرى في الأزل

والرسم والوسم هما القدم والأزل، أو ما أحدثه وأجراه الأحد الصمد القديم، وما حكم به في الأزل والأبد، فالرسم هو ما رسم به ظاهر الخلق أو هو الظاهر المتحقق، وأما الوسم فهو الصورة التي وسم بها الله تعالىٰ عباده في سالف علمه قبل أن تتحقق وتصبح رسما وسوم العلوم ورقوم العلوم: هي مشاعر الإنسان لأنها رسوم الأسماء الإلهية كالعليم والسميع =

فالصبر يحسن في المصائب كلها إلا عليك فإنه مذموم

ولابن فاتك رحمه الله:

أنت بين القبل تجري مثل الدموع من أجفان
ويحمل الضمير خوف فؤادي كحلول الأرواح من أبدان
ليس من ساكن تحرك ألا أنت حركته خفي المكان
يا هلا لا بدأ لاربع عشر لثمان واربع واثنتان

ولرابعة العدوية[1] رحمها الله:

أحبك حبين حب الهوى وحب لأنك أهل لذاك
فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواك
وأما الذي أنت أهل له فكشف الحجب حتى أراك
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن كل الحمد في ذا وذاك

ولآخر:

دع الحب يصلني بالأذى من حبيبه فكل الأذى ممن يحب سرور

= والبصير، ظهرت على ستور الهياكل البدنية المرخاة على باب دار القرار بين الحق والخلق فمن عرف نفسه وصفاتها كلها بأنها آثار الحق وصفاته ورسوم أسمائه وصورها فقد عرف الحق. المعجم الصوفي (ص١٠٧، ١٠٨).

(١) رابعة العدوية العابدة البصرية المشهورة بالتأله والزهد، وهي رابعة بنت إسماعيل وكنيتها أم عمرو، وولاؤها للعتكيين، وذكر ابن أبي الدنيا بسنده عن عبدة بنت أبي شوال وكانت تخدم رابعة العدوية قالت: كانت رابعة تصلي الليل كله فإذا طلع الفجر هجعت هجعة حتى يسفر الفجر فكنت أسمعها تقول: يا نفس كم تنامين وإلى كم تقومين، يوشك أن تنامي نومه لا تقومي منها إلا ليوم النشور

ومن قولها أيضًا: أستغفر الله من قلة صدقي في قولي أستغفر الله، وقال جعفر بن سليمان دخلت مع الثوري على رابعة فقال الثوري: واحزناه، فقالت: لا تكذب وقل: واقلة حزناه، قال أبو سعيد بن الأعرابي: أما رابعة فقد حمل الناس عنها حكمة كثيرة وحكى عنها سفيان وشعبة وغيرهما ما يدل على بطلان ما قيل وقد تمثلت بهذا البيت:

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحت جسمي من أراد جلوسي

فنسبها بعضهم إلى الحلول بنصف البيت وإلى الإباحة بتمام البيت وهذا غلو وجهل ولا أحسب ينسبها إلا حلولي مباهي، وتوفيت رحمها الله سنة (١٨٠).

تاريخ الإسلام وفيات (١٧١ ١٨٠).

قطيع غبار لشاة في عين ذئبها إذا ما تلى ( )[١]

ولآخر:

إني جعلتك نظري في مهجتي وجعلت ودك لي إليك شفاعتي
فلو أن وقتا منك بيع بأدهر كانت قليلا ألف عام ساعة

ولسمنون رَحِمَهُ اللَّهُ:

فكان قلبي قبل حبك[٢] فارغًا فكان يؤذي الناس يلهو ويمزح
فلما دعا قلبي هواك أحبابه فلست أريه عن ودادك يبرح
بت بهجر منك إن كنت كاذبًا إن كنت في الدنيا لغيرك أفرح
وإن كان شيء في بلاد بأسرها إذا غبت عن عيني بعين يلمح
فإن شئت واصلني وإن شئت لا تصل فلست أرى قلبي لغيرك يصلح

فهكذا أحوال عباد الله وأولياءه لا يتنعم ولا يتلذذ ولا يأنس أهل الله إلا به وبعجائبه وهم مكشفون عنهم الحجب والغفلة مستورة

باب فضيلة الشهداء

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [٣] الآية

---

(١) كذا بالأصل

(٢) في شعر رابعة المتقدم: تميز رابعة بين حبين هما حب الهوى والحب للحق تعالى، ومعنى حب الهوى أني رأيتك فأحببتك عن مشاهدة اليقين لا من خبر وسمع وتصديق، من طريق النعم والإحسان فتختلف محبتي إذا تغيرت الأفعال لاختلاف ذلك عليَّ.
ومع ذلك فإني بمحبتك وهروبي إليك قد اشتغلت بك لما تفرغك لك .
وأما الحب الثاني الذي هو أهل له تعني حب التعظيم والإجلال لوجه العظيم ذي الجلال أي الحب الذي ليس باعثه نعمة بل باعثه المحبوب لذاته وبذاته فهو سر من أسرار الله .
المعجم الصوفي (ص٧٢) .

(٣) سورة آل عمران (١٦٩)

روى البخاري في صحيحه (٢٧٨٥) كتاب الجهاد والسير، ١ ـ باب فضل الجهاد والسير، عن أبي هريرة جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: (دلني علىٰ عمل يعدل الجهاد، قال: «**لا أجده، قال: هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر**» قال: ومن يستطيع ذلك؟ قال أبو هريرة: إن فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له حسنات

وروي عن معاذ بن جبل ﷺ عن رسول الله ﷺ من بلغ كتاب غاز إلىٰ أهله وكتاب أهله إليه كان له بكل حرف عتق رقبة، وأعطاه الله كتابه بيمينه وكتب له براءة من النار

ومن أطعم ثلاثة من الغزاة وأشبعهم وسقاهم أطعمه الله من جنان الفردوس وجنات الخلد مع إبراهيم وطوبى لمن ذكر الله في الجهاد وكان له بكل حرف سبعون ألف حسنة مع ما له عند الله من المزيد[١]

قال الفقيه رحمه الله: **من أراد أن يكون غازيًا حقًا مجاهدًا في سبيل الله فليحافظ علىٰ الخصال العشرة التي أوحى الله تعالىٰ علىٰ لسان محمد ﷺ قال: من أراد أن يغزوا فلا يغزوا إلا برضاء الوالدين[٢] وأن يؤدى أمانة الله في عنقه من الصلاة والزكاة، وما افترض الله عليه وأن يدع لأهله وفاء قدر رجوعه، وأن يكون نفقته من الحلال، وأن يسمع ويطيع الأمير ولو كان عبدًا حبشيًا، وأن يؤدي كل حق لرفيقه في سفره وأن يشرب الماء المالح، ويسقي الماء العذب لرفيقه وأن لا يدخل دار مسلم إلا بإذنه، وأن لا يفر من الزحف، فإنه من الكبائر وأن لا يغل من الغنيمة[٣]، وأن يريد إعزاز الدين، وإقامة الطاعة ونصرة**

---

(١) أخرجه: ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ١٨٤)، وابن أبي حاتم في علل الحديث (٩٧٥)

(٢) روى البخاري في صحيحه (٥٩٧٢) كتاب الأدب، ٣ ـ باب لا يجاهد إلا بإذن الأبوين، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رجل للنبي ﷺ أجاهد؟ قال: «**ألك أبوان**» قال: نعم، قال: «**ففيهما فجاهد**»

وكذلك أخرجه مسلم في صحيحه [٥ ـ (٢٥٤٩)] كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به .

(٣) أجمع المسلمون علىٰ تغليظ الغلول وأنه من الكبائر، وأجمعوا علىٰ أن عليه رد ما غله فإن تفرق الجيش وتعذر إيصال حق كل واحد إليه ففيه خلاف للعلماء، قال الشافعي وطائفة يجب تسليمه إلىٰ الإمام أو الحاكم كسائر الأموال الضائعة

وقال ابن مسعود وابن عباس ومعاوية والحسن والزهري والأوزاعي ومالك والثوري والليث وأحمد والجمهور: يرفع خمسه إلىٰ الإمام ويتصدق بالباقي واختلفوا في صفة عقوبة الغال . فقال جمهور العلماء وأئمة الأمصار: يعزر علىٰ حسب ما يراه الإمام ولا يحرق متاعه، وهذا قول مالك والشافعي وأبي حنيفة ومن لا يحصى من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، وقال مكحول والحسن والأوزاعي : يحرق رحله ومتاعه كله، قال الأوزاعي: إلا سلاحه وثيابه التي عليه .
واحتجوا بحديث ابن عمر في تحريق رحله، قال الجمهور: هذا حديث ضعيف .
النووي في شرح مسلم (١٢/ ١٨٣) طبعة دار الكتب العلمية .

المؤمنين وتخريب بيوت المشركين فمن خرج علىٰ هذه الخصال

فإن مات أو قتل وقع أجره علىٰ الله . يعني الجنة . بلا حساب ولا عذاب

ويقال ينبغي للغازي عشر خصال في الحرب أولها: أن يكون قلبه كقلب الأسد، وفي الكبر كالنمر، لا يتواضع لعدوه

وفي الشجاعة كالدّب يقاتل بجميع جوارحه وفي الحملة كالخنزير لا يولي دبره إذا حمل

وفي الغارة كالذئب إذا آيس من وجه أغار من وجه آخر

وفي حمل السلاح الثقيل كالنمل يحمل أضعافًا قدر بدنه

وفي الثبات كالحجر لا يزول عن مكان وفي الصبر كالحمار إذا أثقله نصول السهم، وفي الوفاء كالكلب لو دخل صاحبه النار اتبع معه، وفي التماس الفرصة كالديك

وعن ابن عمر ﵄ قال: وددت أن جميع عملي خدمة رجل في سبيل الله ثلاثة أيام

قالوا: ولم ذلك؟ قال: لأن رسول الله ﷺ قال: «**لو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من سبعة أبحر لنفدت البحور والأقلام قبل أن ينفد أجر الخادم في سبيل الله ثلاثة أيام**»(١)

عن مقدام بن معدي كرب(٢) قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن للشهيد عند الله**

---

(١) روى البخاري في صحيحه (٢٧٩٢) كتاب الجهاد والسير، باب الغدوة والروحة في سبيل الله، وقاب قوس أحدكم في الجنة ، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «**لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها**»

وكذا رواه مسلم في صحيحه (١١٢ . (١٨٨٠) كتاب الإمارة، ٣٠. باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله .

(٢) المقدام بن معد يكرب بن عمرو بن يزيد بن معدي كرب، أبو كريمة الكندي ، الشامي، صحابي مشهور نزل الشام، أخرج له البخاري وأصحاب السنن الأربعة، توفي سنة (٨٧) وله (٩١) سنة

ترجمته: تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٨٧)، تقريب التهذيب (٢/ ٢٧٢)، تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٤٢٩)، الجرح والتعديل (٨/ ٣٠٢)، أسد الغابة (٥/ ٢٥٤)، الإصابة (٦/ ٢٠٤)، سير الأعلام (٣/ ٤٢٧)

خصال: الأول: رفعه من ذنوبه، ويرى مقعده في الجنة، ويتحلى حلة الإيمان، ويزوج من حور العين، ونجا من عذاب القبر، ويؤمن الفزع الأكبر، ويوضع علىٰ رأسه تاج الوقار والياقوت وهو خير من الدنيا وما فيها

ويزوج لاثنين وسبعين زوجة من حور العين ويشفع في سبعين إنسانًا من أقاربه)[١]

وفي الخبر: أن قومًا يخرجون من قبورهم يوم القيامة واضعين سيوفهم علىٰ عواتقهم يخترقون الصفوف عن يمين العرش وأوداجهم تشخب دمًا، ريحهم كريح المسك يتوجهون نحو الجنة، فيقول لهم الملائكة إلىٰ أين؟ إلىٰ الحساب والميزان فيضربون علىٰ الأرض سيوفهم

فيقولون: ماذا نحاسب والله ما كنا أمراء فنعدل ونجور

ولا أغنياء في أموالنا نحاسب، لم نملك من الدنيا إلا هذه السيوف فقاتلنا في سبيل الله حتى قُتلنا

فينادي منادي الرحمن: صدقوا عبادي خلّوا عنهم، فيقبلون إلىٰ الله فيجلسون علىٰ كراسي من نور عن يمين العرش[٢]

انظر كيف يقضي بين الناس، ولا يحزنهم الفزع الأكبر، ويشفع كل منهم في سبعين من أهل بيته وجيرانه

---

(١) أخرجه: أحمد في مسنده (٤/ ١٣١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٩٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٩٨)، وعبد الرزاق في مصنفه (٩٥٥٩)، وابن كثير في تفسيره (٧/ ٢٩٢)، وسعيد بن منصور في سننه (٢٥٦٢، ٢٥٦٣)

(٢) قال النووي: قوله ﷺ: «**وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض**»، قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»، قال القاضي عياض: يحتمل أن هذا علىٰ ظاهره وأن الدرجات هنا المنازل التي بعضها أرفع من بعض في الظاهر، وهذه صفة منازل الجنة كما جاء في أهل الغرف أنهم يتراءون كالكوكب الدري، قال: ويحتمل أن المراد الرفعة بالمعنى من كثرة النعيم وعظيم الإحسان مما لم يخطر علىٰ قلب بشر، ولا بصفة مخلوق وأن أنواع ما أنعم الله به عليه من البر والكرامة يتفاضل تفاضلا كثيرًا ويكون تباعده في الفضل كما بين السماء والأرض في البعد قال القاضي: والاحتمال الأول أظهر وهو كما قال، والله أعلم

النووي في شرح مسلم (١٣/ ٢٥، ٢٦) طبعة دار الكتب العلمية .

حتى أن الجيران يختصمون فيقولون: أنا أقرب جيرانًا ينظرون إلىٰ نور الله فيدخلون الجنة بغير حساب وأعطاهم الله بكل رجل سبعون غرفة كل غرفة لها سبعون بابًا علىٰ كل باب سبعون سترًا

وعلى كل غرفة سبعون خيمة في كل خيمة سبعون سريرًا، علىٰ كل سرير زوجة من الحور العين لكل حوراء سبعون وصيفة وسبعون وصيفًا ينعم فيها شهداء الله أبد الآبدين

عن الحسن بن علي رضي الله عنه قال: بينما علي بن أبي طالب رضي الله عنه يخطب الناس ويحثهم علىٰ الجهاد إذ قام إليه شاب فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن فضل الغزاة في سبيل الله

قال: كنت رديف رسول الله ﷺ علىٰ ناقته العضباء[1] ونحن مقبلون من غزاة فسألته عما سألتني عنه

فقال ﷺ: «**إن الغزاة إذ هموا بالغزو كتب لهم براءة من النار، فإذا تجهزوا لغزوهم باهى الله بهم الملائكة، فإذا ودعهم أهلهم بكت الحيطان والبيوت**»

ويخرجون من ذنوبهم كما تخرج الحية من سلخها ويوكل الله عز وجل بكل رجل منهم أربعين ألف ملك يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وشماله

ولا يعمل حسنة إلا ضعفت لـه ويكتـب له كـل يوم عبادة ألف رجل يعبـدون الله ألـف سنة، وكل سنـة ثلاثمائة وستون يومًا اليـوم عمر الدنيـا وإذا صاروا

---

(١) ذكر الذهبي في تاريخ الإسلام في السيرة العطرة من دواب النبي ﷺ اللزاز وأهداه له المقوقس، واللحيف وأهداه له ربيعة بن أبي البراء فأثابه عليه فرائض من نعم بني كلاب والظرب فأهداه له فروة بن عمرو الجذامي

وأول فرس ملكه: السكب، وكان له فرس يدعى المرتجز، وأهدى له تميم الداري فرسًا يدعى الورد فأعطاه عمر، وكانت له فرس تدعى سبحة .

قال الدمياطي: فهذه سبعة أفراس متفق عليها ثم ذكر بعدها خمسة عشر فرسًا مختلف فيها .

وكانت بغلة أهداها له المقوس شهباء يقال لها: «**دُلدل**» مع حمار يقال له عفير، وبغلة يقال لها «**فضة**» أهداها له فروة الجذامي مع حمار يقال له (يعفور)

وكانت له الناقة التي هاجر عليها من مكة تسمى القصواء، والعضباء، والجدعاء إلىٰ غير ذلك كما ذكره الذهبي .

انظر تاريخ الإسلام للذهبي الجزء الأول في السيرة العطرة .

بحضرة عدوهم انقطع علم أهل الدنيا عن ثواب الله إياهم

فإذا برزوا لعدوهم وأشرعت الأسنة وفوقت السهام وتقدم الرجل حفتهم الملائكة بأجنحتها يدعون الله لهم بالتضرع والنصر والتثبيت نادى مناديٍ: «**الجنة تحت ظلال السيوف**»(١) فتكون الطعنة والضربة أهون علىٰ الشهيد من شرب الماء البارد في اليوم الصائف

وإذا زال الشهيد عن فرسه بضربة أو طعنة لم يصل إلىٰ الأرض حتى يبعث الله زوجة من الحور العين فتبشره بما أعد الله له من الكرامة وإذا وصل إلىٰ الأرض تقول الأرض مرحبًا بالروح الطيب التي خرجت من الجسد الطيب أبشر فإن لك «**ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر**»(٢)

ويقول الله: أنا خليفته في أهله فمن أرضاهم فقد أرضاني ومن أسخطهم فقد أسخطني ويجعل الله روحه في حواصل طير خضر(٣) تسرح في الجنة حيث

(١) هذا الحديث أخرجه: مسلم في صحيحه [٢٠ . (١٧٤٢)] كتاب الجهاد والسير، ٦ . باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء، وأبو داود في الجهاد باب (٩٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٤٤)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٤٠٣)، وابن عبد البر في التمهيد (٢/ ٢٨٧)، وذكره الحافظ في الفتح (٤/ ١٠٠)

(٢) هذا الحديث، أخرجه: مسلم في صحيحه [٢ . (٢٨٢٤)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، في فاتحته

وأحمد في مسنده (٢/ ٤٣٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٥٢١، ٥٥٧)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٥٦٨، ١٠/ ٥٣٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٧٦٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٨)، والحميدي في مسنده (١١٣٣) .

(٣) حديث «**أرواح الشهداء في حواصل طير خضر**» أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٣٨٦)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٦٦)

ورواه مسلم في صحيحه [١٢١ . (١٨٨٧)] كتاب الإمارة ٣٣ . باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم (أحياء عند ربهم يرزقون) عن ابن مسعود رفعه «**أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة حيث شاءت**» الحديث

قال النووي: «**في جوف طير خضر**» وفي غير مسلم «**بطير خضر**» وفي حديث آخر «**بحواصل طير**»

قال القاضي: إذا أراد الله أن يجعل هذه الروح إذا خرجت من المؤمن أو الشهيد في قناديل أو أجواف طير أو حيث شاء كان ذلك ووقع ولم يبعد لا سيما مع القول بأن الأرواح أجسام، =

يشاء، تأكل من ثمارها وتأوي إلىٰ قناديل ذهب معلقة بالعرش

ويعطى الرجل منهم سبعين غرفة من غرف الفردوس يملأ نورها بين الخافقين في كل غرفة سبعون مصراعًا من ذهب في كل مصراع سبعون سريرًا من ذهب قوائمها الدر والياقوت والزبرجد علىٰ كل سرير أربعون فراشًا ، غلظ كل فراش أربعون ذراعًا علىٰ كل فراش زوجة من الحور العين عربًا أترابًا يعني الغنجة[1] الرضية الشهية لها سبعون ألف وصيفة وسبعون ألف وصيف صفر الحلي بيض الوجوه علىٰ رقابهم المناديل بأيديهم الأكوبة والأباريق

فإذا كان يوم القيامة فوالذي نفسي بيده لو كان الأنبياء علىٰ طريقهم لترجلوا لهم لما يرون من بهائهم حتى يأتوا إلىٰ موائد من الجواهر فيقعدون عليها، ويشفع الرجل منهم في سبعين ألف من أهل بيته وجيرانه

فيقعدون مع إبراهيم علىٰ مائدة الخلد، فينظرون إلىٰ الله في كل بكرة وعشيًا

رزقنا الله موت الشهداء بحق محمد وآله أجمعين

باب الأرزاق

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ [2] «**ما من زرع علىٰ الأرض ولا ثمر علىٰ الأشجار إلا وعليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم هذا رزق فلان ابن فلان، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾ [الأنعام: ٥٩]**

=

وقيل: إن هذا المنعم أو المعذب من الأرواح جزء من الجسد تبقي فيه الروح وهو الذي يتألم ويعذب ويلتذ وينعم وهو الذي يقول: رب ارجعون وهو الذي يسرح في شجر الجنة فغيره مستحيل أن يصور هذا الجزء طائرًا أو يجعل في جوف طائر وفي قناديل تحت العرش وغير ذلك مما يريد الله ﷻ .

النووي في شرح مسلم (١٣/ ٢٩) طبعة دار الكتب العلمية .

(١) أي الملقة المحبة لزوجها

(٢) أخرجه: السيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٥)، والقرطبي في تفسيره (٧/ ٤)، والفتني في تذكرة الموضوعات (٨٥)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ١٣٠)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١٤٦)

(قال ﷺ «**يا ابن آدم يؤتى كل يوم برزقك ويصل إليك ما قسم لك وأنت تحزن في ذلك الحال مع ضمان الله تعالىٰ برزق العباد كقوله تعالىٰ:** ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾[1]

وقوله تعالىٰ: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ **[الذّاريَات: ٢٢]**

وعن النبي ﷺ قال: «**أربعة أشياء قدرت ولا يتغير التقدير**[2]: **الخلق والخلق والرزق والأجل**»

وبهذا المعنى قال ﷺ «**الرزق يطلب الرجل كما يُطلب أجله**»[3] في حديث الأربعين

وحكي أن رسول الله ﷺ وصحابته اجتمعوا في دعوة ، فلما رفعت المائدة جاء واحد من الغائبين، فكان في يد رسول الله ﷺ لقمة فقال: خذ هذا رزقك الله، فقال الرجل: فلو لم آته، فقال ﷺ «**لو لم تأته لأتاك**»

فعلم أن الرزق مطلب لمن قدر وقسم فناوله إياه

ولهذا المعنى ترك الأبدال الدنيا وأسبابها وتفرغوا للعبادة، وتوكلوا علىٰ الله في أرزاقهم[4]، فلا جرم أن الله تعالىٰ رزقهم من حيث لا يحتسبوا

---

(١) سورة هود (٦)

(٢) قال الخطابي: قد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله سبحانه وتعالى العبد وقهره علىٰ ما قدره وقضاه وليس الأمر كما يتوهمونه وإنما معناه الإخبار عن تقدم علم الله سبحانه وتعالى بما يكون من اكتساب العبد وصدورها عن تقدير منه وخلف لها خيرها وشرها، قال: والقدر اسم لما صدر مقدرًا عن فعل القادر

النووي في شرح مسلم (١/ ١٣٩) طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) أخرجه: ابن حبان في صحيحه (١٠٨٧) الموارد، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢/ ٣٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٧٢)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٤٧٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٣٥) وابن عراق في تنزيه الشريعة (١/ ٢٦٦، ٢٧٩)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٣١٥)، ٢/ ٣١٥)، والبغدادي في موضح أوهام الجمع والتفريق (١/ ٣٥٨)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١١٧)، والسهمي في تاريخ جرجان (٤١٣)، والسيوطي في الدرر المنتثرة (٢٦)

(٤) قال في بستان الفقراء: رأيت في تفسير الرازي في سورة آل عمران: أن عيسى عليه السلام مر بالحواريين رضي الله عنهم وهم يصطادون السمك فقال لهم: تعالوا نصطاد الناس، فقالوا: من أنت؟ قال: عيسى ابن =

وقيل: إن الله تعالىٰ يرزق عبده من أي وجه يطلبه، إن طلبه من الكسب يرزقه الله من كسبه وإن اشتغل بعبادة الله تعالىٰ وتوكل عليه حق التوكل يرزقه الله من خزائنه غيبة من حيث لا يحتسب)[١]

عن أنس بن مالك قال النبي ﷺ (خلق الله الأرزاق قبل الأجسام بألفي عام، فمنهم من وقع رزقه في موضع من الأرض ومنهم من وقع في مائتي موضع، ومنهم من وقع علىٰ باب داره يغدوا ويروح حتى يأتي أجله)[٢]

وناجى موسى ربه فقال: لم رزق الأحمق، وحرم العاقل

قال الله: ليعلم العاقل أن الرزق ليس بالاحتيال

وحكي أن نبيًا من الأنبياء شكى إلىٰ الله أجناس الرزق

فقيل له: أئت البحر ستخرج منه حجرًا

فأتــى البحر فاستخرج منه صخرة فشقها فوجدها في وسطها دودة وفي فمها ورقــة رطبة وهي تأكلها .فقال الله: إنــي ما ضيعت هذه أفترانــي أضيع نبيًا من الأنبياء

فإن تلجلج بعد هذا شان الرزق لأسلبنك ثوب النبوة، ثم لأعذبنك عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين[٣]

وحكي أن إمام الزهاد أبا عبد الله أراد أن يتيقن بقصة من الرزق

= مريم، فآمنوا به، فلما تركوا الصيد جاعوا فأخبروا عيسى بذلك فضرب الأرض فخرج لكل واحد رغيفان ثم قالوا: عطشنا، فضرب الأرض فخرج الماء، فقالوا: من أفضل منا؟ قال: من يأكل من كسبه

بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ١٢٥) من تحقيقنا. طبعة دار الكتب العلمية.

(١) وجدناه بالهامش

(٢) أخرجه: الشوكاني في الفوائد المجموعة (١٤١) وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٢٣٨)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ١٩١)، والفتني في تذكرة الموضوعات (١٢)، والسيوطي في اللالئ المصنوعة (١/ ٨٤، ٢/ ٧٩)

(٣) روى الدينوري في المجالسة (٢٦٥١)، عن مالك بن دينار قال في التوراة: طوبى لمن أكل من ثمرة يده، وذكر أيضًا رقم (١٦٥٤)، عن وهب بن منبه قال: أوحى الله تبارك وتعالى إلىٰ موسى عليه السلام إني رزقت الأحمق ليعلم العاقل أن الرزق ليس باحتيال

فخرج إلىٰ برية فصعد جبلاً ثم دخل غارًا وقعد في زاوية من الغار، فقال: كنت أبصر كيف يرزقني ها هنا ربي

فضلت قافلة طريقًا فجاء المطر عليهم فطلبوا كهفًا يدخلونه فدخلوا فرأوا أبا عبد الله فكلموه فلم يجبهم فقالوا: ربما جاع الفقير[(١)]

فقدموا إليه سفرة وأشاروا إليه، فلم يتناول

فقالوا في هذا من مدة لم يجد شيئًا يريد طبخًا لينا حارًا حتى يأكل

فعملوا زجا من السكر وقدموه إليه فلم يلتفت

فقالوا: قد ارتكبت أسنانه فقام من جملتهم رجلان وأخذا سكينا ليفتحا فمه، ففتحاه وطرحا الملعقة في فمه فضحك

فقيل له: أنت مجنون

فقال: لا، ولكن أردت أن أجرب ربي في رزقي فعلمت أنه يرزقني ويرزق عباده من حيث كان ومن أين كان وكيف كان

وروي أن لسليمان حشر[(٢)] سبعون ألف جيش من الطيور لم ينظر إليه ولد آدم

---

(١) أخرج ابن أبي الدنيا في مجابي الدعاء (١٠٥) مرفوعًا والدينوري في المجالسة (١٦٤٩) بسنده عن ليث: «**أن رجلا وقف علىٰ قوم فقال: من عنده ضيافة هذه الليلة؟ قال: فسكت القوم، ثم أعاد فقال رجل أعمى: عندي، ثم قام فأخذه بيده، ثم ذهب به إلىٰ منزلة فعشاه ثم حدثه ساعة، ثم قال له: ضع لي وضوءًا، فوضع له وضوء، فنام الأعمى فقام الرجل في جوف الليل فتوضأ، وصلى ما قضى الله له، ثم جعل يدعو، وانتبه الأعمى وجعل يسمع لدعائه، فقال: اللهم رب الأرواح الفانية والأجساد البالية أسألك بطاعة الأرواح الراجعة إلىٰ أجسادها، وبطاعة الأجساد الملتئمة إلىٰ عروقها، وبطاعة القبور المتشققة عن أهلها وبدعوتك الصادقة فيهم وأخذك الحق منهم، وتبريز الخلائق كلهم من مخافتك وشدة سلطانك ينتظرون قضاءك ويرجون رحمتك ويخافون عذابك أسألك أن تجعل النور في بصري والإخلاص في عملي والشكر في قلبي وذكرك علىٰ لساني بالليل والنهار أبدًا ما أبقيتني قال: فحفظ الأعمى الدعاء ثم قام فتوضأ وصلى ودعا بهن فأصبح وقد رد الله ﷻ** عليه بصره

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [**النَّمل: ١٧**] أي وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير يعني ركب فيهم في أبهة وعظمة كبيرة في الإنس وكانوا هم الذين يلونه والجن وهم بعدهم في المنزلة والطير ومنزلتها فوق رأسه فإن كان حرًا أظلته منه بأجنحتها وقوله ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [**النَّمل: ٨٣**] أي: يكف أولهم علىٰ =

ولا يعرفه، وكل جيش لا يعيش برزق صاحبه، ولها خلقه علىٰ خلقه صاحبه

فإن أمرت أن يقفن علىٰ سليمان كالسحاب المظلم في ألف وعشرين ألف لون صاحبه في طبعه وجنسه وحسنه وصوته

فرأى سليمان فاستنطقهن بلغاتهن

فمنها: ما كان يصيح صوتها كصوت الثيران والخيل والحمير والكلاب والذباب

ومنها: ما كان يصيح كصوت الطبل والمزمار

فسأل سليمان عن حالها ومعاشها وأين تبيض وأين تأوي

فوقفا وقالوا: يا نبي الله إنا نأوي في جو الهواء ونبيض علىٰ الجناح الأيمن، فنمسكه أربعين يومًا وإذا تم أربعين انفلق البيض وطار الفرخ بإذن الله

ومنها ما كانت تبيض علىٰ متن السحاب فيخرج علىٰ تمام عشرين يومًا طيرًا[1]

ومنها: ما قالت: إنا نسافر في الهواء ونبيض في الجو فيبقى البيض معلقًا بإذن الله تعالىٰ فيطير الفرخ في اليوم الثالث

ومنها: ما قالت إنا لا نسافر ولا نبيض ونسلنا أبدًا قائم

= آخرهم لئلا يتقدم أحد عن منزلته التي هي مرتبة له

قال مجاهد: جعل علىٰ صنف وزعة يردون أولاها علىٰ آخرها لئلا يتقدموا في المسير كما يفعل الملوك اليوم.

تفسير ابن كثير (٣/ ٣٧٠).

(١) قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

أي تارة يصففن أجنحتهم في الهواء تارة تجمع جناحا وتنشر جناحًا ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ [**النحل**: ٧٩] أي في الجو ﴿إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [**الملك**: ١٩] أي بما سخر لهن من الهواء من رحمته ولطفه ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾ [**الملك**: ١٩] أي بما يصلح كل شيء من من مخلوقاته وهذه كقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾

تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩٨).

(حكاية في وصول الرزق: حكي أن واحدًا من المتعلمين خرج من قريته وعزم إلىٰ قرية أخرى، فلما غربت الشمس اضطربت نفسه وقالت: أمشي سريعًا حتى لا يضيع العشاء

فقال عقله ونور علمه لو لم يرزق الله تعالىٰ لم ينفعك السعي، فعلم أن الوسوسة جاءت من نفسه الأمارة[١] فحلف بالله فقال: بالله الذي خلقني لو لم يضع رزقي في فمي لم آكله ولم اشتغل بتحصيله

فانصرف فدخل مسجد الخراب، فأغلق الباب وجلس في زاوية فبدأ بالتكرار

فلما مضى ثلث الليل ظهر شعاع سراج، فإذا برجل أدخل يده في المغلاق ففتح الباب

فدخل شاب وعجوزة في يد أحدهما سراج وفي الآخر طبق من الخبيص، فوضع الطبق بين يديه والشاب دفع الذي من الطبق فوضع في فم المتعلم، ثم أخذه وأكله

وهذا آداب المتعلمين للمتوكلين علىٰ الله والموفين بوعده، فمن توكل علىٰ الله حق توكله لرزقه كما يرزق الطير[٢]

---

(١) النفس خمسة أضرب: حيوانية، وأمارة وملهمة، ولوامة، ومطمئنة، وكلها أسماء للروح، إذ ليست حقيقة النفس إلا الروح وليست حقيقة الروح إلا الحق

فالنفس الحيوانية: تسمى الروح باعتبارها تدبيرها للبدن، والنفس الأمارة هي التي يقول عنها الحق ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [**يُوسُف: ٥٣**] باعتبارها يأتيها من المقتضيات الطبيعية الشهوانية بلا انهماك في اللذات الحيوانية وعدم المبالاة بالأوامر والنواهي، والنفس الملهمة باعتبار ما يلهمها الله تعالىٰ من الخير فكل ما تفعله من الخير هو بالإلهام الإلهي وكل ما تفعله من الشر هو بالاقتضاء الطبيعي والنفس اللوامة هي التي يقسم بها الحق إذ يقول: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ [**القِيَامَة: ٢**] باعتبار أخذها في الرجوع والإقلاع فكأنها تلوم وتتوب من سيئاتها وتستغفر الله الغفار التواب والنفس المطمئنة هي التي تتنور بنور القلب فتنخلع عن صفاتها الذميمة وتتخلق بالأخلاق الحميدة

المعجم الصوفي (ص٢٤٦).

(٢) أخرجه الزبيدي في الاتحاف (٩/ ٤٧٧)، والقرطبي في تفسيره (٨/ ١٠٧)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٢٦٠)، وذكره الحافظ في الفتح (١١/ ٣٠٦)

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣])[١]

باب ذكر ملك الموت عليه السلام

عن مقاتل بن سليمان أن لملك الموت عليه السلام[٢] سريرًا من نور له سبعون ألف قائمة، وله أربعة أجنحة ممتلئ جميع جسده عيونًا ناظرة وألسنة، وليس أحد من خلق الله من الآدميين والطيور إلا في جسده عيونًا ناظرة

فإذا ماتت النفس في الدنيا ذهبت عين من جسده إحدى رجله علىٰ جسر جهنم والأخرى علىٰ سرير الجنة

وملك الموت آخر خلق الله موتًا ولا يموت حتى يطفئ تلك العيون التي في جسده كلها ويبقى له ثماني عيون يعرف بذلك قد أفنى الله الخلائق كلها

(وروي أنه ﷺ قال: إن لملك الموت عليه السلام أربعة أوجه، وجه يلتهب منه النار ووجه أسود، ووجه عبوس قمطرير، ووجه أبيض نوراني أما الوجه الذي يلتهب منه النار يأتي إلىٰ الكفار ، وبالوجه الذي أسود يأتي للمبتدع، وبالوجه العبوس يأتي إلىٰ الفساق وبالوجه النوراني يأتي إلىٰ التائبين)[٣]

وروي لما عرج النبي ﷺ إلىٰ السماء قال: ونظرت في السماء الرابعة فرأيت

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) قال الله تعالىٰ: ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة: ١١]

الظاهر من هذه الآية أن ملك الموت شخص معين من الملائكة كما هو المتبادر ، وقد سمي في بعض الآثار بعزرائيل وهو المشهور، قاله قتادة وغير واحد له أعوان ينزعون الأرواح من سائر الجسد حتى إذا بلغت الحلقوم تناولها ملك الموت، قال مجاهد: حويت له الأرض فجعلت مثل الطست يتناول منها متى يشاء .

وقال كعب الأحبار: والله ما من بيت فيه أحد من أهل الدنيا إلا وملك الموت يقوم علىٰ بابه كل يوم سبع مرات ينظر هل فيه أحد أمر أن يتوفاه .

تفسير ابن كثير (٣/ ٤٧٤) .

(٣) وجدناه بالهامش

ملكًا[١] جالسًا وبين يديه لوح وهو ينظر فيه وشجرة عظيمة أغصانها من الشرق إلىٰ الغرب وأوراقها بعدد الخلائق فقال: فناديت السلام عليك أيها الملك فلم يرفع رأسه، فقلت: حبيبي جبرائيل من هذا الملك

فقال: يا محمد أو لا تعرفه؟

فقلت: اللهم لا، قال: والذي بعثك بالحق نبيًا هذا هادم اللذات والمفرق بين الجماعات هذا مرمل النساء وميتم الأولاد، هذا مخرب القصور ومعمر القبور، هذا عزرائيل عليه السلام

فقال: يا عزرائيل هذا سيد الأولين والآخرين محمد رسول رب العالمين يسلم عليك

فرفع رأسه ورد السلام وضمني إلىٰ صدره وقبل ما بين عيني وأجلسني بين يديه فقال: يا محمد ما الذي تريد؟ قال: نبئني عن هذا اللوح الذي تنظر فيه؟

قال: يا محمد ما خلق الله خلقًا روحه في يدي إلا وهذا اللوح مكتوب أحصي عليه إقامته وطاعته ومعصيته[٢] وكل ما يكون منه، وبقدرة الملك الجبار

---

(١) روى عبد الرزاق بسنده عن مجاهد قال: ما علىٰ ظهر الأرض من بيت شعر أو مدر إلا وملك الموت يطوف به كل يوم مرتين»

وروى الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ٢٦١)، رفعه : نظر رسول الله إلىٰ ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال له النبي ﷺ: «**يا ملك الموت أرفق بصاحبي فإنه مؤمن**» فقال ملك الموت يا محمد طب نفسًا وقر عينًا فإني بكل مؤمن رفيق، واعلم أن ما في الأرض بيت مدر ولا شعر في بر ولا بحر إلا وأنا أتصفحهم في كل يوم خمس مرات حتى أني أعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم والله يا محمد لو أني أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت علىٰ ذلك حتى يكون الله هو الآمر بقبضها .

(٢) قال تعالىٰ: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾

قال ابن عباس: يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر حتى إنه ليكتب قوله أكلت وشربت ذهبت جئت رأيت حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله فأقر منه ما كان فيه من خير أو شر وألقى بسائره .

وذلك قوله تعالىٰ: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ وقال الحسن البصري فيما رواه ابن أبي حاتم: وتلا هذه الآية ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧] يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن =

فقلت: ما هذه الشجرة العظيمة؟ قال: فيها بعدد الخلائق أوراق، ما من عبد وأمة إلا وله في هذه الشجرة ورقة اسمه واسم أمة

وإذا اعتل أحدها اصفرت ورقة وعلمت بأن صاحبها عليل، وعلمت اسم صاحبها ورششت من ماء هذا الكأس فإن رجعت إلىٰ لونها فهو عليل يبرأ من علته

فإن ازدادت علىٰ ما فيها من سوادها علمت بأن دنا الرحيل أرسلت إلىٰ روحه، فإذا نظرت الروح إلىٰ ما قد نزل به أشد الأنين وعرق الجبين وقبض اليسار وبسط

يا محمد لو قرض بالمقاريض ونشر بالمناشير وحملان الصخور علىٰ ظهره من الجبال الشوامخ وغليان القدر، أهون عليه من سكرات الموت

وأنا أنظر إلىٰ وجه الورقة من الشجرة، فإذا سقطت علمت أنه قد دنا قبض روحه، وهو في وقته فأتراءى له بمنزلة العبد إن كان مطيعًا في أحسن صورة أكون ترائيا له، فأقبض روحه في روح وريحان (١) إلىٰ يوم يقوم بين يدي الله، وإن كان عاصيًا فأتراءى له في هيبة عظيمة فيقول: يا ملك الموت ثقلت ذنوبي واسودت صحيفتي بالعيوب وإني راحل فأمهلني أبكي علىٰ نفسي طويلاً وأودع أهلي ومالي وأتوب إلىٰ ربي

= شمالك فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر حتى إذا مت طويت صحيفتك وجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة فعند ذلك يقول تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾ **[الإسراء: ١٣]**
تفسير ابن كثير (٤/ ٢٢٤).

(١) قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ أي فلهم روح وريحان وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت كما في حديث البراء أن ملائكة الرحمة تقول: أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمرينه اخرجي إلىٰ روح وريحان ورب غير غضبان، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿فَرَوْحٌ﴾ **[الواقعة: ٨٩]** يقول راحة ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ **[الواقعة: ٨٩]** يقول مستراحة، وكذا قال مجاهد إن الروح الاستراحة، وقال أبو حرزة الراحة من الدنيا، وقال سعيد بن جبير والسدي الروح الفرح، وعن مجاهد ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ **[الواقعة: ٨٩]** جنة ورخاء، وقال قتادة: فروح فرحمة وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وريحان ورزق وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة فإن من مات مقربا حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة والفرح والسرور والرزق والحسن تفسير ابن كثير (٤/ ٣٠٠)

فأناديه هيهات هيهات فآخذ روحه وأوصلها إلىٰ واد يقال له واد الأرواح تحت الأرضين السابعة إلىٰ يوم يقوم بين يدي الملك الجبار تبارك وتعالى

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ **«إذا أمر الله ﷻ ملك الموت بقبض روح من استوجب أهل النار من أمتي المذنبين قال: بشرهم بالجنة بعد انتقام كذا وكذا علىٰ قد ما يحبسوه في النار»**(١)

(عن أبي حنيفة عن حماد عن إبراهيم النخعي عن علقمة عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ: ما من أحد تفوته تكبيرة الإحرام(٢) من صلاة الجماعة إلا ندم يوم القيامة ندامة تكون عليه أشد من الموت أربعين ألف مرة، ومن فزع القيامة أربعين ألف مرة، لما يرى من الكرامة لمن حافظ عليها)(٣)

وفي الخبر إذا أراد الله قبض روح عبد يجيء ملك الموت من قبل الفم ليقبض روحه منه، فيخرج الذكر ويهزمه فيقول: لا سبيل لك من هذه الجهة، وإنما أجري فيه ذكر الرب فيرجع ملك الموت إلىٰ ربه فيقول: لم انصرفت فيقول: كيت وكيت فيقول: اقبض من جهة أخرى فيجيء إلىٰ اليد فتخرج الصدقة فتقول: لا سبيل لك فإنه تصدق بها كثيرًا، ومسح رأس اليتيم وكتب العلم وضرب السيف علىٰ عنق

---

(١) أخرجه السيوطي في جمع الجوامع (١٣٨٦)

(٢) أجمعوا علىٰ أن فروض الصلاة سبعة وهي: النية للصلاة، وتكبيرة الإحرام، والقيام بها مع الاستطاعة، والقراءة في الركعتين للإمام والمنفرد، والركوع والسجود، والجلوس آخر الصلاة بمقدار إيقاع السلام

واتفقوا علىٰ أنه لا تصح الصلاة إلا بنطق تكبيرة الإحرام وأنه لايكفي فيها مجرد النية بالقلب من غير نطق بالتكبير .

وكذلك اتفقوا علىٰ أن هذا الإحرام ينعته يقول المصلي: الله أكبر، ثم اختلفوا فيما عداه من ألفاظ التفضلة هل يقوم مقامه أو مقام التكبير؟

فقال أبو حنيفة: ينعته بكل لفظ يقتضي التعظيم والتفخيم كالعظيم والجليل ، ولو قال: الله ولم يزد عليه انعقد تكبيرة، وقال الشافعي: ينعته بقول: الله أكبر، والله الأكبر .

وقال مالك وأحمد: لا ينعته إلا: الله أكبر حسب .

اختلاف الأئمة العلماء (١/ ١٠٥، ١٠٦) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) وجدناه بالهامش

الكفار فيجيء إلىٰ الرجل فتقول لا سبيل لك فإنه نقل الأقدام إلىٰ الجماعات[(١)] والأعياد وعيادة المرضى ومجلس العلم

ويجيء إلىٰ الأذن فيقول: لا سبيل لك سمع بي القرآن والذكر

وكذلك العين فإنه نظر بي إلىٰ المصاحف، ووجوه العلماء، فينصرف

فيقول الرب جل جلاله: علق اسمي علىٰ كفك وأراه روح المؤمن حتى تراه روح عبدي فيكتب ملك الموت اسم الرب علىٰ كفه ويراه روح المؤمن ويجبه المؤمن، فمن بركة اسمه يُصرف عنه مرارة الموت لا يصرف عنه العذاب والقطيعة

باب الموت وشدته

اعلم أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديرًا بأن يتنغص عليه عيشة ويتكدر سروره

وأن شدة الألم في سكرات الموت[(٢)] لا يعرفها بالحقيقة إلا من ذاقها، ومن لم يذقها لا يعرفها إلا بالاستدلال

---

(١) أجمعوا علىٰ أن صلاة الجماعة مشروعة وأنه يجب إظهارها في الناس، فإذا امتنع من ذلك أهل بلد قوتلوا عليها، ثم اختلفوا هل الجماعة واجبة في الفروض غير الجمعة

فقال الشافعي: هي فرض علىٰ الكفاية، وقال جماعة من أصحابه: هي سنة، وقال مالك: هي سنة مؤكدة، وقال أبو حنيفة: هي فرض علىٰ الكفاية وذكر في شرح الكرخي: أنها سنة مؤكدة، وقال جماعة من أصحابه هي سنة وقال مالك: سنة مؤكدة وقال أحمد: هي واجبة علىٰ الإيمان، وليست شرطًا في صحة الصلاة، فإن صلى منفردًا مع القدرة علىٰ الجماعة أثم والصلاة صحيحة .

اختلاف الأئمة العلماء (١/ ١٢٩، ١٣٠) من تحقيقنا . طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ۝١٩﴾ [ق: ١٩] يقول ﷻ وجاءت أيها الإنسان سكرة الموت بالحق أي كشفت لك عن اليقين الذي كنت تمتري فيه ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩] أي هذا الذي كنت تفر منه قد جاءك فلا محيد ولا مناص ولا فكاك ولا خلاص

وقد اختلف المفسرون في المخاطب بقوله: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ۝١٩﴾ [ق: ١٩] فالصحيح أن المخاطب بذلك الإنسان من حيث هو وقيل الكافر وقيل =

وكان علي ﷺ يحض على القتال ويقول: إن لم تقتلوا تموتوا، والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موتة على الفراش

وقال الأوزاعي: بلغنا يجد ألم الموت ما لم يبعث من قبره، وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلي بالقدور

وقال ﷺ: «**لو أن شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والأرض لماتوا بإذن الله، ولو أن قطرة من ألم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت**»[١]

(وفي الخبر: إن سكرات الموت على قدر لذة الحياة[٢] فمن أكثر له من هذه أكثر له من تلك

قال أبو بكر الصديق ﷺ: «الظلمات والسراج لها خمسة: الذنوب ظلمة وسراجها التوبة، والقبر ظلمة وسراجه الصلاة، والميزان ظلمة وسراجه لا إله إلا الله، والقيامة ظلمة وسراجها العمل الصالح، والصراط ظلمة وسراجه[٣] اليقين»

= غير ذلك، وقال ابن أبي الدنيا بسنده أن عائشة ﷺ قالت: حضرت أبي ﷺ وهو يموت وأنا جالسة عند رأسه فأخذته غشية فتمثلت ببيت من الشعر:

من لا يزال دمعه مقنعا فإنه لا بد مره مدفوق

قالت: فرفع ﷺ رأسه فقال: يا بنية ليس كذلك ولكن كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩﴾ [ق: ١٩]

(١) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٢٦٢) والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٤٤٧) .

(٢) روي أن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال لملك الموت: ما لك رسول تقدمه بين يديك ليكون الناس على حذر منك؟

قال: نعم والله لي رسل كثيرة من الأغلال والأمراض والشيب والهرم وفقد السمع والبصر، فإذا لم يتذكر مما نزل به ولم يتب قبضته ناديته: ألم أقدم لك رسولا بعد رسول ونذيرا بعد نذير؟ فأنا الرسول الذي ليس بعد نذير .

بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ٤٤٦) من تحقيقنا . طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) وقد أجمع السلف على إثبات الصراط وهو جسر على متن جهنم يمر عليه الناس كلهم فالمؤمنون ينجون على حسب حالهم أي منازلهم والآخرون يسقطون فيها أعاذنا الله الكريم منها وأصحابنا المتكلمون وغيرهم من السلف يقولون إن الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف كما ذكره أبو سعيد الخدري ﷺ

النووى في شرح مسلم (٣/ ١٩) طبعة دار الكتب العلمية .

كل شيء ألهاك عن مولاك فهو دنياك، حب الدنيا رأس كل خطيئة)[١]

وروي أن إبراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالىٰ: كيف وجدت الموت يا خليلي؟

قال: كسفود جعل علىٰ صوف رطب، ثم جُذب شديد الجذب

فقال تعالىٰ: أنا قد هونا عليك

وروي أن موسى عليه السلام قال: لما سار بروحه إلىٰ السماء قال له الرب: كيف وجدت الموت قال: وجدت نفسي كالعصفور حين يلقى في المقلى لا يموت فيستريح، ولا ينجو فيطير[٢]

قال عمر رضي الله عنه لكعب الأحبار: حدثنا عن الموت[٣] قال: نعم يا أمير المؤمنين كغصن كثير الشوك إذا دخل جوف رجل وأخذت كل شوكة بعرق، ثم جذبه رجل شديد الجذب، فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى

فهذه سكرات الموت علىٰ أوليائه وأحبائه

فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي

فإن دواهي الموت ثلاثة: الأولى: شدة النزع كما ذكرنا، والثانية: مشاهدة ملك الموت، فلو رأى صورته التي عليها يقبض الفاجر أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) ذكره في بستان الفقراء (٢/ ٤٨١)

(٣) قال حامد اللفاف رحمه الله: لما مات موسى عليه السلام جاءت الملائكة في السموات بعضها إلىٰ بعض واضعي أيديهم علىٰ خدودهم ينادون: مات كليم الله فأي الخلق لا يموت؟

وقال عيسى ابن مريم عليهما السلام: يا معشر الحواريين ادعوا الله أن يهون عليكم هذه السكرة . يعني سكرة الموت .

وذكر أن الموت أشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض .

وروى أبو نعيم الحافظ من حديث مكحول عن واثلة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**والذي نفسي بيده لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف**»

وقيل: لو وضع وجع شعرة من الموت علىٰ السموات والأرض لأذابهما حتى إذا بلغت الحلقوم ولي القبض ملك الموت عليه السلام .

بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ٤٨٣) من تحقيقنا . طبعة دار الكتب العلمية .

وروي أن إبراهيم عليه السلام سأل ملك الموت أن يراه علىٰ تلك الصورة

فقال ملك الموت: لا تستطيع، قال: بلى

فأعرض ثم التفت فإذا هو برجل أسود قائم الشعر منتن الريح يخرج من فيه ومناخره لهب الدخان والنار فغشي علىٰ إبراهيم عليه السلام

فلما أفاق قال لملك الموت[1] لو لم تلق الفاجر عند موته إلا صورة وجهك لكان حسبه

والثالثة: مشاهدة موضعه من النار، ولن تخرج أرواحهم ما لم يسمع نغمة ملك الموت بإحدى البشيرين إما أبشر يا عدو الله بالنار، أو أبشر يا ولي الله بالجنة

وقال ﷺ: لن يخرج أحدكم حتى يعلم أين مسيره إلىٰ الجنة، أم إلىٰ النار»[2]

عن كعب لما خلق الله الموت علىٰ صورة كبش أملح فقال له: اذهب إلىٰ صفوف الملائكة علىٰ هيئتك هذه، فذهب فلم يبق ملك إلا غشي عليه ألف عام

ثم أفاقوا قالوا: يا ربنا ما هذا؟ قال: الموت قال: علىٰ من ذاك؟ قال: علىٰ كل نفس، قال: لم خلقت الدنيا؟ قال: ليسكنها بني آدم، قالوا: لم خلقت النساء؟ قال: ليكونو نسلاً

قال: من يسلط عليه هذا يشغل بالنساء والدنيا

قال: إن طول الأمل ينسيهم الموت حتى يكون منهم أخذ الدنيا وشهوة النساء

---

(١) قال وهب المكي رحمه الله إن العبد لا يخرج من الدنيا حتى ينظر إلىٰ الملكين اللذين كانا يحفظانه، فإذا رآهما لا يرجع إلىٰ الدنيا فإن كان قد صحبهما بما لله تعالىٰ فيه رضا قالا جزاك الله من صاحب خير فنعم الصاحب كنت، رب مجلس خير أجلستنا ورب كلام خير قد أسمعتنا، ورب عمل خير قد أحضرتنا، فنحن لك اليوم علىٰ ما تحب وإن كان صحبهما بما لم يكن لله تعالىٰ فيه رضا قالا له: لا جزاك الله من صاحب سوء فرب مجلس سوء قد أجلستنا، ورب كلام سوء قد أسمعتنا ورب عمل سوء قد أحضرتنا، فنحن لك اليوم علىٰ ما تكره

المرجع السابق (٢/ ٤٨٢).

(٢) أخرجه: الزبيدي في الاتحاف (١٠/ ٢٦٦، ٣٨١)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٤٤٩)، والفتني في تذكرة الموضوعات (٢١٤)

وروى أبو هريرة، عن النبي ﷺ: «**إذا مات المؤمن حام روحه بداره شهرًا فينظر إلىٰ ممن خلف من عيال كيف يقسم ماله وكيف تؤدي ديونه، فإذا تم شهرًا يؤدي إلىٰ حفرته فيحوم حول قبره وينظر من يأتيه ويدعوا له ومن يحزن**»(١)

فإذا تم سنة دفع روحه إلىٰ حيث يجتمع فيه الأرواح(٢) إلىٰ يوم ينفخ في الصور.

عن ابن عباس إن الروح إذا خرج من الجسد مات الجسد وصار الروح صورة أخرى

ينظر إلىٰ الناس يبكونه ويغسلونه ويدفنونه ولا يستطيع أن يتكلم كما أن الريح إذا دخل في مكان ضيق سمعت له دويًا، فإذا خرج من الجسد لم تسمع صوتًا فأرواح المؤمنين ينظرون إلىٰ الجنة ويجدون ريحها

وأرواح الكفار يعذبون في قبورهم حتى إذا نفخ في الصور النفخة الأولى رفع العذاب وماتت الأرواح عند ذلك أرواح المؤمنين وأرواح الكفار ورفع العذاب عن الكفار ما بين النفختين

---

(١) روى الزبيدي في الاتحاف (١٠/ ٣٩٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٨٦)، عن أبي أيوب الأنصاري قال: إذا قبضت نفس المؤمن تلقاها أهل الرحمة من عباد الله كما يتلقون البشير في الدنيا فيقبلون عليه يسألونه فيقول بعضهم لبعض: انظروا أخاكم حتى يستريح فإنه كان في كرب شديد، قال: فيقبلون عليه فيسألوه ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة؟ هل تزوجت؟ فإذا سألوه عن الرجل قد مات قبله فيقول: إنه قد هلك، فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب به إلىٰ أمه الهاوية فبئست الأم وبئست المربية، قال: فتعرض عليه أعماله، فإن رأو حسنا فرحوا واستبشروا وقالوا: اللهم هذه نعمتك علىٰ عبدك فأتمها، وإن رأوا شرًا قالوا: اللهم رحمتك بعبدك

(٢) قال وهب بن منبه رَحِمَهُ اللَّهُ إن الله تعالىٰ في السماء السابعة دار يقال لها: البيضاء تجتمع فيها أرواح المؤمنين، فإذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الأرواح فيسألونه عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله إذا قدم عليهم. ذكره أبو نعيم

بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ٤٧٥) من تحقيقنا. طبعة دار الكتب العلمية.

باب الحسرة عند لقاء ملك الموت

قال علي ﷺ ما بقي شيء أعز من الكبريت الأحمر، ما بقي من عمر العبد، ولا يعرف مقدار ما بقي إلا نبي أو صديق

وروي أن ملك الموت إذا ظهر للعبد(١) أعلمه أنه قد بقي من عمرك ساعة وأنك لا تتأخر عنها طرفة عين، فيبدأ من الأسف والحسرة، ما لو كانت الدنيا من أولها إلىٰ آخرها لخرج علىٰ أن يضم تلك الساعة ساعة أخرى ليستعتب فيها فلا يجد إلىٰ ذلك سبيلا

عن كعب الأحبار: قال رجل أخبرني عن أعظم الساعات وأشدها علىٰ ابن آدم في الدنيا والآخرة

فقال: أما أعظم ساعة في الدنيا حين خروج روحه إذا شخصت عيناه وانتشرت منخراه وتقاصت شفتاه واصفرت واجنتاه وعرق جبينه واشتد أنينه وانعقد لسانه لا يجيب جوابًا ولا يرد كلامًا، قد عاين ما قدم وآخر، ما خلف من أمواله وبطل ما سلف من آماله واسترخت مفاصله وانقطعت أوصاله وجفاه أحباؤه، وتفرق عنه أقرباؤه وودع ملكاه، وعاين الموت وسكراته وبقي متحيرًا قد تغير عقله ويمكن

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٧. (٩٢٠)] كتاب الجنائز ٤. باب في إغماض الميت والدعاء له، إذا حضر عن أم سلمة قالت: دخل رسول الله ﷺ علىٰ أبي سلمة وقد شق بصره، فأغمضه ثم قال «**إن الروح إذا قبض تبعه البصر**» فضج ناس من أهله فقال: «**لا تدعوا علىٰ أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون علىٰ ما تقولون**» الحديث

قال النووى: قولها « **فأغمضه**» دليل علىٰ استحباب إغماض الميت ، وأجمع المسلمون علىٰ ذلك، قالوا والحكمة فيه ألا يقبح بمنظره لو ترك إغماضه ، قوله ﷺ : « **إن الروح إذا قبض تبعه البصر**»

معناه إذا خرج الروح من الجسد يتبعه البصر ناظرا أين يذهب .

قال القاضي : وفيه أن الموت ليس بإفناء وإعدام، وإنما هو انتقال وتغير حال وإعدام الجسد دون الروح إلا ما استثنى من عجب الذنب .

النووي في شرح مسلم (٦/ ١٩٨) طبعة دار الكتب العلمية .

الشيطان من اختلاسه فتلك ساعة عظيمة عليه قد أغلق عليه التوبة[١] فأفضل ما تكلم العبد في ذلك الوقت كلمة الشهادة

وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ يا رسول الله أي حال أشد علىٰ الميت[٢]؟

قال النبي ﷺ: «**قولي أنت يا عائشة**»

قالت: قل أنت يا رسول الله

قال ﷺ «**بل قولي أنت**»

فقالت: لا تكون حالة أشد عليه من وقت خروجه من داره ويعدون أولاده خلفه ويقولون وا والداه وا أبتاه

فقال ﷺ «**إن هذا الشديد وتكون حال أشد منه .**

فقالت: أي حال أشد علىٰ الميت من أن يوضع في لحده ويحثى عليه التراب ويرجع عنه أحباؤه وأقرباؤه ويسلمونه إلىٰ الله تعالىٰ مع عمله

فقال ﷺ هذا شديد وتكون حال أشد منه، يا عائشة أن أشد حال علىٰ الميت حين يدخل الغسال داره ليغسله ، فيخرج خاتم الشبان من أصابعه وينزع

---

(١) اتفقوا علىٰ أن التوبة من جميع المعاصي واجبة وأنها واجبة علىٰ الفور لا يجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة، والتوبة من مهمات الإسلام وقواعده المتأكدة ووجوبها عند أهل السنة بالشرع، وعند المعتزلة بالعقل، ولا يجب علىٰ الله قبولها، إذا وجدت بشروطها عقلا عند أهل السنة لكنه سبحانه وتعالى يقبلها كرماً وفضلاً، وعرفنا قبولها بالشرع والإجماع، خلافاً لهم
النووي في شرح مسلم (١٧/ ٥٠) طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) روي أن الله ﷻ لما مسح ظهر آدم عليه السلام فاستخرج ذريته قالت الملائكة: رب لا تسعهم الأرض، قال الله تعالىٰ: أنا جاعل موتاً قالت: رب لا يهنأهم العيش، قال: إني جاعل أملاً.
قال القرطبي رحمه الله فالأمل رحمه من الله تعالىٰ ينتظر أسباب المعايش ويستحكم بهم أمور الناس ويتقوى به الصانع علىٰ صنعته والعابد علىٰ عبادته
والغفلة والأمل نعمتان عظيمتان علىٰ ابن آدم ولولاهما ما مشى المسلمون، وروى مطرف بن عبد الله رحمه الله: لو علمت متى أجلي لخشيت ذهاب عقلي، ولكن من الله علىٰ عباده بالغفلة عن الموت، ولولا الغفلة ما تهنوا بعيش ولا قامت بينهم الأسواق
بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ٤٦٤) من تحقيقنا . طبعة دار الكتب العلمية .

قميص العروس من بدنه فنادى روحه حين ترى نفسه عريانه بصوت عال يسمعه كل الخلائق غير الثقلين الجن والإنس فينادي: يا غسال[١] بالله عليك أن تنزع ثيابي في رفق فإني الساعة استرجعت ملك الموت

وإذا صب عليه الماء صاح كذلك يقول: يا غسال لا تعد ماءك حرًا ولا بردًا، فإن جسدي محروق من نزع الروح

فإذا غسلوه فيقول: يا غسال لا تمس قويًا فإن جسدي مجروح بخروج الروح

وإذا رفعه من المكان إلىٰ الكفن[٢] فيشد مواضع قدميه، ناداه بالله عليك يا غسال أن لا تشد رأس كفني حتى يرى وجهي أهلي وأولادي وأقربائي فإن هذا آخر رؤية يرونني أهلي

وإذا أُخرج الميت من الدار نادى بالله عليكم أن لا تعجلوا حتى أودع داري وأهلي ومالي

---

(١) اتفقوا علىٰ غسل الميت وأنه مشروع من فروض الكفايات إذا قام به البعض سقط عن الباقين وكذلك قولهم في الصلاة علىٰ الميت غير الشهيد

واختلفوا هل الأفضل أن يغسل مجردًا أو في قميص ؟

فقال أبو حنيفة ومالك : الأفضل أن يغسل مجردًا إلا أنه يستر عورته .

وقال الإمام الشافعي وأحمد: الأفضل أن يغسل في قميص، واختلفوا هل ينجس الآدمي بالموت، فقال أبو حنيفة في إحدى قوليه: ينجس إلا أن المسلم يطهر إذا غسل، وقال مالك والشافعي وأحمد في المشهور عنهم: أنه لا ينجس .

واتفقوا علىٰ أن الواجب من الغسلات ما يحصل به الطهارة، وأن المسنون منها الوتر وأن السنة أن يكون في الماء السدر وفي الآخرة الكافور,

ثم اختلفوا فيه فقال أبو حنيفة وأحمد: المستحب أن يكون في كل المياه شيء من السدر . اختلاف الأئمة العلماء (١/ ١٧٦، ١٧٩) من تحقيقنا . طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) السنة في الكفن ثلاثة أثواب للرجل وهو مذهبنا ومذهب الجماهير والواجب ثوب واحد، والمستحب في المرأة خمسة أثواب ويجوز أن يكفن الرجل في خمسة لكن المستحب أن لا يتجاوز الثلاثة، وأما الزيادة علىٰ خمسة فإسراف في حق الرجل والمرأة

ويستحب التكفين في الأبيض وهو مجمع عليه، وأما الحرير فقال أصحابنا يحرم تكفين الرجل فيه ويجوز تكفين المرأة فيه مع الكراهة ، وكره مالك وعامة العلماء التكفين في الحرير مطلقا . النووي في شرح مسلم (٧/ ٨) طبعة دار الكتب العلمية .

ثم ينادي بالله عليكم امرأتي الأرملة لا تؤذوها وصبياني أيتام لا تؤذوهم فإنني اليوم أخرج من داري ولا أرجع إليهم أبدًا

فيقول: بالله يا جماعة لا تعجلوني حتى أسمع صوت أهلي وأولادي وقرايبي فإنني اليوم أفارقهم إلىٰ يوم القيامة

يا أخي إن كنت توقن بالموت فهل هذا الأمل، وإن كنت تخاف الحساب فلم تنس العمل، وإن كنت ترجوا الجنان فما هذا الكسل وإن كنت تخاف النار فلم تأكل الحرام، أين الخجل والوجل

باب عذاب القبر(١)

عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس أنه قال: بينما رسول الله ﷺ ذات يوم قاعد وتلا هذه الآية: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾(٢)

ثم قال رسول الله ﷺ والذي نفس محمد بيده ما من نفس تفارق الدنيا حتى يرى مقعده من الجنة أو النار»(٣)

(قال رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم: ما من مسلم يمر علىٰ مقابر

---

(١) فيما رواه البخاري في صحيحه (٢١٨) كتاب الوضوء باب ٥٩. الذي يلي باب ماجاء في غسل البول، عن ابن عباس ومسلم في صحيحه [١١١. (٢٩٢)] كتاب الطهارة، ٣٤. باب الدليل علىٰ نجاسة البول ووجوب الاستبرا منه عن ابن عباس قال: مر رسول الله ﷺ علىٰ قبرين فقال: « **أما إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله**» قال النووي: وأما فقه الباب ففيه: إثبات عذاب القبر، وهو مذهب أهل الحق خلافا للمعتزلة

النووي في شرح مسلم (٣/ ١٧٣) طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) الأنعام (٩٣)

(٣) أخرجه: السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٠)

المسلمين إلا قال أهل القبور يا غافل لو علمت ما نعلمه لذاب لحمك وجسدك كما يذوب الثلج في النار)[١]

ثم قال إذا كان عند ذلك صف له سماطان من الملائكة ما نظموا ما بين الخافقين كأن وجوههم الشمس معهم كفن من الجنة[٢]، وحنوط من الجنة ما يرى غيرهم وإن كنتم ترون أنه ينظر إليكم وبشروه بالجنة

وقال: أخرجي أيتها النفس المطمئنة إلىٰ رضوان الله وإلى ما أعد الله من الكرامة ما هو خير لك من الدنيا وما فيها فما يزالون يبشرونه ويحفون به ألطف وأرأف من الوالدة بولدها، ثم يسلون روحه من تحت كل ظفر ومفصل، ويموت الأول فالأول ويبرد كل عضو الأول فالأول ويهون

وإن كنتم ترونه شديدًا حتى بلغ ذقنه

فلهي أشد كراهية للخروج من الوليد حين يخرج من الرحم فيبتدرها كل ملك منهم أيهم يقبضها فيتولى قبضها ملك الموت فيلقاها بأكفان بيض ثم يفوح لها فيهم ريح أطيب من المسك يتباشرون لها ويقول مرحبًا بالريح الطيب والروح الطيب فيبتدرون لها ولله خلق في الهواء لا يعلم عدتهم إلا الله فيفوح لها فيهم ريح أطيب من المسك فيصلون عليها ويتباشرون بها، ويفتح لها أبواب السماء ويصلى عليها كل

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) اتفقوا علىٰ وجوب تكفين الميت وأنه مقدم علىٰ الدين والورثة، ثم اختلفوا في الصفة المجزئة؟

فقال أبو حنيفة: يجوز الاقتصار علىٰ ثوبين في حق الرجل، وإن كفن في ثلاثة أثواب أحدها حبرة والآخران أبيضان فهو أحب إليه .

والحبرة بردة يمانية، وقال مالك والشافعي وأحمد: يكفن الرجل في ثلاثة أثواب لفائف والمستحب البياض في كلها ويجزئ الواحد .

وأما كفن المرأة فهو خمسة أثواب : قميص ومئزر ولفافة ومقنعة وخامسة يشد بها فخذاها عند الشافعي وأحمد، وقال أبو حنيفة: الأفضل ذلك، فإن اقتصروا علىٰ ثلاثة أثواب جاز ويكون الخمار فوق القميص وتحت اللفافة، وقال مالك: ليس للكفن حد وإنما الواجب ستر الميت فأما تكفينها في المعصفر والمزعفر والحرير ، فقال الشافعي وأحمد: يكره، وقال أبو حنيفة ومالك: لا يكره .

اختلاف الأئمة العلماء (١/ ١٨٠) من تحقيقنا . طبعة دار الكتب العلمية

ملك في كل سماء يمر به حتى يقف بين يدي الملك الجبار تبارك وتعالى فيقول الجبار تبارك وتعالى: مرحبا بالنفس الطيبة وبجسد خرجت منه، وإذا قال الرب تبارك وتعالى مرحبا رحب له كل شيء

ثم يقول اذهبوا بهذا النفس الطيبة فأدخلوها الجنة وأروها مقعدها وأعرضوا لها ما أعددتم لها من النعيم والكرامة

ثم اهبطوا بها إلىٰ الأرض فإني قضيت أني منها خلقتكم ومنها أعيدكم ومنها أخرجكم تارة أخرى، فوالذي نفس محمد بيده لهي أشد كراهية للروح منها حين كانت تخرج من الجسد، وتقول: أين تذهبوا بي إلىٰ ذلك الجسد الذي كنت فيه، فيقولون: إنا مأمورين بهذا، فلا لك منه(١)

فيهبطون علىٰ قدر فراغهم من غسله وأكفانه

فما خلق الله ﷻ كلمة تكلمها حميم ولا غير حميم إلا هو يسمعها إلا أنه لا يؤذن له في المراجعة، ثم يأتي إليه ملكان فظان غليظان يسميان منكر ونكير(٢) أبصارهما كالبرق الخاطف وأصواتهما كالرعد القاصف ومعهما عصيّ من حديد لو اجتمع الجن والإنس ما أقلوها وهي عليهما يسير فيقولان له اقعد بإذن الله ﷻ ، فإذا

---

(١) روى البخاري في صحيحه (١٣٨٠) كتاب الجنائز، ٩٠. باب كلام الميت علىٰ الجنازة، عن أبي سعيد الخدري ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ «**إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال علىٰ أعناقهم فإن كانت صالحة قالت: قدموني قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها أين يذهبون بها ؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعها الإنسان لصعق**»

(٢) روى الترمذي في سننه (١٠٧١) كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر،عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « **إذا قبر الميت أو قال أحدكم. أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم، فيقول أرجع إلىٰ أهلي فأخبرهم؟ فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وإن كان منافقا قال سمعت الناس يقولون فقلت مثله، لا أدري فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض التئمي عليه، فتلتئم عليه فتختلف فيها أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك**»

هو قاعد فينظر عند ذلك إلىٰ خلق كريه فظيع ينسيه ما كان رأى عند موته

فيقولان له: من ربك؟ فيقول: الله، فيقولان: فما دينك؟ فيقول: الإسلام

ثم ينتهران عند ذلك انتهارًا شديدًا، ثم يقولان فمن نبيك؟ فيقول محمد ﷺ ويعرق عند ذلك عرقًا يبتل ما تحته من التراب ويصير ذلك العرق أطيب من ريح المسك وينادى عند ذلك من السماء صدق عبدي فلينفعه صدقه

ثم يفسح له في قبره مد بصره فإن كان معه شيء من القرآن كفاه من نوره وإن لم يكن معه جعل له نورًا مثل الشمس في قبره وتفتح له أبواب إلىٰ الجنة(١) فينظر إلىٰ مقعده منها مما كان عاين حين صعد به ثم يقال له: نم قرير العين ، فما نومه إلىٰ يوم القيامة إلا كنومة ينامها أحدكم شهية لم يرق منها يقوم وهو يمسح عينيه

وكذلك نومه فيه إلىٰ يوم القيامة، ثم يعرجان الملكان مع الروح وتجعل الروح في قناديل معلقة بالعرش

وإن كان غير ذلك إذا نزل به ملك الموت(٢) صف له سماطان من الملائكة، نظموا ما بين الخافقين فيخطف بصره إليهم ما يرى غيرهم وإن كنتم ترونه أنه ينظر إليكم ويشدد عليه

---

(١) روى البخاري في صحيحه (١٣٧٩) كتاب الجنائز، ٨٩ باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أحدكم إذا مات يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إلىٰ القيامة**»

(٢) في خبر الإسراء عن ابن عباس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: «**مررت علىٰ ملك آخر جالس علىٰ كرسي إذا جميع الدنيا ومن فيها بين ركبتيه، وبيده لوح مكتوب لا يلتفت عنه يميناً ولا شمالاً**

فقلت: يا جبريل: من هذا؟ قال: هذا ملك الموت ، فقلت: يا ملك الموت كيف تقدر علىٰ أرواح جميع من في الأرض برها وبحرها؟

قال: ألا ترى أن الأرض كلها بين ركبتي وجميع الخلائق بين عيني ويداي تبلغان المشرق والمغرب، فإذا نفذ أجل عبد نظرت إليه، فإذا نظرت إليه عرف أعواني من الملائكة أنه مقبوض غدوا فبطشوا به، يعالجون نزع روحه فإذا بلغوا بالروح الحلقوم علمت ذلك فلم يخف عليّ شيء من أمره مددت يدي فأنزعه من جسده وأقبضه»

بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ٤٦٨) من تحقيقنا. طبعة دار الكتب العلمية .

وإن كنتم ترونه أنه يهون عليه فيلعنونه

وتقول أخرى: أيتها النفس الخبيثة، فقد أعد الله لك من النكال والنقمة والعذاب كذا وكذا وساء ما قدمت لنفسك ، ولا يزالون يسألونها في تعب وغلظة وغضب شديد، من كل عضو وظفر وتنشط نفسه كما يصنع بالسفود والشعب بالصوف حتى تقع الروح، فلهي أشد كراهية للخروج من الولد حين يخرج من الرحم مع ما ينشرونه بأنواع العذاب والنكاح حتى تبلغ ذقنه، فليس ملك إلا ويتحامى كراهية له

فيتولى قبضها ملك الموت فيأخذ ملك الموت روحه فيدفعها إلىٰ ملائكة العذاب ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت علىٰ وجه الأرض

فيصعدون بها فلا يمر علىٰ ملأ إلا قالوا ما هذا الخبيث فيقولون ابن فلان بأقبح أسمائه الذي كان يسمى في الدنيا فإذا صعد بها غلق أبواب السماء فيقول الله تبارك وتعالى لا مرحبًا بالنفس الخبيثة ، ولا بجسد خرجت منه

ثم يقول: انطلقوا بها إلىٰ جهنم فأروها مقعدها منها واعرضوا عليها ما أعددت لها من العذاب والنقمة والنكال

ثم يقول الرب جل جلاله ، اهبطوا بها إلىٰ الأرض فإني قضيت أني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى

فيهبطون بها علىٰ قدر فراغهم فيدخلون بين جسده وأكفانه فإذا دخل قبره جاءه ملكان[١] أسودان أزرقان فظان غليظان ومعهم مرزبة من حديد وسلاسل وأغلال ومقامع الحديد فيقولان له اقعد بإذن الله ﷻ

---

(١) روى البخاري في صحيحه (١٣٧٤) كتاب الجنائز ٨٦ باب ما جاء في عذاب القبر، عن أنس ابن مالك ﷺ أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ « **إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه. وإنه ليسمع قرع نعالهم. أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل؟ لمحمد** ﷺ، **فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلىٰ مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا**»، قال قتادة: وذكر: **أنه يفسح له في قبره**» ، ثم رجع إلىٰ حديث أنس قال: « **وأما المنافق والكافر، فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين**»

فإذا هو مستو قاعد قد سقطت عنه أكفانه ويرى عند ذلك خلقًا فظيعًا، فنسي ما رأى قبل ذلك، فيقولان له ما ربك؟

فيقول: لا أدري فيغضبان فيضربانه بمطرقة الحديد، فلا يبقى منه عضو فيصيح عند ذلك صيحة يسمعها كل الخلائق غير الجن والإنس فيلعنونه عند ذلك لعنة واحدة

ثم يقولان له: عُد بإذن الله، فإذا هو مستو قاعد، فيقولان له: من ربك؟

فيقول: لا أدري، ويقولان: من نبيك؟

فيقول: سمعت الناس يقولون محمد

فيقولان: فما تقول؟ فيقول: لا أدري، فيقولان: لا دريت ولا تليت ويعرق عرقًا يبتل ما تحته من التراب، فهو أنتن من الجيفة

ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويقولان: نم نومة اللديغ، ثم يفتح له بابا فيرى مقعده من النار، ويخرج عليه حيات النار وعقاربها وسمومها غدوًا وعشيًا إلىٰ يوم القيامة[١]

(حكاية: إن واحد من الأغنياء أوصى أولاده أن يدفنوه بعد موته عند قبر الشيخ عبد الرحمن السيد المولى قدس الله روحه لكيلا يعذب ببركة جوار الشيخ في قبره

فلما مات دفنوه عند الشيخ

فلما تغدوا ذهبوا إلىٰ الزيارة فإذا هو ملقى في الصحراء، فدفنوه ثلاث مرات،

---

(١) مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر خلافا للخوارج ومعظم المعتزلة وبعض المرجئة نفوا ذلك، ثم المعذب عند أهل السنة الجسد بعينه أو بعضه بعد إعادة الروح إليه أو إلىٰ جزء منه، وخالف فيه محمد بن جرير وعبد الله بن كرام وطائفة، فقالوا: لا يشترط إعادة الروح قال أصحابنا هذا فاسد لأن الألم والإحساس إنما يكون في الحي، قال أصحابنا: ولا يمنع من ذلك كون الميت قد تفرقت أجزاؤه كما نشاهد في العادة أو أكلته السباع أو حيتان البحر أو نحو ذلك فكما أن الله تعالىٰ يعيده للحشر وهو سبحانه وتعالى قادر علىٰ ذلك فكذا يعيد الحياة إلىٰ جزء منه أو أجزاء وإن أكلته السباع والحيتان، فإن قيل فنحن نشاهد الميت علىٰ حاله في قبره، فكيف يسأل ويقعد ويضرب بمطارق من حديد ولا يظهر له أثر فالجواب أن ذلك غير ممتنع بل له نظير في العادة وهو النائم فإنه يجد لذة وآلاما لا نحس نحن شيئاً منها النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٦٦) طبعة دار الكتب العلمية .

فألقي في الصحراء، فلما صار في المرة الثالثة رأى الشيخ في منامه فقال: لا تدفنوه عندي لأني لا أصبر علىٰ عقوبته وشدة عذابه، فعلم بهذا أن عذاب القبر حق)[١]

فرحم الله عبدًا نظر لنفسه قبل حلول رمسه[٢] واشترى نفسه من الله قبل أن لا يقدر علىٰ ذلك وراجع التوبة قبل أن يغلق دونه بابها، ويعظم وزره ومصابه بادر إلىٰ مرضاة ربه وعمل في خلاص مهجته ووفاء ديونه[٣] واستحلال من مظالمه قبل أن يندم حيث لا تنفعه الندامة ويعاين أحوال يوم القيامة

باب آخر في عذاب القبر

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [**طه: ١٢٤**] الآية

يعني من أعرض بوجهه عن ذكري وعن كتابي وتوحيدي ورسولي محمد ﷺ فإن له معيشة ضنكا أي عذاباً شديداً في القبر

(حكاية: إن واحد من السلاطين لما قرب وفاته جمع أولاده فأوصى لهم بأن يجعلوه في تابوت من حديد تحته صندوق من حديد، ويعلق صندوق من سقف بيته بعد موته خوفًا من عذاب القبر

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) الرمس: القبر ، جمعها رموس، وأرماس

(٣) روى الترمذي في سننه (١٠٦٩) كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصلاة علىٰ المديون، عن أبي قتادة أن النبي ﷺ أتي برجل ليصلي عليه، فقال النبي ﷺ: « **صلوا علىٰ صاحبكم فإن عليه دينا**» قال أبو قتادة: هو علي فقال رسول الله ﷺ: « **بالوفاء**» قال: بالوفاء فصلى عليه.

وفيما رواه البخاري ومسلم واللفظ المسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالرجل المتوفى عليه الدين فيسأل: « **هل ترك لدينه فضلا؟** » فإن حدث أنه ترك لدينه وفاء صلى وإلا قال: «**صلوا علىٰ صاحبكم**» فلما فتح الله عليه الفتوح قال: «**أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفي وعليه دين فعلي قضاؤه، ومن ترك مالاً فهو لورثته**»

فلما مات جعله في تابوت من حديد فوقه صندوق من حديد، ثم علقوه من سقف بيته بسلسلة[١]

فلما صار الليلة الأولى سمعوا أنينًا من تابوت فدخلوا فرأوا الصندوق في حركة، وفتحوه فإذا في تابوته حية عظيمة أدخل رأسها في فم السلطان فقتلو الحية وعلقوا الصندوق

فلما صارت الليلة الثانية سمعوا الأنين كما في البارحة فدخلوا فرأوا الصندوق في حركة فأنزلوه وفتحوه فإذا بحية أكبر من ذلك الحية أدخل رأسه حتى صدره فقتلوها فعلقوا الصندوق فلما صارت الليلة الثالثة سمعوا الأنين فدخلوا ففتحوا الصندوق فإذا هو يحترق في النار

فعلموا أن لا مخلص عن عذاب الله تعالىٰ فذهبوا به فدفنوه في الأرض)[٢]

وروي عن أنس بن مالك عن النبي ﷺأنه قال: لو أن بني آدم علموا كيف عذاب القبر ما نفعهم المعيشة في الدنيا فنعوذ بالله من عذاب القبر

وروي عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أن العبد الميت إذا وضع في القبر وأُقعد قال: يقول أهله: واسيداه، واشريفاه وا أميراه قال: يقول الملك: اسمع ما

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٢٤. (٢٧٥٦)] كتاب التوبة ٤. باب في سعة رحمة الله تعالىٰ وإنها سبقت غضبه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « **قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله إذا مات فحرقوه ثم اذروا نصفه في البر ونصفه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذاباً لا يعذبه أحدا من العالمين، فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم فأمر الله البر فجمع ما فيه وأمر البحر فجمع ما فيه ثم قال لم فعلت هذا؟ قال: من خشيتك يا رب، وأنت أعلم فغفر الله له**»

قال النووي: اختلف العلماء في تأويل هذا الحديث فقالت: طائفة لا يصح حمل هذا علىٰ أنه أراد نفي قدرة الله فإن الشاك في قدرة الله تعالىٰ كافر، وقد قال في آخر الحديث إنما فعل هذا من خشية الله تعالىٰ والكافر لا يخشى الله تعالىٰ ولا يغفر له قال هؤلاء فيكون له تأويلان أحدهما: أن معناه لئن قدر علي العذاب أي قضاه منه قدر بالتخفيف وقدر بالتشديد بمعنى واحد، والثاني : إن قدر هنا بمعنى ضيق عليه .
النووي في شرح مسلم (١٧/ ٥٩) طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) وجدناه بالهامش

يقولون: أنت كنت شريفًا، قال: فيقول الميت يا ليتهم يسكتون، فيضغط القبر[١] ضغطة تختلف منه أضلاعه

(قال موسى عليه السلام: إلهي إني أخاف الفقر وأخاف مرارته، وأخاف من ظلمة القبر، وأخاف من أهوال يوم القيامة

قال الله تعالىٰ: يا موسى بن عمران إن كنت تخاف الفقر فعليك بصلاة الضحى، وإن كنت تخاف مرارة الموت فعليك بصلاة ما بين العشاء والمغرب وإن كنت تخاف ظلمة القبر فعليك بصلاة الليل ، وإن كنت تخاف أهوال القيامة فعليك بصلاة الجمعة[٢] والجماعة)[٣]

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا دخل منكر ونكير فيقعد، مثلت له الشمس عند الغروب فيسألانه من ربك وما دينك؟ فيقول حتى أقضي صلاتي قبل غروب الشمس، فيقول: هذا أبدًا في هم الفريضة حيًا وميتًا، انصرفوا عنه**»

عن أسد بن عبد الرحمن: أن المؤمن إذا مات فحمل فقال: أسرعوني فإذا وضع في لحده كلمته الأرض قالت: كنت أحبك وأنت علىٰ ظهري وأنت الآن أحب إليّ .

---

(١) حديث: «**لو نجا من ضمة القبر أحد لنجا سعد بن معاذ**» أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٤٢٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٤٦)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (١٠/ ٤٠٦)، وابن حجر في المطالب العالية (٤٦٠٤)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٢٣٢)، والربيع بن حبيب في مسنده (٣/ ١٣)، والطحاوي في مشكل الآثار (١/ ١٠٨)

(٢) اتفقوا علىٰ وجوب الجمعة علىٰ أهل الأمصار ثم اختلفوا في الخارج عن المصر إذا سمع النداء فقال أبو حنيفة: لا يجب عليه

وقال مالك والشافعي وأحمد: يجب عليه وحده مالك وأحمد بفرسخ وأطلقه الشافعي وحده أبو حنيفة بثلاث فراسخ .

واختلفوا في أهل القرى، فقال أبو حنيفة: لا تجب عليهم، وقال مالك والشافعي وأحمد: تجب عليهم إذا بلغوا عددًا تصح به الجمعة، ثم اختلفوا في العدد، فقال أبو حنيفة: تنعقد بثلاث سوى الإمام، وقال مالك: تنعقد بكل عدد تقرى بهم قرية في العادة يمكنهم الإقامة ويكون بينهم الشراء والبيع من غير حصر إلا أنه منع ذلك في الثلاثة والأربعة ، وقال الشافعي : تنعقد بأربعين وهو المشهور عند أحمد من روايته، وعنه تنعقد بخمسين .

اختلاف الأئمة العلماء (١/ ١٥١، ١٥٢) من تحقيقنا . طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) وجدناه بالهامش

وإذا مات الكافر فحمل فقال: أرجعوني فإذا وضع في لحد كلمته الأرض فقالت: إني كنت أبغضك وأنت علىٰ ظهري فأنت الآن أبغض إليّ

وروي عن عمرو بن دينار كان رجل من أهل المدينة له أخت في ناحية المدينة فماتت فحفر لها قبرًا [١] وحملها إلىٰ قبرها

فلما دفنت ورجع إلىٰ أهله ذكر أنه نسي كيسًا كان معه فاستعار رجل من أصحابه فأتيا القبر، فنبشا فوجد الكيس فقال للرجل تنح عني حتى أنظر حال أختي، فرفع ما في اللحد فإذا القبر مشتعلا نارًا فرده وسوى القبر ورجع إلىٰ أمه فقال: أخبريني علىٰ ما كانت أختي عليه؟

فقالت: لما تسأل عن أختك وقد هلكت

قال: فتخبريني، قالت: كانت أختك تؤخر الصلاة ولا تصلي بطهارة تامة وتأتي أبواب الجيران إذا ناموا وتلقم. أي تضع أذنها. فتخرج حديثهم لكي تمشي بالنميمة[٢]، وهي سبب عذاب القبر

---

(١) اتفقوا علىٰ أن السنة اللحد، وأن الشق ليس بسنة وصفة اللحد أن يحفر مما يلي القبر لحدًا، ليكون الميت تحت قبلة القبر إذا نصب اللبن إلا أن تكون الأرض رخوة فيتخذ لها من الحجارة شبهًا باللحد ولا يلحد منها لئلا يخر علىٰ الميت القبر

وصفة الشق أن يبنى من جانبي القبر بلبن أو حجر، ويترك أوسط القبر لأنه تابوت ويرفع بحيث إذا جعل فيه الميت وسقف عليه لم يباشر السقف الميت.

المرجع السابق (١/ ١٨٨).

(٢) قال النووي قال العلماء النميمة نقل كلام الناس بعضهم إلىٰ بعض علىٰ جهة الإفساد بينهم قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله في الإحياء: اعلم أن النميمة إنما تطلق في الأكثر علىٰ من ينم قول الغير إلىٰ المقول فيه، كما تقول فلان يتكلم فيك بكذا، قال وليست النميمة مخصوصة بهذا، بل حد النميمة كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه أو ثالث، وسواء كان الكشف بالكناية أو بالرمز أو بالإيماء

فحقيقة النميمة: إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه.

فلو رآه يخفي مالًا لنفسه فذكره فهو نميمة، قال: وكل من حملت إليه نميمة، وقيل له: فلان يقول فيك أو يفعل فيك كذا فعليه ستة أمور: الأول ألا يصدقه، الثاني: ينهاه، الثالث: يبغضه، الرابع: ألا يظن بأخيه الغائب السوء، الخامس: ألا يحمله ما حكي له علىٰ التجسس والبحث، السادس: ألا يرضى لنفسه ما نهي النمام عنه، فلا يحكي نميمته عنه.

شرح مسلم للنووي (٢/ ٩٧) طبعة دار الكتب العلمية.

فمن أراد أن ينجوا من عذاب القبر فعليه أن يحترز من النميمة، وعن سائر الذنوب لينجوا من عذاب القبر ويسهل منكر ونكير

قال الفقيه: من أراد أن ينجوا من عذاب القبر فعليه أن يلازم أربعة أشياء، ويجتنب من أربعة أشياء

فأما الأربعة التي يلازمها محافظة الصلاة والصدقة وقراءة القرآن، وكثرة التسبيح فإن هذه الأشياء تضيء القبر

وأما الأربعة التي يجتنبها: فالكذب ، والخيانة والنميمة والبول(١)

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**تنزهوا عن البول فإن عذاب القبر منه**»(٢)

فينبغي للعاقل أن يكثر ذكر الموت قبل أن يدخله ويتفكر في أمر الموت فإنهم يتمنون أن يؤذن لهم بأن يصلي ركعتين أو يؤذن لهم بأن يقول مرة واحدة لا إله إلا الله ، أو يؤذن لهم بتسبيحة واحدة، فلا يؤذن لهم، ويتعجبون من الأحياء أنهم يضيعون أيامهم في الغفلة

يا أخي لا تضيع أيامك، فإن أيامك رأس مالك وأنك ما دمت رأس مالك قادر علىٰ طلب الربح لأن بضاعة الآخرة كاسدة في يومك هذا فاجتهد حتى تجمع بضاعة الآخرة، فاشتري منها في وقت الكسادة، فإنه يجيء يومًا تصير هذه البضاعة عزيزة فاشتري منها في يوم الكساد ليوم المغفرة فإنك لا تقدر علىٰ طلبها

فنسأل الله أن يوفقنا للاستعداد ليوم الحجة

---

(١) قال أكثم بن صيفي لبنيه: إياكم والنميمة فإنها نار محرقة، وإن النمام ليعمل في ساعة ما لا يعمل الساحر في شهر

وقال الإمام العالم العلامة الفضيل بن عياض رحمه الله : ثلاث يهرمن من العمل الصالح ويفطران الصائم وينقضن الوضوء: الغيبة والنميمة والكذب

ويقال: عمل النمام بالمواجهة والمعاينة .

ويقال: عذاب القبر ثلاث أثلاث: ثلث من الغيبة وثلث من البول وثلث من النميمة .

وقال محمد بن السماك رحمه الله لا تخف ممن تحذر ولكن احذر ممن تأمن

بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ٢٥٥) من تحقيقنا . طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) أخرجه: المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٣٩)، والألباني في إرواء الغليل (١/ ٣١٠)، والدارقطني في سننه (١/ ١٢٧)، والزيلعي في نصب الراية (١/ ١٢٨)

ولا تجعلنا من النادمين، ولا من الذين يطلبون الرجعة، ويسهل علينا شدة عذاب القبر وعلىٰ جميع الأنبياء والمرسلين أمين رب العالمين

باب ما وجد مكتوبًا علىٰ القبور

قال عبد الله بن عقبة: قرأت علىٰ قبر ناحية طرسوس:

فارقت من دنياي وسرت إلىٰ ربنا ... فيا رب اغفر ما تقدم من ذنبي[1]

ووجد علىٰ قبر مكتوب:

أنا مشغول بذنبي عن ذنوب المذنبينا ... لي ذنوب وأخطاء تركت قلبي حزينا
من ثرى الأرض فريد في حوار الهالكينا ... وتركت الأمل والمال للغير والبنينا
بعدما كنت جليلا في عيون الناظرينا ... صرت في القبر خالدًا فيه رهينا
لقد عمرت الدهر عمرًا بعد أحقاب سنينا ... في نعيم وسرور وفوق وصف الواصفينا
وملكت الشرق والغرب وكان الملك فينا ... وفتحت المدن قهرًا وعلوت الأولينا
فأتى الموت علينا بعد هذا ففنينا ... أيها المغرور بادر في ثواب الصالحينا
كل حي سوف يفنى غير محي الميتينا

ووجد علىٰ قبر مكتوب:

تناجيك أحداث وهي سكوت ... وسكانها تحت التراب خفوق
أيا جامع المال لغير بلاغة ... لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

وقال ابن السماك: مررت بالمقابر[2] فإذا علىٰ قبر مكتوب:

---

(١) حكي عن ابن نباته رَحِمَهُ اللهُ أنه رؤي في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: إنه أوقفني بين يديه الكريمتين، وقال: أنت الذي كنت تخلص كلامك حتى يقال: ما أفصحه، قلت: سبحانك إن كنت أصفك قال: قل كما كنت تقول في دار الدنيا، قلت: إن ربهم الذي خلقهم وأسكتهم وأنطقهم وسيجدهم كما خلقهم، وسيجمعهم كما فرقهم، قال لي: صدقت، اذهب فقد غفرت لك، ومن الناس من إذا انتهى إلىٰ الكرسي سمع النداء: ردوه ، ومنهم من يرد من الحجب، وإنما يصل إلىٰ الله تعالىٰ عارفوه
بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ٤٧٨) من تحقيقنا. طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) جاء في الخبر عن معاذ بن جبل في رد الأعمال وغيره: فإذا ردت النفس إلىٰ الجسد ووجدته قد أخذ في غسله إن كان قد غسل فيقعد عند رأسه حتى يغسل، فإذا أدرج الميت في أكفانه =

يمـر أقـاربي جـنـبـات قـبـري كـأن أقـاربي لم يـعـرفـوني
وذوي المـيراث يـقـسـمـون مـالي ومـا بـالـوا إن جـحـدوا ديـوني
وقـد أخـذوا وعـاشـوا في نـعـيـم فـيـمـا لله أسرع مـا نـسـوني

ووجد علىٰ قبر مكتوب:

إن الحبيب من الأحباب مختلس لا يمنع الموت حجاب ولا حرس
فـكـيـف تـفـرح الـدنـيا ولـذاتـهـا يا من يعد عليه اللفظ والنفس
أصبحت يا فلا في النقص منغمسًا وأنت دهرك في اللذات منغمس
لا يـرحـم المـوت ذا جـهـل لـغـرتـه ولا الـذي كـان مـنـه (مقتبس)[١]

ووجد مكتوب:

يـا أيهـا الـنـاس كـان لي أمـل[٢] قـصـر بي عـن بـلـوغـه الأجـل
فـلـيـتـق الله ربـه رجـل أمـكـنـه في حـيـاتـه الـعـمـل
هـا أنـا وحـدي نـقـلـت حـيـث تـرى كـل إلىٰ مـثـلـه سينـتـقـل

فهذه أبيات كتبت علىٰ القبور لتقصير سكانها عن الاعتبار قبل الموت

والبصير هو الذي ينظر إلىٰ قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم فيستعد للحوق

= صارت ملتصقة في الصدر من خارج الصدر ولها خوار وعجيج تقول: أسرعوا بي إلىٰ رحمة ربي لو علمتم ما أنتم حاملي إليه، وإن كان بشر بالشقاء تقول: رويدا بي إلىٰ عذاب ربي لو تعلمون ما أنتم حاملي إليه، فإذا دخل القبر وأهيل عليه التراب نادى القبر: كنت تفرح علىٰ ظهري فاليوم تحزن في بطني، كنت تأكل الألوان علىٰ ظهري فاليوم تأكلك الديدان في بطني، وبكثر عليه مثل هذه الألفاظ الموبخة حتى يسوى عليه التراب ، ثم يناديه ملك يقال له رومان وهو أول ما يلقى الميت إذا دخل القبر

بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ٤٨٠) من تحقيقنا . طبعة دار الكتب العلمية .

(١) كذا بالأصل

(٢) روى البخاري في صحيحه (٦٤١٦) كتاب الرقاق، ٣. باب قول النبي ﷺ: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»، عن عبد الله بن عمر قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»، وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك"

بهم، ويعلم أنهم لا يبرحون من مكانهم ما لم يلحق بهم[١]، وليتحقق أنه لو عرض عليه يوم واحد من أيام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك أحب إليهم من الدنيا، بحذافيرها لأنهم عرفوا قدر الأعمال، وانكشفت لهم حقائق الأمور

فإنما حسرتهم يوم من العمر ليتدارك المقصر فيه تقصيره فيتخلص من العقاب ويستزيد الموفق به رتبة فيتضاعف له الثواب

فإنهم إنما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم في ساعة في الحياة وأنت قادر علىٰ تلك الساعة

باب وفاة رسول الله ﷺ

عن ابن مسعود قال: لما دنا فراق النبي ﷺ جمعنا في بيت أُمنا عائشة رضي الله عنها، ثم نظر إلينا فدمعت عيناه، ثم قال: «**مرحبا بكم، حياكم الله رحمكم الله هداكم الله أوصيكم بتقوى الله، وأن لا تعلوا علىٰ الله فإن[٢] الله تعالىٰ قال لي ولكم** ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ **[القصص: ٨٣]**

قلنا: متى أجلك يا رسول الله قال: قد دنا الأجل والمنقلب إلىٰ الله، وإلى

(١) وفي الخبر الذي ذكره الإمام الغزالي أنه ينزل عليه أربعة من الملائكة: ملك يجذب النفس من قدمه اليمين، وملك يجذبها من قدمه اليسرى، وملك يجذبها من يده اليمنى، وملك يجذبها من يده اليسرى

وربما كشف للميت عن الأمر الملكوتي قبل أن يغرغر فيعاين الملائكة علىٰ حقيقة علمه ما يتحيزون إليه من عالمهم، فإن كان لسانه مطلقًا، حدث بوجودهم وربما أعاد علىٰ نفسه الحديث بما رأى وظن ذلك من فعل الشيطان به فيسكت حتى يعقل لسانه وهم يجذبونها من أطراف البنان من رؤس الأصابع والنفس تنسل إنسلال القذى من الشقي، والفاجر تسل روحه كالسفود من الصوف المبلول .

بستان الفقراء ونزهة القراء (٢/ ٤٧٦) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) أخرجه: الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٥)، والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٣٨٦)، وابن حجر في المطالب العالية (٤٣٩٢، ٤٣٩٣)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/٢/٤٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ١٩٨)

سدرة المنتهى وإلى جنة المأوى والعرش الأعلى»(١)

قلنا: فمن يُغسلك منا؟

قال: رجال من أهل بيتي

قلنا: كيف نُكفنك؟ قال: في ثيابي هذه وإن شئتم في حلة يمانية(٢)

قلنا: فمن يصلي عليك منا؟

فبكينا وبكى قال: هلا غفر الله لكم إذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني علىٰ سريري في بيتي علىٰ شفير لحدي ثم أخرجو عني ساعة

قال: أول من يصلي عليّ جبرائيل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنوده، ثم ادخلوا عليّ فوجًا فوجًا وتسلموا تسليمًا، وليبدأ عليَّ بالصلاة رجال أهل بيتي ثم نساءهم ثم أنتم(٣)

عن ابن عباس: لما نزل سورة الفتح علىٰ رسول الله ﷺ قال النبي ﷺ: «**يا جبرائيل نعيت إليّ نفسي**»(٤)

قال جبرائيل: يا محمد ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤﴾(٥): وكان رسول

(١) أخرجه: الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٥)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٤٥٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ١٦٨)، وابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ٢٥٣)

(٢) أخرجه: الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٥)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ٢/ ٤٦)، وابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ٢٥٣)

(٣) غسل النبي ﷺ علي بن أبي طالب بالماء البارد في ثوبه، ومعه العباس وولده الفضل وأسامة ابن زيد يصب الماء ، ثم كفنوه في ثلاث أثواب تحت السقف وحوله ستر ولم يخرج منه شيء كالأموات، فقال علي ﷺ: ما أطيبك حيًا وميتًا يا رسول الله

ثم دخلوا الناس فصلوا عليه فرادى بغير إمام، ثم بعدهم النساء، ثم الصبيان .
وقيل أول من صلى عليه ربه ﷻ ثم الملائكة ثم الأنبياء ثم ألحده أبو طلحة من ليلة الأربعاء في الموضع الذي مات فيه ﷺ وقيل: ليلة الثلاثاء .

(٤) أخرجه الزبيدي في الاتحاف (١٠/ ٢٩٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٧٣)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٣٢٧)

(٥) الضحى (٤)

الله ﷺ بعد نزول هذه الآية يسكت بين التكبيرة والقراءة، فيقول فيها سبحان الله وبحمده واستغفر الله وأتوب إليه(١)

وقيل: إنك لم تكن تقول قبل ذلك

قال: أما إن نفسي نعيت ، ثم بكى بكاءً شديدًا فقيل يا رسول الله أو تبكي من الموت وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر(٢)

قال: فأين هول المطلع فأين ضيق القبر، وأين القيامة والأهوال؟

فعاش بعد هذه السورة عامـًا تامًا فأمر النبي ﷺ بلال ينـادي في النـاس الصلاة جامعة، فاجتمع المهاجرون والأنصار في مسجد النبي ﷺ فصلى بهم ركعتين خفيفتين، ثم صعد المنبر وأثنى علىٰ الرب وحده وخطب خطبة وجلت القلوب وبكت العيون ثم قال: «**معاشر المسلمين أي كنت لكم**»

قالوا كنت فينا كالأب الرحيم والأم الشفيق الناصحة أديت رسالة ربك بالحكمة والموعظة فجزاك الله عنا أفضل ما يجزى نبي عن أمته، فمرض النبي ﷺ من يومه وكان مريضًا ثمانية عشر يومًا يعوده الناس وكان ذلك يوم الاثنين، وولد يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين وقبض فيه

فلما كان يوم الأحد ثقل مرضه فأذن بلال الآذان فوقف بالباب فقال: السلام

---

(١) أخرجه: السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٤٠٨)، وابن كثير في تفسيره (٧/ ٤٩٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٨٣)

(٢) روى مسلم في صحيحه [٧١. (٢٨١٦)] كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **لن ينجي أحد منكم عمله** » ، قال رجل ولا إياك؟ يا رسول الله، قال: « **ولا إياي، إلا أن يتغمدني الله منه برحمة ولكن سددوا**»

قال النووي: اعلم أن مذهب أهل السنة أنه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا إيجاب ولا تحريم ولا غيرهما من أنواع التكليف ولا تثبت هذه كلها ولا غيرها إلا بالشرع، ومذهب أهل السنة أيضا أن الله تعالىٰ لا يجب عليه شيء تعالىٰ الله، بل العالم ملكه والدنيا والآخرة في سلطانه، يفعل فيهما ما يشاء، فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان عدلا منه، وإذا أكرمهم ونعمهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه، ولو نعم الكافرين وأدخلهم الجنة كان له ذلك ولكنه أخبر وخبره صدق أنه لا يفعل هذا بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته ويعذب المنافقين ويخلدهم في النار عدلا منه .

النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٣١، ١٣٢) طبعة دار الكتب العلمية .

عليك يا رسول الله، الصلاة يرحمك الله، فقالت: فاطمة: يا بلال إن رسول الله مشغول بنفسه(١)

فدخل بلال المسجد

فلما أن طلع الصبح جاء بلال فقام بالباب وقال كذلك

فسمع رسول الله ﷺ صوت بلال فقال: «**يا بلال ادخل**»

فدخل فقال النبي ﷺ: إني مشغول بنفسي مُر أبا بكر يصلي بالناس فخرج بلال ويده علىٰ رأسه وهو ينادي وانقطاع رجاؤه، وانكسار ظهراه، يا ليتني لم تلدني أمي ولو ولدتني لم أشهد من رسول الله ﷺ هذا، فدخل المسجد وقال: يا أبا بكر إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تتقدم(٢)

فلما نظر أبو بكر إلىٰ خلوة المكان من رسول الله ﷺ وكان رجلا رقيقا لم يتمالك أن خر مغشيًا عليه، فضج المسلمون فسمع رسول الله ﷺ الصيحة

فقال: «**يا فاطمة ما هذه الصيحة**»

قالت: ضج المسلمون لفقدك

---

(١) لما دفن ﷺ قال هذه الأبيات وحكاها القرطبي في تفسير سورة آل عمران عن صفية عمة النبي ﷺ ورضي الله عنها:

ألا يا رسول الله كنت رجانا ... وكنت بنا برًا ولم تكن جافيا
وكنت بنا برًا رحيما وهاديًا ... ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكي النبي لفقده ... ولكن لهرج بعده كا آتيا
أفاطم صلى الله رب محمد ... على جسد أمسى بيثرب ثاويا
فدى رسول الله بأمي وإخوتي ... وعمي وآبائي نفسي وخاليا
ولو أن رب الناس أبقى نبينا ... سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية ... وأدخلت جنات من العدن راضيا

انظر بستان الفقراء ونزهة القراء (١/ ٤٩٦، ٤٩٧) من تحقيقنا. طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) روى مسلم في صحيحه [٩٥ . (٤١٨)] كتاب الصلاة ٢١ . باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما من يصلي بالناس، عن عائشة قالت: لما ثقل رسول الله ﷺ جاء بلال يؤذنه بالصلاة، فقال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**» قالت: فقلت يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف ـ أي حزين وقيل سريع الحزن والبكاء ـ وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر، فقال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**» الحديث

فدعى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابن عباس واتكأ عليهما وخرج إلىٰ المسجد(١) وصلى بهم ركعتين خفيفتين ثم ولى وجهه إلىٰ الناس فقال: معاشر المسلمين أنتم في وداع الله خليفتي عليكم بتقوى الله وحفظ طاعته فإني مفارق الدنيا، وهذا أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا

فلما كان يوم الاثنين ثقل مرضه فأوحى الله تعالىٰ إلىٰ ملك الموت أن اهبط إلىٰ حبيبي بأحسن زي فارفق به في قبض روحه

فإن أمرك أن تدخل فادخل وإن نهاك لا تدخل عليه فارجع

فهبط علىٰ صورة أعرابي فوقف علىٰ الباب فقال السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أأدخل عليك

فقالت عائشة لفاطمة أجيبي الرجل

فقالت فاطمة: آجرك الله في ممشاك إن رسول الله ﷺ مشغول بنفسه(٢)

فنادى الثانية مثل ذلك، فقالت عائشة لفاطمة أجيبي الرجل لعل في أذنيه

---

(١) كما جاء في رواية مسلم لما خرج النبي ﷺ [٩٨. (٤١٩)] كتاب الصلاة، ٢١. باب استخلاف الامام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما ، عن أنس « **كشف رسول الله ﷺ ستر الحجرة فنظر إلينا وهو قائم، كأنّ وجهه ورقة مصحف ثمّ تبسّم رسول اللّه ﷺ ضاحكًا . . .**» الحديث

قال النووي: سبب تبسّمه ﷺ فرحه بما رأى من اجتماعهم علىٰ الصّلاة واتّباعهم لإمامهم وإقامتهم شريعتهم واتّفاق كلمتهم واجتماع قلوبهم، ولهذا استنار وجهه ﷺ علىٰ عادته إذا رأى أو سمع ما يسرّه يستنير وجهه، وفيه معنى آخر وهو تأنيسهم وإعلامهم بتماثل حاله في مرضه، وقيل يحتمل أنّه ﷺ خرج ليصلّي بهم فرأى من نفسه ضعفًا فرجع .
النووي في شرح مسلم (٤/ ١١٨) طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) قال في روض الأفكار: هبط جبريل وملك الموت، وملك يقال له: إسماعيل معه سبعون ألف ملك وذكر غيره: أن عزرائيل وقف علىٰ الباب وقال: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة أأدخل؟ فقالت له فاطمة: إن رسول الله ﷺ مشغول عنك بنفسه، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا مفرق الجماعات، هذا ملك الموت** »ثم أذن له في الدخول

فقال: «**أين تركت أخي جبريل**»، قال: في السماء الدنيا والملائكة يعزونه فيك، وإذا بجبريل قد دخل وسلم وقال: هذا ملك الموت يستأذن عليك، ولم يستأذن علىٰ أحد من قبلك، ثم قال جبريل: السلام عليك يا رسول الله هذا آخر موطئ من الدنيا إنما كنت حاجتي منها انظر بستان الفقراء ونزهة القراء (١/ ٤٩٥) من تحقيقنا . طبعة دار الكتب العلمية .

ثقل، فقالت فاطمة: آجرك الله في ممشاك إن رسول الله ﷺ مشغول بنفسه

ثم نادى الثالثة فسمع النبي ﷺ صوت ملك الموت فقال يا فاطمة من بالباب(١)

فقالت: يا رسول الله فإن بالباب رجلا فقلت إن رسول الله مشغول بنفسه، ثم نادى الثانية فقلت مثله ثم نادى الثالثة بصوت اقشعر جلدي وارتعدت فرائصي وتغير لوني

فقال ﷺ أتدري من هو؟(٢)

فقالت: لا، قال: هذا هادم اللذات ومفرق الجماعات ومقطع الشهوات ومخرب القصور ومعمر القبور هذا ملك الموت

ثم قال: ادخل يا ملك الموت، فدخل فقال: السلام(٣) عليك يا رسول الله فقال: وعليك السلام يا ملك الموت أجئت زائرًا أم قابضًا(٤)

قال: جئت زائرًا أو قابضًا وأمرني الله تعالىٰ أن أدخل عليك إلا بأذنك ولا أقبض روحك إلا بإذنك فإن أذنت وإلا رجعت

فقال: يا ملك الموت أين خلفت حبيبي جبرائيل ؟

فقال: يا حبيب الله خلفته في السماء الدنيا والملائكة يعزونه

فهبط جبرائيل(٥) فقعد عند رأس رسول الله ﷺ فقال ﷺ: يا جبرائيل ألست تعلم

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٥٨)، والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٢٩٥)

(٢) أخرجه: أحمد في مسنده (٥/ ٣٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٥٩)

(٣) أخرجه: الفتني في تذكره الموضوعات (٢١٥)

(٤) أخرجه: الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٥٩)، والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٢٩٥)

(٥) قال في كتاب الزهر الفايح: نزل جبريل منشور الزوائب وقال: ليتني كنت قد أقدمتك وهذه الجنان قد تزخرفت وأبوابها قد فتحت والحور العين قد تزينت أين تريد أن يكون قبرك: تحت العرش أو الكرسي أو في الجنة؟ فاختار ﷺ الموافقة لأمته فلما فاضت روحه الكريمة فاح الطيب

وفي المعنى شعر:

تذكرت لما فرق الدهر بيننا فعزيت نفسي بالنبي محمد

وقلت لها إن المنايا سبيلنا فمن لم يمت في يومه مات في غد =

أن الأمر قد قرب قال: بلى يا حبيب الله، قال: يا جبرائيل بشرني ما عند الله لي.

قال: يا حبيب الله إن أبواب السماء قد فتحت، والملائكة وقفوا صفوفًا ينتظرون روحك

فقال: الحمد لله بشرني يا جبرائيل

فقال: يا حبيب الله إن أبواب الجنان قد فتحت وحورها قد زينت وأشجارها قد تدلت ينتظرون روحك

فقال: الحمد لله بشرني ما لي عند الله؟

قال: يا حبيب الله أنت شافع مشفع

فقال: الحمد لله بشرني ما عند الله لي؟ قال: يا حبيب الله عما تسألني قال: يا جبرائيل من يصوم شهر رمضان ومن يزور بيت الله الحرام

فقال: يا حبيب الله، إن الله تعالىٰ يقول: إني حرمت الجنة علىٰ سائر الأمم والأنبياء حتى تدخلها أنت وأمتك

قال: يا جبرائيل الآن طاب قلبي يا ملك الموت ادن مني فاقبض كما أمرت[1]

= قالت عائشة رضي الله عنها: لما خرجت نفسه الطيبة ما شممت ريحًا أطيب منها ثم وقعت الظلمة في المدينة حتى لا يرى بعضهم بعضا.

واختلف حال أصحابه في هذه المصيبة فمنهم من أقعد ومنهم من خرس لسانه إلىٰ بعد الغد حتى تكلم ومنهم من أخفى كالمريض حتى مات وثبت أبو بكر رضي الله عنه ثم بايعه الناس بالخلافة.

بستان الفقراء ونزهة القراء (١/ ٤٩٥، ٤٩٦) من تحقيقنا. طبعة دار الكتب العلمية.

(١) قال في كتاب البركة: نزل جبريل علىٰ محمد ﷺ سبع مرات:

الأولى: يقول الله تعالىٰ: يا محمد من أطاعني من أمتك كما ينبغي جازيته كما ينبغي.

الثانية: انظر إلىٰ جوارحه فإن عصاني بستة وأعطاني بواحدة وهبت الستة له

الثالثة: من تاب منهم من المعصية أخرجته من ذنوبه كيوم ولدته أمه

الرابعة: من أصر منهم علىٰ ذنبه ابتليته بالأسقام حتى أطهره من ذلك

الخامس: من أذنب ذنبًا يعلم أنه أساء غفرت له ولا أبالي

السادسة: أفتح عليهم الهاوية أربعين يومًا والزمهرير أربعين يومًا في الدنيا ليكون ذلك حظهم من النار يوم القيامة

السابعة: إذا قامت القيامة أحاسبهم حساب المولى الكريم للعبد الضعيف

بستان الفقراء ونزهة القراء (١/ ٥٠٢) من تحقيقنا. طبعة دار الكتب العلمية.

فدنا ملك الموت إلىٰ رسول الله ﷺ

فقال علي ﷺ: إذا أنت قُبضت فمن يغسلك ومن يكفنك، ومن يدخل القبر معك، ومن يصلي عليك؟

قال: يا علي كفني بثلاثة أثواب بيض[١] أما الغسل فأنت تغسلني وابن عباس يصب الماء، وأنه لا يرى عورتي غيرك

وجبرائيل يأتيك بحنوط من الجنة، فإذا أنتما غسلتماني ولففتماني فضعوني علىٰ سرير، فاحملوني وأدخلوني المسجد وأخرجوا عني ساعة. علىٰ ما مر ذكره. فأول من يصلي عليّ الرب فوق العرش، ثم جبرائيل ثم ميكائيل، ثم إسرافيل ثم الملائكة، ثم أن ملك الموت ﷺ يعالج قبض روحه فقالت فاطمة يا رسول الله هذا الفراق وأين اللقاء قال:[٢] يا بنيتي وأنا علىٰ الحوض أسقي من يرد عليّ من أمتي

قالت: إن لم ألقاك علىٰ الحوض

قال: تلقيني وأنا عند الميزان أنادي فأقول أي رب أثقل علىٰ أمتي

قالت: إن لم ألقاك عند الميزان يا أبتاه؟

قال: تلقيني عند الصراط، وأنا أقول رب سلم أمتي من النار[٣]

فلما بلغت الروح إلىٰ السَّرة فقال: يا جبرائيل ما شدة حرارة الموت، فتولى جبرائيل عن وجهه

فقال: يا جبرائيل أكرهت النظر إلىٰ وجهي[٤]

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٤٥. (٩٤١)] كتاب الجنائز ، ١٣. باب: في كفن الميت، عن عائشة، قالت كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية. . . . الحديث»

قال النووي: قال ابن الأعرابي السحولية ثياب بيضاء نقيه لا تكون إلا من القطن ، وقال ابن قتيبة: ثياب بيض ولم يخصها بالقطن، وقال آخرون : هي منسوية إلىٰ سحول قرية باليمن تعمل فيها .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٦٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣٠)

(٣) تقدم تخريجه في أوله

(٤) قال القشيري في تفسيره، والسلمي في حقائقه عن الواسطي: سقمت البصائر عند وفاة رسول الله ﷺ إلا رجلاً واحدًا وهو أبو بكر الصديق فإن الله تعالىٰ أيده بقوة السكينة فقال: «**من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد إله محمد فإن إله محمد لم يمت، فصار الكل معهودون تحت سلطان مقالته لما أبسط عليه من نور حالته كالشمس بطلوعها** =

فقال: يا حبيب الله ومن يطيب قلبه أن ينظر إلىٰ وجهك وأنت تعالج سكرات الموت

فلما أراد ملك الموت أن يقبض روح النبي ﷺ قال له خفف

قال: خففت يا رسول الله، ولكن النزع شديد

قال: أو يكون لكل واحد من أمتي مثل هذه الشدائد قال: وأضعاف هذا

قال: ضع علىٰ روحي الشدائد كلها حتى يكون عليهم أهون فلما بلغت الروح حنجرته صب الماء علىٰ صدره وقال: «**اللهم هون عليّ سكرات الموت**»(١)

فلما حبس لسانه وغمض عيناه وتحرك شفتاه، فوضع عليّ أذنه علىٰ فيه وهو يقول أمتي أمتي

يا أخي فإذا كان شفقته عليك هكذا أفتتكاسل بالصلاة علىٰ النبي ﷺ بكرة وعشيًا مع احترامه واتباع سنته

باب وفاة فاطمة رضي الله عنها

لما خرج النبي ﷺ من الدنيا ودفن تحت التراب ووقعت الشمس في عقدة الكسوف وشرب النبي ﷺ كأس الميتة، ولم يغتم أحد من الصحابة مثل ما اغتم

= **تندرج في شعاعها أنوار الكواكب»**

قال القشيري: وإنما قال: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ [**آل عِمرَان: ١٤٤**] لأنه ﷺ مات، وقتل أيضًا بالسم الذي أكله يوم خيبر من الشاة المسمومة

بستان الفقراء ونزهة القراء (١/ ٤٩١) من تحقيقنا. طبعة دار الكتب العلمية.

(١) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٩/ ١٣، ١٠/ ٢٥٩، ٢٦٣)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ١٤٧)

عليّ رضي الله عنه غير أنه لو نظر إلىٰ فاطمة يستأنس لأن فاطمة ثمرة شجرة النبوة وبضعة الرسالة كما قال النبي[١] ﷺ: «**فاطمة بضعة مني**»[٢]

وقيل: كان بين عينيها: طوبى للنساء اللواتي معك في الجنة

ثم إن عليًا رضي الله عنه دخل يومًا علىٰ فاطمة وهي تغسل رأس الحسن والحسين، فلما فرغت من ذلك مشطت رأسهما وغسلت ثوبهما وأخذت دقيقًا وعجنته وخبزت خبزًا، ولم تتكلم مع عليّ

فقال علي: يا فاطمة رأيت منك عجبًا لم أر قبلك هذا، فإنك غسلت رأسهما وثوبهما وخبزت خبزًا كثيرًا، ولم تتكلمي معي

قالت فاطمة رضي الله عنها: يا علي إني فعلت ذلك لأني أريد أن أذهب إلىٰ ضيف حتى لا يكون أولادي جائعين ولم أتكلم معك لأني أريد الفراق منك

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٧٦٧) كتاب فضائل الصحابة ٣٠ باب مناقب فاطمة رضي الله عنها ، ومسلم في صحيحه [٩٤ ـ (٢٤٤٩)] كتاب فضائل الصحابة ، ١٥ باب فضائل فاطمة بنت النبي عليهما الصلاة والسلام، والبيهقي في سننه (٧/ ٦٤، ١٠/ ٢٠١)، والزبيدي في الاتحاف (٦/ ٢٤٤، ٧/ ٢٨١)، وابن حجر في فتح الباري (٧/ ٧٨، ١٠٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٦١٣٠)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٣٤)، وابن كثير في تفسير(٥/ ٤٨٩)، والحاكم في مستدركه (٣/ ١٥٨)، والبغوي في شرح السنة (١٤/ ١٥٨)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ١٣٠)

(٢) قال النووي: في هذا الحديث تحريم إيذاء النبي ﷺ بكل حال وعلىٰ كل وجه، وإن تولد ذلك الإيذاء مما كان أصله مباحا وهو حي، وهذا بخلاف غيره

ثم قال النووي في سبب نهي النبي ﷺ عن الجمع بين فاطمة وبنت أبي جهل فقال: وقد أعلم ﷺ بإباحة نكاح بنت أبي جهل لعلي بقوله ﷺ: « **لست أحرم حلالا** » ولكن نهى عن الجمع بينهما لعلتين منصوصتين:

إحداهما: أن ذلك يؤدي إلىٰ أذى فاطمة فيتأذى حينئذ النبي ﷺ فيهلك من أذاه، فنهى عن ذلك لكمال شفقته علىٰ علي وعلىٰ فاطمة

والثانية: خوف الفتنة عليها بسبب الغيرة ، وقيل ليس المراد به النهي عن جمعهما، بل معناه أعلم من فضل الله أنهما لا تجتمعان كما قال أنس بن النضر والله لا تكسر ثنية الربيع ويحتمل أن المراد تحريم جمعهما وتكون معنى لا أحرم حلالا أي لا أقول شيئاً يخالف حكم الله

النووي في شرح مسلم (١٦/ ٣) طبعة دار الكتب العلمية .

هذه أبيات لفاطمة الزهراء في حق أبيها المختار ورسوله المجتبى عند الفراق:

إذا اشتد شوقي زرت قبرك باكيًا أنـزح وأبـكـي لأراك مـا بي
يا ساكن الصحراء علمني البكا وذكـرك أنـساني جمـيع المصـائب
وإن كنت عني في التراب مغيبًا فما أنت عن قلب الحزين بغائب(١)

إخواني الفراق أمر عظيم وكرب، الفراق عذاب أليم(٢)

ثم قال علي: يا فاطمة متى ترجعين من عند الضيف

قالت: لا مرجع إلىٰ يوم القيامة

قال علي: ما هذا الكلام يا فاطمة الوحي منقطع، ومن أخبرك بذلك

قالت فاطمة: رأيت البارحة أبي محمد ﷺ في المنام وقال لي: يا فاطمة طال العهد واشتد الشوق، وأنا منتظرك

فلما سمع علي هذا الكلام من فاطمة بكى وأنشأ يقول شعر:

لكل اجتماع من الخليلين فرقة وكـل الـذي دون الـفـراق قـليل
وإن افتقـادي فـاطـمـة بـعـد أحمد دليل عـلىٰ أن لا يـدوم خـليل
وكيف مناني العيش من بعد فقدهم لـعـمـرك شيء مـا إليه سـبـيل

ثم دعت فاطمة الحسن والحسين(٣) فأجلست الحسن علىٰ فخذها الأيمن

---

(١) وجدناه بالهامش

(٢) في دفن النبي ﷺ قال القرطبي في تفسير آل عمران: فإن قيل: فلم أخر دفن النبي ﷺ وهذا قد أمر بتعجيل الميت؟ فالجواب من وجوه: الأول: أنهم اختلفوا في موته ﷺ، فمنهم من أنكره حتى قال عمر: من قال إن محمدًا مات ضربت عنقه

الثاني: أنهم اختلفوا في دفنه ﷺ فمنهم من قال: يدفن في البقيع، ومنهم من قال: يدفن في المسجد، فقال الصديق الأكبر رضي الله عنه: سمعته ﷺ يقول: «**ما دفن نبي إلا حيث يموت**»
الثالث: إن الأنصار والمهاجرين اختلفوا في الخلافة، فلما وفق الله تعالىٰ الفريقين لتوليه أبي بكر رضي الله عنه وتابعوه قاموا إلىٰ تجهيزه ﷺ كما تقدم.
انظر بستان الفقراء ونزهة القراء (١/ ٤٩٧) من تحقيقنا. طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) روى البخاري في صحيحه (٣٧٥٣) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ٢٣. باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، عن ابن عمر وسأله عن المحرم قال شعبة أحسبه يقتل الذباب. فقال: أهل العراق يسألون عن الذباب وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله ﷺ وقال النبي ﷺ: «**هما ريحانتاي من الدنيا**»

والحسين على فخذها الأيسر فنظرت إلى وجههما وتبكي وتقول:

يا ليت شعري من يغسل ثوبكما بعدي ومن يمشط رأسكما بعدي
لو أدركت زمان محنتكما وقتلكما وبكيت لأجلكما

ولما سمع علي من فاطمة هذا الكلام قال: الموت صعب، ولكن موت الغرباء وموت الشباب وموت اليتامى أصعب ولأن فاطمة كانت في المدينة غريبة وشابة ويتيمة

ثم قال علي: يا فاطمة فإني أوصيك بوصية[1] إذا رأيت أباك محمد ﷺ فأقرئيه مني السلام وقولي: إني مشتاق إليك، والأخرى ينبغي أن تكوني راضية مني فلا تشتكي إلى رسول الله ﷺ لأني رجلا فقيرًا لم أعرف قدرك والأخرى إذا رأيتني في عرصات القيامة وأنا في يد الزبانية تشفعين لي

فلما سمعت فاطمة هذا من علي فقالت: يا علي ولي إليك وصية أيضًا: إذا مت فكفني وادفني بنفسك، والأخرى إذا رأيت غريبًا ويتيمًا وشابًا فاذكر غربتي وشابتي والأخرى أن لا تصيح ولا تضرب الحسن والحسين[2]

---

(١) قال قتيبة، بسنده عن أم جعفر أن فاطمة قالت لأسماء بنت عميس: إني أستقبح ما يصنع بالنساء: يطرح على المرأة الثوب فيصفها، فقالت: يا بنت رسول الله ألا أريك شيئاً رأيته بالحبشة؟ فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوباً، فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله، إذا مت فغسليني أنت وعلي، ولا يدخلن علي أحد، فلما توفيت جاءت عائشة تدخل، فقالت أسماء: لا تدخلي، فشكت إلى أبي بكر، فجاء فوقف على الباب فكلم أسماء فقالت: هي أمرتني، قال: فاصنعي ما أمرتك، ثم انصرف، قال ابن عبد البر: فهي أول من غطى نعشها في الإسلام على تلك الصفة

وقال الزهري عن عروة عن عائشة، أن فاطمة عاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر، ودفنت ليلاً ، وماتت في رمضان وهي بنت (٢٧) سنة .
تاريخ الاسلام وفيات سنة (١١) .

(٢) خلَّفت فاطمة من الأولاد: الحسن والحسين وزينب، وأم كلثوم

فأما زينب فتزوجها عبد الله بن جعفر، فتوفيت عنده وولدت له عوناً وعلياً، وأما أم كلثوم فتزوجها عمر، فولدت له زيداً، ثم تزوجها بعد قتل عمر عون بن جعفر فمات، ثم تزوجها أخوه محمد بن جعفر، فولدت له بنته، ثم تزوج بها أخوه عبد الله بن جعفر، فماتت عنده. قاله الزهري .

ثــم قالت: يا علــي قد جاء أبي محمد ﷺ وأرى ملائكـة السماء وملك الموت

ثم قالت: يا علي قم وائتني بحقتي، فجاء مع الحقة وقالت فاطمة يا علي إذا أردت دفني فاخرج من هذه الحقة كاغدًا واجعله في كفني ولا تنظر

قال علي: يا فاطمة ما في الكاغد؟

قالت: سرّ، قال: بحق النبي ﷺ أن تخبريني، قالت فاطمة: حين أراد النبي ﷺ أن يزوجني منك قال: يا فاطمة هل ترضين أن أزوجك من علي علىٰ صداق أربعمائة درهم؟

قالت قلت رضيت عليا ولا أرض بصداق أربعمائة درهم

فجاء جبرائيل وقال: يا رسول الله يقول الله تعالىٰ جعلت الجنة وما فيها صداقًا لفاطمة

قلت: لا أرضى، قال: أيش تريدين؟ قلت: أريد أمتك لأن قلبك مشغول لأمتك

فرجع جبرائيل ثم جاءني بهذا الكاغد مكتوب فيه: جعلت شفاعة[1] أمة محمد ﷺ صداق فاطمة إذا كان يوم القيامة آخذ هذا الكاغد أقول: إلهي وسيدي هذا قبالة شفاعة أمة محمد ﷺ

ويقال: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ يا أهل الجمع غضوا أبصاركم عن فاطمة حتى تمر علىٰ الصراط[2]

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٣٣٤.(١٩٨)] كتاب الإيمان، ٨٦. باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ: قال « **لكل نبي دعوة يدعوها فأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**»

قال النووي: في هذا الحديث بيان كمال شفقة النبي ﷺ علىٰ أمته ورأفته بهم واعتنائه بالنظر في مصالحهم المهمة فأخر ﷺ دعوته لأمته إلىٰ أهم أوقات حاجاتهم .

(٢) أخرجه: ابن القيسراني في تذكرة الموضوعات (٧٤) وابن حبان في المجروحين (٢/ ١٩٠) وابن حجر في لسان الميزان (٦/ ٤٨)، وابن الجوزي في العلل المتناهبة (١/ ٢٦١)

وإنما يسترها الله تعالىٰ عن أعين أهل الموقف لأنها كانت سترت نفسها عن غاسل الموتى، غسلت نفسها في حياتها

وذلك أنها عاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر وكانت عجوز تخدمها

فلما انقضت ستة أشهر زينت الحسن والحسين وأرسلتهما إلىٰ المسجد، لأن النبي ﷺ أخبرها: «**أنك تلحقيني بعد ستة أشهر**»[(١)]

ثم قالت للعجوز: لا تأذني لأحد بالدخول عليّ فإني اشتغل بالمناجاة والصلاة.

فغسلت نفسها وكفنتها وحنطتها بباق حنوط رسول الله ﷺ وغطت وجهها بكساء وجددت الإيمان

فأمر الله تعالىٰ ملك الموت أن يقبض روحها فلما كان وقت الضحوة رجع الحسن والحسين ودخلا عليها، وظنا أنها نائمة

فقال الحسن للحسين: أيقظها فإن وقت الصلاة قد دنا، فناداها يا أماه

فهتف هاتف: كم تنادي الميت

فلما كشفا عن وجهها سطع النور من وجهها وهي كأنها نائمة، فبكيا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧١٦) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ومسلم في صحيحه [٩٩ (٢٤٥٠)] كتاب فضائل الصحابة، ١٥ باب فضائل فاطمة بنت النبي عليهما الصلاة والسلام، وابن ماجه في سننه (١٦٢١)، وأحمد في مسنده (٦/ ٢٨٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٤/ ١٢٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٤٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٤٠٧)، والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٣٣٠)، وابن كثير في تفسيره (٨/ ٥٢٩)

قال النووي: هذه معجزة ظاهرة له ﷺ بل معجزتان فأخبر ببقائها بعده وبأنها أول أهله لحاقًا به ، ووقع كذلك وضحكت سرورا بسرعة لحاقها، وفيه إيثارهم الآخرة وسرورهم بالانتقال إليها والخلاص من الدنيا .
النووي في شرح مسلم (١٦/ ٥) طبعة دار الكتب العلمية .

وبكت العجوز وبكى الجيران وسمع عليّ الصراخ(١)

فخرج من المسجد مسرعًا فوجدها ميتة

ووجد خطاً تحت وسادتها   يا علي أوصيك بالحسن والحسين، فغسلها علي ثانيًا فكان هو مخصوصًا بذلك لأنه سمع النبي ﷺ يقول: «**كل سبب ونسب ينقطع إلا سببي ونسبي**»(٢)

قال له: «**يا علي إنها زوجتك في الجنة**»

لذلك غسلها ثم حملها عليّ بالليل علىٰ الجنازة إلىٰ قبر محمد ﷺ وقال: السلام عليك يا رسول الله، هذه قرة عينيك فاطمة، فخرج من القبر ساعدان وقال: إلىٰ ولدي وقرة عيني فأخذها من علي

ثم اختلفت الأخبار في بعضها ردها إلىٰ عليّ ودفنها ببقيع الغرقد

وفي بعضها ما ردها ثم إن ضم القبر بقدرة الله تعالىٰ وهي مع أبيها في القبر إلىٰ يوم القيامة.

---

(١) روى مسلم في صحيحه [١١. (٩٢٣)] كتاب الجنائز، ٦. باب البكاء علىٰ الميت، عن اسامه ابن زيد، في بكاء النبي علىٰ موت صبيا لاحدى بنات النبي ﷺ، وفي حديث رقم (١٢) عن ابن عمر رفعه: «**إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا أو يرحم وأشار إلىٰ لسانه**»

وقال النووي: واختلف العلماء في هذه الأحاديث فتأولها الجمهور علىٰ من وصى بأن يبكى عليه وبناح بعد موته فنفذت وصيته، فهذا يعذب ببكاء أهله عليه ونوحهم لأنه بسببه ومنسوب إليه، قالوا: فأما من بكى عليه أهله وناحوا من غير وصية منه فلا يعذب لقول الله تعالىٰ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [**الأنعام: ١٦٤**] وقالت طائفة: هو محمول علىٰ من أوصى بالبكاء والنوح أو لم يوص بتركهما   النووي في شرح مسلم (٦/ ٢٠٣) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٧/ ١١٤)، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٤٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٣٦، ٣٧)، (١١/ ٢٤٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢٧١، ٢٧٢)، وأبونعيم في حلية الأولياء (٢/ ٣٤)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٠/ ٢٧١)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٥)، وابن حجر في المطالب العالية (٤٢٥٨)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٣/ ١٤١)، والقرطبي في تفسيره (٤/ ١٠٤، ١٤/ ٢٣٠)، وابن كثير في البداية والنهاية (٧/ ٨١)

باب أشراط الساعة

قال رسول الله ﷺ **«إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر، ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون للخمسين امرأة القيم الواحد»**(١)

وفي رواية: **«يقل العلم ويظهر الجهل»**

عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«إن بين يدي الساعة كذابين، فاحذروهم»**(٢)

وقال: **«لا تقوم الساعة حتى يكثر المال فيفيض حتى يخرج الرجال زكاة، فلا يجد أحدًا، ما قبله منه، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهارًا»**(٣)

عن أنس بن مالك قال: كنت جالسًا عند رسول الله ﷺ فسأله أبو بكر فقال: يا رسول الله إلىٰ متى يكون الإسلام بعدك؟

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨٠، ٨١) كتاب العلم، ٢٢.باب رفع العلم وظهور الجهل، ومسلم في صحيحه [٩.(٢٦٧١)] كتاب العلم، ٥.باب رفع العلم وقبضه، وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان وأحمد في مسنده (٣/ ١٧٦، ٢٠٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٤٣٧)، والشجري في أماليه (٢/ ٢٧١، ٢٥٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥٠٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٢٨٠)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٤٥٣)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٨٠١)

(٢) أخرجه: مسلم في صحيحه [١٠ . (١٨٢٢)] كتاب الإمارة، ١ . باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش، ورقم [٨٣ . (٢٩٢٣)] كتاب الفتن وأشراط الساعة، ١٨ . باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، وأحمد في مسنده (٥/ ٨٦، ٨٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٣٤)، وابن حجر في المطالب العالية (٤٥٧٩)، والخطيب في تاريخ بغداد (١/ ١٨٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ١٦١)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (١٦٨٣)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٤١١) كتاب الزكاة ٩ . باب الصدقة قبل الرد، ورقم (١٤٢٤) كتاب الزكاة ، ١٨ . باب الصدقة باليمين

ومسلم في صحيحه [٦٠ . (١٥٧)، كتاب الزكاة، ١٨ . باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، وأحمد في مسنده (٢/ ٣١٣، ٤١٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٤٤٠) . قال النووي: في هذا الحديث والأحاديث بعده مما ورد في كثرة المال في آخر الزمان وأن الإنسان لا يجد من يقبل صدقته الحث علىٰ المبادرة بالصدقة واغتنام إمكانها قبل تعذرها .

قال: مائة وخمسة وعشرين سنة، فإذا تم مائة وخمسين ينقص بثلثه

قال: فإذا تم مائة سنة وثلاثين لا يبقى علىٰ وجه الأرض إلا فاسق

قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، فإذا تم ثلاثمائة سنة إيش يكون

فاصفر وجه رسول الله ﷺ وبكى بكاءًا شديدًا وقال: يا عمر لا يبقى من ذلك الطبقة إلىٰ يوم القيامة إلا من ألف واحد لا رأفة في قلوبهم، ولا حياء في وجوههم، ألسنتهم أحلى من العسل، وأنتن من الجيفة، يحبون الفجار، ويطففون الكيل والميزان[(١)] ، يذهب المعروف فلا يؤمر ويظهر المنكر

ويكون أمراء ظلمة، وقراء خونة، وعلماء كذبة

تركب نساءهم السرج، ومساجد من الناس ممتلئة وقلوبهم من الإيمان[(٢)] خربة، غضب الله عليهم نازل

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾

قال ابن كثير: المراد بالتطفيف ههنا البخس في المكيال والميزان إما بالازدياد إن اقتضى من الناس، وإما بالنقصان إن قضاهم ولهذا فسر تعالىٰ المطففين الذين وعدهم بالخسار والهلاك وهو الويل بقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [**المطففين: ٢**] أي من الناس ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ [**المطفّفين: ٢**] أي يأخذون حقهم بالوفي والزائد ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ [**المطفّفين: ٣**] أي ينقصون تفسير ابن كثير (٤/ ٤٨٣)

(٢) قال ابن بطال المالكي في شرح صحيح البخاري مذهب جماعة أهل السنة من سلف الأمة وخلفها أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، والحجة علىٰ زيادته ونقصانه ما أورده البخاري من الآيات يعني قوله ﷻ: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [**الفتح: ٤**] ، وقوله تعالىٰ: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۝١٣﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [**مريم: ٧٦**] وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ﴾ [**محمَّد: ١٧**] وقوله تعالىٰ: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [**التوبَة: ١٢٤**] ، قال ابن بطال فإيمان من لم تحصل له الزيادة ناقص، قال: فإن قيل الإيمان في اللغة التصديق، فالجواب أن التصديق يكمل بالطاعات كلها، فما ازداد المؤمن من أعمال البر كان إيمانه أكمل، وبهذه الجملة يزيد الإيمان وبنقصانها ينقص، فمتى نقصت أعمال البر نقص كمال الإيمان، ومتى زادت زاد الإيمان كمالا هذا توسط القول في الإيمان، وأما التصديق بالله تعالىٰ ورسوله ﷺ فلا ينقص، ولذلك توقف مالك رحمه الله في بعض الروايات عن القول بالنقصان، إذ لا يجوز نقصان التصديق لأنه إذا نقص صار شكا وخرج عن اسم الإيمان

النووي في شرح مسلم (١/ ١٣١) طبعة دار الكتب العلمية .

وقال علي ﷺ: أنه سيكون أقوام لا يستقيم لهم الملك، إلا بالقتل والتجبر
ولا يستقيم لهم الغنى إلا بالبخل والبطر
ولا يستقيم لهم الصحبة في الناس إلا باتباع الهوى والاستخراج من الدين

فمن أدرك من ذلك الزمان فليصبر علىٰ الفقر وهو يقدر علىٰ الغنى، ويصبر علىٰ الذل وهو يقدر علىٰ العز ويصبر علىٰ البغض وهو يقدر علىٰ المحبة ، أعطاه الله ثواب خمسين صديقًا

وقيل: لا تقوم الساعة حتى تروا عشر خصال: طلوع الشمس من مغربها والدجال، والدخان، ودابة الأرض، ونزول عيسى، وخروج يأجوج ومأجوج وثلاث خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلىٰ المحشر

ولم يكن قصد النبي ﷺ بذلك ترتيب بعضها علىٰ بعض(١) بأن كان مرادها أن رؤية ذلك شرط قبل قيام الساعة، ويبعث الله ريح طيبة أطيب من ريح المسك وأبرد من الثلج فيأخذ أرواح المؤمنين(٢) ويرفع الله تعالىٰ القرآن والعلم

فبقي الناس في الجاهلية مائة سنة، فلا يكون علىٰ وجه الأرض من يقول: لا إله إلا الله حتى تقوم الساعة، ثم تقوم الساعة

---

(١) أخرجه: الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٥٦)، وأبو عوانة في مسنده (١/ ١٠٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦١)، وذكره الحافظ في الفتح (١٣/ ٧٧)

(٢) روى مسلم في صحيحه [٣٩. (٢٩٠١)] كتاب الفتن وأشراط الساعة، ١٣. باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: « **ما تذاكرون؟** » قالوا: نذكر الساعة، قال: « **إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات**» فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلىٰ محشرهم»

باب ذكر خروج الدجال(١)

عن أبي أمامة الباهلي قال: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم قال: أيها الناس أنه لم يكن علىٰ وجه الأرض فتنة منذ خلق الله ذرية آدم عليه السلام أعظم من فتنة الدجال

وإن الله تعالىٰ لم يبعث نبيًا إلا حذر أمته

وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة، فإن خرج فيكم وأنا بين أظهركم فاحج نفسه، وأنه يخرج من بين عراق والشام

وأنه أعور وإن ربكم ليس بأعور وإني نبي لا نبي بعدي»(٢)

ويقال إنه يكون قبل خروج الدجال ثلاث سنين شداد، يأمر السماء في السنة الأولى تحبس ثلث قطرها، وثلث نباتها، وفي السنة الثانية ثلثي ماءها وثلثي نباتها

وفي السنة الثالثة لا يقطر شيئًا ولا ينبت شيئًا ويجوع الناس جوعًا شديدًا

قال: والمؤمن يشبعه التسبيح والتهليل

---

(١) قصه الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده وأقدره علىٰ أشياء من مقدورات الله تعالىٰ من إحياء الميت الذي يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره ونهريه واتباع كنوز الأرض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالىٰ ومشيئته، ثم يعجزه الله تعالىٰ بعد ذلك فلا يقدر علىٰ قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل أمره ويقتله عيسى عليه السلام، ويثبت الله الذين آمنوا، هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار خلافًا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة، وخلافاً للبخاري المعتزلي وموافقيه من الجهمية وغيرهم في أنه صحيح الوجود ولكن الذي يدعي مخارف وخيالات لا حقائق لها وزعموا أنه لو كان حقا لم يوثق بمعجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهذا غلط من جميعهم لأنه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له وإنما يدعي الإلهية وهو في نفس دعواه مكذب لها

النووي في شرح مسلم (١٨/ ٤٦، ٤٧) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) انظر ما رواه مسلم في صحيحه [١٠٠ـ (١٦٩)]، (١٠١) كتاب الفتن وأشراط الساعة، ٢٠ باب ذكر الدجال وصفة ما معه

قال: ويخرج الدجال ومعه جبال من الأطعمة واللحوم والفواكه والخمور[(١)]

ومعه أصحاب الملاهي فلا يبقى أحد إلا تبعه فتنة إلا من عصمة الله

يخرج علىٰ حمار له عظيم يستطيل في أذن حماره خلق كثير، في جبهته قرن مكسور الطرف يخرج الحيات والعقارب، وقد صورت الصلاح في جسده، ومعه قوم من السحرة يختلفون إلىٰ الناس خيلاً من ذهب وفضة وجواهر، وأنهار الأطعمة لا يطعمون إلا من آمن به

ويقول للناس: أنا ربكم ولن تروا ربكم حتى تموتوا

مكتوب بين عينيه كافر بالله، يقرأه كل مؤمن وإن من فتنة الدجال أن يكون معه جنة ونار[(٢)] وهو يقول: من اتبعني أدخلته الجنة ومن عصاني أدخلته النار

فيتبعه سبعون ألفًا من اليهود، فمن ابتلي بناره فليقرأ فواتح الكهف[(٣)] يكون عليه بردًا وسلامًا وأنه يسلط علىٰ نفس واحد فينشرها بالمنشار

ثم يقول: أنا أبعثه الآن، فيبعثه الله تعالىٰ فيقول الدجال: من ربك فيقول: ربي الله وأنت الدجال الكذاب

ولن يعود بعد ذلك، ولن يسلط الله علىٰ نفس غيره

---

(١) روى مسلم في صحيحه [١١٥. (٢٩٣٩)] كتاب الفتن وأشراط الساعة، ٢٢. باب في الدجال وهو أهون علىٰ الله ﷻ، عن المغيرة بن شعبة قال ما سأل أحد النبي ﷺ عن الدجال أكثر مما سألته قال: « **وما سؤالك؟**» قال قلت إنهم يقولون: معه جبال من خبز ولحم، ونهر من ماء قال: « **هو أهون علىٰ الله من ذلك**»

(٢) أخرجه: مسلم في صحيحه (١٠٤. (٢٩٣٤)] كتاب الفتن وأشراط الساعة، ٢٠. باب ذكر الدجال وصفته وما معه

وأحمد في مسنده (٥/ ٣٨٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٤٧٤)، والعجلوني في كشف الخفا(١/ ٤٨٢).

(٣) روى مسلم في صحيحه [٢٥٧. (٨٠٩)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٤٤. باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عصم من الدجال**»

وروى أحمد في مسنده (٦/ ٣٥٠) عن أبى الدرداء عن النبي ﷺ قال: «**من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنه الدجال**»

وإن من فتنته أن يقول: أنبعث لك أمك وأباك وتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم فيتمثل له شيطانًا علىٰ صورة أبيه وأمه، ويقول له اتبعه يا بني فإنه ربك

وإن من فتنته أيضًا أن يأمر السماء فتمطر(١) ويأمر الأرض فتنبت حتى يروح عليهم مواشيهم، وأنه لا يبقى شيء في الأرض إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة(٢)

لا يأتيهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف، ويخرج كل منافق ومنافقة منها إليه

ومعه جبال الأطعمة، فإذا سار سار معه تلك الجبال وإذا وقف وقفت تلك الجبال

ويطوف شرق الأرض وغربها

وروي عن النبي ﷺ أنه يبقى أربعين سنة، السنة كالشهر، والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم، وإن آخر يومه كالشرارة

يصبح أحدكم علىٰ باب المدينة لا يبلغ بابها الأخرى حتى يمسي(٣)

قيل: يا رسول الله كيف نصلي في تلك الأيام القصار، قال ﷺ: «**يقدرون الصلاة كما يقدرون في أيام الطوال**»

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٨٩ . (٢٩٢٧)] كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١٩. باب ذكر ابن صياد عن أبي سعيد الخدري وفيه « **أو ليس سمعت رسول الله ﷺ يقول** « **لا يدخل المدينة ولا مكة**»

(٢) في الدجال وما فيه من الدلائل الواضحة كما وصفها النبي ﷺ لا يغتر به إلا رعاع من الناس لسد الحاجة والفاقة رغبة في سد الرمق أو تقية وخوفا من أذاه لأن فتنته عظيمة جدا تدهش العقول وتحير الألباب مع سرعة مروره في الأمر فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء حاله ودلائل الحدوث فيه والنقص فيصدقه من صدقه في هذه الحالة ولهذا حذرت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من فتنته ونبهوا علىٰ نقصه ودلائل إبطاله، وأما أهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون لما معه لما ذكرناه من الدلائل المكذبة له مع ما سبق لهم من العلم بحالة، ولهذا يقول له الذي يقتله، ثم يحييه ما ازددت فيك إلا بصيرة

النووي في شرح مسلم (١٨/ ٤٧) طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) روى مسلم في صحيحه [١١٦. (٢٩٤٠)] كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ٢٣. باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض، عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ « **يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين، لا أدري أربعين يوما ، أو أربعين شهرا ، أو أربعين عاما فيبعث الله عيسى ابن مريم** . . . . . » الحديث بطوله»

ثم قال: وينال المسلمين منه أذى شديد، ويخرجون من بين يديه هاربين من كل ناحية حتى ينتهون إلىٰ بيت المقدس، وفيها إمامهم

فإذا يبرز يقاتل الفريقان قتالا شديدًا حتى يقتل من أصحاب الدجال أكثر من ثلاثين ألفًا

ويدخل بيت المقدس المهدي وأصحابه ويغلقون أبوابها علىٰ أنفسهم

قال: ويحصرهم الدجال حصرًا شديدًا فيدعون ربهم ويتضرعون

باب نزول عيسى عليه السلام(١)

قال: ويأمر الله تعالىٰ جبرائيل عليه السلام أن ينزل عيسى في السماء الثالثة، قال: فيهبط عيسى عليه السلام ومعه سبعون ألفا من الملائكة متعمم بعمامة خضراء متقلد بسيف علىٰ فرس وبيده حربة

قال: فإذا نزل في المسجد يسند حربته إلىٰ زاوية من زوايا المسجد

ويراه المهدي فيعرفه الله أنه عيسى عليه السلام وهو يريد صلاة الصبح بالناس ويتأخر ليتقدم عيسى فيصلي، فإذا انصرف قال: افتحوا الباب الذي وراء الدجال ومعه سبعون ألف يهودي، فإذا وقع أبصره علىٰ عيسى عليه السلام ذاب كما يذوب الرصاص علىٰ الجمر وانهزموا، هو ومن معه من الجنود ويختفون خلف الأشجار والأحجار،

---

(١) أي ينزله من السماء حاكما بشرعنا، قال القاضي رحمه الله تعالىٰ: « **نزول عيسى** عليه السلام وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة في ذلك وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله، فوجب إثباته وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية ومن وافقهم وزعموا أن هذه الأحاديث مردودة بقوله تعالىٰ وخاتم النبيين ، وبقوله صلى الله عليه وسلم « **لا نبي بعدي** » وبإجماع المسلمين أنه لا نبي بعد نبينا صلى الله عليه وسلم وأن شريعته مؤبدة إلىٰ يوم القيامة لا تنسخ وهذا استدلال فاسد لأنه ليس المراد بنزول عيسى عليه السلام أنه ينزل بشرع ينسخ شرعنا، ولا في هذه الأحاديث ولا في غيرها شيء من هذا بل صحت هذه الأحاديث هنا، أنه ينزل حكما مقسطا بحكم شرعنا ويحيي من أمور شرعنا ما هجره الناس

النووي في شرح مسلم (١٨/ ٦١) طبعة دار الكتب العلمية .

فلا يبقى حجر ولا مدر ولا شجر خلفه يهودي إلا أنطقه الله تعالىٰ فيقول: يا عبد الله المسلم هذا يهودي

فقال رسول الله ﷺ [١]: «**يكون عيسى ابن مريم في أمتي حكمًا عدلاً، يدق الصليب[٢] ويرفع الشحناء والتباغض، وينزع كل ذي حمية كحميته حتى يدخل الوليد يده في فم الحية، وفي فم الأسد فلا يضره، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها**»

ويملأ الأرض من الإسلام كما يملأ الإناء من الماء فيكون علىٰ كلمة واحدة، فلا يعبد غير الله تنبت نباتها كعهد آدم عليه السلام، ويأمن الناس حتى لو المرأة نامت بين الرجال لم تخف علىٰ نفسها

وتظهر كنوز الدنيا فلا يبقى في الأرض فقير

ويقال: إذا نزل يكون أصحاب ويكون كما يحكم شريعتنا، ويكون خليفته نبينا محمد ﷺ ويتزوج امرأة من غسان ليعلم النصارى أنه لم يكن إلهًا وأنه عبد محتاج ما يحتاج إليه الآدميون[٣]

---

(١) أخرجه بنحوه مختصرًا: البخاري في صحيحه (٢٢٢٢) كتاب البيوع، ١٠٢ . باب قتل الخنزير، ورقم (٢٤٧٦) كتاب المظالم، ٣١ ـ باب كسر الصليب وقتل الخنزير ، ومسلم في صحيحه [٢٤٣ ـ (١٥٥)] كتاب الإيمان ٧١ ـ باب نزول عيسى ابن مريم حكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ

(٢) وقوله ﷺ « **حكمًا**» أي ينزل حاكما بهذه الشريعة لا ينزل برسالة مستقلة وشريعة ناسخة، بل هو حاكم من حكام هذه الأمة والمقسط العادل، يقال: أقسط يقسط إقساطا فهو مقسط إذا عدل

وقوله ﷺ : « **فيكسر الصليب** » معناه يكسره حقيقة ويبطل ما يزعمه النصارى من تعظيمه، وفيه دليل علىٰ تغيير المنكرات وآلات الباطل وقتل الخنزير من هذا القبيل
النووي في شرح مسلم (٢/ ١٦٣) طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) في حديث مسلم [٢٤٢.(١١٥)] كتاب الإيمان ٧١. باب نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ ، عن أبي هريرة وقوله في آخر الحديث « **اقرءوا إن شئتم وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته** » ومعناه وما من أهل الكتاب يكون في زمن عيسى عليه السلام إلا من آمن به وعلم أنه عبد الله وابن أمته، وهذا مذهب جماعة من المفسرين وذهب كثيرون أو الأكثرون إلىٰ أن الضمير يعود علىٰ الكتابي ومعناها، وما من أهل الكتاب أحد يحضره الموت إلا آمن عند الموت قبل خروج روحه بعيسى عليه السلام وأنه عبد الله وابن أمته
النووي في شرح مسلم (٢/ ١٦٥) طبعة دار الكتب العلمية .

ويكون جملة أيام عيسى بعد النزول أربعين سنة ثم يموت فيدفن عند قبر عمر ﷺ .

باب خروج يأجوج ومأجوج

قال الله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦﴾[1]

قال العلماء: لما فرغ ذو القرنين من أمر السد، وعلق المفتاح هناك، وقال: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا﴾ **[الكهف: ٩٨]**

ثم كتب علىٰ الباب: بسم الله أبني بقوة الله وعونه لا يغلب والله غالب، ولا يدركه طالب، إذا كان من ألف الأخير ثمانمائة وأربع وعشرين وستين سنة[2]

وذلك اقتراب انقضاء الدنيا، ويكثر الخطايا والذنوب وشهادة الزور، وشرب الخمور، ويرتدي[3] النساء بالنساء، والرجال بالرجال ويتركون غسل الجنابة والصلاة

(١) سورة الأنبياء (٩٦)

قال ابن كثير: وقوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾ **[الأنبياء: ٩٦]** أنهم من سلالة آدم ﷺ بل هم من نسل نوح أيضا من أولاد يافث أي أبي الترك، والترك شرذمة منهم تركوا من وراء السد الذي بناه ذو القرنين .

وقال ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ٩٨ ﴾

وقال تعالىٰ: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾ **[الأنبياء: ٩٦]** أي يسرعون في المشي إلىٰ الفساد والحدب هو المرتفع من الأرض

روى أحمد في مسنده بسنده: عن أبي سعيد الخدري رفعه « **يفتح يأجوج ومأجوج، فيخرجون كما قال الله** ﷻ » ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾ **[الأنبياء: ٩٦]** ، فيغشون الناس وينحاز المسلمون عنهم إلىٰ مدائنهم وحصونهم ويضمون إليهم مواشيهم ويشربون مياه الأرض حتى إن بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يبسا حتى إن من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول قد كان ههنا ماء مرة الحديث بطوله

تفسير ابن كثير (٣/ ٢٠٠) .

(٢) كذا بالأصل

(٣) كذا بالأصل واظنها «**ويكتفي**»

فعندها يحل علىٰ الناس غضب من ربهم، ويرسل الله عليهم يأجوج ومأجوج[١] بخيلهم وأسلحتهم، ويهلكونهم

قال: فتصير العتبة السفلى شبرًا من كثرة ما يمر عليهم والعتبة العليا مثل ذلك من أثر الأسنة فيخرجون ويملاؤن الأرض شرًا وقتلا ، وورد أنه لا يموت الرجل من يأجوج ومأجوج حتى يكون له ألف ابن يبلغون ثم يموت

وإن لكل ليلة يخرج منهم سبعون ألفا يلحسون ذلك الردم، ويعالجونه ليكسروه حتى يرد الضوء من ناحية الناس

فيقولون ننصرف بالغداة فنهدمه

قال: فيجيئ إلياس والخضر عليهما السلام فيحرسان ذلك الردم ويدعوا الله حتى يكون كما كان

حتى إذا كان عند اقتراب الساعة وقت خروجهم ألقى الله علىٰ لسان بعضهم نهدم غدا إن شاء الله

قال: فيثبت الردم علىٰ حاله فإذا غدوا هدموا وخرجوا علىٰ الناس، فيمر أولهم ببحيرة طبرية فينشف ماؤها ويجف

وكذلك في الأودية، فيقول آخرهم قد كان ها هنا ماء، هم أكثر أهل الدنيا عددًا.

ثم يخرج من ورائهم خلق يقال لهم منسك وتارس وهم بنوا لهم، وهم ذو الشبر والشبرين فينشفون ذلك الطين من العطش[٢]

---

(١) روى مسلم في صحيحه [١ . (٢٨٨٠)] كتاب الفتن وأشراط الساعة، ١ . باب اقتراب وفتح ردم يأجوج ومأجوج، عن زينب بنت جحش أن النبي ﷺ استيقظ من نومه وهو يقول: «**لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**» وعقد سفيان بيده عشرة، قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث»

(٢) روى الترمذي في سننه (٣١٥٣) كتاب تفسير القرآن، باب من سورة الكهف، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ في السد قال: «**يحفرونه كل يوم، حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم ارجعوا فستخرقونه غدا، فيعيده الله كأشد ما كان، حتى إذا بلغ مدتهم وأراد الله أن يبعثهم علىٰ الناس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستخرقونه غدًا إن شاء الله واستثنى، قال** =

فيقولون أيضًا: قد كان هذا الوادي مجرى ماء مدة

ثم يخرج من ورائهم أمم يقال لهم النقاشيون رؤوسهم كرؤوس الكلاب، لا يحصي عددهم ولا يوصف صفتهم، وهي أشد شرًا وفسادًا في الأرض وليس وراءهم إلا السماء والماء والجبال الرواسي

قال: وإن يأجوج ومأجوج أكثر أهل الأرض (سحرات)(١) وليس منهم أحد إلا وهو يرى أنه لو قاتل مائة ألف لغلبهم، وإن نساءهم ليس كنساءنا

لكل امرأة منهن ثدي واحد، ونساءهم أشد قتالاً من رجالهم

وكان لكل منهن سكاكين في أيديهن وأفخاذهن وأعناقهن، فإذا صرعت منهن امرأة لا تضرب يدك علىٰ عضو منها إلا سكينًا تقطعن به من يصرعها

ولباسهم الجلود المدبوغة ولا يطبخون اللحم قط فإذا أصابوا دم إنسان شربوه، وهم من أولاد يافث بن نوح عليه السلام(٢)

= **فيرجعون فيجدونه كهيئته حين تركوه فيخرقونه، فيخرجون علىٰ الناس فيستقون المياه، ويفر الناس منهم، فيرمون بسهامهم في السماء فترجع مخضبة بالدماء، فيقولون قهرنا من في الأرض وعلونا من في السماء قسرًا وعلوًا، فيبعث الله عليهم نغفا في أقفائهم فيهلكون فوالذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض تسمن وتبطر وتشكر شكرا من لحومهم»**

(١) كذا بالأصل

(٢) قوله تعالىٰ: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ **[هُود: ٤٨]** أي اهبط سالما مباركا عليك وعلىٰ أمم ممن سيولد بعد أي من أولادك فإن الله لم يجعل لأحد ممن كان معه من المؤمنين نسلا ولا عقبا سوى نوح عليه السلام، قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ٧٧﴾ **[الصَّافات: ٧٧]** فكل من علىٰ وجه الارض اليوم من سائر أجناس بني آدم ينسبون إلىٰ أولاد نوح الثلاثة وهم: سام وحام ويافث

قال الامام أحمد في مسنده عن سمرة أن النبي ﷺ: «**سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم**» وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البر، وقد روي عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ مثله قال: والمراد بالروم هنا الروم الاول وهم اليونان المنتسبون إلىٰ رومي بن لبطى بن يونان بن يافث بن نوح ، ثم روى من حديث إسماعيل بن عياش، بسنده عن سعيد ابن المسيب أنه قال: ولد نوح ثلاثة: سام ويافث وحام، وولد كل واحد من هذه الثلاثة ثلاثة فولد سام: العرب وفارس والروم، وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج، وولد حام: القبط والسودان والبربر
قصص الأنبياء لابن كثير (ص ٨٩، ٩٠) .

قال كعب الأحبار لأصحاب رسول الله ﷺ : ما التنين وكيف يكون؟ قالوا: لا.

قال: حية تعدو علىٰ حيات فتأكلها، ثم تصير بأكل الحيات وتعظم، فتنتفخ وتنتفخ وتزداد في جسمها

فإذا أكلت دواب الأرض فتصيح الدواب إلىٰ الله منها فساقها الله إلىٰ بحر لتعبرها فتضربها الأمواج، فتلقيها في البحر

قال: فتصنع في دواب البحر كما في دواب البر حتى تصيح دواب البحر إلىٰ الله.

فيبعث الله ملكًا فيؤمر لها فتخرج رأسها من الماء ثم يؤتى إليها سحابة فتحملها وتلقيها إلىٰ يأجوج ومأجوج، وتكون أرزاقهم

فينحرونها كما ينحر الإبل والبقر، وتكون أرزاقهم

التنين الواحد يكفي الخلق

قال: والسحاب إذا حملها يكون رأسها معلقًا بالسحاب وربما يضرب بذنبه الحصون والمدائن فيهدمها

باب طلوع الشمس من مغربها

قال الله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ **[الأنعام: ١٥٨]** الآية

قال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ «**إذا غربت الشمس في كل ليلة رفع بها إلىٰ السماء السابعة في سرعة طيران الملائكة، وتحبس تحت الأرض**»(١)

---

(١) روى البخاري في صحيحه (٤٨٠٢) كتاب تفسير القرآن، من سورة يس، ١. باب قوله: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ **[يس: ٣٨]** عن أبي ذر قال: كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس فقال: «**يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس؟** » قلت الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله تعالىٰ:** ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [يس: ٣٨]

فتستأذن من أن تؤمر بالطلوع من مغربها أو من مطلعها ويكسى ضوءها، فإن كان فنور علىٰ مقادير ساعات الليل والنهار، ثم ينطلق بها إلىٰ ما بين السابعة العليا وبين أسفل درجة الجنان في سرعة طيران الملك، فتنحدر من سماء إلىٰ سماء فإذا ما وصل إلىٰ هذه السماء فذلك ينفجر الصبح يضيء النهار

فلا يزال الشمس والقمر كذلك في كل ليلة حتى يأتي الوقت الذي وقت الله التوبة لعباده(١)

وتكثر المعاصي في الأرض ويذهب المعروف فلا يؤمر، ويفشوا المنكر فلا ينهي أحد

فإذا فعلوا ذلك حبست الشمس مقدار ليلة تحت العرش(٢)

كلما سجدت واستأذنت ربها من أين تطلع فلا يحار إليها جوابًا حتى يحبسا مقدار ثلاث ليال للشمس وليلتين للقمر، فلا يعرف طول تلك الليلة إلا المتهجدون في الأرض وهم يومئذ عصابة قليلة في كل بلدة من بلاد المسلمين في هوان من الناس وذلة من أنفسهم فينام تلك الليلة قدر ما كان قبلها، ينام من الليالي، ثم يقم ويتوضأ ويدخل مصلاه فيصلي

فيخرج وينظر إلىٰ السماء، فإذا هو بالليل ما كان هو والنجوم قد استدارت فصارت إلىٰ أماكنها من أول الليل، فينكر ذلك ويظن فيها الظنون

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٢٤٨. (١٥٧)] كتاب الإيمان، ٧٢. باب بيان الزمن الذى لايقبل فيه الإيمان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « **لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون فيومئذ:** ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ **[الأنعام: ١٥٨]** »

(٢) قال النووي: قوله ﷺ في الشمس « **مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة** »:. اختلف المفسرون فيه، فقال جماعة بظاهر الحديث، قال الواحدي وعلىٰ هذا القول إذا غربت كل يوم استقرت تحت العرش إلىٰ أن تطلع من مغربها، وقال قتادة ومقاتل معناه تجري إلىٰ وقت لها وأجل تتعداه، قال الواحدي: وعلىٰ هذا مستقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا، وهذا اختيار الزجاج، وقال الكلبي تسير في منازلها حتى إلىٰ مستقرها الذي لايجاوزه ثم ترجع إلىٰ أول منازلها واختار ابن قتيبة هذا القول والله أعلم

وأما سجود الشمس فهو بتمييز وإدراك بخلق الله تعالىٰ فيها.

النووي في شرح مسلم (٢/ ١٦٧، ١٦٨) طبعة دار الكتب العلمية.

فيقول أخففت قراءتي أو أقصرت صلاتي، أو قمت قبل حيني، ثم يقوم فيعود إلىٰ مصلاه فيصلي نحو صلاة الليلة الثانية، ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج فإذا هو بالليل مكانه فيزيد ذلك إنكارًا وخوفًا ويظن ظنونًا[١]

ثم يقول: فلعلي قصرت صلاتي أو خففت أو قمت في أول الليلة

ثم يعود وهو وجل خائف من هول تلك الليلة، ويقوم ويصلي أيضًا مثل ورده كل ليلة قبل ذلك ثم ينظر فلا يرى الصبح، فيخرج الثالثة فينظر إلىٰ السماء، فإذا هو بالنجوم قد استدارت مع السماء فصارت في أماكنها عند أول الليلة فيشفق عند ذلك، ثم ينادي بعضهم بعضًا وكانوا قبل ذلك يتواصلون ويتعارفون ويجتمع المجتهدون مع أهل كل بلدة في تلك الليلة في مسجد من مساجدهم ويجأرون إلىٰ الله بالبكاء والصراخ بقية تلك الليلة[٢]

قال: فإذا تم لها مقدار ثلاث ليال أرسل الله إليهما جبرائيل عليه السلام، فيقول لهما: إن الرب تبارك وتعالى يأمر أن ترجعا إلىٰ مغاربكما فتطلعا منه وإنه لا ضوء لكما عندي ولا نور فيبكيان عند ذلك وجلاً من الله تعالى، وخوفًا من يوم القيامة بكاءً شديدًا يسمعه أهل سبع سموات ومن دونهما وأهل سرادقات العرش، وحملة

---

(١) روى مسلم في صحيحه[٢٤٩. (١٥٨)] كتاب الإيمان، ٧٢. باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « **ثلاث إذا خرجت ، لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا ، طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ودابة الأرض**»

(٢) روى مسلم في صحيحه [٢٥٠. (١٥٩)] كتاب الإيمان ٧٢. باب بيان الزمن الذى لايقبل فيه الايمان، عن أبي ذر، أن النبي ﷺ قال يوما « **تدرون أين تذهب هذه الشمس؟** » قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: « **إن هذه تجري حتى تنتهي إلىٰ مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي، ارجعي من حيث جئت فترجع فتصبح طالعة، من مطلعها ثم تجري حتى تنتهي إلىٰ مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، ولا تزال كذلك حتى يقال لها : ارتفعي ارجعي من حيث جئت فترجع، فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئاً حتى تنتهي إلىٰ مستقرها ذاك تحت العرش، فيقال لها ارتفعي، أصبحي طالعة من مغربك« فتصبح طالعة من مغربها**» فقال رسول الله ﷺ « **أتدرون متى ذاكم؟ ، ذاك حين:** ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ **[الأنعام: ١٥٨]**

العرش من فوقهما، فيبكون جميعا لبكائهما من خوف الموت والقيامة، فيرجع الشمس والقمر فيطلعان من مغربهما

قال: فبينما المجتهدون يبكون ويتضرعون إلىٰ الله والمتغافلون في غفلاتهم إذ نادى منادي ألا وإن الشمس والقمر طلعا من المغرب

فنظر الناس فإذا بهما أسودان

فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩﴾(١)

فيرتفعان كذلك مثل البعيرين المقطورين فيتصارخ أهل الدنيا، وتذهل الأمهات عن أولادها، والأحبة عن قلوب أحبتها، فتشتغل كل نفس بما آتاها

فأما الصالحون والأبرار فينفعهم بكاؤهم يومئذ، ويكتب لهم بذلك عبادة

وأما الفاسقون والفجار، فلا ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب ذلك عليهم حسرة، فإذا ما بلغ الشمس سرة السماء وهي نصفها جاء جبرائيل وأخذ قرونها فردها إلىٰ المغرب فلا يغربها من مغربها ولكن يغربها من باب التوبة

فقال له عمر بن الخطاب: بأبي أنت وأمي يا رسول الله وما باب التوبة؟

---

(١) سورة القيامة (٩)

وقوله: ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥﴾ [القِيَامَة: ٥] قال: سعيد عن ابن عباس يعني يمضي قدما، وقال العوفي عن ابن عباس: ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥﴾ يعني: الأمل يقول الإنسان أعمل ثم أتوب قبل يوم القيامة، ويقال: هو الكفر بالحق بين يدي القيامة، ولهذا قال بعده ﴿يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝٦﴾ [القِيَامَة: ٦] أي: يقول متى يكون يوم القيامة ، وإنما سؤاله سؤال استبعاد لوقوعه وتكذيب لوجوده

كما قال تعالىٰ: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٢٩ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ۝٣٠﴾ ، وقال تعالىٰ ههنا: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧﴾ [القِيَامَة: ٧] المقصود أن الأبصار تنبهر يوم القيامة وتخشع وتحار وتذل من شدة الأهوال ومن عظم ما تشاهده يوم القيامة من الأمور

وقوله: ﴿وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨﴾ [القِيَامَة: ٨] أي: ذهب ضوءه ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩﴾ [القِيَامَة: ٩] قال مجاهد: كورا، وقرأ ابن زيد عند تفسير هذه الآية: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢﴾

تفسير ابن كثير (٤/ ٤٤٨) .

قال: يا عمر خلق الله باب التوبة[١] خلف المغرب له مصرعان من ذهب مكلل بالدرر والجواهر ما بين المصرع إلىٰ المصرع الأخرى أربعين سنة للراكب المسرع، فذلك الباب مفتوحة منذ خلق الله خلقه إلىٰ صبيحة تلك الليلة عند الشمس والقمر من مغاربها، ولم يتب عبدًا من عباد الله توبة نصوحًا منذ خلق الله آدم إلىٰ ذلك اليوم ولجت تلك التوبة من ذلك الباب

ثم يرتفع الباب إلىٰ الله تعالىٰ

فقال معاذ بن جبل: يا رسول الله وما التوبة النصوح[٢] ؟

قال[٣]: «**أن يندم المذنب علىٰ الذنب الذي أصاب ثم يعتذر إلىٰ الله ثم لا يعود إليه كما لا يعود اللبن إلىٰ الضرع فيغربهما جبرائيل** عليه السلام في ذلك الباب، ثم يرد المصرعان، ثم يقام وما بينهما فيصير كأنه لم يكن مصراع قط

فإذا أغلق باب التوبة لم يقبل العبد بعد ذلك توبة لم ينفعه حسنة يعملها في الإسلام إلا من كان قبل ذلك محسنًا، فإنه يجري عليه ما كان يجري قبل ذلك اليوم.

فقال أُبي بن كعب[٤]: بأبي أنت وأمي يا رسول الله فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك اليوم؟ وكيف بالناس والدنيا؟

---

(١) انظر ما تقدم من تعريف التوبه من شرح مسلم من قبل

(٢) قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [**التحريم**: ٨] أي توبة صادقة جازمة تمحو ما قبلها من السيئات، وتلم شعث التائب وتجمعه، وتكفه عما كان يتعاطاه من الدناءات.

وقال الثوري عن سماك عن النعمان عن عمر قال: التوبة النصوح أن يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه أو لا يعود فيه. تفسير ابن كثير(٤/ ٣٩٢).

(٣) أخرجه:. الطبري في تاريخه (١/ ٧٣)

(٤) قال ابن أبي حاتم بسنده عن أبي بن كعب قال: قيل لنا أشياء تكون في آخر هذه الأمة عند اقتراب الساعة منها نكاح الرجل امرأته أو أمته في دبرها وذلك مما حرم الله ورسوله، ويمقت الله عليه ورسوله، ومنها نكاح الرجل الرجل، وذلك مما حرم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله، ومنها نكاح المرأة المرأة وذلك مما حرم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله. وليس لهؤلاء صلاة ما أقاموا علىٰ هذا حتى يتوبوا إلىٰ الله توبة نصوحا، قال زر: فقلت لأبي ابن كعب: فما التوبة النصوح؟، فقال: سألت رسول الله ﷺ فقال: «**هو الندم علىٰ الذنب حين يفرط منك، فتستغفر الله بندامتك منه عند الحاضر، ثم لا تعود إليه أبدا**»

تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩٢).

فقال[١]: يا أُبي إن الشمس والقمر يكسان الضوء والنور، ثم يطلعان علىٰ الناس ويغربان كما كان قبل ذلك فإنهم رأوا ما رأوا من الآيات وعظمها فيلحون علىٰ الدنيا، ثم يجري فيها الأنهار ويغرس فيها الأشجار، ويبنوا فيها البنيان

وأما الدنيا فلو نتج لرجلٍ مهرًا لم يركبه حتى تقوم الساعة من لدن طلوع الشمس من المغرب إلىٰ يوم ينفخ في الصور

باب خروج دابة الأرض

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾[٢]

قال: حين لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر قال رسول الله ﷺ: تخرج دابة الأرض من أجياد فيبلغ صدرها الركن، ولما يخرج ذنبها بعد

قال: وهي دابة ذات وبر وقوام»[٣]

عن عبد الله بن عمرو: أنه ضرب أرض الطائف[٤] برجله

وقال: من ههنا تخرج الدابة التي تكلم الناس

وعن ابن عمر قال: تخرج الدابة من صدع في الصفا كجري الفرس ثلاثة أيام، وما خرج ثلثها[٥]

---

(١) أخرجه: الطبري في تاريخه (١/ ٧٣)

(٢) سورة النمل (٨٢)

هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتَرْكِهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق يخرج الله لهم دابة من الأرض.
قيل: من مكة، وقيل: من غيرها، فَتُكَلِّم الناس علىٰ ذلك قال ابن عباس والحسن وقتادة ورُوي عن علي رضي الله عنه: تكلمهم كلاما أي تخاطبهم مخاطبة، وقال عطاء الخراساني تكلمهم فتقول لهم إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ويروى عن علي واختاره ابن جرير وفي هذا القول نظر لا يخفى والله أعلم.
تفسير ابن كثير (٣/ ٣٨٧).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ١٨١)

(٤) كذا بالأصل

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ٣٨٩) ونسبه إلىٰ ابن أبي حاتم في تفسيره

قال: سمعت حذيفة بن اليمان قال: ذكر رسول الله الدابة فقلت: يا رسول الله من أين تخرج؟

قال[١]: من أعظم المساجد حرمة على الله، بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذا تضطرب الأرض تحتهم تحرك القنديل، وينشق الصفا مما يلي السعي فتخرج الدابة من الصفا أول ما يبدو منها رأسها لن يدركها طالب، ولن يفوتها هارب، تسمى الناس مؤمنًا وكافرًا

أما المؤمن فيترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمنًا[٢]

وأما الكافر فتكتب بين عينيه نكتة سوداء، وتكتب بين عينيه كافرًا

عن أبي زبير أنه وصف الدابة فقال: رأسها رأس الثور، وعينها عين خنزير، وأذنها أُذن فيل، وقرنها قرن أيل، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هرة، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعًا تخرج معها عصى موسى[٣] وخاتم سليمان[٤]، فلا يبقى مؤمن إلا نكتت في وجهه بخاتم سليمان نكتة بيضاء فتفشوا تلك النكتة حتى يضيء لها وجهه، ولا يبقى كافر إلا وتنكت وجهه بخاتم سليمان نكتة سوداء فتفشوا تلك النكتة في وجهه حتى أن الناس يتبايعون في الأسواق بكم يا مؤمن وبكم يا كافر

ثم تقول لهم الدابة: يا فلان أنت من أهل الجنة ويا فلان أنت من أهل النار

---

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٨)، والطبري في تفسيره (٢٠/ ١١)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ١١٦)

(٢) روى ابن ماجه في سننه(٤٠٦٦) كتاب الفتن، ٣١. باب دابة الأرض، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ: قال: «**تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان بن داود، وعصا موسى بن عمران عليهما السلام، فتجلو وجه المؤمن بالعصا، وتخطم أنف الكافر بالخاتم، حتى أن أهل الحواء ليجتمعون فيقول هذا: يا مؤمن ويقول هذا: يا كافر**»

(٣) انظر ما رواه ابن ماجه قبل هذا، وكذلك أحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٢٩٥)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٨٥)، وابن كثير في تفسيره (٦/ ٢٢٢)

(٤) أخرجه: الترمذي في سننه (٣١٨٧) كتاب التفسير ، باب سورة النمل

وابن ماجه في سننه (٤٠٦٦)، كتاب الفتن ، ٣١ . باب دابة الأرض، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٩٢) .

وعن أبي سريحة الأنصاري[١] عن النبي ﷺ قال: «**يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجها بأقصى اليمن فيفشوا ذكرها بالبادية، ولا يدخل ذكرها القرية ـ تعني مكة ـ ثم تكمن زمانًا طويلاً، ثم تخرج خرجة أخرى قريبًا من مكة فيفشوا ذكرها بالبادية، ويدخل ذكرها القرية يعني مكة، ثم ينحاز الناس يومًا في أعظم المساجد حرمة علىٰ الله وأكرمها علىٰ الله سبحانه وتعالى يعني المسجد الحرام فارفض الناس عليها وثب لها عصابة عرفوا أنهم لم يعجزوا الله فخرجت تنفض رأسها من التراب**[٢]

فمرت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كأنها الكوكب الدري، ثم ولت في الأرض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى أن الرجل ليقوم ويتعوذ منها بالصلاة .

فتأتيه من خلفه فتقول: يا فلان الآن تصلي فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه فيتجاوز الناس في ديارهم ويصطحبوه في أسفارهم ويشتركون في الأموال يعرف الكافر المؤمن والمؤمن الكافر

قال وهب[٣]: وجهها وجه رجل، وسائر خلقها كخلق الطير

---

(١) حذيفة بن أسيد، أبو سريحة الغفاري، صحابي من أصحاب الشجرة، أخرج له: مسلم وأصحاب السنن الأربعة، توفي سنة (٤٢)

ترجمته: تهذيب التهذيب (٢/ ٢١٩)، تقريب التهذيب (١/ ١٥٦)، الكاشف (١/ ٢١٠)، تاريخ البخاري الكبير (٣/ ٩٦)، الجرح والتعديل (٣/ ١١٤١)، أسد الغابة (١/ ٤٦١)، الإصابة (١/ ٣١٧)، الوافي بالوفيات (١١/ ٤٨١)، الاستيعاب (١/ ٣٣٥)، الثقات (٣/ ٨١)، طبقات ابن سعد (٦/ ٢٤)، أسماء الصحابة الرواه (١٥٧) .

(٢) روى مسلم في صحيحه [١١٨. (٢٩٤١)] كتاب الفتن وأشراط الساعة، ٢٣. باب فِي خُرُوجِ الدَّجَّالِ وَمُكْثِهِ فِي الْأَرْضِ، وَنُزُولِ عِيسَى وَقَتْلِهِ إِيَّاهُ

عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الآيات خروجًا، طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة علىٰ الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى علىٰ أثرها قريبا**

(٣) عن وهب بن منبه: أنه حكى من كلام عزير عليه السلام أنه قال: وتخرج من تحت سدوم دابة تكلم الناس كل يسمعها، وتضع الحبالى قبل التمام، ويعود الماء العذب أجاجاً، ويتعادى الأخلاء، وتحرق الحكمة ويرفع العلم وتكلم الأرض التي تليها، وفي ذلك الزمان يرجو الناس ما لا يبلغون، ويتعبون فيما لا ينالون، ويعملون فيما لا يأكلون» رواه ابن أبي حاتم عنه تفسير ابن كثير (٣/ ٣٨٩)

وروي أن موسى سأل ربه أن يريه الدابة

فخرجت ثلاثة أيام ولياليهن تذهب إلىٰ السماء فرأى منظرًا فظيعًا

فقال: رب رُدها فردها

باب النفخ في الصور

قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[1]

يعني فيفزع من في السموات من الملائكة ومن في الأرض من بني آدم[2]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله خلق الصور له أربعة شعب في فم القصب كسعة الدنيا شعبة منها في المشرق وشعبة منها في المغرب وشعبة منها تحت الأرض السابعة وشعبة منها فوق السماء السابعة .**

وفي الصور من الأبواب بعدد الأرواح في واحدة منهن أرواح الأنبياء، وفي واحدة أرواح الملائكة وفي واحدة أرواح الجن، وفي واحدة أرواح الإنس

---

(١) سورة النمل(٨٧)

يخبر تعالىٰ عن هول يوم نفخة الفزع في الصور وفي حديث الصور أن إسرافيل هو الذي ينفخ فيه بأمر الله تعالىٰ فينفخ فيه أولا نفخة الفزع وبطولها وذلك في آخر عمر الدنيا حين تقوم الساعة علىٰ شرار الناس من الأحياء فيفزع من في السماوات ومن الأرض «**إلا من شاء الله**» وهم الشهداء فإنهم أحياء عند ربهم يرزقون

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [**الزمر**: ٦٨]

هذه هي النفخة الثانية وهي نفخة الصعق وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض إلا من شاء الله، ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت وينفرد الحي القيوم الذي كان أولا وهو الباقي آخرًا بالديمومة والبقاء ويقول ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [**غافر**: ١٦] ثلاث مرات ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [**إبراهيم**: ٤٨]

تفسير ابن كثير (٤/ ٦٣) .

والشياطين، وأرواح السباع والطيور والوحوش والهوام حتى النملة والبقة إلىٰ تمام سبعين صنفًا(١)

قال رسول الله ﷺ: حين أوحى إلىٰ إسرافيل فلتقم الصور(٢) وأصغى الأُذن وهو شاخص ببصره إلىٰ العرش حتى يؤمر فينفخ، فإذا انقضت مدة الدنيا يدلي اللوح إلىٰ جبهة إسرافيل

فيضم إسرافيل أجنحته الأربعة فيأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى وهي نفخة الفزع فلا يكون من إسرافيل إلا الصوت فتكون أهوال من الرعد فيُسير الله الجبال ويمر السحاب، وترج الأرض بأهلها وتكون كالسفينة تضربها الأمواج فتضع الحوامل، وتذهل المراضع، وتشيب الولدان، وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتي الأقطار فتتلقاهم الملائكة فيضربون وجوههم ويرجعون وهو الذي قال الله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ۝٣٢ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ فبينما هو كذلك إذ تصعدت الأرض من قطر إلىٰ قطر، فرأوا أمرًا عظيمًا لم يروا مثله وأخذهم من الكرب والهول ما الله بهم عليم

---

(١) روى مسلم في صحيحه [١١٦. (٢٩٤٠)] كتاب الفتن وأشرط الساعة، ٢٣. باب في خروج الدجال ومكثه في الارض، عن عبد الله بن عمرو رفعه، وفيه من حديث طويل: « **ثم ينفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا يعنى امال صفحه العنق. قال وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال: فيصعق، ويصعق الناس ثم يرسل الله. أو قال ينزل الله مطرا كأنه الطل أو الظل، فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون**. . . . . » الحديث

(٢) روي أن الصور برأسين: رأس بالمشرق ورأس بالمغرب، قال القرطبي رحمه الله والصور قرن من نور تجعل فيه الأرواح ، يقال: إن فيه من الثقب علىٰ عدد أرواح الخلائق، وروى مجاهد رحمه الله هو كالبوق ، ذكره البخاري رحمه الله

وفي الخبر: أن بين النفختين أربعين عامًا، وقال قتادة رحمه الله: هما صيحتان، أما الأولى فتميت كل شيء بإذن الله وأما الأخرى فتحيي كل شيء بإذن الله .

وقال القرطبي: الصور بالصاد، قرن ينفخ فيه النفخة الأولى للفناء، وهي نفخة الصعق معها نقير لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۝٨﴾ [**المدَّثر**: ٨] أي في الصور فإذا نفخ فيه فإذا الخلائق صعاق، جمع بين النقر والنفخ لتكون الصيحة أشد وأعظم ثم يمكث الناس أي موتا أربعين عامًا

بستان الفقراء ونزهة القراء (٣/ ٣٣) من تحقيقنا . طبعة دار الكتب العلمية .

ثم انشقت السماء وانتثرت نجومها، وانكشفت شمسها وقمرها، وأظلمت الأرض لخمود سراجها فيا هول صوت انشقاق السماء مع غلظها بخمسمائة عام وشدتها

ويا ليوم انشقت الأرض فيها، وتخر الجبال هدًا والملائكة قيام علىٰ حافاتها وأرجائها والأموات يومئذ لا يعرفون بشيء من ذلك، وهو عذاب يبعثه الله علىٰ شرار خلقه

فيمكثون في ذلك البلاء ما شاء الله إلا أنه يطول

ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة الصعق وهو الموت فيقول في النفخة أيتها الأرواح العارية أخرجوا من الأجساد الفانية

فيصعق من في السموات ومن في الأرض من الخلق إلا من شاء الله(١) ويجعل ملك الموت أحد كفيه تحت الأرض، والأخرى فوق السابعة

ثم يطبقها فيأخذ الأرواح أهل السموات وأهل الأرضين إلا من شاء الله

يعني حملة العرش وجبرائيل وميكائيل، وحملة الكرسي وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام

فتبقى الدنيا بلا إنس ولا جن ولا شيطان ولا وحش

---

(١) اختلف العلماء رحمهم الله في المستثنى في قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [**النَّمل**: ٨٧] فقيل: هم الشهداء واختاره الحليمي، قال: وهو مروي عن ابن عباس ﷺ وروى سعيد بن جبير ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [**النَّمل**: ٨٧]

قال: هم الشهداء، وهم بتثنية الله ﷻ متقلدوا السيف حول العرش، وفي الحديث السابق: أنهم الشهداء .

وقيل: المستثنى طوائف من السماء يموتون بين النفختين، وقال يحيى بن سلام في تفسيره: بلغني أن آخر من يبقى منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم الصلاة والسلام، ثم يقول الله ﷻ لملك الموت: مت، فيموت .

وقال كعب الأحبار ﷺ هم حملة العرش وجبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وقال الضحاك ﷺ هو رضوان والحور ومالك والزبانية، وقيل: هم الملائكة، وقيل هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقيل عقارب النار وحياتها، وقال الحسن رحمه الله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [**النَّمل**: ٨٧] يعني وحده

بستان الفقراء ونزهة القراء (٣/ ٣١، ٣٢) من تحقيقنا . طبعة دار الكتب العلمية .

وهذه النظرة الملعونة، كانت بين الله وبين إبليس عليه اللعنة، إذ يقول الله تعالىٰ لملك الموت إني خلقت لك بعد الأولين والآخرين أعوانًا وجعلت فيك قوة أهل السموات والأرضين فإني ألبسك اليوم أثواب الغضب، فأنزل بغضبي وسطوتي إلىٰ إبليس عليه اللعنة فأذقه الموت[1] واحمل عليه مرارة الأولين والآخرين من الجن والإنس أضعافًا مضاعفة، وليكن معك من الزبانية سبعون ألفًا، ومع كل زبانية سلسلة من سلسلة اللظى

فينادى مالك فتفتح أبواب النيران فينزل ملك الموت بصوت لو نظر إليه أهل السموات والأرضين لصعق من تلك الهداة

وملك الموت يقول: قف يا خبيث لأذيقنك الموت، كم من عمر أدركت وكم من قرن أضللت

قال: فيهرب إلىٰ المشرق

فإذا هو عنده، وإلى المغرب وملك الموت بين عينيه، ويغوص في البحار فلا يقبله، فلا يزال يهرب ولا محيص

فيقوم في وسط الدنيا عند قبر آدم ويقول: يا آدم من أجلك صرت رجيمًا ملعونًا.

فيقول: يا ملك الموت بأي كأس تسقيني، فبأي عذاب تقبض روحي

---

(١) قال تعالىٰ: مخاطبا لإبليس ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾

قال ابن كثير: أجابه الله تعالىٰ إلىٰ ما سال لما له في ذلك من الحكمة والإرادة والمشيئة التي لا تخالف ولا تمانع ولا معقب لحكمه ﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [**الرّعد**: ٤١]
ثم أخبر تعالىٰ أنه لما أنظر إبليس ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [**الأعراف**: ١٤] واستوثق إبليس بذلك أخذ في المعاندة والتمرد فقال كما أغويتني قال ابن عباس: كما أضللتني، وقال غيره كما أهلكتني لأقعدن لعبادك الذين تخلقهم من ذرية هذا الذي أبعدتني بسببه علىٰ ﴿صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [**الأعراف**: ١٦] أي طريق الحق وسبيل النجاة ولأضلنهم عنها لئلا يعبدونك ولا يوحدوك بسبب إضلالك إياي، وقال بعض النحاة: الباء هنا قسمية كأنه يقول: فبإغوائك إياي لأقعدن لهم صراطك المستقيم
تفسير ابن كثير (٢/ ٢٠٨، ٢٠٩).

فيقول: بكأس اللظى والسعير، وإبليس يفر يتمرغ في التراب مرة، ويصيح مرة ويهرب حتى إذا كان بالموضع الذي هبط فيه ولُعن

وقد نُصب له الزبانية الكلاليب وصارت الأرض كالجمرة، وتحتوشه الزبانية ويطعنوه بالكلاليب، فيبقى في النزع ، وفي غصص الموت ما شاء الله

ثم يأمر الله أن تفنى البحار، قال: فيأتي ملك الموت البحار فيقول: قد انقضت مدتك فتقول: حتى أنوح علىٰ نفسي، فتقول أين أمواجي أين عجائبي قد جاء أمر الله، فيصيح عليها ملك الموت صيحة فغارت مياهها كأن لم تكن قط

ثم يأتي إلىٰ الجبال فتقول لها كذلك فيقول لها حتى أنوح علىٰ نفسي

فيقول: أين صخوري ونتوئي فيصيح بها صيحة فتذوب علىٰ الأرض

ويأتي إلىٰ الأرض ويقول كذلك، ويقول حتى أنوح علىٰ نفسي، أين ملوكي وأين أشجاري وأنهاري فيصيح ملك الموت تساقطت حيطانها، وأغارت مياهها، ثم يصعد إلىٰ السماء فيصيح صيحة فتنكسف الشمس والقمر وتنكدر النجوم

ثم يقول الله: يا ملك الموت قد امتلأت السموات والأرض منكبين علىٰ وجوههم

فيقول الجليل جل جلاله: يا ملك الموت هل بقي أحد من خلقي[1]؟

---

(١) يأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة الصعق، فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، فإذا اجتمعوا موتا جاء ملك الموت ﷺ إلىٰ الجبار فيقول: قد مات أهل السموات والأرض إلا من شئت فيقول سبحانه وتعالى وهو أعلم من بقي؟ فيقول: بقيت أنت الحي الذي لا يموت وبقيت حملة العرش وبقي جبريل وميكائيل وإسرافيل وبقيت أنا، فيقول الله ﷻ فيموت جبريل وميكائيل ، فينطق العرش: أي ربي يموت جبريل وميكائيل، فيقول: أسكت إني كتبته علىٰ كل شيء تحت عرشي فيموتان ، ثم يأتي ملك الموت إلىٰ الجبار فيقول: أي رب قد مات جبريل وميكائيل إلىٰ أن قال: ثم يقول ليمت إسرافيل فيموت.

ثم يأتي ملك الموت فيقول: يا رب قد مات حملة عرشك فيقول وهو أعلم من بقي، فيقول: بقيت أنت الحي الذي لا يموت وبقيت أنا فيقول الله جل وعلا: أنت خلق من خلقي خلقتك لما رأيت فمت، فيموت .

بستان الفقراء ونزهة القراء (٣/ ٢٩) من تحقيقنا . طبعة دار الكتب العلمية .

فيقول: يا رب بقي جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، والدائم الذي لا يفنى

قال: يا ملك الموت اقبض روح ميكائيل، فيقبض روحه فيخر صريعًا بين يدي العرش كالطود العظيم

ثم يقول الله: يا ملك الموت أقرئ جبرائيل مني السلام وقل له: إني خلقت الخلق وقضيت عليهم بالموت وأنت ميت لا محالة

قال: فيأتي ملك الموت إليه برسالة ربه وليس أحب إلىٰ الله ﷻ من جبرائيل

قال: فيخر ساجدًا، ويقول: سبحانك أنت الباقي وأنا الفاني، فيقبض روحه

قال: فيقول الله تعالىٰ لملك الموت: يا ملك الموت ادن مني ومت، فيموت ولم يبق أحدًا إلا الله

فيقول الجبار جل جلاله: أنا ملك الملوك[١] أنا الذي قضيت بالفناء علىٰ الخلق، وأنا الباقي أين الجبارون وأين المتكبرون وأين الملوك وأبناء الملوك ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [٢] فلا يجيبه أحد

---

(١) روى البخاري في صحيحه (٤٨١٢) كتاب تفسير القرآن، من سورة الزمر، ٣ . باب قوله ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [**الزُّمَر**: ٦٧] ، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يقبض الله الأرض ويطوي السماوات بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض**»

وكذا رواه مسلم في صفات المنافقين، رقم (٢٣) وفي رقم (٢٤) بلفظ «**يطوي الله** ﷻ السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون .. وكذا بالأرضين»

قال النووى: وأما إطلاق اليدين لله تعالىٰ فمتأول علىٰ القدرة وكنى عن ذلك باليدين لأن أفعالنا تقع باليدين فخوطبنا بما نفهمه ليكون أوضح وأوكد في النفوس، وذكر اليمين والشمال حتى يتم المثال لأنا نتناول باليمين ما نكرمه، وبالشمال ما دونه ولأن اليمين في حقنا يقوى لما لا يقوى له الشمال، ومعلوم أن السموات أعظم من الأرض فأضافها إلىٰ اليمين والأرضين إلىٰ الشمال ، ليظهر التقريب في الاستعارة وإن كان الله سبحانه وتعالىٰ لا يوصف بأن شيئاً أخف عليه من شيء ولا أثقل من شيء .

النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٠٩) طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) سورة غافر (١٦)

فيقول الله تعالىٰ: ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [١] فيدعهم أربعين

لم يقل أحد شهرًا ولا يومًا ولا عامًا

ثم تبدل الأرض غير الأرض فيبسطها بسطًا ويمدها مدًا كالأديم العكاظي ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه: ١٠٧] أي شقوقًا ولا شيئًا شاخصًا، فإذا هم في هذه الأرض المبدلة في مثل ما كان فيه من الأولى من كان في بطنها ومن كان في ظهرها يحييهم الله جل جلاله للعرض والحساب

باب إحيائهم

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [٢]

قال: ثم ينظر الله الجبار جل جلاله بعد الأربعين إلىٰ السماء، فإذا الملائكة صرعى علىٰ خدودهم وينظر إلىٰ الأرض فإذا أهلها منكبين علىٰ وجوههم

فيقول: وعزتي وجلالي لأحيينكم كما أمتكم ولأعيدكم كما بدأتكم

فيرسل عليهم المطر أربعين يومًا من تحت العرش من نهر الحيوان وقيل من

---

(١) سورة النمل (٨) كذابا لاصل وتكمله الآيه: « **لله الواحد القهار**»

(٢) سورة الزمر (٦٨)

يقول الله تبارك تعالىٰ مخبرًا عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة فقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ هذه النفخة هي الثانية، وهي نفخة الصعق، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض، إلا من شاء الله كما هو مصرحًا به مفسرًا في حديث الصور المشهور ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت وينفرد الحي القيوم الذي كان أولا وهو الباقي آخرا بالديمومة والبقاء ويقول: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [**غافر**: ١٦] ثلاث مرات ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [**إبراهيم**: ٤٨] أنا الذي كنت وحدي وقد قهرت كل شيء ثم يحيي أول من يحيي إسرافيل، ويأمره أن ينفخ في الصور أخرى وهي النفخة الثالثة نفخة البعث قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [**الزُّمَر**: ٦٨]

تفسير ابن كثير (٤/ ٦٣).

البحر المسجور فينبتون من قبورهم ومصارعهم كنبات الطراثين حتى إذا تكاملت أجسادهم يقول الله: ليحيى حملة العرش فيحيون

ثم يقول: ليحيى جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وأولهم إسرافيل

فيأخذ الصور من العرش فيبعثهم إلىٰ رضوان فيقول: زين الجنان لمحمد ﷺ وأمته

ثم يأتي جبرائيل مع البراق، ولواء الحمد، وحلتين من حلل الجنة

فأول ما يحيى من الدواب البراق(١) وله جناحان يطير بين السماء والأرض، وجهه كوجه الإنسان ولسانه لسان العرب وحوافره كحوافر البقر

يقول الله: يا جبرائيل اكسه فيكسه سرجًا من ياقوتة حمراء ولجامه من زمرد أخضر، والحُلتان أحدهما خضراء والأخرى صفراء

فيقول جبرائيل: يا رضوان إن هذا يوم البراق، هذا يوم التلاق وهذا يوم الفراق.

ويقول الله تعالىٰ: انطلقوا إلىٰ محمد ﷺ فيذهبون وصارت الأرض قاعًا صفصفًا لا يدرون قبره

فيظهر نور مثل العمود من قبره إلىٰ عنان السماء

فيقول جبرائيل: ناد أنت يا إسرافيل فأنت ممن ينشر الله الخلائق به

فيقول يا جبرائيل أنا وأنت كنت خليله في الدنيا فيقول أنا أستحي منه

فيقول إسرافيل: ناد أنت يا ميكائيل

---

(١) البُراق: هو بضم الباء الموحدة قال أهل اللغة البراق اسم الدابة التي ركبها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء، قال الزبيدي في مختصر العين وصاحب التحرير: هي دابة كان الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يركبونها وهذا الذي قالاه من اشتراك جميع الأنبياء فيها يحتاج إلىٰ نقل صحيح ، قال ابن دريد اشتقاق البراق من البرق إن شاء الله تعالىٰ يعني لسرعته

وقيل : سمي بذلك لشدة صفائه وتلألئه وبريقه وقيل : لكونه أبيض ، وقال القاضي : يحتمل أنه سمي بذلك لكونه ذا لونين يقال شاة برقاء إذا كان في خلال صوفها الأبيض طاقات سود، قال: ووصف في الحديث بأنه أبيض وقد يكون من نوع الشاة البرقاء، وهي معدودة في البيض والله أعلم .

النووي في شرح مسلم (٢/ ١٨٣) طبعة دار الكتب العلمية .

فيقول: السلام عليك يا محمد، فلا يجيبه أحد

فينادي إسرافيل: أيتها الروح الطيبة قم لفصل القضاء والحساب والعرض علىٰ الرحمن

فينشق القبر، فإذا هو جالس في القبر ينفض التراب عن رأسه ولحيته، فيعطيه جبرائيل الحلتين والبراق فيقول: يا جبرائيل أي يوم هذا؟

فيقول: هذا يوم القيامة، ويوم الحسرة والندامة فيقول: يا جبرائيل بشرني

فيقول: يا محمد معي لواء الحمد والتاج(١)

فيقول: لست أسألك عن هذا، فيقول: الجنة قد زخرفت لقدومك، والنار أُغلقت

فيقول: لست أسألك عن هذا، إنما أسألك عن المؤمنين من أمتي لعلك تركتهم علىٰ الصراط

فيقول إسرافيل: وعزة ربي يا محمد ما نفخت في الصور

---

(١) ذكر أبو الليث السمرقندي وغيره: إن الله تبارك وتعالى إذا أحيا جبريل وميكائيل وإسرافيل يأتون إلىٰ قبر النبي ﷺ مع البراق وحلل الجنة فتنشق عنه الأرض فينظر إلىٰ جبريل عليه الصلاة والسلام ويقول: ما هذا اليوم؟ فيقول: هذا يوم الحاقة ويوم القارعة، فيقول: يا جبريل ما فعل الله بأمتي، فيقول جبريل عليه السلام: أبشر يا محمد فإنك أول من تنشق عنه الأرض، ثم يأمر الله تعالىٰ إسرافيل عليه السلام فينفخ في الصور ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [**الزُّمَر**: ٦٨]

وفي حديث آخر: «**فأول من يحيي الله من خلقه إسرافيل صاحب الصور، وجبريل وميكائيل، ثم يأمرهم الله تعالىٰ فيقول: انطلقوا إلىٰ رضوان الخازن فقولوا له: إن الله يأمرك أن تأتي بالبراق ولواء الحمد وتاج الكرامة وحلتين من حلل الجنة، فاهبطوا به إلىٰ قبر النبي المصطفى ﷺ فأنبهوه من رقدته وأيقظوه من نومته** .

قال: ويقبل جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم الصلاة والسلام فيقف إسرافيل عند رأس القبر وميكائيل عند وسطه وجبريل عند رجليه فيقول جبريل: يا إسرافيل صح به أنت فأنت صاحب النفخ في الصور فيقول إسرافيل: أيتها الروح الطيبة عودي إلىٰ الجسد الطيب، يا محمد قم بإذن الله تعالى، قال: فيقوم عريانا ينفض التراب عن رأسه ثم يلتفت يمينًا وشمالا فإذا هو بالبراق ولواء الحمد وتاج الكرامة وحلتين من حلل الجنة، فيقول جبريل: أبشر هذا البراق ولواء الحمد وتاج الكرامة وحلل الجنة أتيتك بها هدية من رب العالمين .

بستان الفقراء ونزهة القراء (٣/ ٣٦، ٣٧) من تحقيقنا . طبعة دار الكتب العلمية .

فيقول: الآن طابت نفسي وقرت عيني

فيأخذ التاج والحلة

فلما دنا ليركب البراق وعيناه كالكواكب الدراري وناصيته من ياقوته حمراء، وأذناه من زمرد أخضر، وذنبه كذنب البقر مكلل بالذهب الأحمر لونه كالبرق يضطرب ويقول وعزة ربي لا يركبني إلا النبي التهامي محمد بن عبد الله صاحب القرآن

فيقول: أنا محمد بن عبد الله فيركبه ثم ينطلق، فيأمر الله إسرافيل فيأخذ الصور فيضعه علىٰ فيه ثم يدعوا أرواح المؤمنين فيأتون نورًا وأرواح الكفرة ظلمة فيقبضها جميعًا .

ثم يلقيها في الصور

ثم يأمر الله إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث

فيقول إسرافيل: أيتها العظام النخرة واللحوم المتفتتة والأوصال البالية والشعور المتفرقة والجلود المتمزقة قوموا إلىٰ محاسبة رب العزة

فتخرج الأرواح من الصور كالنحل ملأت ما بين المشرق والمغرب

فيقول الله تعالىٰ: لترجعن كل روح إلىٰ جسده فتدخل الأرواح في الخياشيم، ثم تمشي الأجساد فيقومون قيام رجل واحد، حفاة عراة[١] مهطعين إلىٰ الداع

فذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[٢]

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٥٦.(٢٨٥٩)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ١٤. باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا**» قلت: يا رسول الله النساء والرجال جميعا، ينظر بعضهم إلىٰ بعض قال ﷺ: يا عائشة، الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلىٰ بعض»

قال النووي: الغرل بضم الغين المعجمة وإسكان الراء معناه غير مختونين جمع أغرل وهو الذي لم يختن وبقيت معه غرلته وهي قلفته وهي الجلدة التي تقطع في الختان، قال الأزهري وغيره: هو الأغرل والأرغل والأغلف بالغين المعجمة في الثلاثة والأقلف والأعرم بالعين المهملة وجمعه غرل ورغل وغلف وقلف وعرم، والحفاة جمع حاف والمقصود أنهم يحشرون كما خلقوا لا شيء معهم ولا يفقد منهم شيء حتى الغرلة تكون معهم .

النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٥٩) طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) سورة يس (٥٣)

فعند ذلك تقبل الوحوش من البراري والسباع من الجبال، منكسة رؤوسهم مختلطة بالخلائق ذليلة ليوم النشور، من غير خطيئة تدنست بها

قال: فيسوق الخلائق حفاة عراة إلىٰ أرض المحشر، تنكشف فيه العورات

فقالت: سودة زوج النبي ﷺ واسوأتاه ينظر بعضنا لبعض يا رسول الله

فقال ﷺ: شغل الناس عن ذلك ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾[1]

ثم أوحى الله إلىٰ السماء الدنيا أن اهبطي بعبادي الذين هم فيك إلىٰ عبادي الذين هم في الأرض

فتهبط بهم لهم دوي كدوي الرعد بالتسبيح والتقديس حتى إذا دنوا ظن سكان الأرض من الجن والإنس أن الجبار قد جاءهم

فيقولون: هل فيكم ربنا الجبار، فيقولون: سبحان عظمة ربنا، ما فينا الجبار وسيأتيكم[2]

---

(١) بهذا اللفظ أخرجه: الزبيدي في الاتحاف (١٠/٤٥٦) والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣١٧)، والقرطبي في تفسيره (١٩/ ٢٣٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٣٣)

(٢) في حديث مسلم [٢٩٩ـ (١٨٢)] كتاب الايمان، ٨١ـ باب معرفة طريق الرؤية، عن أبي هريرة، وفيه، عن رسول الله ﷺ « **يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله تعالىٰ في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون أنت ربنا فيتبعونه...... الحديث بطوله** .

قال النووي: اعلم أن لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين أحدهما وهو مذهب معظم السلف أو كلهم أنه لا يتكلم في معناها بل يقولون يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله تعالىٰ وعظمته مع اعتقادنا الجازم أن الله تعالىٰ ليس كمثله شيء وأنه منزه عن التجسم والانتقال والتحيز في جهة وعن سائر صفات المخلوق، وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين ، واختاره جماعة من محققيهم وهو أسلم، والقول الثاني وهو مذهب معظم المتكلمين أنها تتأول علىٰ ما يليق بها علىٰ حسب مواقعها .

النووي في شرح مسلم (٣/ ١٨) طبعة دار الكتب العلمية .

ثم أوحى الله إلىٰ السماء الثانية أيضًا فتهبط بهم لهم دوي كدوي الرعد بالتسبيح والتقديس ، وهم أضعاف من في السماء الدنيا

فإذ دنوا ظـن أهل الأرض من الجن والإنس والملائكة أن الجبار قد جاءهم

فيقولون: هل فيكم الجبار؟

فيقولون: سبحان عظمة ربنا، ما فينا الجبار وسيأتيكم

فإذا هبط كذلـك سماء إلىٰ سماء حتـى السادسة فتهبط بأهلـها إلـىٰ الأرض(١)

فتهبط في يد كل ملك منهم مثل النخلة الطويلة نارًا أشد ضوء من الشمس، ولباسهم كلهب النار إذا سبحوا وقدسوا جاءهم من كان قبلهم من ملائكة السموات كلهم يقولون لشدة أصواتهم: سبوح قدوس رب العزة أبدًا لا يموت

في رأس كـل ملك منهم أربعة أوجه وهم أضعاف مـن جميع ما قد نـزلوا قبلهم

ثم أوحى الله إلىٰ ملائكة السماء السابعة وهم كروبيون أن يحملوا عرشه فينزل عند ذلك الجبار جل جلاله بقدرته وسلطانه لفصل القضاء بين عباده(٢)

فيؤتى بالجنة مع أنهارها وأشجارها، فتوقف عن يمين العرش، ويؤتى بالنار مع

---

(١) في قوله ﷺ: «**فيأتيهم الله**» أن الإتيان عبارة عن رؤيتهم إياه لأن العادة أن من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته إلا بالإتيان فعبر بالإتيان والمجيء هنا عن الرؤية مجازًا وقيل الإتيان فعل من أفعال الله تعالىٰ سماه إتيانًا وقيل المراد بيأتيهم الله أي يأتيهم بعض ملائكة الله المرجع السابق (٣/ ١٨) طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) في الفصل بين العباد روى البخاري في صحيحه (٩/ ٣)، ومسلم في القسامة [٢٨ (١٦٧٨)] باب المجازاة بالدماء في الآخرة، وأنها أول ما يقضي فيه بين الناس يوم القيامة ، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**»

قال النووي: فيه تغليظ أمر الدماء وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة، وهذا لعظم أمرها وكثير خطرها، وليس هذا الحديث مخالفًا للحديث المشهور في السنن أول ما يحاسب به العبد صلاته، لأن هذا الحديث الثاني فيما بين العبد وبين الله تعالىٰ .
وأما حديث الباب فهو فيما بين العباد والله أعلم بالصواب .

السلاسل والأغلال فتوقف عن يسار العرش، فيكشف الله عنها الغطاء فيطير منها ثلاث سرادقات(١)

فسرادق عن يمين الثقلين، وسرادق عن شمالهم وسرادق يظلهم من فوقهم

فإذا أبصروها أحيط بهم جثوا على ركبهم وشغلوا أبصارهم كل يقول: رب نفسي نفسي، فإياك أن تنكر شيئًا من عجائب يوم القيامة فإنها عظيمة

قال: فيزدحم الخلائق في الموقف، أهل السموات والأرضين من الملائكة والجن والإنس والشياطين والطيور والوحوش والسباع

وأشرقت عليهم الشمس وتضاعف حرها وأدنيت على رؤوس الخلائق ولم يبق على وجه الأرض ظل إلا ظل عرش الرحمن(٢)

---

(١) روى الترمذي في سننه (٣٠٤٢) كتاب تفسير القرآن باب من سورة الإسراء، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف: ركبانًا ومشيانا وعلى وجوههم**»

فقال رجل: يا رسول الله أويمشون على وجوههم؟

قال: «**الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم**»

وروى الشيخان عن أنس ففي البخاري (٦٥٢٣) كتاب الرقاق، ٤٥ . باب كيف الحشر عن أنس أن رجلا قال: يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة .

(٢) في حديث « **سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله. . . . . .** » وهو في الصحيحين

قال النووي: قال القاضي: إضافة الظل إلى الله تعالى إضافة ملك كل ظل فهو لله وملكه وخلقه وسلطانه، والمراد هنا ظل العرش .

كما جاء في حديث آخر مبينا، والمراد يوم القيامة إذا قام الناس لرب العالمين ودنت منهم الشمس واشتد عليهم حرها، وأخذهم العرق ولا ظل هناك لشيء إلا للعرش، وقد يراد به هنا ظل الجنة وهو نعيمها والكون فيها كما قال تعالى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [**النساء: ٥٧**] قال القاضي وقال ابن دينار المراد بالظل هنا الكرامة والكنف والكف من المكاره في ذلك الموقف، قال: وليس المراد ظل الشمس، قال القاضي وما قاله معلوم في اللسان يقال فلان في ظل فلان أي في كنفه وحمايته، قال وهذا أولى بالأقوال وتكون إضافته إلى العرش لأنه مكان التقريب والكرامة وإلا فالشمس وسائر العالم تحت العرش وفي ظله

النووي في شرح مسلم (٧/ ١٠٨) طبعة دار الكتب العلمية .

ولا يمكن من الاستظلال إلا المقربون وتدافعه الخلق لشدة الزحام وشدة الخجلة والحياء من الافتضاح

واجتمع وهج الشمس وحر الأنفاس والاحتراق بنار الحياء والخوف فغاص الماء من أصل كل شعرة حتى سال علىٰ صعيد القيامة

ثم ارتفع علىٰ أبدانهم فبعضهم يبلغ العرق إلىٰ ركبتيه وبعضهم إلىٰ حقويه، وبعضهم إلىٰ شحمة أذنيه وبعضهم كاد يغيب فيه علىٰ قدر منازلهم عند الله[(١)] وإن فيهم من ينادي ويقول: يا رب أرحني من هذا الكرب والانتظار ولو إلىٰ النار

فذلك هو الموقف الذي يقف فيه الخلائق شاخصة أبصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون ولا يأكلون أكلة ولا يشربون شربة ولا يلفح وجوههم روح نسيم

كما قال النبي ﷺ «**كيف بكم إذا يجمعكم الله في القيامة كما يجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم، ولم تأكلوا أكلة ولم تشربوا شربة**»[(٢)]

وقال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده أنه ليخفف علىٰ المؤمن حتى يكون مثل الصلاة المكتوبة**»[(٣)]

فاجتهد يا غافلا أن تكون من أولئك المقربون فيا جراءة قلوب الغافلين يوم التناد ويا فضيحة المذنبين علىٰ رؤوس الأشهاد، ويا خسارة المفرطين إذا حرموا دار المتقين

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٦٢. (٢٨٦٤)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ١٥. باب في صفة يوم القيامة أعاننا الله علىٰ أهوالها،عن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل**» قال سليم بن عامر: فوالله ما أدري ما يعني بالميل؟ أمسافة الأرض، أم الميل الذي تكتحل به العين، قال: « **فيكون الناس علىٰ قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلىٰ كعبيه ومنهم من يكون إلىٰ ركبتيه، ومنهم من يكون إلىٰ حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما**»

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٧٢)، والزبيدي في الاتحاف (١٠/ ٤٥٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٣٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٢٤)

(٣) أخرجه: أحمد في مسنده (٣/ ٧٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٣٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٦٥)، والزبيدي في الاتحاف (١٠/ ٤٦٠)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٤٩٩)

ويا سوء منقلب الظالمين إذا عاينوا دار الهالكين فنعوذ بالله من الغفلة والاغترار علىٰ سبيل الإصرار

وقال بعض الزاهدين: لئن مت في سكرتي غافلا الويل لنفسي وويل أليما بما كنت فرطت فيما مضى وقد كنت حذرت شأنا عظيما وأنذرت يوما بعيدا لبدء طويل البقاء قطيعا عقيما

وما هناك لهم راحم وما يغيث حميم حميما ويغشى الأنام علىٰ عشرة دواهي: يشيب الفطيما[١] ويتقطع الهم عن أهله يصبح من كان يلهوا كظيما، وتخضع فيه رقاب الملوك ذو الجهل فيه حليمًا فما عذري وماذا حجتي يفرح فيه أهل التقى ويكرم أهل النعيم نعيما، فماذا عذري وماذا حجتي إذا ما لاقيت ربا عليما، أفي الصدق أرجو لديه النجاة، وقد كنت في دهري ظلوما

فيا ذا المعارج والكبرياء والمن كن إلهي رحيمًا، ولا تتركني وما أشتهي فاسقى وأصلى حميما

(فأوحى)[٢] فؤادي حتى أرى فؤادي شفيقًا، و قلبي سليمًا وحتى ألاقي من ذكر ما قد أصبحت فيه لنفسي ألوما

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾ [**المُزمّل**: ١٧]
يحتمل أن يكون يوما معمولا لتتقون كما حكاه ابن جرير عن قراءة ابن مسعود، فكيف تخافون أيها الناس يوما يجعل الولدان شيبا إن كفرتم بالله ولم تصدقوا به ؟ ويحتمل أن يكون معمولا لكفرتم فعلى الأول كيف يحصل لكم أمان من يوم هذا الفزع العظيم إن كفرتم وعلىٰ الثاني كيف يحصل لكم تقوى إن كفرتم يوم القيامة وجحدتموه وكلاهما معنى حسن ولكن الأول أولى والله أعلم .
ومعنى قوله: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [**المُزمّل**: ١٧] أي من شدة أهواله وزلازله وبلابله وذلك حين يقول الله تعالىٰ لآدم: ابعث بعث النار فيقول من كم؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلىٰ النار، وواحد إلىٰ الجنة»
ورواه الطبراني عن ابن عباس وفي آخره: فاشتد ذلك علىٰ المسلمين وعرف ذلك رسول الله ﷺ ثم قال حين أبصر ذلك في وجوههم: « **إن بني آدم كثير، وإن يأجوج ومأجوج من ولد آدم، وإنه لا يموت منهم رجل حتى ينتشر لصلبه ألف رجل، ففيهم وفي أشباههم جنة لكم**» تفسير ابن كثير (٤/ ٤٣٨)
(٢) كذا بالأصل

باب المساءلة

قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾[١]

فاعلم يا مسكين إنك بعدما كنت قطعت عنقك عطش القيامة واحترقت جوفك جوعها[٢] فيما يتوجه عليك من السؤال شفاهة من غير ترجمان فتسأل عن القليل والكثير

فبينما أنت في كرب القيامة وعرقها نزلت ملائكة من أرجاء السماء بأجسام عظام وأشخاص غلاظ

وأمروا أن يأخذوا بنواصي المجرمين[٣] إلىٰ موضع العرض علىٰ الجبار

وتراهم علىٰ عظم أشخاصهم منكسين خائفين مما بدا من غضب الجبار علىٰ العباد

وعند نزولهم لا يبقى نبي ولا صديق ولا صالح ولا تقي إلا ويخرون لأذقانهم خوفًا من أن يكونوا مأخوذين[٤]

---

(١) سورة الاعراف(٦)

(٢) روى المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٦٦)، وابن أبي الدنيا في اصطناع المعروف عن ابن مسعود قال: «**يحشر الناس يوم القيامة أعرى ما كانوا قط، وأجوع ما كانوا قط، وأظمأ ما كانوا قط، وأنصب ما كانوا قط، فمن كساه لله كساه الله، ومن أطعم لله أطعمه الله، ومن سقا لله سقاه الله، ومن عمل لله أغناه الله، ومن عفا لله أعفاه الله** .

(٣) قال تعالىٰ: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ [**الرَّحمٰن: ٤١**] قال مجاهد: لاتسأل الملائكة عن المجرم يعرفون بسيماهم: أي: بعلامات تظهر عليهم

وقال الحسن وقتادة: يعرفونهم باسوداد الوجوه وزرقة العيون

وقوله تعالىٰ: ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [**الرَّحمٰن: ٤١**] أي تجمع الزبانية ناصيته مع قدميه ويلقونه في النار، وقال الأعمش عن ابن عباس يؤخذ بناصيته وقدمه فيكسر كما يكسر الحطب في التنور، وقال الضحاك: يجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلة من وراء ظهره وقال السدي: يجمع بين ناصية الكافر وقدميه فتربط ناصيته بقدمه ويفتل ظهره .
تفسير ابن كثير (٤/ ٢٧٥)

(٤) في قول الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه فيما رواه مسلم: « **لست هناكم ، أو لست لها** » قال القاضي عياض هذا يقولونه تواضعا وإكبارا لما يسألونه قال وقد تكون إشارة من كل واحد منهم إلىٰ أن هذه الشفاعة وهذا المقام ليس له بل لغيره

=

فهذا حال المقربين، فما ظنك بالعصاة المجرمين

فعند ذلك يبدأ بالأنبياء كقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾(١)

وقد أرسلتم إلىٰ الخلائق فلا يدرون ماذا يجيبون من شدة الهيبة

قالوا: لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت علام الغيوب فيا لشدة تذهل فيه عقول الأنبياء، وينمحي علومهم من شدة الهيبة إلىٰ أن يقويهم الله

قال: فيبدأ نوح عليه السلام فيقوله له: يا نوح هل بلغت رسالة ربك إلىٰ قومك(٢)

فيقول: نعم يا رب، فيقال لأمته هل بلغكم

فيقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير

وهكذا يؤتى الأنبياء ويسألهم فيجيبهم قومهم كذلك حتى يشهد عليهم أمة محمد ﷺ بالبلاغ(٣)

= وكل واحد منهم يدل علىٰ الآخر حتى انتهى الأمر إلىٰ صاحبه، قال ويحتمل أنهم علموا أن صاحبها محمد ﷺ معينا وتكون إحالة كل واحد منهم علىٰ الآخر علىٰ تدريج الشفاعة في ذلك إلىٰ نبينا محمد ﷺ.
النووي في شرح مسلم (٣/ ٤٩) طبعة دار الكتب العلمية.

(١) سورة المائدة (١٠٩)

(٢) روى البخاري في صحيحه(٤٤٨٧) كتاب تفسير القرآن، من سورة البقرة، ١٣. باب ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ **[البَقَرَة: ١٤٣]** عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ « **يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول هل بلغت؟ فيقول نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلغ، ويكون الرسول عليكم شهيدا، فذلك قوله جل ذكره** ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ **[البَقَرَة: ١٤٣]**

(٣) تقدم بلفظه في البخاري وكذلك أخرجه: الترمذي في سننه (٢٩٦١) كتاب تفسير القرآن من سورة البقرة

وأحمد في مسنده (٣/ ٣٢)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٩٢)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٤٤)، والزبيدي في الاتحاف (٢/ ٤٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١١/ ٤٥٤)، والطبري في تفسيره (٣/ ١٤٦).

ثم يقبل الملائكة فينادون الخلائق واحدًا واحدًا يا فلان ابن فلان هلم للعرض علىٰ الرحمن فعند ذلك ترتعد فرائصهم وتبهت عقولهم ويتمنى أقوام أن يذهب بهم إلىٰ النار ولا تعرض قبائح أعمالهم علىٰ الجبار، ولا يكشف سترهم علىٰ الخلائق

فيقول الجبار جلال جلاله: يا جبرائيل ائتني بالنار

فجاء إليها جبرائيل[١] فيقول: أجيبي خالقك ومليكك فيجاء بها مع جبرائيل عليه السلام مع غيظها ولم تلبث بعد مجيئها أن ثارت وزفرت إلىٰ الخلائق فعند ذلك تساقطوا بعضهم جثيًا علىٰ الركب[٢] وبعضهم علىٰ الوجوه وينادى الظالمون والعصاة بالويل والثبور

وينادى الصديقون والأبرار نفسي نفسي فعند ذلك يفر الأولاد من الأمهات والأمهات من الأولاد، والأخ من أخيه، وبقي كل واحد منتظر لأمره

ثم يؤخذ واحد واحد فيسأله الله عن قليل عمله وكثيره حتى عن فتيل التينة بأصبعيه وعن لمس أخيه

---

(١) روى المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٤٦٠) عن عمر أن جبريل جاء إلىٰ النبي ﷺ فوجده حزينًا لا يرفع رأسه، فقال له رسول الله ﷺ «**ما لي أراك حزينا**»، قال: إني رأيت لفحة من جهنم فلم ترجع إليّ روحي بعد»

وروى أحمد في الزهد (٢٧) عن رباح قال: حدثت أن النبي ﷺ قال لجبريل لم تأتيني إلا وأنت صار بين عينيك؟ قال: إني لم أضحك منذ خلقت النار .

وأيضًا أحمد في مسنده (٣/ ٢٢٤)، عن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال لجبريل: «**ما لي لم أر ميكائيل ضاحكًا قط، قال: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار**»

(٢) روى المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٤٥٧)، والزبيدي في الاتحاف (٧/ ٧٧)، عن عمر بن الخطاب قال: جاء جبريل إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا جبريل ما لي أراك متغير اللون؟

قال: ما جئتك حتى أمر الله بمفاتيح النار، فقال: «**يا جبريل صف لي النار**»

قال: إن الله أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى أبيضت ثم أوقد عليها ألف عام حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى أسودت، فهي سوداء مظلمة لا يضيء شررها ولا يطفئ لهيبها، والذي بعثك بالحق لو أن قدر ثقب ابرة فتح من جهنم لمات من في الأرض كلهم جميعًا من حرها، ولو أن خازنًا من خزنة جهنم برز إلىٰ أهل الدنيا فنظروا إليه لمات من في الأرض كلهم من قبح وجهه ومن نتن ريحه ولو أن حلقة من حلق سلسلة أهل النار التي نعت الله في كتابه وضعت علىٰ جبال الدنيا لأوقصت وما تقارب حتى تنتهي إلىٰ الأرض السفلى .

وما من فعلة فعلت وإن صغرت إلا وينشر ثلاثة دواوين، فالديوان الأول يقول: لم؟ أي لم فعلت أكان عملك لمولاك أو كان منك بهواك فإن سلم منها بأن عمله لله كما أمر سئل عن الديوان الثاني فيقول: كيف؟ أي كيف فعلت هذا بالجهل أو بالعلم؟

فإن الله لا يقبل إلا علىٰ طريقه، وطريقه العلم فإن سلم منها نشر عليه الديوان الثالث[١]

فيقول: لمن. أي لمن هذا العمل لوجه الله خالصًا فيأجرك عليه أم لشخص مثلك فخذ منه، أم تنال عاجل دنياك فقد وافينا له كل عملك فيها، وأنه هكذا يكون حساب الخلق فكيف ترى حالك وخجلتك وهو يعد عليك أنعامه ومعاصيك وأياديه ومساويك

فإن أنكرت شهدت عليك جوارحك ويختم علىٰ فيك

فنعوذ بالله من الافتضاح علىٰ ملأ الخلائق بشهادة الأعداء

وقيل: اليوم والليلة أربعة وعشرون ساعة يتنفس العبد كل ساعة مائة وثلاث وسبعين نفسا في كل يوم وليلة يكون أربعة الآف وثلاثمائة وسبعين نفسًا

فيُسأل العبد يوم القيامة من كل نفس بسؤالين بأي تنفست وبأي ابتلعت فيا حرارة لمن ضيع العمر إذا خسر الدنيا والدين ويا ندامة لمن فرط أياما قلائل لضعف الإيمان واليقين

فنسأل الله تعالىٰ أن يرزقنا سبيل الصالحين ويعيذنا عن محجة الناكبين

---

(١) أخرج الطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٨٦)، عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ «**يؤمر بناس يوم القيامة إلىٰ الجنة حتى إذا دنوا منها ونظروا إليها واستنشقوا ريحها قيل: اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها، فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون بمثلها فيقولون: ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما رأيتنا كان أهون علينا، قال: ذلك أردت بكم، كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظائم وإذا لقيتم الناس لقيتموني مخبتين، تراءون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني، أجللتم الناس ولم تجلوني، وتركتم للناس ولم تتركوا لي، فاليوم أُذيقكم أليم العذاب مع ما أحرمتكم من الشراب**.

باب في ذكر ميزان الأعمال

قال الله تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ﴾ (١) الآية

يعني نضع الموازين بالعدل، فلا ينقص من حسناته ولا يزاد من علىٰ سيئاته

وهو ميزان له كفتان ولسان يوزن فيه الحسنات والسيئات

فأما المؤمن فيؤتى بعمله في أحسن صورة وفي ميزانه نورًا فيثقل حسناته علىٰ سيئاته

قال النبي ﷺ: «**إن الناس بعد السؤال علىٰ ثلاث: فرقة ليس لهم حسنات توزن فيخرج عنق من النار فيلقطهم لقط الطير للحبة، وينطوي عليهم ويلقيهم في النار، وينادى عليهم لا شقاوة ولا سعادة أبداً**»

وفرقة لا سيئة فينادى عليهم ليقم الحامدون لله علىٰ كل حال، فيقومون ويسرعون وينادى لا سعادة لا شقاوة بعدها

فتبقى فرقة ثالثة وهم الأكثرون خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً

فيؤتى بكل واحد منهم حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك

---

(١) سورة الأنبياء (٤٧)

أي ونضع الموازين العدل ليوم القيامة، الأكثر علىٰ أنه إنما هو ميزان واحد وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه .

وروى أحمد في مسنده عن : عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ﷻ يستخلص رجلاً من أمتي علىٰ رءوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئًا؟**

أظلمتك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب، قال أفلك عذر أو حسنة؟ قال: فيبهت الرجل فيقول: لا يا رب فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم اليوم عليك فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فيقول أحضروه، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة قال: ولا يثقل شيء مع بسم الله الرحمن الرحيم»

تفسير ابن كثير (٣/ ١٨٥)

فإن قل ميزانه من الحسنات، نادى الملك يسمع الخلائق إلا قد شقي فلان شقاوة لا سعادة بعدها أبدًا فذاك قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[1]

قال: فعند ذلك تقبل الزبانية، وهم أكثر من عدد قطر الأمطار وورق الأشجار بأجسام عظام، بأيديهم مقامع من حديد[2] عليهم ثياب من النار

فيأخذون نصيب النار إلىٰ النار، فيناديهم ربهم بصوت يسمعه البعيد كما يسمعه القريب أنا الملك الديان، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة حتى أقضه منه، حتى اللطمة يضرب علىٰ أخيه.

فعند ذلك يرد الخصماء المظالم علىٰ أهلها

فيقول الله تعالىٰ لجبرائيل: يا جبرائيل زن بينهم ورُد حقهم بعضهم من بعض

---

(١) سورة المؤمنين (١٠٢، ١٠٣) أي من رجحت حسناته علىٰ سيئاته ولو بواحدة قاله ابن عباس، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [**الأعراف**: ٨] أي الذين فازوا فنجوا من النار وأدخلوا الجنة، وقال ابن عباس: أولئك الذين فازوا بما طلبوا، ونجوا من شر منه هربوا، ومن خفت موازينه، أي ثقلت بسيئاته علىٰ حسناته ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم﴾ أي خابوا وهلكوا وفازوا بالصفقة الخاسرة، ﴿فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ أي ماكثون فيها دائمون مقيمون فلا يظعنون

تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٥).

(٢) في خزنة جهنم قال تعالىٰ: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [**المدَّثِّر**: **٣٠**] وفي ذلك أخرج ابن المبارك والبيهقي من طريق الأزرق بن قيس عن رجل من بني تميم قال: كنا عند أبي العوام فقرأ هذه الآية ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [**المدَّثِّر**: **٣٠**] قال: ما تقولون أتسعة عشر ملكًا أو تسعة عشر ألف؟

قلت: لا بل تسعة عشر ملكًا، قال: ومن أين علمت ذلك؟ قلت: لأن الله يقول: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فقال أبو العوام: صدق هم تسعة عشر ملكًا بيد كل ملك منهم مرزبة من حديد يضرب بها الضربة يهوي بها سبعين ألفًا، بين منكبي كل ملك منهم مسيرة كذا وكذا
وأخرج القتيبي في «**عيون الأخبار**» عن طاوس: إن الله خلق ملكًا، وخلق له أصابع عدد أهل النار فما من أهل النار معذب إلا ومالك يعذبه بأصبع من أصابعه، فوالله لو وضع مالك أصبعًا من أصابعه علىٰ السماء لأذابها
بستان الفقراء ونزهة القراء (٣/ ٢٩١) من تحقيقنا. طبعة دار الكتب العلمية.

فيقول: يا ربنا من أين نرد عليهم الحقوق وقد أفنيت الدنيا وليس لنا ذهب ولا فضة .

قال: فيقول الله للملائكة خذوا من حسناته واعطوا كل إنسان بقدر مظلمته

قال: فإن كان للظالم حسنات أُخذ من حسناته فرد علىٰ المظلوم وإن لم يكن له حسنات حمل من سيئات صاحبه فيلقيها عليه

وأما الناجون فيعرف لهم منازلهم في الجنة إذا انصرفوا إليها كأهل الجمعة[(١)] يعرفون منازلهم إذا انصرفوا إلىٰ منازلهم

فاجتهد أيها الغافل أن تكون في زمرة السابقين أو من أولئك الناجين، وخلص نفسك من أن يتعلق بك المظلوم في يوم لا درهم فيه ولا دينار ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[(٢)]

باب ذكر الصراط[(٣)]

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: ٧١]

---

(١) اتفقوا علىٰ وجوب الجمعة علىٰ أهل الأمصار، ثم اختلفوا في الخارج عن المصر إذا سمع النداء فقال أبو حنيفة: لا يجب عليه، وقال مالك والشافعي وأحمد يجب عليه، وحده مالك وأحمد بفرسخ وأطلقه الشافعي وحده أبو حنيفة بثلاث فراسخ

واختلفوا في أهل القرى، فقال أبو حنيفة: لا تجب عليهم، وقال مالك والشافعي وأحمد: تجب عليهم إذ بلغوا عدد تصح به الجمعة .

ثم اختلفوا في العدد فقال أبو حنيفة: تنعقد بثلاث سوى الإمام، وقال مالك تنعقد بكل عدد تقرى بهم قربه في العادة، وقال الشافعي: تنعقد بأربعين وهو المشهور عن أحمد من روايته . اختلاف الأئمة العلماء (١/ ١٥١، ١٥٢) من تحقيقنا . طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) سورة الشعراء (٨٨)

(٣) أخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: بلغني أن الجسر أرق من الشعر وأحد من السيف .

وروى أحمد في مسنده (٣/ ١١)، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لجهنم جسر أرق من الشعرة وأحد من السيف والناس فيه كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب والملائكة يقولون: رب سلم سلم، فناج مسلم، ومخدوش مسلم، ومكور في النار علىٰ وجهه**»

يعني ما منكم من أحد إلا دخل النار

قال النبي ﷺ: «**لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون علىٰ المؤمن بردًا وسلامًا كما كانت النار علىٰ إبراهيم**»(١)

وقال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾(٢)

وذلك أن له سبعون ألف لسان، وسبعون ألف عين يرى ويبصر ويقول بألسنة أين تجاري أين من استعد لي، أين من لم يذهب ذكري من قلبه لينجوا بسلام

وعلى كل طرفيه سبعون ألف ملك كل ملك منهم أعظم من الدنيا(٣)

فإذا نصبت فزعت الملائكة وطاشت عقولهم وأذهبت كلامهم وسكنت حركاتهم وهم يقولون إلهنا أذكرنا بطول عبادتنا ولا تنسنا

قال: فينادي المنادي أين أحمد؟

فيقوم وقد ألبس من النور ويقع الخلائق أجمعين لوجوههم مخافة أن يخطف النور أبصارهم

فيقال له: جز الصراط فإن الجنة مشتاقة إليك

---

(١) أخرجه: الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٨٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٨٠)، والزبيدي في الاتحاف (٢/ ٢٥١)، وفي التمهيد لابن عبد البر (٦/ ٣٥٦)

(٢) سورة التحريم (٦)

(٣) وأخرج هناد عن ابن مسعود قال: يأمر الله بالصراط فيضرب علىٰ جهنم فتمر الناس علىٰ قدر أعمالهم أولهم كلمح البرق، ثم كمر الريح، ثم كأسرع البهائم ثم كذلك حتى يمر الرجل سعيا، حتى يمر الرجل مشيًا ثم يكون آخرهم تليط علىٰ بطنه يقول: رب أبطأت بي، فيقول: لم أبطئ بك، إنما أبطأ بك عملك

وأخرج المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٤٢٨)، عن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الصراط كحد السيف، وإن الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات، وإن جبريل لآخذ بحجزتي وإني لأقول: يا رب رب سلم سلم، فالزالون والزالات يومئذ كثير**

وأخرج الزبيدي في الاتحاف (١٠/ ٤٨٤)، عن عبيد بن عمير، عن النبي ﷺ قال: «**إن الصراط علىٰ جهنم مثل حرف السيف بنحيتيه الكلاليب والحسك فيركبه الناس فيتخطفون والذي نفسي بيده أنه ليؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من ربيعه ومضر والملائكة علىٰ جنبتيه يقولون رب سلم سلم .**

قال: فيهتز الصراط بذكر أحمد، فيجوز ولا يرى إلا وقد وقف علىٰ باب الجنة.

فتنادي الجنة بعضها بعض وتقول: اهتزي فقد جاء أحمد

فيقول أحمد: يا رضوان ما فعلت أمتي؟

فيقول رضوان: يا أحمد هم عند الميزان والمحاسبة ولم يجوزوا علىٰ الصراط.

قال: فيرجع راجعًا، فإذا هو بآدم عليه السلام قد اتخذ علىٰ الصراط، فيقول: يا بني أليس قد جزت علىٰ الصراط[1]

فيقول: بلى يا أبا البشر، إلا أني تركت أمتي عند الميزان والمحاسبة

فيقول آدم: أنا معك، فيرجع فإذا هما بإدريس عليه السلام قد انحدر

ثم يجيء نوح عليه السلام، ثم يجيء إبراهيم عليه السلام ثم يعقوب، ثم يوسف قد انحدروا من الصراط

إذ نظروا إلىٰ آدم وأحمد قد رجعوا ففزعوا ووقفوا فقالوا: يا أبتاه ما الذي ردكم.

فيقول: ردنا أحمد، وحق لنا أن نرجع معه، وتركنا أمته عند الميزان والمحاسبة، وليس حقنا أن نتركهم في المحاسبة

---

(١) قال النووي: قوله ﷺ في الناس أنهم يأتون آدم ونوحًا وباقي الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فيطلبون شفاعتهم فيقولون لسنا هناكم ويذكرون خطاياهم إلىٰ آخره اعلم أن العلماء من أهل الفقه والأصول وغيرهم، واختلفوا في جواز المعاصي علىٰ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم

وقد لخص القاضي رحمه الله مقاصد المسألة فقال: لا خلاف أن الكفر عليهم بعد النبوة ليس بجائز بل هم معصومون منه واختلفوا فيه قبل النبوة والصحيح أنه لا يجوز، واما المعاصي فلا خلاف أنهم معصومون من كل كبيرة، واختلف العلماء هل ذلك بطريق العقل أو الشرع فقال الأستاذ أبو إسحاق ومن معه ذلك ممتنع من مقتضى دليل المعجزة، وقال القاضي أبو بكر ومن وافقه ذلك من طريق الإجماع وذهبت المعتزلة إلىٰ أن ذلك من طريق العقل

النووي في شرح مسلم (٣/ ٤٧) طبعة دار الكتب العلمية .

فيقولون: ربنا أمة أحمد أجزها عنا اليوم ما يقر به عين أحمد

قال: ثم يجيء موسى وهارون ثم يجيء داود وسليمان ولوط، ثم يجيء زكريا وعيسى وأكثر الأنبياء يرتعدوا خوفًا من الرحمن جل جلاله وقد انحدروا من الصراط.

فإذا نظروا إلىٰ آدم والأنبياء فزعوا وقالوا: ما الذي ردكم وقد جزتم علىٰ الصراط(١)

فقالوا إن أمة أحمد عند الميزان والمحاسبة وليس جزاء أمته علينا أن نتركهم في الحساب

قال: فيرجعون أجمعهم، فإذا نظر ملائكة الجواز إلىٰ آدم والأنبياء قد رجعوا فزعت واضطربت وقالوا: يا آدم ما الذي ردك والأنبياء

فيقولون في رواية أحمد: لا ندخل الجنة أبدًا حتى تقر أعين أحمد بأمته

فتقول الملائكة: أجل لعمرك لنرجعن معك

قال: فترجع الملائكة مع آدم وأحمد والأنبياء قال: فيقول الجليل جل جلاله لجبرائيل عليه السلام يا جبرائيل استقبلهم وسلهم ما الذي ردهم حتى رجعوا وقد جوزناهم الصراط، وهو أعلم بذلك منهم

---

(١) أخرج الحاكم وصححه عن عبد الله بن سلام قال: إذا كان يوم القيامة بعث الله الخليقة: أمة أمة ونبيا نبيًا، حتى يكون أحمد وأمته آخر الأمم مركزًا ثم يوضع جسر علىٰ جهنم، ثم ينادي مناد أين أحمد وأمته فيقوم فتتبعه أمته، برها وفاجرها، فيأخذون الجسر فيطمس أبصار أعدائه فيتهافتون فيها من يمين وشمال، وينجو النبي ﷺ والصالحون معه فتتلقاهم الملائكة تبوأهم منازلهم في الجنة علىٰ يمينك علىٰ يسارك حتى ينتهي إلىٰ ربه فيلقى له كرسي عن يمين الله، ثم ينادى مناد أين عيسى وأمته؟ فيقوم ، فتتبعه أمته برها وفاجرها فيأخذون الجسر فيطمس الله أبصار أعدائه فيتهافتون فيها من شمال ويمين، وينجو النبي ﷺ والصالحون، ثم يتبعهم الأنبياء حتى يكون آخرهم نوح

وقال ابن المبارك عن عبد الله بن شقيق العقيلي: يجوز الناس يوم القيامة الصراط علىٰ قدر إيمانهم وأعمالهم، فيجوز الرجل كالطرف في السرعة وكالسهم المرمي والطير السريع الطيران، والفرس الجواد المضمر، ويجوز الرجل يعدو عدوًا والرجل يمشي مشيًا حتى يكون آخر من ينجو يحبو حبوًا .

بستان الفقراء ونزهة القراء (٣/ ٢٣٦، ٢٣٧) من تحقيقنا . طبعة دار الكتب العلمية .

قال: فيقول جبرائيل عليه السلام: يا آدم ما الذي ردك والأنبياء[(١)]

فيقول: ردني أحمد وأمته، إني تركتها في الحساب والأهوال، وليس جزاءها منا ذلك

فيقول جبرائيل: صدقت يا أبا البشر، مُروا وأنا معكم[(٢)]

ثم يقول جبرائيل: إلهي أنت أعلم بهم حتى ردتهم أمة أحمد ﷺ

فعندها ينادي المنادي يا أحمد قف بأصحابك الذين ردتهم معك ينظرون إلىٰ أمتك فتقر عينهم لك وبأمتك

قال: فيقف بهم علىٰ الصراط

ثم يقول لزمرة بيضاء جوزي رحمكم الله علىٰ الصراط والملائكة يقولون يا سلام سلم، يا سلام سلم ومحمد ﷺ يقول: سلم يا سلام سلم أمتي وعليها سبع مراصد، فالأول: يحاسب عن الإيمان فإن سلم من الشك والرياء والإعجاب وإلا تردى إلىٰ النار

وفي الثاني: عن الصلاة[(٣)] وفي الثالث: عن الزكاة، وفي الرابع: عن الصيام،

---

(١) روى الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٨٧) وصححه عن أبي سمية قال: اختلفنا في الورود فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن، وقال بعضنا: يدخلونها جميعًا ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ فلقيت جابر ابن عبد الله فذكرت له، فقال: وأهوى بأصبعيه إلىٰ أذنيه صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون علىٰ المؤمن بردًا وسلامًا كما كانت علىٰ إبراهيم حتى إن للنار ضجيجًا من بردهم** ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾

(٢) روى أحمد في مسنده (١/ ٤٣٥)، والترمذي في سننه (٣١٥٩) عن ابن مسعود في قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] قال: قال رسول الله ﷺ «**يرد الناس كلهم النار، ثم يصدرون منها بأعمالهم فأولهم كلمح البرق ثم الريح ثم كركض الفرس، ثم كالراكب في رحله، ثم كشد الرحل، ثم كمشيه**»

(٣) روى مسلم في صحيحه [١٣٤ ـ (٨٢)] كتاب الإيمان ٣٥. باب بيان إطلاق اسم الكفر علىٰ من ترك الصلاة، عن جابر بن عبد الله سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»

قال النووي: تارك الصلاة إن كان منكرًا لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين خارج من ملة الإسلام إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه، وإن تركها تكاسلا مع اعتقاده وجوبها فذهب مالك والشافعي وجماهير من السلف =

وفي الخامس عن الحج والعمرة، وفي السادس: عن الوضوء والغسل عن الجنابة، وفي السابع: عن بر الوالدين وصلة الأرحام، وعن المظالم(١) فإن نجا منها جميعًا وإلا تردى في النار

ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل وهي تضطرب كاضطراب الريشة في الريح العاصف، فينجو من نجا في الزمرة الأولى كالبرق اللامع

والزمرة الثانيـة كالريح العاصف، ومنـها كلمح البصر ومنها كالطير المسرع، ومنـها كالفرس الجواد، ومنـها كمن يمشي علىٰ الأقدام، ومنـها كمن يمشي حبوًا

فبعضهم ينجوا قدر ليلة، وبعضهم قدر ليلتين وبعضهم قدر شهر، وبعضهم قدر شهرين وبعضهم قدر سنة وبعضهم قدر سنتين، وبعضهم قدر ثلاث سنين فلا يزال كذلك حتى يكون آخرهم من يمر علىٰ الصراط بقدر خمس وعشرين ألف سنة، وذلك نصف يوم القيامة، فمن استقام في هذا العلم علىٰ الصراط المستقيم واتبع الحق خفف عليه صراط الآخرة ونجا، ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا واتبع

= والخلف إلىٰ أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب، فإن تاب وإلا قتلناه حدا كالزاني المحصن لكنه يقتل بالسيف، وذهب جماعة من السلف إلىٰ أنه يكفر وهو مروي عن علي بن أبي طالب وهو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل، وبه قال ابن المبارك وابن راهويه، وبعض أصحاب الشافعي .
وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة والمزني صاحب الشافعي أنه لا يكفر ولا يقتل بل يعزر ويحبس حتى يصلي .
النووي في شرح مسلم (٢/ ٦١) طبعة دار الكتب العلمية .

(١) روى مسلم في صحيحه [٥٥ . (٢٥٧٧)] كتاب البر والصلة والآداب، ١٥ . باب تحريم الظلم، عن أبي ذر، عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «**يا عبادي إني حرمت الظلم علىٰ نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا** الحديث .
قال النووي: قوله تعالىٰ: «**إني حرمت الظلم علىٰ نفسي** »
قال العلماء: معناه تقدست عنه وتعاليت والظلم مستحيل في حق الله سبحانه وتعالىٰ كيف يجاوز سبحانه حدًا وليس فوقه من يطيعه وكيف يتصرف في غير ملك والعالم كله في ملكه وسلطانه وأصل التحريم في اللغة المنع فسمى تقديسه عن الظلم تحريمًا لمشابهته للممنوع في أصل عدم الشيء .
النووي في شرح مسلم (١٦/١٠٨) طبعة دار الكتب العلمية .

الباطل وثقل ظهره بأوزار تعثر أول قدم من الصراط، وتردى فيها فالعياذ بالله[(١)]

والصراط يقول الضعفاء الأعمال[(٢)] ما لكم قد خففت الأعمال إلا ذكرتموني

وجهنم تنادي من تحت الصراط تقول: ميز لي أهلي ميز أهلي، وملك الصراط يقول: ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٩﴾[(٣)]

وعلىٰ الصراط حيات كأمثال الجبال

فإذا وطئها كافر خشخشت ثم تضرب ضربة فإذا هو علىٰ طبق اللظى

وأما المؤمنون فيمرون علىٰ الحيات[(٤)] ولكن لا يسمعون حسيسها ولا النار بفضل الله ورحمته

فكيف بك أيها المسكين لو زلت قدمك علىٰ الصراط وقلت: واويلاه هذا ما كنت أخافه، ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ۝٢٤﴾[(٥)] يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا، ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨﴾[(٦)]

---

(١) روى الزبيدي في الاتحاف (٨/ ٥٥٥) عن ابن مسعود قال: برد الناس جميعًا وردوهم قيامهم حول النار، ثم يمرون عن الصراط بأعمالهم، فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل الريح، ومنهم من يمر مثل الطير، ومنهم من يمر كأجود الخيل، ومنهم من يمر كأجود الإبل، ومنهم من يمر كعدوى الرجل حتى أن آخرهم مرورًا رجل نوره علىٰ موضع إبهام قدميه يمر يتكفأ به الصراط

(٢) روى البيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٦٧)، وابن حبان في صحيحه (٢٠٦٩. الموارد) عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ **«من كان وصلة لأخيه المسلم إلىٰ ذي سلطان في مبلغ بر وتيسير عسر أعانه الله علىٰ إجازته الصراط يوم القيامة عند دحض الأقدام»**

وروى الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٧٠) عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: **«من مشى مع أخيه في حاجة حتى يقضيها له ثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام»**

(٣) سورة يس (٥٩)

(٤) روى أحمد في مسنده (٤/ ١٩١) عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي قال: قال رسول الله ﷺ **«إن في النار لحيات كأمثال أعناق البخت تلسع إحداهن اللسعة، فيجد حرها أربعين خريفًا، وإن في النار عقارب أمثال البغال الموكفة تلسع إحداهن اللسعة فيجد حرها أربعين خريفًا»**

(٥) سورة الفجر (٢٤)

(٦) سورة الفرقان (٢٧، ٢٨)

فكيف ترى الآن عقلك، وهذه الأخطار بين يديك، فإن كنت غير مؤمن فما أطول مقامك مع الكفار في دركات النيران

وإن كنت مؤمنا به وعنه غافلا فما أعظم حسرتك وندامتك

أعاذنا الله من الخذلان ومن الحسرة في الآخرة

باب إعطاء الكتب

قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾﴾[1]

(قال رسول الله ﷺ «**ما من مؤمن إلا وله في كل يوم صحيفة جديدة، فإذا طويت وليس فيها استغفار طويت وهي سوداء مظلمة، وإذا طويت وفيها استغفار طويت ولها نور يتلألأ**»

وما من أحد في الدنيا إلا وعليه ملكان موكلان من الله يحفظانه ليلاً ونهارًا يكتبان عليه أنفاسه وأعماله خيرًا وشرًا، هزلاً وجدًا

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾﴾[2] فيرفع كل يوم

---

(١) سورة الانشقاق (٨)

أي سهلا بلا تعسير أي لا يحقق عليه جميع دقائق أعماله فإن من حوسب كذلك هلك لا محالة، وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾﴾ **[الانشقاق: ٩]** أي ويرجع إلىٰ أهله في الجنة، قاله قتادة والضحاك «**مسرورًا**» أي فرحا مغتبطًا بما أعطاه الله ﷻ.
تفسير ابن كثير (٤/ ٤٨٨).

(٢) سورة الانفطار (١٠)

قال ابن كثير: اختلف العلماء هل يكتب الملك كل شيء من الكلام؟ وهو قول الحسن وقتادة أو إنما يكتب ما فيه ثواب وعقاب كما هو قول ابن عباس علىٰ قولين وظاهر الآية الأول لعموم قوله تبارك وتعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨]
وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﷺ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ **[ق: ١٨]**، قال: يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر حتى إنه ليكتب قوله أكلت شربت ذهبت جئت رأيت حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله فأقر منه ما كان فيه من خير أو شر وألقى سائره وذلك قوله تعالىٰ: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾
تفسير ابن كثير (٤/ ٢٢٤).

كتاب وكل ليلة كتاب وتجمع كل سنة كتبه في ليلة النصف من شعبان ويطرح لغو كلامه ويترك فيها الثوابي والعقابي وتجعل تلك الكتب سجلاً[١] فلما حان أجله ووقع في النزع تجمع تلك السجلات ويوصل بعضها بعضا فلما خرجت روحه تطوى وتعلق علىٰ عنقه ويختم عليها ويجعل معه في القبر.

وهذا معنى قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ **[الإسرَاء: ١٣]**

فلما بعث الله الخلائق وجمع فر عرصات القيامة وأراد أن يحاسبهم تتطاير عليهم كتبهم[٢] كتطاير الثلج وينادى منادى الرحمن: خذ يا فلان كتابك بيمينك، ويا فلان خذ كتابك بشمالك، ويا فلان خذ كتابك من وراء ظهرك

فلا يقدر أحد أن يأخذ كتابه إلا كما أمره

والأتقياء يعطون كتبهم بأيمانهم والأشقياء بشمالهم والكفار من وراء ظهرهم[٣][٤]

---

(١) روى الترمذي في سننه (٢٤٢٥) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في العرض، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما الثالثة فتطاير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله**».

(٢) أخرج البيهقي عن ابن مسعود قال: تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما العرضة الثالثة فتطاير الكتب في الأيمان والشمائل

قال الحكيم الترمذي: الجدال للأعداء، يجادلون لأنهم لا يعرفون ربهم فيظنون إذا جادلوا نجوا وقامت حجتهم، والمعاذير لله يعتذرون إلىٰ آدم وإلى أنبيائهم ويقيم حجته عندهم علىٰ الأعداء، ثم يبعث بهم إلىٰ النار فتطيرها، والعرضة الثالثة للمؤمنين وهو العرض الأكبر، فيخلوا بهم فيعاتب من يريد عتابه في تلك الخلوات حتى يذوق وبال الحياء والخجل ثم يغفر لهم ويرضى عنهم.

بستان الفقراء ونزهة القراء (٣/ ١٨٠، ١٨١) من تحقيقنا. طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) وجدناه بالهامش

(٤) قال ابن المبارك عن الحسن قال: كل آدمي في عنقه قلادة يكتب فيها نسخة عمله، فإذا طويت قلدها، فإذا بعث نشرت له وقيل له: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ١٤﴾ **[الإسرَاء: ١٤]**

وأخرج ابن المبارك عن أبي عثمان النهدي قال: إن المؤمن ليعطى كتابه في ستر من الله، فيقرأ =

وروي أن رسول الله ﷺ كان نائمًا ورأسه في حجر عائشة رضي الله عنها فذكرت الآخرة وبكت حتى سالت دموعها علىٰ خد رسول الله ﷺ

فقال: «**ما يبكيك يا عائشة**»

قالت: ذكرت الآخرة، هل تذكرون أهاليكم يوم القيامة؟

فقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده في ثلاث مواطن لا يذكر أحد أحدًا إلا نفسه: عند الميزان، ينظر ابن آدم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند الصراط حتى يجوز وعند تطاير الكتب أبيمنه أم بشماله**»(١)

قال: فإن الله تعالىٰ قد وكل ملائكة تجيء إلىٰ المؤمن فيقول له: أبسط يمينك فيبسط يمينه فيرفع إليه الكتاب فيرى فيه حسنات ويقرأ مستمرًا رافعًا صوته فيقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩﴾(٢) أي تعالوا اقرءوا كتابيه

«**إني ظننت**» أي علمت وأيقنت ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٢١﴾(٣) أي ذات رضاء ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ٢٣﴾(٤) أي قريبة ينالها القائم والقاعد والمضطجع

ويقال له: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ٢٤﴾(٥) الماضية وهي أيام الدنيا، أيام الصيام إذ تركوا فيها الأكل والشرب

= سيئاته فيتغير لونه، ثم يقرأ حسناته فيرجع إليه لونه، ثم ينظر فإذا سيئاته قد بدلت حسنات، فعند ذلك يقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩﴾ وأخرج ابن المبارك عن رجل من بني أسد قال: قال عمر لكعب: حدثنا من حديث الآخرة، قال: نعم يا أمير المؤمنين، إذا كان يوم القيامة رفع اللوح المحفوظ، فلم يبق أحد من الخلائق إلا وهو ينظر إلىٰ عمله، ثم يؤتى كتابه بالصحف التي فيها أعمال العباد فتنتشر حول العرش ثم يدعى المؤمن فيعطى كتابه بيمينه فينظر فيه

بستان الفقراء ونزهة القراء (٣/ ١٨١) من تحقيقنا. طبعة دار الكتب العلمية.

(١) أخرجه الزبيدي في الاتحاف (١٠/ ٤٧٣)

(٢) سورة الحاقة (١٩)

(٣) سورة الحاقة (٢٠، ٢١)

(٤) سورة الحاقة (٢٢، ٢٣)

(٥) سورة الحاقة (٢٤)

فيقول الله لهم يوم القيامة: يا أوليائي طالما نظرت إليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الشراب وخمصت بطونكم عن الطعام وغارت أعينكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا بما أسلفتم في الأيام الخالية

قال: فيجيء الملك إلىٰ المنافق والكافر فيقول له ابسط يدك فيبسط يمينه فيقول: لا ابسط شمالك، فيبسط شماله فيقول: لا اجعلها وراء ظهرك(١)

فيضع يده علىٰ صدره ثم يسحبها الملك فيخرجها من بين كتفيه فيضع كتابه وراء ظهره

فيقول: اقرأ، فيدعوا ويلا وثبورًا ويقول: وايلاه واثبوراه، فيقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ٢٥﴾(٢) أي لم أعط كتابي هذا، ﴿وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ٢٦﴾(٣) أي لم أعلم حسابي هذا، يا ليتها كانت القاضية، أي يا ليت الموت الذي مته في الدنيا كانت القاضية الفارغة من كل ما بعدها فلم أبعث بعد

القاضية الموت الذي لا حياة بعده

وقيل معناه: ويا ليتني مُت واسترحت فيتمنى الموت ولم يكن عنده شيء أكره له من الموت في الدنيا ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ٢٩﴾(٤) أي ذهب عني ملكي وقوتي

---

(١) قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ١٠﴾ أي بشماله من وراء ظهره تثنى يده إلىٰ ورائه ويعطى كتابه بها، كذلك ﴿فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ١١﴾ أي خسارًا وهلاكا، ويصلى سعيرًا، إنه كان في أهله مسرورًا، أي فرحا لا يفكر في العواقب ولا يخاف مما أمامه فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل

تفسير ابن كثير (٤/ ٤٨٩).

(٢) (٣) سورة الحاقة (٢٥)، (٢٦)

(٤) سورة الحاقة (٢٩)

هذا إخبار عن حال الأشقياء إذا أعطي أحدهم كتابه في العرصات بشماله فحينئذ يندم غاية الندم ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ٢٦ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ٢٧﴾ قال الضحاك يعني موته لا حياة بعدها

وكذا قال محمد بن كعب والربيع والسدي، وقال قتادة تمنى الموت ولم يكن شيء في الدنيا أكره إليه منه، ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ٢٩﴾، أي لم يدفع عني مالي ولا جاهي عذاب الله وبأسه بل خلص الأمر إليّ وحدي فلا معين لي ولا مجير فعندها يقول الله ﷻ ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١﴾ تفسير ابن كثير (٤/ ٤١٦)

فيقول الله لخزنة جهنم ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١﴾[١] أي أدخلوه، فيجتمع علىٰ شخص واحد من أهل النار مائة ألف من الزبانية، فينقطع في أيديهم فلا يرى منه إلا الودك ثم يعاد خلقا جديدًا

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۝٣٢﴾[٢] فادخلوه

قال ابن عباس: فتدخل تلك السلسلة من دبره وتخرج من فيه

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «**لو أن رضاضة [٣] مثل الجمجمة أرسلت من السماء إلىٰ الأرض وهي مسيرة خمسمائة عام لبلغت إلىٰ الأرض قبل الليل .**

ولو أنها أرسلت من رأس تلك السلسلة لسارت أربعين خريفًا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها»[٤]

ولو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها، ولو أن حلقة منها وضعت علىٰ جبل لذابت من حرها

---

(١) سورة الحاقة (٣٠، ٣١)

(٢) سورة الحاقة (٣٢)

قوله تعالىٰ ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١﴾ أي يأمر الزبانية أن تأخذه عنفا من المحشر فتغله أي تضع الأغلال في عنقه ثم توررده إلىٰ جهنم فنصلية إياها أي تغمره فيها

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۝٣٢﴾، قال كعب الأحبار: كل حلقة منها قدر حديد الدنيا

وقال ابن جريج ، قال ابن عباس: «**فاسلكوه**» تدخل في استه ثم تخرج من فيه ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد في العود حين يشوى

تفسير ابن كثير (٤/ ٤١٦) .

(٣) الرضاضة: فتات الشيء وكل شيء رضدته يعني كسرته

(٤) أخرجه: الترمذي في سننه (٢٥٨٨) كتاب صفة جهنم، باب (٦) الباب الذي يلي باب ما جاء في صفة طعام أهل النار

وأحمد في مسنده (٢/ ١٩٧) والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٣٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٤٧٣)، وابن المبارك في الزهد (٢/ ٧٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٦٨٨)، والزبيدي في الاتحاف (١٠/ ٥١٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٩٧) .

وقال الترمذي: حديث حسن صحيح .

﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾﴾ [**الحاقَّة: ٣٣**] في دار الدنيا ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾[1] أي قريب يغيثه، وصديق يمنعه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾﴾ [**الانشقاق: ١٣**] في الدنيا لنفسه متلعبا ولمراتع هواه ساعيًا

ثم العجب علىٰ من كان، وزاده هذه الداهية العظيمة والمصيبة الأليمة

وهو يلهو أو يمرح ويتغافل في أمور الدنيا ويضحك ويفرح ، أصلحنا الله لمرضاته

باب الشفاعة[2]

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾ [**الضّحى: ٥**]

وروي عن رسول الله ﷺ «**إذا جمع الأولين والآخرين في صعيد القيامة في**

---

(١) سورة الحاقة (٣٤، ٣٥)

أي لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته ولا ينفع خلقه ويؤدي حقهم، فإن لله علىٰ العباد أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئًا، وللعباد بعضهم علىٰ بعض حق الإحسان والمعاونة علىٰ البر والتقوى، ولهذا أمر الله بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وقبض النبي ﷺ وهو يقول: «**الصلاة وما ملكت أيمانكم**»

تفسير ابن كثير (٤/ ٤١٦) .

(٢) قال القاضي عياض رحمه الله مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلا ووجوبها سمعا بصريح قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [**طه: ١٠٩**] ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [**الأنبياء: ٢٨**] وأمثالها ويخبر الصادق ﷺ وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين

وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنة عليها ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها وتعلقوا بمذاهبهم في تخليد المذنبين في النار، واحتجوا بقوله تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [**المدَّثِّر: ٤٨**] وبقوله تعالىٰ: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [**غافر: ١٨**] وهذه الأيات في الكفار وأما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها زيادة الدرجات فباطل وألفاظ الأحاديث في الكتاب وغيره صريحة في بطلان مذهبهم وإخراج من استوجب النار

النووي في شرح مسلم (٣/ ٣١) طبعة دار الكتب العلمية .

الغم والهم والكرب والعرق لا يأكلون ولا يشربون ولا يقعدون ولا يستريحون ولا ريح نسيم .

ويطول قيامهم بما لا يطيقون

يقول بعضهم لبعض: أما ترون ما نحن فيه ألا تنظرون إلىٰ من يشفع لنا

فيقول بعضهم لبعض: عليكم بآدم أبي البشر فيأتون إلىٰ آدم ويقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، واسجد لك ملائكته

أما ترى ما بنا من الهول والعذاب، اشفع لنا إلىٰ ربك ليقض بيننا

قال: فيقول لهم آدم إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب مثله قبله ، ولن يغضب مثله بعده وإني قد نهاني عن الشجرة فعصيته(١) فليس يهمني اليوم إلا نفسي ولكن اذهبوا إلىٰ نوح ﷺ

فإنه أول المرسلين علىٰ خلقه

فيأتون إلىٰ نوح ويقولون يا نوح(٢) أنت أول الرسل إلىٰ أهل الأرض، وسماك

---

(١) قال النووي: اعلم أن العلماء من أهل الفقه والأصول وغيرهم اختلفوا في جواز المعاصي علىٰ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وقد لخص القاضي رحمه الله مقاصد المسألة فقال: لا خلاف أن الكفر عليهم بعد النبوة ليس بجائز بل هم معصومون منه واختلفوا فيه قبل النبوة والصحيح أنه لا يجوز

وأما المعاصي فلا خلاف أنهم معصومون من كل كبيرة، وأما الصغائر التي تزري بفاعلها فهم معصومون منها واختلفوا في الصغائر الأخرى، فذهب معظم الفقهاء والمحدثين والمتكلمين من السلف والخلف إلىٰ جواز وقوعها منهم، وذهب جماعة من أهل التحقيق والنظر من الفقهاء والمتكلمين من أئمتنا إلىٰ عصمتهم من الصغائر .

النووي في شرح مسلم (٣/ ٤٧) طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) قال الإمام أبو عبد الله المازري قد ذكر المؤرخون أن إدريس جد نوح عليهما السلام ، فإن قام دليل أن إدريس أرسل أيضا لم يصح قول النسابين أنه قبل نوح لإخبار النبي ﷺ عن آدم أن نوحا أول رسول بعث، وإن لم يقم دليل جاز ما قالوه ، وصح أن يحمل أن إدريس كان نبيا غير مرسل

قال القاضي عياض : قد قيل إن إدريس هو إلياس وأنه كان نبيًا في بني إسرائيل .

وفي قوله ﷺ : « **إن كل واحد من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يقول : لست هناكم ، أو لست لها** »

قال القاضي عياض : هذا يقولونه تواضعا وإكبارا لما يسألونه . قال : وقد تكون إشارة من كل =

الله ﴿عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ [الإسراء: ٣] أما ترى ما بنا من الهول والعذاب، اشفع لنا إلىٰ ربك ليقض بيننا

فيقول نوح ﷺ إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب مثله قبله ولا بعده، وإني قد دعوت علىٰ قومي دعوة، فغرق جميع أهل الأرض بدعوتي، وليس يهمني اليوم إلا نفسي، ولكن اذهبوا إلىٰ إبراهيم خليل الرحمن فيأتون إلىٰ إبراهيم ويقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله، أما ترى ما قد بلغنا من أهوال، اشفع لنا إلىٰ ربك ليقض بيننا

فيقول إبراهيم إني قد كذبت ثلاث كذبات(١) في الدنيا، وليس يهمني اليوم إلا نفسي

ولكن اذهبوا إلىٰ موسى كليم الله، فيأتون إلىٰ موسى ويقولون: يا موسى أنت كليم الله وفضلك الله برسالته

أما ترى ما قد بلغنا من الأهوال، اشفع لنا إلىٰ ربك ليقض بيننا

فيقول موسى ﷺ: لست هناكم، وإني قد قتلت نفسًا ولم أُومر بقتلها، وليس يهمني اليوم إلا نفسي(٢)

ولكن اذهبوا إلىٰ عيسى روح الله فيأتون إلىٰ عيسى ويقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمته، وروح منه

أما ترى ما نحن فيه من الهول والعذاب اشفع لنا إلىٰ ربك ليقض بيننا

= واحد منهم إلىٰ أن هذه الشفاعة وهذا المقام ليس له بل لغيره، وكل واحد منهم يدل علىٰ الآخر حتى انتهى الأمر إلىٰ صاحبه، قال: ويحتمل أنهم علموا أن صاحبها محمد ﷺ معينا وتكون إحالة كل واحد منهم علىٰ الآخر علىٰ تدريج الشفاعة في ذلك إلىٰ نبينا محمد ﷺ. النووي في شرح مسلم (٣/ ٤٩) طبعة دار الكتب العلمية.

(١) روى مسلم في صحيحه [١٥٤ . (٢٣٧١)] كتاب الفضائل، ٤١ . باب من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: لم يكذب إبراهيم النبي ﷺ قط إلا ثلاث كذبات، ثنتين في ذات الله قوله: إني سقيم، وقوله بل فعله كبيرهم هذا، وواحده في شأن سارة الحديث بطوله

(٢) روى هذا الحديث بطوله باختلاف في بعض ألفاظه مسلم في صحيحه [٣٢٢ . (١٩٣)] كتاب الإيمان ٨٤ . باب أدنى أهل الجنة منزلة عن أنس

فيقول عيسى ﷺ: لست هناكم، وإني أتخذت وأمي إلهين من دون الله[(١)]
وليس يهمني اليوم إلا نفسي
ولكن اذهبوا إلىٰ محمد ﷺ خاتم النبيين، وهو صاحب الشفاعة
فيأتون إلىٰ محمد ﷺ فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم النبيين وصاحب الشفاعة
أما ترى ما قد بلغنا من الأهوال اشفع لنا إلىٰ ربك ليقض بيننا
قال: فينطلق محمد ﷺ تحت العرش ويخر ساجدًا ويبكي، ويحمد الله بأحسن الثناء
فيقال له: يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع، وليس هذا يوم الركوع والسجود

---

(١) من هذا الحديث فوائد منها: ذكر الغزالي في «**كشف علوم الآخرة**» أن بين إتيان أهل الموقف آدم وإتيانهم نوحا ألف سنة، وكذلك بين كل نبي ونبي، قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري: ولم أقف لذلك علىٰ أصل

الثانية: سئل قاضي القضاة جلال الدين البلقيني عن حكم سجود النبي ﷺ من حيث الوضوء، فأجاب بأنه باق علىٰ طهارة غسل الميت لأنه ﷺ حي في قبره ولا ناقض لطهارته ويحتمل أن يجاب بأن الآخرة ليست دار تكليف فلا يتوقف السجود علىٰ الوضوء,

الثالثة: وقع السؤال عن المحامد التي يحمد بها ما هي؟

والجواب ما وقع في بعض طرق الحديث عند البخاري: فيلهمني بمحامد لا أقدر عليها الآن فأحمد بتلك المحامد .

الرابعة: الحكمة في اختصاص المذكورين بالتردد إليهم دون سائر النبيين كونهم مشاهير الرسل وأصحاب شرائع عمل بها مددًا طويلا مع كون آدم والد الجميع ونوح الأب الثاني، وإبراهيم المجمع علىٰ الثناء عليه عند جميع أهل الأديان وهو أبو الأنبياء وموسى أكثر الأنبياء تابعا بعد النبي ﷺ .

الخامسة: إنما ألهم الناس التردد إلىٰ غير النبي ﷺ قبله ولم يلهموا المجيء إليه من أول وهلة لإظهار فضل نبينا ﷺ وشرفه .

السادسة: قال القرطبي: هذه الشفاعة العامة التي خص بها نبينا ﷺ من بين سائر الأنبياء هي المراد بقوله ﷺ: «**لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي**»

طلب الشفاعة من الناس بإلهام من الله تعالى، كما في حديث أنس (فيلهمون) .

بستان الفقراء ونزهة القراء (٣/ ١٢١) من تحقيقنا . طبعة دار الكتب العلمية .

وقال: فيرفع رأسه فيقول: أمتي أمتي، فيقال له أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة[١]، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب.

فيقول الله تعالىٰ: رضيت يا محمد، فيقول: يا ربي حتى

قال مالك خازن النار: يا محمد ما تركت للنار لغضب ربك في أمتك من بقية

وقال ﷺ: «**إني لا أشفع يوم القيامة لأكثر مما علىٰ وجه الأرض من حجر ومدر**»[٢]، وللعلماء والصالحين من أمته شفاعة حتى يدخل في شفاعة رجل أكثر من ألفين، ومنهم من يشفع لأهل البيت في القبيلة، ومنهم من يشفع لأهل البيت وللرجلين، وللرجل علىٰ قدر عمله فكن يا مسكين حريصًا أن تكون رتبة الشافع، ولا تتوانى من طاعة مولاك فعسى أن تخسر بذلك

والندم هناك ليس بنافع

فإن عجزت عن ترك المعاصي سراع إلىٰ الخيرات فكن محبًا لرسول الله ﷺ وحريصًا علىٰ تعظيم سنته

ومتبركًا بأدعية الصالحين من أمته، فعساك تنال من شفاعته وشفاعتهم، فتنجو بالشفاعة إن كنت قليل البضاعة

---

(١) روى البخاري في صحيحه (٦٥٤١) كتاب الرقاق ٥٠ ـ باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب، ومسلم في صحيحه [٣٧٤ ـ (٢٢٠)] كتاب الإيمان ٩٤ ـ باب الدليل علىٰ دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب

وفيه عن ابن عباس رفعه: «**عرضت عليّ الأمم يمر النبي الذي معه الرجل، والنبي الذي ليس معه أحد . . . إلىٰ أن قال: فقيل لي هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب**.

وفي رواية الترمذي (٢٤٣٧) عن أبي أمامة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألف وثلاث حثيات من حثيات ربي**»

(٢) أخرجه الزبيدي في الاتحاف (١٠/ ٤٨٩) والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٧٩)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٥١٠)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٢/ ٣٣٠).

باب حشر الخلائق(١)

قال الله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [النّبإ: ١٨]

عن معاذ بن جبل قال: كنت رديف رسول الله ﷺ فتلا قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾

فقلت: يا رسول الله ما تفسير هذه الآية

فبكى رسول الله ﷺ حتى كاد يغشى عليه

ثم قال: يا معاذ يحشر العصاة يوم القيامة علىٰ عشرة أفواج: فصنف مقيدون بقيود من النار

وصنف مغللون بأغلال من النار

وصنف منهم يصب الماء الحميم علىٰ رؤسهم

وصنف منهم يحملون علىٰ أعناقهم كالجبال الرواسي

وصنف يأكلون النار

وصنف منهم يصب الحميم علىٰ أجسادهم

---

(١) أخرج ابن المبارك عن زيد بن أسلم قال: بلغني أن المؤمن يتمثل له عمله يوم القيامة في أحسن صورة، أحسن ما خلق الله وجهًا وثيابًا، وأطيبه ريحًا فيجلس إلىٰ جنبه، كلما أفزعه شيئًا أمنه وكلما تخوف شيئًا هون عليه، فيقول: جزاك الله من صاحب خير، من أنت؟ فيقول: أما تعرفني وقد صحبتك في قبرك وفي دنياك أنا عملك كان والله حسنًا، فلذلك تراني حسنًا، وكان طيبًا فلذلك تراني طيبا، تعالىٰ فاركبني فطالما ركبتك في الدنيا، وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ﴾ حتى يأتي به إلىٰ ربه فيقول: يا رب إن كان صاحبي في عمل الدنيا قد أصاب في عمله وكل صاحب تجارة وصانع قد أصاب في تجارته غير صاحبي قد شغل نفسه، فيقول له الرب: فاسأل فيقول: المغفرة والرحمة، فيقول: قد غفر له، فيكسى حلة الكرامة ويجعل عليه تاج الوقار فيه لؤلؤة تضيء من مسيرة يومين، ثم يقول: يا رب إن أبويه قد كان شغل عنهما وكل صاحب عمل وتجارة قد كان يدخل علىٰ أبويه من عمله فيعطيان مثل ما أعطى

ويتمثل للكافر عمله في صورة أقبح ما يكون وأنتنه ريحا فيجلس إلىٰ جنبه كلما أفزعه شيء زاده وكلما تخوف شيئًا زاده خوفًا .... إلىٰ آخره .

بستان الفقراء ونزهة القراء (٣/ ٧٣، ٧٤) من تحقيقنا . طبعة دار الكتب العلمية .

وصنف يُطعنون من الزبانية برماح من النار
وصنف بأرجلهم نعال من النار[١]
وصنف يأكل لحوم أنفسهم
وصنف يضربون رؤسهم بمقامع من حديد
فالمقيدون والماشون في المعاصي.؟
وأما المغلون فالجائرون في الحكم
وأما الحاملون فهم الذين لم يردوا الأمانات إلىٰ أهلها
وأما الذين يأكلون النار، فهم الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا[٢]
وأما الذين يصب علىٰ رؤوسهم الحميم، فهم الزناة
وأما الذين يأكلون لحوم أنفسهم، المغتابون
وأما الذين يطعنون برماح من النار فالطاعنون فيما أقبل وأدبر من الناس
وأما الذين رؤوسهم كرؤس الخنازير فالذين يطلعون علىٰ محارم الناس
وأما الذين في أرجلهم نعال من النار، فالنمامون
وأما الذين يضربون رؤوسهم بمقامع من حديد فهم الجلادون[٣]

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٣٦ . (٢١١)] كتاب الإيمان ٩١ . باب أهون أهل النار عذابًا، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أدنى أهل النار عذابًا ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه**»

قال النووي: الغليان معروف وهو شدة اضطراب الماء ونحوه علىٰ النار لشدة اتقادها . يقال غلت القدر تغلي غليًا وغليانًا وأغليتها أنا، وفي هذا الحديث وما أشبه تصريح بتفاوت عذاب أهل النار كما أن نعيم أهل الجنة متفاوت والله أعلم .

(٢) قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [**النِّساء**: ١٠]

أي إذا أكلوا أموال اليتامى بلا سبب فإنما يأكلون نارًا تتأجج في بطونهم يوم القيامة . وقال السدى: يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينيه يعرفه كل من رآه بآكل مال اليتيم . تفسير ابن كثير (١/ ٤٥٧) .

(٣) أخرجه ابن عساكر عن معاذ وقال: هذا حديث منكر، وفي اسناده مجاهيل

وكذلك الخطيب في تاريخ بغداد كلاهما مع اختلاف في اللفظ .

ويقال: إذا نفخ في الصور كان سيماء المطيعين في وجوههم من أثر السجود

ويكون سيماء العصاة أيضًا في وجوههم ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ [**الرَّحمٰن**: ٤١]

ويعرف الصائمون بالفم الذي هو أطيب من ريح المسك(١) عند الله، ويعرف المتطهرون بآثار الوضوء

والمصلون بآثار السجود(٢)، والحجاج بالتلبية

والعلماء بالرفعة، والمؤذنون بكونهم أطول الناس أعناقًا

ومع ذلك يشهدون الشاهدون(٣)، والرابطون بالركوب والشهداء بالدم الملطخ عليهم لونهم كلون الدم وريحهم كريح المسك

والمتصدقون بالظل

ويعرف تارك الصلاة بالعجز عن السجود، ومانع الزكاة بالطوق، وآكل الربا بما ذكر الله تعالىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا

---

(١) روى البخاري في صحيحه (١٩٠٤) كتاب الصوم، ٩. باب هل يقول إني صائم إذا شُتم، أبي هريرة، رفعه وفيه: «**والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . . الحديث**»

(٢) قال تعالىٰ: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [**الفَتْح**: ٢٩] عن ابن عباس: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ [**الفَتْح**: ٢٩] يعني السمت الحسن، وقال مجاهد وغير واحد يعني الخشوع والتواضع

وقال ابن أبي حاتم بسنده عن مجاهد ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [**الفَتْح**: ٢٩] قال الخشوع قلن ما كنت أراه إلا هذا الأثر في الوجه فقال: ربما كان بين عيني من هو أقسى قلبًا من فرعون

وقال السدي: الصلاة تحسن وجوههم، وقال بعض السلف من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار، وقال بعضهم: إن للحسنة نورًا في القلب وضياء في الوجه وسعة في الرزق ومحبة في قلوب الناس .

ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٠٤) .

(٣) كذا بالأصل

يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البَقَرة: ٢٧٥] (١)

والسكارى بالسكر بين يدي الله تعالىٰ

وتناسي القرآن بالعمى، وقاتل المؤمن بغير حق، بخط مكتوب علىٰ جبهته آيس من رحمة الله تعالىٰ

والمنافقون بانقطاع نورهم علىٰ الصراط، أعاذنا الله

باب إتيان جهنم(٢) إلىٰ المحشر

قال الله تعالىٰ: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفَجر: ٢٣] الآية

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أول ما يحاسب الله عز وجل عن الخلائق، يجاء بجهنم وذلك أن جبرائيل يقول لمالك خازن النار أجب ربك بجهنم تتحرك جهنم بجبالها وبحارها وقصورها وسلاسلها وأغلالها(٣)

فتقول بألسنة شتى الأمان الأمان، هل لله خلقًا يعذبهم بي

فيقول الله عز وجل لمالك: قل لجهنم إن الله خلقك لينتقم بك من أعدائه(٤)

---

(١) أخبر تعالىٰ عن آكلي الربا يوم خروجهم من قبورهم وقيامهم منها إلىٰ بعثهم ونشورهم فقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ﴾ الآية، أي لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه، وتخبط الشيطان له وذلك أنه يقوم قيامًا منكرًا، وقال ابن عباس: آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونًا يخنق

تفسير ابن كثير (١/ ٣٢٦).

(٢) روى البخاري في صحيحه (٧٤٤٩) كتاب التوحيد، ٢٥ ـ باب ما جاء في قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعرَاف: ٥٦] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**اختصمت الجنة والنار إلىٰ ربهما فقالت: الجنة: يا رب ما لها لا يدخلها إلا ضعفاء الناس وسقطهم، وقالت النار يعني أوثرت بالمتكبرين .**

فقال الله للجنة: أنت رحمتي، وقال للنار: أنت عذابي أصيب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها .

قال: فأما الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحدًا وأن ينشيئ للنار من يشاء فيلقون فيها فتقول: هل من مزيد؟ ثلاثا، حتى يضع فيها قدمه فتمتلئ ويرد بعضها إلىٰ بعض وتقول: قط قط قط»

(٣) (٤) أخرج الدينوري في المجالسة (٢/ ٣٨٤) رقم (٢٤١٨) عن صالح المري قال: بلغني أن أهل النار يعذبون بأنواع العذاب فكلما عذبوا بنوع من العذاب نقلوا إلىٰ نوع أشد منه، =

فتقوم علىٰ أربع قوائم، فصار كقوائم البعير غلظ كل قائمة مسيرة خمسمائة عام، ما بين القائمة إلىٰ القائمة مسيرة خمسمائة عام لها أطباق مركبة من الطبق إلىٰ الطبق مسيرة خمسمائة عام لجهنم ألف ألف رأس، لكل رأس ألف ألف فم، لكل فم ألف ألف لسان، لكل لسان شفتان، غلظ كل شفة منه مسيرة خمسمائة عام يلجم كل شفة فيها ألف ألف، يتعلق بكل لجام ألف ألف من الزبانية(١) غلظ كل زباني مثل الدنيا مرتين

فإذا جروها إلىٰ الخلائق أوقفت علىٰ مسيرة خمسمائة سنة، ثم تلى ابن عباس ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾(٢)

فإذا نظر الخلائق إلىٰ جهنم ذابوا، ويضع جبرائيل جبينه علىٰ الأرض

وكذلك ميكائيل وحملة العرش، ونزول العرش عن موضعه ويقول: الأمان الأمان

= فيقولون: ربنا عذبنا كيف شئت بما شئت، ولا تغضب علينا فإن غضبك أشد علينا من النار إذا غضبت ضاقت علينا الأنكال والقيود والسلاسل والأغلال

وروى أحمد في مسنده (٣/ ٢٩) عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: «**لو أن مقمعًا من حديد وضع في الأرض فاجتمع الثقلان ، ما أقلوه من الأرض ولو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان**»

(١) روى مسلم في صحيحه [٤٦ . (٢٨٥٣)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ١٣ . باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، عن حارثة بن وهب أنه سمع النبي ﷺ قال: «**ألا أخبركم بأهل الجنة؟**» قالوا: بلى، قال ﷺ: «**كل ضعيف متضعف، لو أقسم علىٰ الله لأبره**»

ثم قال: «**ألا أخبركم بأهل النار**»، قالوا: بلى، قال: «**كل عتل جواظ مستكبر**»

(٢) سورة الفرقان (١٢)

أي جهنم ﴿مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [**الفرقان: ١٢**] يعني من مقام المحشر

قال السدي من مسيرة مائة عام ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [**الفرقان: ١٢**] أي حنقًا عليهم كما قال تعالىٰ: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾﴾ أي يكاد ينفصل بعضها من بعض من شدة غيظها علىٰ من كفر بالله

تفسير ابن كثير (٣/ ٣٢٠) .

ويتعلق إبراهيم(١) بساق العرش وتتبرأ الوالدة من ولدها وتتحول الأرض كلها نارًا

وتبلغ القلوب الحناجر، وخشعت الأصوات للرحمن وقد خاب من حمل ظلمًا، وانقطع الرجاء

وتزفر جهنم بزفير وشهيق ثم تلا ابن عباس: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [**المُلك**: ٨] قال: تتفرق

وترى الخلائق شاخصين أبصارهم خاضعين متواضعين وخروا لله سجدا

﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [**طه**: ١١١] يعني خضعت، وتواضعت، وتسبح جهنم بتسبيح وتهليل فعندها يقول الرحمن جل جلاله: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾(٢)

أنا الرب القاضي، ورب الأرباب، ومالك الملك وعزتي وجلالي لأنتقمن ممن عصاني(٣)

---

(١) أخرج مسلم في صحيحه [٥٨ . (٢٨٦٠)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - ١٤ - باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، عن ابن عباس قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيبًا بموعظة فقال: «**أيها الناس إنكم تحشرون إلىٰ الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم** عليه السلام **إلا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال** الحديث »

(٢) سورة الفرقان (٢٦)

أي شديدًا صعبًا لأنه يوم عدل وقضاء فصل كما قال تعالىٰ: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾﴾ وقال تعالىٰ: ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ فهذا حال الكافرين في هذا اليوم وأما المؤمنون فكما قال تعالىٰ ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [**الأنبياء: ١٠٣**]
تفسير ابن كثير (٣/ ٣٢٦) .

(٣) روى ابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٠١) عن أبي سعيد وأبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «**إذا كان يوم حار فقال العبد: لا إله إلا الله ما أشد حر هذا اليوم، اللهم أجرني من حر نار جهنم، قال الله لجهنم: إن عبدي استجار بي منك وإني أجرته**»

وإذا كان يوم شديد البرد فقال العبد: لا إله إلا الله ما أشد برد هذا اليوم ، اللهم أجرني من زمهرير جهنم، قال الله لجهنم: إن عبدي استجار بي من زمهريرك وإني قد أجرته، قالوا: وما زمهرير جهنم، قال: «**جب يلقى فيه الكافر فيتميز من شدة برده بعضه من بعض**»

ثم يقول الله تبارك وتعالى: تكلمي فتنطلق بألسنة تقول بالفارسية: ﴿تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾﴾[(١)] ثم تقول: يا رب ائذن لي أن أجعل أهل الموقف لقمة واحدة فعندها رجاء الخلائق

فيقول الله ﷻ يا جهنم إن في الموقف عباد إن كانوا يقولون في الدنيا ﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾[(٢)]

فلي الطيب ولك الخبيث، ثم تلا ابن عباس ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [(٣)]

يعني الكافر من المؤمن، فالخبيث للنار والطيب للجنة

وكان جعفر الصادق[(٤)] يقول: والله ما خلق النار إلا تكرمًا

قيل: وما ذاك؟ قال: إنه خلق دار السلام ودعا إليها عباده ثم خلق النار ليدخلها من لا يستجيب له دعوته إلىٰ دار السلام

وأي كرم أبين من هذا

وفي بعض الأخبار أن قومًا يؤمروا إلىٰ النار يوم القيامة وهم لا يعرفون ذلك فيبكي عليهم الملائكة ويقولون مساكين هؤلاء، يؤتى إلىٰ النار وهم لا يشعرون

---

(١) سورة المعارج (١٧)

(٢) سورة الفرقان (٦٥)

(٣) سورة الأنفال (٣٧)

(٤) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله القرشي، الهاشمي، العلوي، المدني، الصادق، صدوق، فقيه، إمام ، أخرج له البخاري في الأدب ومسلم وأصحاب السنن الأربعة توفي سنة (١٤٨، ١٤٠)

ترجمته: تهذيب التهذيب (٢/ ١٠٣)، تقريب التهذيب (١/ ١٣٢)، التاريخ الكبير (٢/ ١٩٨)، ميزان الاعتدال (١/ ٤١٤)، الجرح والتعديل (٢/ ١٩٨٧)، الثقات (٦/ ١٣١)، سير الأعلام (٦/ ٢٥٥).

باب صفة جهنم

أعاذنا الله منها، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾[1] الآية

منها يسمى جهنم: وإنما سميت جهنم لأنها تتجهم في وجوه الناس، وتأكل وجوههم[2]

(قال رسول الله ﷺ «**إن جهنم تحيط بالدنيا، والجنة من ورائها فلذلك صار الصراط طريقًا إلىٰ الجنة . قاله في الجامع الصغير**)[3]

والثاني: ﴿لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾[4] أي آكلة اليدين والرجلين، ﴿تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ﴾[5] عن التوحيد (وتولى) عما جاء به محمد ﷺ

والثالث: يقال له سقر: ﴿لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾ [**المدَّثِّر: ٢٨**] أي لا تبقي علىٰ العظام شيئًا إلا أحرقته، ولا تذر في العظام ويسيل المخ

والرابع: يقال: الحطمة ثم قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾﴾ [**الهُمَزة: ٥**] يا محمد ﴿مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ [**الهُمَزة: ٥**] تعظيما لشأنها وشدة لهبها فهي تحطم عظام الناس وترضه رضّا

---

(١) سورة الحجر (٤٣)

(٢) أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾ [**الحِجر: ٤٤**] قال: جهنم، وسعير، ولظى والحطمة، وسقر، والجحيم، والهاوية، وهي أسفلهم
وأخرج ابن جرير وابن أبي الدنيا في صفة النار عن ابن جريج في قوله ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾ [**الحِجر: ٤٤**] قال: وأولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر ثم الجحيم، ثم الهاوية
قال القرطبي: الباب الأول يسمى جهنم، وهو أهون عذابًا من غيره، وهو مختص بعذاب هذه الأمة وسمي بذلك لأنه يتجهم في وجوه الرجال والنساء فيأكل لحومهم، والهاوية آخرها وهي أبعدها قعرها .
بستان الفقراء ونزهة القراء (٣/ ٢٨٨) من تحقيقنا . طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) وجدناه بالهامش

(٤) سورة المعارج (١٦)

(٥) سورة المعارج (١٧)

ثم قال: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦﴾ [الهُمَزة: ٦] التي أوقدت منذ خلقت لم تطرف طرفة عين منها يثور شرر كالقصر كأنه في الكثرة مثل قطر السماء(١) ولا يقع منها إلا علىٰ الرجال والنساء

فإذا وقعت علىٰ الجسد أحرقته وحطمته(٢) وأهلها يبكون الدموع حتى تنقطع، ويبكون الدم حتى ينقطع ويبكون القيح حتى ينقطع حتى يكون وجه كل واحد كالوادي العظيم لو ألقى السفن لجرت مما يسيل من دموعهم ودمائهم وقيحهم وهم لا يرحمون

والخامس: يقال لها الجحيم، لأنها جحيم عظيم، الجمرة الواحدة فيها أعظم من الجبل

والسادس: يقال لها السعير وهي مسرعة منذ خلقت لم تطرف طرفة عين

---

(١) أخرج السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٩٩، ٥/ ٣٩٩)، عن الخليل بن مرة أن رسول الله ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ تبارك وحم، والسجدة، وقال: الحواميم سبع، وأبواب جهنم سبع، جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والهاوية والجحيم، قال: تجيء كل حاميم منها يوم القيامة تقف علىٰ باب من هذه الأبواب فتقول: اللهم لا تدخل من هذا الباب من كان يؤمن بي ويقرأني

(٢) روى البخاري في صحيحه (٣٢٦٠) ومسلم في صحيحه ١٨٥ ـ (٦١٧)] عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ «**اشتكت النار إلىٰ ربها فقالت: رب أكل بعضي بعضا، فأذن لها في نفسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد من تجدون في الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير**»

قال النووي: قال القاضي: اختلف العلماء في معناه فقال بعضهم: هو علىٰ ظاهره واشتكت حقيقة، وشدة الحر من وهجها وفيحها .

وجعل الله تعالىٰ فيها إدراكًا وتمييزًا بحيث تكلمت بهذا، ومذهب أهل السنة أن النار مخلوقة قال وقيل: ليس هو علىٰ ظاهره، بل هو علىٰ وجه التشبيه والاستعارة والتقريب وتقديره أن شدة الحر يشبه نار جهنم فاحذروه واجتنبوا حروره، قال: والأول أظهر، قلت: والصواب الأول لأنه ظاهر الحديث ولا مانع من حمله علىٰ حقيقته فوجب الحكم بأنه علىٰ ظاهره والله أعلم .

النووي في شرح مسلم (٥/ ١٠٢) طبعة دار الكتب العلمية

فيها سلاسل وأغلال وفيها الويل الذي يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾[١]

وهو واد من أوديتها أشدها حرًا، وأبعدها قعرًا وأكثرها حياتا وعقاربا[٢]، وفيها جب الحزن[٣] ليس في النار أشد منه، إذا فتح ذلك الجب حزن أهل النار حزنا لم يحزنوا مثله قط

وفيها الزمهرير الذي يقول الله تعالىٰ ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [**النبإ**: ٣٠]

يعني الحر والبرد

والسابع: يقال لها الهاوية[٤] من هوى فيها لم يخرج منها أبدا، وفيها بئر الهيهات فيخرج منها نارًا تستعيذ منها نار جهنم بالله من شرها

---

(١) سورة المرسلات (١٥، ١٩،)

(٢) أخرج أحمد في مسنده (٣/ ٧٥) والترمذي في سننه (٣١٦٤) في تفسير القرآن، باب من سورة الأنبياء، عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: «**ويل وادي في جهنم يهوي فيه سبعين خريفًا ثم يهوي وهو كذلك فيه أبدًا**»

وأخرج سعيد بن منصور والبيهقي عن ابن مسعود قال: ويل واد من جهنم يسيل فيه صديد أهل النار جعل للمكذبين .

وابن أبي حاتم عن النعمان بن بشير قال: الويل واد من قيح في جهنم .

وابن جرير وابن المبارك والبيهقي عن عطاء بن يسار قال: الويل واد في جهنم لو سيرت فيه الجبال لماعت من حره .

(٣) روى الترمذي في سننه (٢٣٨٣) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ تعوذوا بالله من جب الحزن، قالوا: وما جب الحزن؟

قال: «**واد في جهنم تتعوذ منه كل يوم مائة مرة**» قيل يا رسول الله ومن يدخله؟ قال: القراء المراءون بأعمالهم»

(٤) أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ [**الحجر**: ٤٤] قال: جهنم، وسعير، ولظى والحطمة، وسقر، والجحيم، والهاوية، وهي أسفلهم

قال القرطبي: الباب الأول يسمى جهنم، وهو أهون عذابًا من غيره، وهو مختص بعذاب هذه الأمة وسمي بذلك لأنه يتجهم في وجوه الرجال والنساء فيأكل لحومهم، والهاوية آخرها وهي أبعدها قعرها .

بستان الفقراء ونزهة القراء (٣/ ٢٨٨) من تحقيقنا . طبعة دار الكتب العلمية .

وفيها الجبل الذي يقول الله تعالىٰ: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾ [**المدَّثِّر**: ١٧] وهي جبل صخرة ملساء مظلما، يرهقون أعداء الله علىٰ وجوههم

كلما انتهى فوقه يضربهم الملائكة بمقامع فيهوي من ضربه سبعين خريفًا إلىٰ النار

شاخصة أبصارهم كالحة وجوههم، خارجة أنيابهم واثقين لكل (شرايين من كل خير جنة)[١] فالله عليهم ساخط وهم عليه هونه

يبكون فلا يرحمون، ويدعون فلا يستجابون[٢]

وروى أنس بن مالك ﵁ قال: لما نزلت هذه الآية بكى رسول الله ﷺ بكاءا شديداً وبكى أصحابه ببكائه

ثم جاءت فاطمة قالت: فداك نفسي ما أبكاك؟

قال: وكيف لا أبكي وقد نزل جبرائيل بهذه الآية ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[٣] قالت: يا رسول الله أخبرني عن باب منها

قال: «**يا فاطمة إن أهون باب سبعون ألف جبل من نار في كل جبل سبعون ألف واد من نار**[٤] **في كل واد سبعون ألف ألف شعب من نار، في كل شعب**

---

(١) كذا بالأصل

(٢) أخرج ابن المبارك عن شفي الأصبحي قال: إن في جهنم جبلا يدعى صعودا يطلع فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يرقاه وإن جهنم قصرا يقال: هوى يرمى الكافر من أعلاه فيهوي أربعين خريفا قبل أن يبلغ أصله، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [**طه**: ٨١]

وروى الترمذي في سننه (٣٣٢٦) كتاب التفسير، باب من سورة المدثر، عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ **قال**: «**الصعود جبل من نار يتصعد فيه الكافر سبعين خريفا ثم يهوي به كذلك فيه أبدا**» وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: صعود صخرة في جهنم يسحب عليها الكافر علىٰ وجهه

(٣) سورة الحجر (٤٣)

(٤) أخرج البيهقي عن مجاهد قال: موبقًا: واحد في جهنم وآثام واد في جهنم

وأخرج ابن المبارك أن جهنم واديًا يدعى آثاما فيه حيات وعقارب في فقار إحداهن مقدار سبعين قلة من السم، والعقرب منهن مثل البغلة الموكفة وإن في جهنم واديا يدعى غيًا يسيل قيحا ودماً .

سبعون ألف مدينة من نار في كل مدينة سبعون ألف ألف قصر من نار، في كل قصر سبعون ألف ألف دار، في كل دار سبعون ألف ألف بيت من نار، في كل بيت سبعون ألف ألف صندوق من نار في كل صندوق ألف ألف لون من العذاب .

فسمعت فتساقطت بوجهها وقالت فاطمة رضي الله عنها: الويل لمن دخلها

فسمع عمر فقال: يا ليتني كنت كبشا فذبحوني وأكلوا لحمي فلم أسمع بذكر جهنم

وقال علي: ليت أمي لم تلدني، وليت السباع أكلوا لحمي ولم أسمع بذكر جهنم

ويقال: لقي محمد جبرائيل، فأوقفه جبرائيل سبعة أيام يتحدثون عن ذكر جهنم، ثم لقيه ميكائيل فوقف أربعة أيام يحدث عن ذكر جهنم من غير أن يذكر ما ذكره جبرائيل عليه السلام

فنادى في الطبق الأول مالك ويل[(١)] يومئذ للمكذبين

والثاني: مالك ينادي ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾[(٢)]

والثالث: مالك ينادي: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهُمَزة: ١]

وفي الرابع: مالك ينادي ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾[(٣)]

وفي الخامس: مالك ينادي ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[(٤)]

---

(١) قال ابن كثير في تفسيره (١/ ١١٧) والويل الهلاك والدمار وهي كلمة مشهورة في اللغة وقال سفيان الثوري عن زياد بن فياض: سمعت أبا عياض يقول: ويل صديد في أصل جهنم، وقال عطاء بن يسار: الويل واد في جهنم لو سيرت فيه الجبال لماعت، وعن ابن جرير بسنده عن عثمان عن النبي ﷺ قال: «**الويل جبل في النار وهو الذي أنزل في اليهود لأنهم حرفوا التوراة . . . الحديث**»

(٢) سورة الماعون (٤-٥)

(٣) سورة البقرة (٧٩)

(٤) سورة فصلت (٧)

وفي السادس: مالك ينادي: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزُّمَر: ٢٢].
وفي السابع: مالك ينادي: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟﴾[1]

باب ذكر سكانها

عن ابن عباس: أنها دركات أحداهن السعير وهي مأوى الشياطين، قال الله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥﴾[2]

والحميم مأوى الطاغين والمؤثرين الدنيا علىٰ الدين

قال الله سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩﴾[3]

والسقر مأوى تارك الصلاة ومانع الزكاة

قال الله تعالىٰ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۝٤٤﴾[4]

---

(١) سورة المطففين (١)

المراد بالتطفيف ههنا البخس في المكيال والميزان أما بالازدياد إن اقتضى من الناس وإما بالنقصان إن قضاهم.

ولهذا فسر تعالىٰ المطففين الذين وعدهم بالخسار والهلاك وهو الويل بقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [المطفّفين: ٢] أي: من الناس ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ أي يأخذون حقهم بالوفي والزائد، ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ [المطفّفين: ٣] أي ينقصون والأحسن أن يجعل كالوا ووزنوا متعديا ويكون في محل نصب ومنهم من يجعلها ضميرا مؤكدا للمستتر في قوله كالوا ووزنوا ويحذف المفعول لدلالة الكلام عليه وكلاهما متقارب

تفسير ابن كثير (٤/ ٤٨٣).

(٢) سورة الملك (٥)

(٣) سورة النازعات (٣٧)

(٤) سورة المدثر (٤٢ ـ ٤٤)

أي ما عبدنا ربنا ولا أحسنا إلىٰ خلقه من جنسنا ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۝٤٥﴾ [المدَّثِّر: ٤٥] أي نتكلم فيما لا نعلم وقال قتادة: كلما غوى غا وغوينا معه

والحطمة وهي مأوى الهمازين والطعانين

قال الله تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهُمَزة: ١] إلىٰ قوله ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ ۝٤﴾ [الهُمَزة: ٤]

والهاوية وهي مأوى من رجحت سيئاته علىٰ حسناته عند الميزان

قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾[1]

واللظى: وهي مأوى الكفار والبخلاء قال الله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧﴾[2]

يعني أدبر عن التوحيد وتولى عنه وجمع فأوعى وتحدى به

وجهنم وهي مأوى فرق الكفار جميعا

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ﴾ [فَاطِر: ٣٦]

وفي بعض الروايات: لما نزل جبرائيل عليه السلام بقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٣ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ۝٤٤﴾[3]

---

(١) سورة القارعة (٨)

(٢) سورة المعارج (١٦، ١٧)

يصف الله تعالىٰ النار وشدة حرها ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦﴾ [المعَارج: ١٦] قال ابن عباس ومجاهد جلدة الرأس، وقال العوفي عن ابن عباس ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦﴾ [المعَارج: ١٦] الجلود والهام

وقال مجاهد ما دون العظم من اللحم، وقال سعيد بن جبير والعصب، وقال أبو صالح، ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦﴾ [المعَارج: ١٦] يعني أطراف اليدين والرجلين، وقال أيضًا لحم الساقين

وقال الحسن وثابت البناني: أي مكارم وجهه، وقال الحسين أيضًا: تحرق كل شيء فيه ويبقى فؤاده يصيح .

وقال قتادة: أي نزاعة لهامته ومكارم وجهه وخلقه وأطرافه .

تفسير ابن كثير (٤/ ٤٢١) .

(٣) سورة الحجر (٤٣)

قال: يا محمد كل باب منها أشد حرًّا من الذي فوقه سبعة آلاف ضعف

فقال لجبرائيل: أخبرني عن أهل كل باب منها(١)

قال: أما الباب الأسفل للمنافقين وأما الذي فوقه لعبدة الأوثان

وأما الذي فوقه فللمجوس، وأما الذي فوقه فلليهود وأما الذي فوقه فللنصارى وأما الذي فوقه فللصابئين، وأما الذي فوقه فللعصاة من أمتك يا محمد ومن سائر الأمم المؤمنين

قال: فبكى رسول الله ﷺ حين سمع بذكر المذنبين من أمته

باب في ذكر صفة مالك(٢) وزبانية جهنم

نعوذ بالله، يقال: إنما سمي الزبانية لأنهم يعملون بأرجلهم كما يعملون بأيديهم

---

(١) أي قد كتب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلونه لا محيد لهم عنه أجارنا الله منها، وكل يدخل من باب بحسب عمله ويستقر في درك بقدر عمله

وقال جويبر عن الضحاك: **«لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم»** قال: باب لليهود وباب للنصارى وباب للصابئين وباب للمجوس وباب للذين أشركو وهم كفار العرب وباب للمنافقين وباب لأهل التوحيد، فأهل التوحيد يرجى لهم ولا يرجى لأولئك أبدًا تفسير ابن كثير (٢/ ٥٦٨).

(٢) أخرج القتيبي في عيون الأخبار، عن طاوس: إن الله خلق مالكا وخلق له أصابع عدد أهل النار، فما من أهل النار معذب إلا ومالك يعذبه بأصبع من أصابعه فوالله لو وضع مالكًا أصبعا من أصابعه علىٰ السماء لأذابها

وفي الدر المنثور (٦/ ١٤٥) والضياء المقدسي في صفة النار عن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: والذي نفسي بيده لقد خلقت ملائكة جهنم قبل أن تخلق جهنم بألف عام فهم كل يوم يزدادون قوة إلىٰ قوتهم حتى يقبضوا علىٰ من قبضوا عليهم بالنواصي والأقدام»

وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن أبي عمران الجوني قال: بلغنا أن خزنة النار تسعة عشر ما بين منكبي أحدهم مسيرة خريف، ليس في قلوبهم رحمة، إنما خلقوا =

فيأخذ الواحد منهم عشرة آلاف من الكفار بيد واحدة وكل واحدة عشرة آلاف، وبإحدى رجليه عشرة آلاف ،وباليد الأخرى والرجل الأخرى كذلك فيعذب أربعين ألف كافر بمرة واحدة لما فيه من القوة والشدة

أكبرهم مالك خازن النار، وثمانية عشر مثله وهم رؤساء الملائكة، تحت كل ملك منهم من الخزنة ما لا يحصي عددهم

أعينهم كالبرق الخاطف، وأنيابهم كصياصي البقر، وأشعارهم تمس أقدامهم يخرج لهب النار من أفواههم، ما بين كتف كل واحد منهم مسيرة سنة لم يخلق الله من الرحمة في قلوبهم مقدار ذرة(١)

يهوي أحدهم في بحار النار مسيرة أربعين سنة فلا تضره لأن النور أشد من حر النار

= للعذاب، يضرب الملك منهم الرجل من أهل النار الضربة فيتركه طينا من لدن قرنه إلىٰ قدمه .

وأخرج هناد عن كعب قال: يؤمر الرجل إلىٰ النار فيبتدره مائة ألف ملك .

قال القرطبي: المراد بقوله ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [المدَّثِّر: ٣٠] رؤساؤهم وأما جملة الخزنة فلا يعلم عدتهم إلا الله

(١) أخرج أبو نعيم والضياء عن كعب قال: يقول الله للزبانية: انطلقوا بالمصرين من أهل الكبائر من أمة محمد إلىٰ النار، فتأخذ الزبانية بلحي الرجال وذوائب النساء، فتنطلق بهم إلىٰ النار، وما من عبد يساق إلىٰ النار من غير هذه الأمة إلا مسودًا وجهه، وقد وضعت الأنكال في قدمه والأغلال في عنقه إلا من كان من هذه الأمة فإنهم يساقون بألوانهم فإذا وردوا علىٰ مالك قال لهم: من أي أمة أنتم؟

فما ورد عليّ أحسن وجوها منكم، فيقولون: نحن من أمة القرآن، فينادي: يا مالك لا تسود وجوههم، فقد كانوا يسجدون في دار الدنيا .

يا مالك لا تغلهم بالأغلال فقد كانوا يغتسلون من الجنابة، يا مالك لا تقيدهم بالأنكال فقد طافوا بالبيت الحرام، يا مالك لا تلبسهم القطران فقد خلعوا ثيابهم للإحرام، يا مالك قل للنار: تأخذهم علىٰ قدر أعمالهم، فالنار أعرف بهم وبمقادير استحقاقهم من الوالدة بولدها فمنهم من تأخذه إلىٰ كعبه ومنهم من تأخذه إلىٰ ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلىٰ سرته، ومنهم من تأخذه إلىٰ صدره .

بستان الفقراء ونزهة القراء (٣/ ٣٢٧) من تحقيقنا . طبعة دار الكتب العلمية .

قال منصور بن عمار: إن لمالك أياد بعدد أهل النار مع كل رجل يد يقيمه ويقعده ويسلسله

فإذا أحس فـي النار فترة زجرها زجرة فأكلت النار بعضها بعضا من خوف مالك

فإذا نادوا ﴿يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[1] يقول الله لهم: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] بعد أربعين سنة

فصارت وجوههم قطع لحم ليس فيها مناخر ولا أفواه

يتردد النفس في أجوافهم ، وينهق كالحمار

باب صفة النار وعذابها

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾[2]

فاعلم يا مسكين إنك من الورود علىٰ اليقين ومن النجاة علىٰ الشك[3]

فاستشعر في قلبك هول ذلك اليوم فعساك تستعد للنجاة

فكيف لو نظرت إليهم وقد اسودت وجوههم أشد سوادا من اللحم، وعميت أبصارهم وخرست ألسنتهم وجدعت أنوفهم، وغلت أيديهم إلىٰ أعناقهم

---

(١) سورة الزخرف (٧٧)

(٢) سورة مريم (٧١)

(٣) قال ابن جرير بسنده عن أبي إسحاق كان أبو ميسرة إذا أوى إلىٰ فراشه قال: يا ليت أمي لم تلدني ثم يبكي فقيل له ما يبكيك يا أبا ميسرة؟

فقال: أخبرنا أنا واردوها ولم نخبر أنا صادرون عنها، وقال عبد الله بن المبارك عن الحسن البصري قال: قال رجل لأخيه هل أتاك أنك وارد النار، قال: نعم، قال: هل أتاك أنك صادر عنها، قال: لا، قال: ففيم الضحك، قال: فما رئي ضاحكًا حتى لحق بالله .
تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٦) .

وقد تقلصت إحدى شفتيه قد غطت وجهه والأخرى ساقطة علىٰ صدره يمشون علىٰ وجوههم في النار

من فوقهم نار، ومن تحتهم نار، وعن أيمانهم نار وعن شمائلهم نار، ولباسهم نار، وشرابهم نار(١)

إن قعدوا فعلى النار، وإن قاموا فعلى النار لا ينجيهم ولا يغنيهم الأسف أن بكوا لم يرحموا وإن دعوا لم يستجابوا، فيصيحون من فجاجها وشعابها بكيا من ترادف عذابها(٢)

يا مالك قد حق علينا الوعيد، يا مالك قد أوثق الحديد، يا مالك قد نضجت منا الجلود يا مالك أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون

فلا يجيبهم ألف عام، ثم يأتيهم الجواب هيهات هيهات ولات حين أمان، ولا خروج لكم من دار الهوان، اخسئوا فيها بغضب الرحمن

قد قضي الأمر الذي فيه تستفتيان

---

(١) روى الترمذي في سننه (٢٥٨٦) كتاب صفة جهنم، ٥ ـ باب ما جاء في صفة أهل النار، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ «**يلقى علىٰ أهل النار الجوع، حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع ولا يسمن ولا يغنى من جوع ذي غصة فيذكرون أنهم كانوا يخيرون الغصص في الدنيا بالشراب، فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم، وإذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم فيقولون: ادعوا خزنة جهنم فيدعون خزنة جهنم أن** ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [**غافر: ٤٩**] فيقولون: ﴿قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾

فيقولــون: ادعوا مالكا فيدعون مالكا، فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك، فيجيبهم أنكم ماكثون.

(٢) أخرج الأعمش: أنبئت أن بين دعاءهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام، فيقولون: ادعوا ربكم، فلا أحد خير من ربكم، فيقولون: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ فيجيبهم ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾، فعند ذلك ييأسوا من كل خير وعند ذلك أخذوا في الزفير والحسير والويل

بستان الفقراء ونزهة القراء (٣/ ٣٠٦) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية.

ثم يقولوا لخزنة جهنم ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٩]

قالوا بعد ألف عام: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [غافر: ٥٠] قالوا بلى قد أتانا الرسول بالرسالة فأبينا

قال: فادعوا إذا ربكم تستهزئ بهم الزبانية

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الرّعد: ١٤] لا ينفعهم

ثم يقولوا ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزّخرُف: ٧٧] أي ليمتنا

قال: فيجيبهم مالك بعد ألف عام ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزّخرُف: ٧٧] أي دائمون فيها أبدًا

قال: فيقولون ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾[1] فلا يجيبهم ألف عام، ثم يأتي الجواب: فيقول: اخسئوا، أي ابعدوا فيها ولا تكلمون فعند ذلك يئسوا من كل (خير)[2] وأخذوا في الزفير والشهيق والويل والثبور

ثم يدعون الله ألف سنة ويسألون الغيث بما بهم من العطش[3] وشدة العذاب

لكن يزيل عنهم بعض الحرارة والعطش

---

(١) سورة المؤمنون (١٠٦، ١٠٧)

(٢) كذا بالأصل

(٣) قال تعالىٰ: ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ وقال تعالىٰ: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩]

وقال تعالىٰ: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾

وأخرج القرطبي في تفسيره (٢٠/ ٣٠)، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «**الضريع شيء يكون في النار شبه الشوك أمر من الصبر وأنتن من الجيفة، وأشد حرًا من النار، إذا طعمه صاحبه لا يدخل البطن ولا يرتفع إلىٰ الفم، فيبقى ذلك لا يسمن ولا يغني من جوع**»

فإذا تضرعوا ألف سنة يقول لجبرائيل: يا جبرائيل إيش يطلبون الأشقياء، فيقول جبرائيل: أنت أعلم إنهم يسألون الغيث

قال: فيظهر لهم سحابة سوداء فيظنون أنهم يمطرون فيرسل عليهم الحيات والعقارب(١) كأعناق الإبل كلما لسعت لسعة لا يذهب وجعها ألف عام

يسألون الله تعالىٰ بعد ألف سنة أخرى أن يرزقهم الغيث فيظهر لهم سحابة حمراء فيظنون أنهم يمطرون فيرسل العقارب كأمثال البغال(٢) فيلدغ الواحد منهم فلا يذهب عنهم الوجع ألف سنة وهذه العقارب والحيات إنما يسلط من كان عليه في الدنيا من البخل وسوء الخلق وإيذاء الناس فمن وقي من ذلك وقي من ذلك العذاب

ثم يقولون: كنا إذا صبرنا في الدنيا كان لنا الفرج ويصبرون ألف سنة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون(٣)

فيقولون: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ﴾ **[إبراهيم: ٢١]** من ملجأ ولا مهرب

---

(١) أخرج ابن المبارك وابن أبي الدنيا والبيهقي من طريق مجاهد عن يزيد بن شجرة قال: إن لجهنم جبابًا في ساحل كساحل البحر فيها هوام حيات كالبخاتي وعقارب كالجبال

وإذا سأل أهل النار التخفيف قبل أخرجوا إلىٰ الساحل فتأخذهم تلك الهوام بشفاههم وجنوبهم وما شاء الله من ذلك فتكشطها ، فيرجعون فيبادرون إلىٰ معظم النار، ويسلط عليهم الجرب حتى أن أحدهم ليحك جلده حتى يبدوا العظم فيقال: يا فلان هل يؤذيك هذا ؟ فيقول: نعم فيقال له: ذلك بما كنت تؤذي المؤمنين .

بستان الفقراء ونزهة القراء (٣/ ٣٠٨) من تحقيقنا . طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) أخرج أحمد في مسنده (٤/ ١٩١)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٩٣)، عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي قال: قال رسول الله ﷺ «**إن في النار لحيات كأمثال أعناق البخت، تلسع إحداهن اللسعة فيجد حرها أربعين خريفا وإن في النار عقارب أمثال البغال الموكفة، تلسع إحداهن اللسعة فيجد حرها أربعين خريفا**»

(٣) أخرج الخطيب في تاريخ بغداد (١١/ ٢٩٩)، والقرطبي في تفسيره (١/ ٢٣٦)، عن علي ابن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ «**كل مؤذ في النار**»

قال القرطبي : في تأويله وجهان: أحدهما: أن كل من آذى الناس في الدنيا فهو معذب في النار يوم القيامة . والثاني: أن كل ما يؤذي من السباع والهوام وغيرهما في النار معد لعقوبة أهل النار .

فذلك قوله تعالىٰ: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ أي يفسدون

وقال ﷺ: «إن لكل شيء فترة وملالة إلا النار فإن الله تعالىٰ قال: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزخرف: ٧٥] أي آيسون من كل خير وراحة

وقال ابن عباس لأهل النار ست دعوات: قالوا إذا دخلوا النار ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١]

فيجيبهم الله بعد ألف عام: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾(١)

ثم ينادون ألف سنة أخرى: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السَّجدَة: ١٢]

فيجيبهم الجبار جل جلاله بعد ألف عام: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾(٢)

ثم ينادون ألف سنة أخرى: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ﴾ [فاطر: ٣٧]

فيجيبهم الجبار جل جلاله بعد ألف سنة: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧]

---

(١) سورة غافر (١٢)

(٢) سورة إبراهيم (٤٤)

قال تعالىٰ ردًا عليهم في قولهم في حال محشرهم ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ﴾ الآية، وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾ فرد عليهم ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤] أي أو لم تكونوا تحلفون من قبل هذه الحالة أنه لا زوال لكم عما أنتم فيه وأنه لا معاد ولا جزاء فذقوا هذا بذلك وقال مجاهد وغيره ﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤] أي ما لكم من انتقال من الدنيا إلىٰ الآخرة

تفسير ابن كثير (٢/٥٥٨).

ثم ينـادون ألف سنـة أخـــرى: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ۝١٠٧﴾[١]

فيجيبهم الجبار جل جلاله بعد ألف سنة ﴿اخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[٢] أي ابعدوا واطردوا ولا تكلمون بعدها أبدًا[٣]

وقالوا ﴿سَوَآءٌ عَلَيْـــنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾[٤] أي: من ملجأ فذلك غايته شدة العذاب

ثم لا يسمعون منها إلا الزفير، وهو أول نهيق الحمار، والشهيق آخره حين يفرغ من صوته إذا ردده في جوفه

وعووا كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون

عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ[٥]: «**يلقى علىٰ أهل النار الجوع حتى يعدل ما فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بالطعام ذي غصة غير سائغة يأخذ في الحلق لا هو نازل ولا هو خارج، وهو الزقوم والغسلين والضريع، وهو شوك من نار أنتن من الجيفة وأشد حرًا من النار، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون**

---

(١) سورة المؤمنون (١٠٧)

(٢) سورة المؤمنون (١٠٨)

(٣) روى الزبيدي في الاتحاف (١٠/ ٥١٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٧)، عن حذيفة أن النبي ﷺ قال: «**إن الله إذا قال لأهل النار** ﴿اخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [**المؤمنون: ١٠٨**] عادت وجوههم قطع لحم ليس فيها أفواه ولا منخار، يتردد النفس في أجوافهم، وإنه ليسقط عليهم حيات من نار وعقارب من نار، لو أن حيه منها نفخت بالمشرق لاحترق من المغرب

ولو أن عقربًا منها ضربت أهل الدنيا لاحترقوا عن آخرهم، وإنها لتسلط عليهم فيكون بين لحومهم وجلودهم وإنه يسمع لها هناك جلبة كجلبة الوحش في الغياض.

(٤) سورة إبراهيم (٢١)

(٥) أخرجه: الترمذي في سننه (٢٥٨٦) والزبيدي في الاتحاف (١٠/ ٥١٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٦٨٦) والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٥١٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٦، ٦/ ٣٤٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٤٨١)، والطبري في تفسيره (١٨/ ٤٦)

الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون فيعطيهم فيعطشهم ألف سنة فيستغيثون للشراب فيغاثون إليهم بالحميم والغساق(١)

ولو أن دلواً منها ألقي في الدنيا لأنتن أهل الأرض جميعًا، فإذا أدنت من وجوههم سوت وجوههم وإذا دخل بطونهم قطع ما في بطونهم(٢) ثم يزيد في عظم أجسامهم كالجبال طولاً وعرضًا حتى يتزايد بسببها فيحسون بلفح النار ولدغ الحيات والعقارب، دفعة واحدة علىٰ التوالي فضرس الكافر في النار مثل أحد، وغلظ جلده اثنان وأربعين ذراعا (٣) تحرقهم النار مرة واحدة(٤) وتجدد أخرى ويرسل علىٰ أهل النار البكاء حتى

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم من طريق أبي طلحة عن ابن عباس «**بماء كالمهل**» قال: أسود كعكر الزيت

وفي قوله تعالىٰ: «**شرب الهيم**» قال: سرب الإبل العطاش

وروى ابن أبي حاتم أيضًا عن السدي في قوله: «**عين آنية**» قال: انتهى حرها، فليس فوقه حر.

وأخرج هناد عن مجاهد قال: الغسَّاق: الذين لا يستطيعون أن يذوقوه من شدة برده.

وأخرج عن أبي العالية في قوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾.

قال: استثنى من الشراب الحميم، ومن البارد الغساق.

بستان الفقراء ونزهة القراء (٣/ ٣٠٧) من تحقيقنا. طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) قال ابن عباس: المهل: الماء الغليظ مثل دردي الزيت، وقال مجاهد: هو الدم والقيح، وقال عكرمة هو الشيء الذي انتهى حره

وقال آخرون: هو كل شيء أذيب، وقال قتادة: أذاب ابن مسعود شيئًا من الذهب في أخدود فلما انماع وأزبد قال: هذا أشبه شيء بالمهل، وقال الضحاك: ماء جهنم أسود وهي سوداء وأهلها سود، وهذه الأقوال ليس شيء منها ينفي الآخر فإن المهل يجمع هذه الأوصاف الرذيلة كلها فهو أسود منتن غليظ حار ولهذا قال: ﴿يَشْوِي ٱلْوُجُوهَ﴾

تفسير ابن كثير (٣/ ٨٤).

(٣) روى مسلم في صحيحه [٤٤. (٢٨٥١)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ١٣. باب النار يدخلها الجبارون عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**ضرس الكافر في النار مثل أحد وفخذه مثل البيضاء ومقعده من جهنم كما بين مكة والمدينة، وغلظ جلده اثنان وأربعون ذراعًا بذراع الجبار**»

وفي مسند أحمد (٢/ ٢٦) عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**يعظم أهل النار في النار حتى إن** =

تنقطع الدموع ثم يبكون القيح، حتى لو أرسلت فيهم السفن لجرت.

ثم قال: مساكين أهل النار عُمي لا يبصرون، بكم لا ينطقون صُم لا يسمعون.

وكل جائع يشتهي الطعام إلا أهل النار، وكل عطشان يشتهي الماء إلا أهل النار، وكل عار يشتهي اللباس إلا أهل النار، وكل ميت يشتهي الحياة إلا أهل النار، فإنهم يتمنون الموت

إذا كان يوم القيامة يوضع كرسي من النار فيقعد عليها إبليس عليه اللعنة فيجتمع الشياطين والكفار عنده وله صوت كصوت الحمار

ينهق ويقول: يا أهل النار، كيف وجدتم اليوم ما وعدكم ربكم، قالوا: حقا

ثم يقول قد آيسنا من الرحمة يخطبهم ويقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾[1] الآية

= ما بين شحمة أذن أحدهم إلىٰ عاتقه مسيرة سبعمائة عام، وإن غلظ جلده سبعون ذراعا وإن ضرسه مثل أحد»

وفي مسند أحمد (٢/ ٩٢) عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الكافر ليجر لسانه فرسخين يوم القيامة، يتوطؤه الناس**»

(٤) أخرج أحمد في مسنده (٢/ ٣٢٨)، والترمذي في سننه (٢٥٧٨)، كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في عظم أهل النار، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ضرس الكافر يوم القيامة كأحد، وعرض جلده سبعون ذراعًا، وعضده مثل البيضاء، وفخذه مثل ورقان، ومقعده من النار ما بيني وبين الربذة**»

(١) سورة إبراهيم (٢٢)

يخبر تعالىٰ عما خاطب به إبليس أتباعه بعدما قضى الله بين عباده فأدخل المؤمنين الجنات وأسكن الكافرين الدركات فقام فيهم إبليس لعنه الله خطيبا ليزيدهم حزنا إلىٰ حزنهم وغبنا إلىٰ غبنهم وحسرة إلىٰ حسرتهم فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ [**إبراهيم: ٢٢**] أي علىٰ ألسنة رسله ووعدكم في اتباعهم النجاة والسلامة وكان وعدًا حقًا وخبرًا صدقًا وإما أنا فوعدتكم فأخلفتكم كما قال تعالىٰ: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [**النِّساء: ١٢٠**]

ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ [**إبراهيم: ٢٢**] أي ما كان لي دليل فيما دعوتكم إليه ولا حجة فيما وعدتكم به، ﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [**إبراهيم: ٢٢**] بمجرد ذلك هذا وقد أقامت عليكم الرسل الحجج والأدلة الصحيحة علىٰ صدق ما جاءوكم به فخالفتموهم فصرتم إلىٰ ما أنتم فيه ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ [**إبراهيم: ٢٢**] تفسير ابن كثير (٢/ ٥٤٤)

وأهل النار يبكون فيأمر الله تعالىٰ الملائكة فيضربون إبليس ومن تبعه بمقامع من النار

فيعودون في النار أربعين خريفًا في كل أسبوع يوضع هذا الكرسي لإبليس، فيذكر حال الدنيا، ثم يجدد لهم القنوط من رحمة الله أبد الآبدين

فهذا إذا خرج أهل التوحيد منها وطبق جهنم

فذلك قوله تعالىٰ ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾[1] فلا يسمعون عن الخروج أبد الآبدين

نعوذ بالله

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «**كل نعيم زائل إلا نعيم الجنة، وكل هم منقطع إلا هم النار** »[2]

وقال علي رضي الله عنه: إذا اجتمع أهل النار إلىٰ مالك يؤتى بثياب أهل النار[3] وكل واحد منهم سبعون ألف لباس من قطران، وادخل كل مفصل منهم خاتم من نار، ولكل واحد عشرة خواتم علىٰ الأول مكتوب حق القول بعذابي وسخطي، وعلىٰ الثاني: آيستم من رحمتي

وعلى الثالث: لا روح لكم ولا راحة

وعلى الرابع: قدمت إليكم بالوعيد

وعلى الخامس: طعامكم الزقوم

---

(١) سورة البلد (٢٠)

(٢) ذكره الهندي في الكنز (٣٩٣١٤، ٣٩٣٨٨)، في الجامع الكبير الجزء الثاني (المخطوط) (٢/ ٢٨٢)

(٣) روى أحمد في مسنده (٣/ ٢٤٩) عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «**إن أول من يكسى حلة من النار إبليس فيضعها علىٰ حاجبيه ويسحبها من خلفه، وذريته من بعده ، وهو ينادي يا ثبوراه ويقولون يا ثبوراه ، فيقول لهم: لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً**»

وعلى السادس: شرابكم الصديد ولباسكم القطران[١]

وعلى السابع: رئيسكم إبليس وقرناؤكم الشياطين لا نجاة منه ولا فرار

وعلى الثامن: سُحقا وبعدا لكم من الملك الجبار

وعلى التاسع: بدلت صورتكم وغيرت محاسنكم واسودت وجوهكم

وعلى العاشر: مكتوب حرام عليكم زيارتي واستماع كلامي والنظر إلىٰ وجهي.

وتجري رؤوسهم خمسة أنهار من نحاس مذاب ومن رصاص، ومن حديد، وكل نهر لو قطر منه قطرة لأحرقت الدنيا بحذافيرها، ولا ينفعهم بكاؤهم ثم وانظروا الآن إلىٰ عمقها[٢]

وقد روي عن أبي هريرة قال: كنا مع رسول الله ﷺ فسمعنا وجبة فقال: أتدرون ما هذه الوجبة[٣]

قلنا: الله أعلم ورسوله

---

(١) القطران: هو الذي تهنأ به الإبل، أي تطلى قال قتادة: وهو ألصق شيء بالنار، ويقال فيه قطران: بفتح القاف وكسر الطاء وتسكينها وبكسر القاف وتسكين الطاء ، وكان ابن عباس يقول: القطران وهو النحاس المذاب، وربما قرأها ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٥٠] أي من نحاس حار قد انتهى حره، وكذا روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة

تفسير ابن كثير (٢/ ٥٦١) .

(٢) روى الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٨٩) عن أنس قال: سمع رسول الله ﷺ دويًا فقال: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا حجر ألقي في شفير جهنم سبعين خريفا للآن حتى استقر في قعرها

وفي رواية الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد الخدري قال: سمع النبي ﷺ صوتا هاله، فأتاه جبريل فقال: ما هذا الصوت ، قال: هذه صخرة هوت في شفير جهنم من سبعين عاما، هذا حين بلغت قعرها، فأحب أن يسمعك صوتها، فما رؤي رسول الله ﷺ ضاحكًا ملء فيه حتى قبضه الله .

(٣) الوجبـة: بفتح الواو والموحدة بينهما جيم ساكنة هي الهدة، وهي صوت وقع الشيء الثقيل.

قال: هذا حجر من رضاضة التي من شفير جهنم مثل رأس بني آدم منذ سبعين عاما، الآن انتهى إلىٰ قعرها[(١)]

فلو ألقي من السماء إلىٰ الأرض وهي مسيرة خمسمائة عام لانتهى قبل

قال رسول الله ﷺ: «**أرض جهنم من حديد ونحاس وزجاج ليس فيها تراب ولا نبات مساكين أهل النار لباسهم إذا وضعت علىٰ الأبدان أحرقت اللحوم والعظام، وذابت القلوب،وطعامهم وشرابهم الحميم،**[(٢)] **وهم ينادون بالويل والثبور .**

ويقول الجليل جل جلاله: يا معشر الأشقياء: ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ **[الفرقان: ١٤]**

فهذه أصناف جهنم وتفصيل عمومها وحسراتها لا نهاية لها

فأعظم الحسرات مع ما يلاقونه من شدة العذاب فوت نعيم الجنة ولقاء الله تعالىٰ لأنهم باعوا بشهوات حقيرة في الدنيا في أيام قصيرة نعيم الأبد الذي لا غاية له .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٣١ . (٢٨٤٤)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ١٢ . باب في شدة حر نار جهنم، وبعد قعرها، وما تأخذ من المعذبين

واحمد في مسنده (٢/ ٣٧١)، والزبيدي في الاتحاف (١٠/ ٥١٢)، والآجري في الشريعة (٣٩٤)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٥١٥) والقرطبي في تفسيره (١/ ٢٣٧) .

(٢) قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾﴾

قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾﴾

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾ .

قال تعالىٰ: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾ .

باب خروج المسلمين من النار بالشفاعة(١)

عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «**فإذا نفذ حكم الجليل جل جلاله في العاصين بالنار، وأراد أن يخرجهم منها قال الله لجبرائيل يا جبرائيل ما فعل العاصون من أمة محمد ﷺ**

فيقول انطلق وانظر إلىٰ حالهم فينطلق جبرائيل عليه السلام إلىٰ مالك وهو علىٰ منبر من نار في وسط جهنم، فلما نظر مالك إلىٰ جبرائيل عليه السلام قام تعظيما له

فيقول له يا جبرائيل ما أدخلك هذا الموضع؟

فيقول: ما فعل العصاة من أمة محمد ﷺ

فيقول: ما أسوأ أحوالهم وأضيق مكانهم قد أحرقت النار أجسادهم وأكلت لحومهم

---

(١) الشفاعة خمسة أقسام: أولها: مختصة بنبينا ﷺ وهي الإراحة من هول الموقف وتعجيل الحساب

الثانية: في إدخال قوم الجنة بغير حساب.

الثالثة: الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا ﷺ ومن شاء الله تعالىٰ.

الرابعة: فيمن دخل النار من المذنبين فقد جاءت هذه الأحاديث بإخراجهم من النار بشفاعة نبينا ﷺ والملائكة وإخوانهم من المؤمنين، ثم يخرج الله تعالىٰ كل من قال لا إله إلا الله كما جاء في الحديث «**لا يبقى فيها إلا الكافرون**»

الخامسة: في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها، وهذه لا ينكرها المعتزلة ولا ينكرون أيضا شفاعة الحشر الأول.

قال القاضي عياض: وقد عرف بالنقل المستفيض سؤال السلف الصالح رضي الله عنهم شفاعة نبينا ﷺ ورغبتهم فيها، وعلىٰ هذا لا يلتفت إلىٰ قول من قال: إنه يكره أن يسأل الإنسان الله تعالىٰ أن يرزقه شفاعة محمد ﷺ، لكونها لا تكون إلا للمذنبين فإنها قد تكون كما قدمنا لتخفيف الحساب، وزيادة الدرجات ثم كل عاقل معترف بالتقصير، محتاج إلىٰ العفو، غير معتد بعمله، مشفق من أن يكون من الهالكين، ويلزم هذا القائل ألا يدعو بالمغفرة والرحمة؛ لأنها لأصحاب الذنوب، وهذا كله خلاف ما عرف من دعاء السلف والخلف.

النووي في شرح مسلم (٣/ ٣١، ٣٢) طبعة دار الكتب العلمية.

وبقيت وجوههم وقلوبهم يتلألأ منهم الإيمان(١)

فيقول: ارفع الطبق عنهم فيرفع

فإذا رفع نظروا جبرائيل وإلى حسن خلقه فعلموا أنه ليس من ملائكة العذاب

فيقول يا مالك من هذا العبد الذي لم نر مثله شيئاً أحسن منه؟

فيقول مالك: هذا جبرائيل عليه السلام الكريم على ربه الذي كان يأتي بالوحي إلى محمد ﷺ

فإذا سمعوا ذكر محمد ﷺ صاحوا بأجمعهم وقالوا: يا جبرائيل أقرئ محمد منا السلام وأخبره أن معاصينا فرقت بيننا وبينه(٢)

قال: فينطلق جبرائيل عليه السلام حتى يقوم بين يدي الله تعالى

فيقول الله: يا جبرائيل كيف رأيت أمة محمد ﷺ

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٤٣ . (٢٦)] كتاب الإيمان ١٠ . باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، عن عثمان قال: قال رسول الله ﷺ «**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**»

وفي حديث رقم (٤٤) عن أبي هريرة وقول النبي ﷺ «اشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة»

(٢) اعلم أن مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف أن من مات موحدا دخل الجنة قطعا على كل حال، فإن كان سالما من المعاصي كالصغير والمجنون والذي اتصل جنونه بالبلوغ ، والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي إذا لم يحدث معصية بعد توبته ، والموفق الذي لم يبتل بمعصية أصلا ، فكل هذا الصنف يدخلون الجنة ، ولا يدخلون النار أصلا ، لكنهم يردونها على الخلاف المعروف في الورود

والصحيح أن المراد به المرور على الصراط وهو منصوب على ظهر جهنم . أعاذنا الله منها ومن سائر المكروه .

وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة فهو في مشيئة الله تعالى، فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أولا وجعله كالقسم الأول، وإن شاء عذبه القدر الذي يريده سبحانه وتعالى ، ثم يدخله الجنة فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد ولو عمل من المعاصي ما عمل، كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر ولو عمل من أعمال البر ما عمل .

النووي في شرح مسلم (١/ ١٩٢، ١٩٣) طبعة دار الكتب العلمية .

فيقول: يا رب ما أشد حالهم وأضيق مكانهم

فيقول: هل يسألونك شيئًا؟

فيقول: نعم يا رب سألوني أن أقرئ نبيهم منهم السلام، وأخبره بسوء حالهم

فيقول الله تعالىٰ: انطلق فأبلغه

فيدخل جبرائيل وهو في خيمة من درة بيضاء لها أربعة أبواب مصرعان من ذهب.

فيقول: يا محمد جئتك من عند العصاة الذين يعذبون في النار يقرئونك السلام(١)

يقولون ما أسوأ حالنا وأضيق مكاننا

قال: فيبكي النبي ﷺ، ويأتي تحت العرش ويخر ساجداً ويثني علىٰ الله تعالىٰ

فيقول الله تعالىٰ: يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه

فيقول: يا رب الأشقياء من أمتي قد أنفذت فيهم حكمك وانتقمت منهم، فشفعني فيهم(٢)

قال: فيقول الله تعالىٰ: قد شفعتك يا محمد فأت فأخرج من قال لا إله إلا الله

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٣٤٦ . (٢٠٢)] كتاب الإيمان، ٨٧ ، باب دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن النبي ﷺ تلا قول الله ﷻ في إبراهيم ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إبراهيم: ٣٦] وقال عيسى عليه السلام ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [**المائدة: ١١٨**]

فرفع يديه وقال: «**اللهم أمتي أمتي**» فقال الله ﷻ: يا جبريل اذهب إلىٰ محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل اذهب إلىٰ محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك»

(٢) روى مسلم في صحيحه [٣٣٤ . (١٩٨)] كتاب الإيمان، ٨٦ . باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: لكل نبي دعوة يدعوها ، فأريد أن اختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة

قال النووي: في هذا الحديث بيان كمال شفقة النبي ﷺ علىٰ أمته ورأفته بهم واعتنائه بالنظر إلىٰ مصالحهم المهمة فأخر ﷺ دعوته لأمته إلىٰ أهم أوقات حاجاتهم.

محمد رسول الله(١) فينطلق النبي ﷺ فإذا نظر مالك إلىٰ محمد ﷺ قام تعظيما له

فيقول يا مالك ما حال أمتي الأشقياء فيقول مالك: يا محمد ما أسوأ أحوالهم وأضيق مكانهم فيقولوا: يا محمد قد أحرقت النار أجسادنا وأحرقت أكبادنا وفرقت بيننا وبينك بمعاصينا

قال: فيخرجهم جميعا، وقد صاروا فحمًا قد أكلتهم النار

فينطلق بهم إلىٰ نهر الجنة يسمى الحيوان(٢) فيغتسلون فيه ويخرجون شبانًا أجرادا أمرادا مضيئة وجوههم مكتوب علىٰ جباههم الجهنميون عتقاء الرحمن من النار(٣)

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٤٨ ـ (٣٠)] كتاب الإيمان ١٠ ـ باب الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة قطعا، عن معاذ بن جبل رفعه وفيه: قال هل تدري ما حق الله علىٰ العباد؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإن حق الله علىٰ العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، ثم قال: هل تدري ما حق العباد علىٰ الله إذا فعلوا ذلك، قال قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «أن لا يعذبهم**»

(٢) روى مسلم في صحيحه [٣٠٤ ـ (١٨٤)] كتاب الإيمان ٨٢ ـ باب اثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «**يدخل الله أهل الجنة الجنة، يدخل من يشاء برحمته، ويدخل أهل النار النار، ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه فيخرجون منها حمما قد امتحشوا فيلقون في نهر الحياة أو الحيا، فينبتون كما تنبت الحبة إلىٰ جانب السيل، ألم ترو كيف تخرج صفراء ملتوية .**

(٣) في حديث مسلم قبل هذا وفي حديث آخره «**ولكن ناس أصابتهم النار. . إلى آخره**» قال النووي: فمعناه: أن المذنبين من المؤمنين يميتهم الله تعالىٰ إماتة بعد أن يعذبوا المدة التي أرادها الله تعالى، وهذه الإماتة إماتة حقيقية يذهب معها الإحساس ويكون عذابهم علىٰ قدر ذنوبهم، ثم يميتهم، ثم يكونون محبوسين في النار من غير إحساس المدة التي قدرها الله تعالى، ثم يخرجون من النار موتى قد صاروا فحما، فيحملون ضبائر كما تحمل الأمتعة ويلقون علىٰ أنهار الجنة فيصب عليهم ماء الحياة وينبتون نبات الحبة في حميل السيل في سرعة نباتها وضعفها ، فتخرج لضعفها صفراء ملتوية ثم تشتد قوتهم بعد ذلك ويصيرون إلىٰ منازلهم وتكمل أحوالهم ، فهذا هو الظاهر من لفظ الحديث

وحكى القاضي عياض رحمه الله فيه وجهين أحدهما أنها إماتة حقيقية ، والثاني ليس بموت حقيقي ، ولكن تغيب عنهم إحساسهم بالآلام ، قال ويجوز أن تكون آلامهم أخف فهذا كلام القاضي والمختار ما قدمناه والله أعلم
النووي في شرح مسلم (٣/ ٣٣) طبعة دار الكتب العلمية .

فعند ذلك قالت الكفار الذين كانوا معه في باب الأعلى[(١)] ممن يعتقون الرقاب ويحفرون العيون ويطعمون الطعام وخفف عنهم بذلك

يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج من النار فذلك قوله تعالىٰ: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾ [الحِجر: ٢]

ثم يؤتى بالموت كأنه كبش أملح

فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون الموت، فينظرون ويعرفونه، فيذبح بين الجنة والنار

ثم يقال: يا أهل الجنة خلودًا لا موت فيها، ويا أهل النار خلودًا لا موت فيها[(٢)]

فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٩﴾[(٣)]

قال ﷺ «**فكل من أدخل النار لا يخرج حتى يمضي حقبا من الدهر، والحقب الواحد أربعة آلاف سنة والسنة أربعة آلاف شهر والشهر أربعة آلاف يوم واليوم أربعة آلاف ساعة، والساعة ألف سنة مما تعدون**[(٤)]»

---

(١) كذا بالأصل

(٢) روى البخاري في صحيحه (٦٥٤٨) كتاب الرقاق ٥١. باب صفة الجنة والنار، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ إذا صار أهل الجنة إلىٰ الجنة، وأهل النار إلىٰ النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي مناد يا أهل الجنة لا موت يا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحًا إلىٰ فرحهم ويزداد أهل النار حزنًا إلىٰ حزنهم

وفي مسلم [٤٠. (٢٨٤٩)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٣. باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ «**يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح . . . الحديث**»

(٣) سورة مريم (٣٩)

(٤) في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ۝٢٢ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣﴾

قال ابن كثير: لابثين فيها أحقابا، أي ماكثين فيها أحقابا وهي جمع حقب وهو المدة من الزمان وقد اختلفوا في مقداره.

وقال البزار بسنده عن ابن عمر، عن النبي ﷺ أنه قال: والله لا يخرج من النار أحد حتى =

فانظر يا مسكين ما أطول مثواك في النار، بإيثار شهواتك القليلة في هذه العاجلة.

وما أكثر حسراتك وندامتك في الآجلة إلىٰ أبد الآبدين

نبهنا الله من رقدة الغفلة برحمته وهو أرحم الراحمين

باب صفة الجنة ونعيمها

قال الله تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾ [(١)]

قالت العلماء: إذا قطعوا النار حبسوا بين الجنة والنار فاقتص بعضهم بعضًا

حتى إذا هُذبوا وطيبوا قال لهم رضوان وأصحابه ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزُّمَر: ٧٣]

فإذا سيقوا إلىٰ باب الجنة حتى إذا انتهو إليها وجدوا عند بابها شجرة تخرج من تحتها عينان فعمدوا إلىٰ أحديها فتطهروا فيها فجرت عليهم نضرة النعيم

فلن تتغير أبشارهم بعدها أبدًا

= يمكث فيها أحقابا قال: والحقب بضع وثمانون سنة، كل سنة ثلاثمائة وستون يوما مما تعدون) وقال السدي: لابثين فيها أحقابا، سبعمائة حقب كل حقب سبعون سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوما كل يوم كألف سنة مما تعدون. تفسير ابن كثير (٤/ ٤٦٤).

(١) سورة الزمر (٧٣)

هذا إخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون علىٰ النجائب وفدًا إلىٰ الجنة «زمرًا» أي جماعة بعد جماعة المقربون ثم الأبرار ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كل طائفة مع من يناسبهم: الأنبياء والصديقون مع أشكالهم والشهداء مع أضرابهم، والعلماء مع أقرانهم، وكل صنف مع صنف كل زمرة تناسب بعضها بعضا حتى إذا جاءوها أي وصلوا إلىٰ أبواب الجنة بعد مجاوزة الصراط حبسوا علىٰ قنطرة بين الجنة والنار فاقتص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة

تفسير ابن كثير (٤/ ٦٥).

ثم عمدوا إلىٰ الأخرى فشربوا منها، فأذهبت ما في بطونهم من أذى، وتتلقاهم الملائكة علىٰ باب الجنات[١] يقولون: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ **[الزُّمَر: ٧٣]**

ويلقى كل غلمان صاحبهم كما يفعل في الدنيا إذا جاء من الغيبة

يقولون: قد أعد الله لك كذا وكذا

وينطلق غلام من غلمانه يسعى إلىٰ أزواجه من الحور العين فيقول: هذا فلان باسمه في الدنيا قد قدم

فيقولن: هل رأيته؟ فيقول: نعم

فيملأهن الفرح حتى يخرجن إلىٰ أسكعه الباب وتجيء فيعانقهن طويلاً[٢]

ثم يدخل فإذا ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرۡفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكۡوَابٌ مَّوۡضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ۝١٦﴾[٣]

ثم ينظر إلىٰ تأسيس بنيانه، فإذا هو لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، ولبنة من

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه (٤٨٧٨) كتاب تفسير القرآن من سورة الرحمن ١. باب قوله ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝٦٢﴾ **[الرَّحمٰن: ٦٢]** عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ «**جنتان من فضة وآنيتهما وما فيها وجنتان من ذهب وآنيتها وما فيها، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلىٰ ربهم إلا رداء الكبر علىٰ وجهه في جنة عدن**»

وروى أحمد في مسنده (٤/ ٤١٦) عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «**جنات الفردوس أربع: جنتان من ذهب حليهما وآنيتهما، وجنتان من فضة حليهما وآنيتهما وما فيها وما بينهما وبين أن يروا ربهم إلا رداء الكبرياء علىٰ وجهه في جنة عدن**»

(٢) أخرج الشيخان عن أبي هريرة أنهم تذاكروا الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟ فقال: ألم يقل رسول الله ﷺ: «**ما في الجنة أحد إلا وله زوجتان إنه ليرى مخ ساقها من وراء سبعين حلة، ما فيهم أعزب**» انظر البخاري في بدء الخلق رقم (٣٢٤٥) ومسلم في صحيحه (١٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها

وأخرج الترمذي في سننه (٢٥٣٦) كتاب صفة الجنة باب ما جاء في صفة جماع أهل الجنة عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «**يزوج العبد في الجنة من سبعين زوجة**» قيل يا رسول الله أيطيقها؟ قال: «**يعطى قوة مائة**»

(٣) سورة الغاشية (١٣)

درة، ولبنة من زبرجد بين أخضر وأصفر وأبيض وأحمر من كل لون[١]

ثم يتكئ علىٰ أريكة من أرائكه ثم يرفع طرفه إلىٰ سقفه، فلولا أن الله قدره له لأذهب بصره إنه مثل البرق

فيقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ **[الأعراف: ٤٣]**

قال فتناديهم الملائكة أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون

ثم ينادي المنادي: تحيون ولا تموتون تصحون ولا تسقمون أبدًا، وتقيمون ولا تظعنون أبداً[٢]

ثم يؤتى بطعام بأصناف كثيرة[٣] لا تحصى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل، وأوتوا به متشابها

---

(١) أخرج أحمد في مسنده (٢/ ٣٠٥، ٤٤٥) والترمذي في سننه (٢٥٢٦) عن أبي هريرة قال: قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة وما بناؤها؟ قال: «**لبنة من ذهب ولبنة من فضة وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وملاطها المسك وترابها الزعفران من يدخلها ينعم لا يبأس ويخلد ولا يموت ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه**»

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ٩٥) عن ابن عمر قال: سئل رسول الله ﷺ عن الجنة كيف هي: قال: «**من يدخل الجنة يحيى ولا يموت، وينعم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه قيل يا رسول الله كيف بناوها قال: «لبنة من فضة ولبنة من ذهب ملاطها مسك أذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران**»

(٢) أخرج مسلم في صحيحه [١٨ ـ (٢٨٣٥)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ٧ ـ باب في صفة الجنة وأهلها، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ «**أهل الجنة يأكلون منها ويشربون منها ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبولون ولكن طعامهم ذاك جشاء كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس**.

(٣) قال النووي: مذهب أهل السنة وعامة المسلمين أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون يتنعمون بذلك وبغيره من ملاذ وأنواع نعيمها تنعما دائما لا آخر له، ولا انقطاع أبدًا، وإن تنعمهم بذلك علىٰ هيئة تنعم أهل الدنيا إلا ما بينهما من التفاضل في اللذة والنفاسة التي لا يشارك نعيم الدنيا إلا في التسمية وأصل الهيئة وإلا في أنهم لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبصقون وقد دلت دلائل القرآن والسنة في هذه الأحاديث النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٤٣) طبعة دار الكتب العلمية

يطاف عليهم سبعين صحفة من ذهب كل صحفة فيها لون من الطعام ليس في الأخرى

ثم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك ، أي يختمون آخر شرابهم

لو أن رجلا من أهل الدنيا أخذه بفيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها

وإن في الجنة طيور مثل البخاتي(١)

قال أبو بكر إنها لناعمة يا رسول الله

قال: الذي يأكلها أنعم منها يا أبا بكر، وأنت من يأكلها(٢)

وإن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والجماع(٣)

فلا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون بل حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك

ثم يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير(٤)

وإن أُوتي لؤلؤة منها تضيء ما بين المشرق والمغرب وعلىٰ كل واحد سبعون حلة، فلا يريها ما بين إصبعيه، ومن سره أن يكسو حرير الجنة فليتركه في الدنيا

---

(١) البخت: الإبل الخراسانية وذات السنامين واحداها بختي وجمعها بخاتي

(٢) أخرجه الزبيدي في الاتحاف (١٠/ ٥٤١) والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٥٦) وابن كثير في تفسيره (٧/ ٤٩٧)

(٣) أخرجه الترمذي كما تقدم من حديث أنس وكذلك ابن حبان في صحيحه (٢٦٣٥ ـ الموارد) والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٩) والعقيلي في الضعفاء (٣/ ١٦٦)

(٤) أخرج البخاري في صحيحه (٥٤٢٦) كتاب الأطعمة ٣٠ باب الأكل في إناء مفضض، عن حذيفة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة**»

وفي البخاري أيضًا (٥٨٣٤) كتاب اللباس، ٢٥ ـ باب لبس الحرير وافتراشه للرجال وقدر ما يجوز منه عن عمر قال: قال النبي ﷺ : «**من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة**»

وفي النسائي (٨/ ٢٠٠ المجتبى) عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة . . . الحديث**»

ومن سره أن يسقى الرحيق المختوم[١] فيترك الخمر في الدنيا

ثــم يزوج له من حور العيــن فيغنين بأحسن صوت لـم يسمع مثله الجن والإنس

وليس بمزمار الشياطين، ولكن بتقديس الله وتحميده، وإن أدنى أهل الجنة له ثمانون ألف ألف خادم، وثنتان وسبعون زوجة من الحور العين[٢]

فإذا أرادوا شيئًا مما يشتهون قالوا: سبحانك اللهم

فإذا الخدم قد علموا بشهوتهم فقدموا إليهم يقولون سلام عليكم قد أتيناكم بما تشتهون

فذلــك قوله تعالىٰ: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾ [٣] عند فراغهم من الطعام والشراب ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ **[الفَاتِحَة: ٢]**

---

(١) قال الله تعالىٰ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾﴾ **[ص: ٥١]**، قال تعالىٰ: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ **[الإنسَان: ٢١]**، قال تعالىٰ: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ **[الطُّور: ٢٣]**، قال تعالىٰ: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾، قال تعالىٰ: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾، قال تعالىٰ: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾ **[النَّبَإِ: ٣٤]**

(٢) روى أحمد في مسنده (٣/ ٧٦)، والترمذي في سننه (٢٥٦٢) عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم، واثنتين وسبعون زوجة، وتنصب له قبة من لؤلؤ وياقوت وزبرجد كما بين الجابية وصنعاء**»

وفي ابن ماجه (٤٣٣٧) كتاب الزهد، ٣٩. باب صفة الجنة عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ «**ما من أحد يدخله الله الجنة إلا زوجه ثنتين وسبعين زوجة ثنتين من الحور العين، وسبعين من ميراثه من أهل النار، ما منهن واحدة إلا ولها قبل شهي وله ذكر لا ينثني**».

(٣) سورة يونس (١٠)

باب في ذكر سكانها

قال الله تعالىٰ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون: ١]

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ **«لما خلق الله الجنة خلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر»**[(١)]

ثم قال الله تعالىٰ: تكلمي

قالت: قد أفلح المؤمنون ثلاثا

فقال الله ﷻ وعزتي وجلالي لا أسكن فيك ثمانية نفر من خلقي إلا أن يتوب: لا جبار ولا بخيل ولا سيء الملكة ولا نمام، ولا مدمن خمر، ولا مُصر علىٰ الزنا[(٢)]، ولا قاطع الرحم، ولا الذي يقول: عليّ عهد الله إن لم أفعل كذا ثم لم يف

قال: ثم نعت الله المؤمنين الذين أفلحوا فقال لهم: ﴿فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾[(٣)] أي مخشون أي أذلاء خائفون

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٥ . (٢٨٢٥)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها وأحمد في مسنده (٥/ ٣٣٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤١٣) والطبراني في الكبير (٦/ ١٨٤) والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٥٥٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٩٧)، والزبيدي في الاتحاف (٣/ ١٦٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ١٣)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٢٣٢)، والقرطبي في تفسيره (٥/ ٤٥٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٧٧) .

(٢) حد الزنا منوط في الواقع بإقرار الزاني، فإنه لا يمكن إثباته عليه بالبينة لأنه لا يثبت إلا بأربعة شهود عدول يرون الإيلاج بالفعل، وذلك إن لم يكن محالاً فهو متعذر، وقد اتفقت كلمة الفقهاء علىٰ أن جريمة الزنا تثبت بالشهادة أو الإقرار واتفقوا علىٰ أن عدد الشهود في هذه الجريمة المنكرة أربعة بخلاف سائر الحقوق

الفقه علىٰ المذاهب الأربعة (٥/ ٦٢) .

(٣) سورة المؤمنون (٢)

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون: ٣] أي عن الحلف الكاذب والشتم والأذى[١] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ﴾ [المؤمنون: ٤] الواجبة ﴿فَاعِلُونَ﴾[٢] أي مؤدون

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨﴾[٣] أي حافظون وافون[٤]

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ [المؤمنون: ٩] أي يداومون ويراعون أوقاتها

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ﴾ [البقرة: ٢٧] أهل الصفة، ﴿الْوَارِثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠] النازلون ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون: ١١]

قال: فالجنان أربعة، والأبواب ثمانية علىٰ كل باب مصراعان ما بين الباب مسيرة ألف سنة فباب للأنبياء والمرسلين وباب للمصلين وباب للشهداء، وباب

(١) وجدناه بالهامش

(٢) سورة المؤمنون (٣)

(٣) سورة المؤمنون (٥، ٦، ٧، ٨)

(٤) في حديث «**حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات**» وهو في البخاري (٦٤٨٧) ومسلم (٢٨٢٢) عن أبي هريرة، قال النووي: قال العلماء هذا من بديع الكلام وفصيحه وجوامعه التي أوتيها ﷺ من التمثيل الحسن، ومعناه: لا يوصل الجنة إلا بارتكاب المكاره، والنار بالشهوات، وكذلك هما محجوبتان بهما، فمن هتك الحجاب وصل إلىٰ المحجوب، فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره، وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات، فأما المكاره فيدخل فيها الاجتهاد في العبادات، والمواظبة عليها، والصبر علىٰ مشاقها، وكظم الغيظ، والعفو والحلم والصدقة والإحسان إلىٰ المسيء والصبر عن الشهوات، ونحو ذلك وأما الشهوات التي النار محفوفة بها، فالظاهر أنها الشهوات المحرمة كالخمر والزنا والنظر إلىٰ الأجنبية والغيبة واستعمال الملاهي ونحو ذلك

النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٣٦) طبعة دار الكتب العلمية.

للمتصدقين، وباب للصائمين[(١)] وباب للتائبين، وباب لسائر المسلمين

فهم أعلم بمنازلهم من أهل الجنة إذا انصرفوا إلىٰ منازلهم

فمن قتل في سبيل الله دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الجنة يرى غرفًا يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها فيقول لمن هذا فيقولون: هو لك .

قال ﷺ: «**لو مات أحد من أهل الجنة فيريد أن يدخلها**[(٢)]، **فيقول أمامك يا ولي الله، فلا يزال يمر علىٰ قصوره وعلىٰ جناته وعلىٰ أنهاره حتى ينتهي به إلىٰ غرفة من ياقوتة، ومن أسفلها إلىٰ أعلاها مائة ألف ذراع، قد بنيت علىٰ جنادل الدر والياقوت من أخضر وأحمر وأصفر وأبيض**

وفي الغرفة سرير عرضه فرسخ وطوله ميل ولها أربعة الآف مصراع من ذهب علىٰ كل باب حجاب[(٣)]

وطولها في الهواء ستون ميلا من مول بقضبان الدر والياقوت، عليه فرش مرفوعة[(٤)] علىٰ قدر ثلاثمائة ذراع

---

(١) حديث «**إن في الجنة بابًا يقال له الريان لا يدخله إلا الصائمون**» أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ٣٢) ومسلم في صحيحه (٣٢) كتاب الصيام

(٢) أخرج ابن المبارك عن زيد بن شراحة قال: بلغني أن الله لما خلق الجنة وخلق ما فيها من الكرامة والنعيم والسرور قالت: رب لم خلقتني، قال: لأسكنك خلقًا من خلقي ، قالت: رب ائذن لا يدعني أحد ائذن يدخلني كل أحد، قال: كلا سأجعل سبيلك في المكاره، وخلق جهنم، وخلق ما فيها من الهوان والعذاب قالت: رب لم خلقتني؟ قال: لأسكنك خلقا من خلقي، قالت : رب ائذن لا يقربني أحد، قال: كلا إني سأجعل سبيلك في الشهوات»

(٣) روى البخاري في صحيحه (٤٨٧٩، ٤٨٨٠) كتاب التفسير من سورة الرحمن، ٢ . باب حور مقصورات في الخيام، عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «**الخيمة درة طولها في السماء ستون ميلا، في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون، يطوف عليهم المؤمن**»

(٤) أخرج أحمد في مسنده والترمذي وابن حبان والبيهقي وابن أبي الدنيا عن أبي سعيد الخدري قال: قال: رسول الله ﷺ في قوله ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾ **[الواقِعَة: ٣٤]** قال: ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض

وأخرج الترمذي قال: «**ارتفاعهما لكما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام**» وقال الترمذي: قال بعض أهل العلم في تفسيره: معناه أن الفراش في الدرجات وبين =

فإذا أراد ولي الله أن يجلس عليها تواضعت وإذا جلس ارتفعت

ويوضع علىٰ رأسه تاج سبعون ركنا في كل ركن ياقوتة تضيء مسيرة ثلاث ليال للراكب المسرع ووجهه كالقمر ليلة البدر

قال: فيهتز السرير فرحًا وشوقا إلىٰ الله حتى يستوي عليها وهو ينظر إلىٰ قوام بنيانه، يسترقه مخافة أن يلتمع ذلك النور ببصره فبينما هو كذلك إذا أقبلت حور عين معها سبعون جارية، وسبعون غلامًا كأنهم لؤلؤ مكنون(١)

وعليها سبعون حُلة من حرير

يرى مخ ساقـها(٢) من وراء الحلل كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء

فلما عاينها نسي كل شيء كان قبلها فيستوي معها علىٰ السرير فيضع يديه علىٰ نحرها، فإذا يقرأ ما في صدرها أنت حبيبي وأنا حبيبتك

= الدرجات كما بين السماء والأرض

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي أمامة في قوله تعالىٰ ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾ [**الواقعة: ٣٤**] قال: إن أعلاها سقط ما بلغ أسفلها أربعين خريفا

وأخرج الطبراني عنه مرفوعًا بلفظ «**لو طرح فراش من أعلاها لهوى إلىٰ قرارها مائة خريف**».

بستان الفقراء ونزهة القراء (٣/ ٣٩٥) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية .

(١) قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ [**الطور: ٢٤**]، وقال الله تعالىٰ: ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾ [**الإنسان: ١٩**]

وأخرج المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٥٠٩) عن ابن عمر قال: إن أدني أهل الجنة منزلا من يسعى عليه ألف خادم، كل خادم علىٰ عمل ليس عليه صاحبه، وتلا هذه الآية ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [**الإنسان: ١٩**]

وأخرج الطبراني في المعجم الكبير (٦/ ٢٠٨) عن أبي هريرة قال: إن أدنى أهل الجنة منزلا وليس فيهم دنـي لمن يروح عليـه عشرة الآف خادم وليس منهم خادم إلا ومعه طرفة ليس مع صاحبه .

(٢) روى البخاري في صحيحه (٣٢٤٥) كتاب بدء الخلق عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**أول زمرة ترد الجنة صورتهم علىٰ صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها ولا يتمخطون ولا يتغوطون، أنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم من الألوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقيها من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب واحد، يسبحون بكرة وعشيا**»

اشتهت نفسي فيما فوق سبعين سنة ما تنقطع شهوتها ولا شهوته[١]

فبينما هو كذلك إذ أقبلت ملائكة فيقولون للحجاب: إنا رسل الجبار جل جلاله فيتناجون فيما بينهم حتى يقول الذين يلونهم يا ولي الله الملائكة يستأذنون عليك فيقول: ائذنوا لهم

فيدخلون عليه من كل باب من أبواب الغرفة معهم الهدايا والتحف

يقولون: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾[٢]

فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾[٣]

لاستئذان الملائكة عليهم، ولا يدخلون إلا بإذنهم والأنهار مطردة من تحت مساكنهم، والأقمار مدلية عليهم، فإن شاء يتناولها قائما وإن شاء قاعدًا وإن شاء متكئا وإن شاء بفيه

قال: فبينما هو كذلك مرة يتنعم مع زوجاته ومرة يؤتى بغذائه[٤] ومرة تستأذن

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ قال تعالىٰ: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾، ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾، وقال تعالىٰ: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾

وقال تعالىٰ: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾ **[الرَّحمٰن: ٧٠]**، ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ **[الرَّحمٰن: ٥٨]**، ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾، قال تعالىٰ: ﴿۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾﴾ **[ص: ٥٢]**، قال تعالىٰ: ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾ **[النبإ: ٣٣]**

(٢) سورة الرعد (٢٤)

أي وتدخل عليهم الملائكة من ههنا ومن ههنا للتهنئة بدخول الجنة، فعند دخولهم إياها تفد عليهم الملائكة مسلمين مهنئين لهم بما حصل لهم من الله من التقريب والإنعام والإقامة في دار السلام في جوار الصديقين والأنبياء والرسل الكرام.

(٣) سورة الإنسان (٢٠)

أي وإذا رأيت يا محمد (ثم» أي هناك يعني في الجنة ونعيمها وسعتها وارتفاعها وما فيها من الحبرة والسرور ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ **[الإنسَان: ٢٠]** أي مملكة لله هناك عظيمة وسلطانًا باهرًا تفسير ابن كثير (٤/ ٤٥٦)

(٤) أخرج أحمد في مسنده (٦/ ١٠٨) عن زيد بن أرقم قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون فقال: والذي نفسي بيده إن الرجل منهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة»
=

الملائكة علىٰ الدخول عليه، ومرة يؤتى بشرابه ومرة يزور الإخوان في الله إذ بنور قد غشيه

فقال لقهرمانه ما هذا النور الذي غشي بصري لعل الجبار اطلع عليّ؟

فيقول القهرمان: قدوس ربنا، ولكن هذه حوراء أشرقت من خيمتها شوقا إليك.

فلما نظرت إليك علىٰ سرير متكئا تبسمت إليك فرحًا وشوقًا إليك

فما غشيك من النور فهو من نور ثغرها(١)

فذلك قوله تعالىٰ: ﴿كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾(٢) أي مخزون في الصدف الذي لم تمسه الأيدي ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾(٣)

من الخيرات في الدنيا اللهم ارزقنا بحق محمد ﷺ وآله

=

قال: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة.

قال: «**حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل ريح المسك فإذا كان له ذلك ضمر له بطنه**.

وأخرج هناد وأبو نعيم عن إبراهيم التيمي قال: أنه يعطى الرجل من أهل الجنة شهوة مائة وأكلهم ونهمتهم فإذا أكل سقي شرابا طهورا فيجري في جلدة رشح كرشح المسك ثم تعود شهوته.

(١) روى البخاري في صحيحه (٦٥٦٨) كتاب الرقاق ٥١. باب صفة الجنة والنار، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من نساء الجنة اطلعت إلىٰ الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا، ولنصيفها علىٰ رأسها. يعني الخمار. خير من الدنيا وما فيها**» وروى الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٨٥) عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ قال: ينظر في خدها أصفى من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، وأنه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك»

(٢) سورة الواقعة (٢٣)

(٣) سورة الواقعة (٢٤)

باب صفة أهل الجنة ونعيمها

قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ذ[١]

قال رسول الله ﷺ:[٢] «**إن أهل الجنة ليدخلون الجنة علىٰ طول آدم ستون ذراعًا جرد مرد وعلىٰ صورة يوسف وسن عيسى ابن مريم أبناء ثلاثة وثلاثين، ويرفع الصغير إلىٰ ذلك السن، ويوضع الكبير إلىٰ ذلك السن وعلىٰ لسان محمد ﷺ وعلىٰ نغمة داود** عليه السلام»[٣]

قال: إن تدخل الجنة غرفها من فضة وجزعها من ذهب وأوراقها حلل، وأغصانها وثمارها[٤] أحلى من العسل وألين من الزبد ليس له عجم ونخلها من أصلها إلىٰ فرعه نضيد وثمرها

---

(١) سورة السجدة (١٧)

(٢) أخرج أحمد في مسنده (٢/ ٢٩٥، ٥/ ٢٤٣)، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**يدخل أهل الجنة جردًا مردًا بيضا جعدًا مكحلين، أبناء ثلاث وثلاثين وهم علىٰ خلق آدم طوله ستون ذراعا في عرض سبعة أذرع**»

وروى الترمذي في سننه (٢٥٤٥)، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في سنن أهل الجنة، عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال: «**يدخل أهل الجنة جردًا مردًا أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين سنة**»

(٣) انظر ما تقدم في أول الحديث، وقد روى البخاري في صحيحه (٣٣٢٦) كتاب أحاديث الأنبياء، ١ . باب خلق آدم وذريته ومسلم في صحيحه [٢٨ . (٢٨٤١)] كتاب الجنة وصفة نعيمها ١١ . باب يدخل الجنة أقوام افئدتهم مثل أفئدة الطير، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا الحديث**»

وقد أخرج ابن أبي الدنيا عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدخل أهل الجنة الجنة علىٰ طول ستين ذراعا بذراع الملك، وعلىٰ حسن يوسف، وعلىٰ ميلاد عيسى ثلاثة وثلاثين وعلىٰ لسان محمد جردًا مردًا مكحلين**»

(٤) قال تعالىٰ: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [**محمد: ١٥**]

وقال تعالىٰ: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [**الرحمٰن: ٦٨**]

وقال تعالىٰ: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [**الواقعة: ٢٠**]

وقال تعالىٰ: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾

فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام، وكذلك غيره

فقال أبو بكر: يا رسول الله، والله ما به بأس علىٰ أحد من أيها يدعى، فهل يدعى أحد من كلها، فقال: نعم وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر»[(١)]

قال: وإن أهل الجنة يرون أهل الغرف فوقهم كما ترون الكوكب الدري الغابر من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم

قالوا: يا رسول الله: تلك المنازل للأنبياء لا يبلغها غيرهم

قال: بلى والذي نفسي بيده إنهم رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلون ، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما»[(٢)]

فيكون تفاوت الجنات علىٰ قدر تفاوت الأعمال في الدنيا أليس قال الله تعالىٰ:

= قال تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ .

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة في الآية قالوا: أتوا بالثمرة في الجنة، فنظروا إليها قالوا: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ **[البَقَرَة: ٢٥]** في اللون والشكل وليس يشبه الطعم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٦٦٦) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، وفي الصوم، باب الريان للصائم

ومسلم في صحيحه [٨٥ . (١٠٢٧)] كتاب الزكاة، ٢٧ . باب من جمع الصدقة وأعمال البر .

والترمذي في سننه (٣٦٧٤) كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر ﵄ كليهما، والنسائي في الصيام باب (٤٢) .

والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٧١)، والزبيدي في الاتحاف (١٠/ ٥٢٥) والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٤٩، ٥/ ٣٤٢)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٨٣، ١٨٤) .

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه (٦٥٥٥، ٦٥٥٦) كتاب الرقاق، ٥١ باب صفة الجنة والنار، ومسلم في صحيحه [١١ . (٢٨٣١)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ٣ . باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف كما يرى الكوكب في السماء

والترمذي في سننه (٢٥٥٦) كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في ترائي أهل الجنة في الغرف وأحمد في مسنده (٥/ ٣٤٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٦/ ١٧٣، ٢٢٨) .

﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [**الطُّور: ١٦**]

فكلما كان إيمانه وخوفه من الله زائدا علىٰ مثقال ذرة تكون في أعلى عليين علىٰ من دونهم وارتفع لهم أهل درجات العلى في الرفيق الأعلى علىٰ أهل عليين كارتفاع الكوكب الدري في أفق السماء وكلهم في الجنة منعمون

وقد اجتمعوا علىٰ تفاوت درجاتهم فيكون تفاوت ما بين الدرجتين يكون نظر كنظر الغني الذي يملك له مائة درهم إلىٰ الغني يملك الدنيا كلها ما بين المشرق والمغرب

وما أعظم الفرق في الدنيا والآخرة، ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾[(١)]

وإن آخر من يدخل الجنة في أسفلهم درجة [(٢)] لا يدخل بعده آخر، يفسح له في نصيبه مسيرة خمسمائة عام في قصور من ذهب وخيام من لؤلؤ يغدو عليه ويروح سبعون صحفة من ذهب[(٣)]، وليس فيها صحفة إلا وفيها لون من الطعام، وليس في الآخر مثله

وأنه ليلذ آخره كما يلذ في أوله

وكذا من الأشربة

---

(١) سورة الإسراء (٢١)

(٢) أخرج أحمد في مسنده (٥/ ٣٤٣) عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام**»

وفي مسند أحمد أيضًا (٣/ ٨٧) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المتحابين في الله لترى غرفهم في الجنة كالكوكب الطالع الشرقي أو الغربي فيقال من هؤلاء؟ فيقال هؤلاء المتحابون في الله ﷻ** »

(٣) قال تعالىٰ: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾

قال تعالىٰ: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [**الزّخرُف: ٧١**] وأخرج البيهقى عن ابن عمر في قوله ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [**الزّخرُف: ٧١**] قال: يطاف عليهم بسبعين صحفة من ذهب كل صفحة فيها لون ليس في الآخرى

وإنه ليقول: يا رب لو أذنت لي إن أطعمت أهل الجنة وسقيتهم لا ينقضي ما عندي[(١)]

وإن له اثنين وسبعين زوجة من الحور العين سوى زوجاته من الدنيا

فإن الواحدة منهن لتأخذ مقعدها قدر من الأرض فهذه أدنى درجات الجنات فيكون أرفعها

باب صفة دخول أهل الجنة

قال الله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾[(٢)]

عن علــي ﷺ قلــت: يــا رسول الله فمــا هؤلاء الوفــد لا يكــون إلا ركبانا[(٣)]

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٤/ ١٣٤) نقلا عن عبد الرزاق في مصنفه بسنده عن عكرمة مولى ابن عباس رفعه

(٢) سورة مريم (٨٥)

روى الحاكم والبيهقي وعبد الله بن أحمد في رواية المسند وابن جرير وابن أبي حاتم عن علي ابن أبي طالب أنه قرأ هذه الآية فقال: والله ما يحشر الوفد علىٰ أرجلهم ولا يساقون سوقا ولكنهم يأتون بنوق من نوق الجنة، لم ينظر الخلائق إلىٰ مثلها عليها رحال الذهب وأزمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يقرعون باب الجنة .

روى البيهقي من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ قال: ركبانا ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ **[مريم: ٨٦]** قال: عطاشا، وروى ابن جرير عن أبي هريرة في قوله ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ **[مريم: ٨٥]** قال: علىٰ الإبل

بستان الفقراء ونزهة القراء (٣/ ٥٧) من تحقيقنا . طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) روى البخاري في صحيحه (٦٥٢٢) كتاب الرقاق ،٤٥. باب كيف الحشر، عن أبي هريرة ﷺ ، عن النبي ﷺ «**يحشر الناس علىٰ ثلاث طرائق راغبين راهبين، واثنان علىٰ بعير، وثلاثة علىٰ بعير، وأربعة علىٰ بعير، وعشرة علىٰ بعير**». إشارة إلىٰ أنه يكون لمن فوقهم كالأنبياء

قال: يا علي والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بأنيف عليها رحائل الذهب فيستون علىٰ ظهورهم فيطيرون بهم إلىٰ الجنة حتى انتهوا إلىٰ باب الجنة

فإذا عند الباب شجرة ينبع من أصلها عينان فيشربوا من إحدى العينين

فإذا بلغ الشراب إلىٰ صدورهم أخرج الله ما في صدورهم من غل وحسد(١)

فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ **[الحِجر]** (٢)

فلما انتهى الشراب إلىٰ البطن طهرهم الله من دنس الدنيا وقذرها

فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾(٣)

ثم اغتسلوا من الأخرى فجرت عليهم أضواء النعيم فلا يغير ألوانهم وأبشارهم، ولا يشعث أشعارهم أبدًا قال: فيضربون علىٰ الحلقة بالصفائح، فلو سمعت لها الطنين يا علي فيبلغ كل حوراء بأن زوجها قد قدم فبعثت قيمتها

---

(١) انظر الزبيدي في الاتحاف (١٠/ ٥٢٦، ٥٢٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٨٥، ٤/ ٢٨٥)

(٢) سورة الحجر (٤٧)

(٣) سورة الإنسان (٢١)

اخرج ابن جرير والبيهقي عن أبي الدرداء في قوله: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ **[المطفّفِين: ٢٦]** قال: هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به أعذب شرابهم ولو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجه لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها

وأخرج الزبيدي في الاتحاف (١٠/ ٥٤١) عن أبي أمامة قال: إن الرجل من أهل الجنة ليشتهي الشراب من شراب الجنة فتجيء الإبريق فينبع في يده فيشرب ثم يعود إلىٰ مكانه .

وروى أحمد في مسنده (٣/ ١٣) عن أبي سعيد الخدري رفعه: «**أيما مؤمن سقى مؤمنا شربة علىٰ ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم**»

فلولا أن الله عرفهم نفسه لخر له ساجدًا مما يرى من النور والبهاء

فتقول: يا ولي الله أنا قيمتك التي وكلت بمنزلتك فينطلق وهو بالأثر حتى ينتهي إلىٰ قصر من فضة شرفه الذهب، يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهره[١]

فيريد أن يدخله فيقول: يا ولي الله أمامك ما هو أحسن منه، فينطلق به إلىٰ قصر من ذهب شرفه الفضة، يرى ظاهرها وفي الثامن صرتم آمنين وفي التاسع رافقتكم النبيين، وفي العاشر سكنتم في جوار من لا يؤذي الجيران

اللهم ارزقنا يا رب بفضلك وكرمك

باب رؤية الله[٢] وشجرة طوبى

قال الله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يُونس: ٢٦]

---

(١) أخرج أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٣٥٦) عن جابر بن عبد الله قال: قال لنا رسول الله ﷺ «**ألا أخبركم بغرف الجنة؟ قلنا بلى يا رسول الله، قال: إن في الجنة غرفا من أصناف الجوهر يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، فيها من النعم والملذات والشرف ما لا عين رأت ولا أذن سمعت**»، قلنا: يا رسول الله لمن هذه الغرف؟ قال: «**لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام**» قلنا يا رسول الله ومن يطيق ذلك، قال: أمتي تطيق ذلك، وسأخبركم عن ذلك؟ من لقي أخاه فسلم عليه أو رد عليه فقد أفشى السلام، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ومن صلى العشاء الآخرة والغداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام»

(٢) قال النووي: اعلم أن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالىٰ ممكنة غير مستحيلة عقلا، وأجمعوا أيضا علىٰ وقوعها في الآخرة وأن المؤمنين يرون الله تعالىٰ دون الكافرين وزعمت طائفة من أهل البدع المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة أن الله تعالىٰ لا يراه أحد من خلقه وأن رؤيته مستحيلة عقلا، وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة علىٰ إثبات رؤية الله تعالىٰ في الآخرة للمؤمنين النووي في شرح مسلم (٣/ ١٥) طبعة دار الكتب العلمية.

قال ابن عباس ﷺ: الزيادة النظر إلىٰ وجه الله تعالى، ليس شيء أحب إلىٰ أهل الجنة من يوم الجمعة يسمونه يوم المزيد

لأنهم يزورون يومئذ رب العزة

وذلك ما روي عن علي بن أبي طالب أنه قال: «**إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى**»[١]

وهو قوله تعالىٰ: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَئَابٍ ۝٢٩﴾[٢]

ثياب أهل الجنة من أكمامها غرس الله بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلى والحلل منها

وإن أغصانها لترى من وراء سور الجنة

فيقول الله تعالىٰ: تفتقي لعبدي عن ما شاء فتفتق له عن الخيل[٣] سرجها ولجامها .

---

(١) عن أبي سعيد أن رجلا قال: يا رسول الله: ما طوبى؟ قال: شجرة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها»

أخرجه: ابن حبان في صحيحه (٢٦٢٥ ـ الموارد) وأحمد في مسنده (٣/ ٧١) والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٥٢٤)، وهو بدون ذكر «**طوبى**» في البخاري (٦٥٥٢) كتاب الرقاق ٥١ ـ باب صفة الجنة والنار، عن أبي هريرة «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها اقرأوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾ **[الواقِعَة: ٣٠]**

(٢) سورة الرعد (٢٩)

(٣) روى الترمذي في سننه (٢٥٤٣) كتاب صفة الجنة، باب ماجاء في صفة خيل الجنة، عن بريدة أن رجلا قال: يا رسول الله هل في الجنة من خيل قال « **إن الله أدخلك الجنة فلا تشاء أن تركب علىٰ فرس من ياقوتة حمراء إلا ركبت**» فقال آخر: يا رسول الله هل في الجنة من إبل؟ قال: فلم يقل له مثل ما قال لصاحبه قال: « **إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك**»

وفي الترمذي رقم (٢٥٤٤) عن أبي أيوب قال : قال أعرابي: يارسول الله إني أحب الخيل أفي الجنة خيل؟ قال: «**إن دخلت الجنة أتيت بفرس من ياقوتة له جناحان فحملت عليه ثم طار بك حيث شئت**». وروى ابن المبارك في الزهد (٥٥١) عن شفي بن ماتع أن رسول الله ﷺ قال: «**من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون علىٰ المطايا والنجب وأنهم يؤتون في يوم الجمعة بخيل مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول فيركبوها حتى ينتهوا حيث شاء الله**»

وعن الإبل[١] بأن منها وعن ما شاء من الكسوة، وما في الجنة غصن من أغصانها تلك الشجرة متدل عليهم بثمارها

عليها من الثمار مثل قلال كبار

فإذا أرادوا أن يأكلوا من الثمار تدلى عليهم، فأكلوا منها تطيرها الشمس في الدنيا، ولم يخلق الله لونًا ولا زهرة إلا وفيها منها إلا السوداء

ولم يخلق فاكهة ولا ثمرة إلا وفيها طولها وتسير المراكب في ظلها مائة عام[٢] لا تقطعها

وعظم أصلها لو ارتحلت جدعة من الإبل لمات هرما ما أحاطت بأصلها

وكل ورقة منها تظل أمة، ترابها كافور، وحصباؤها مسك وعتبها زعفران وورقها منها برود[٣] وزهرها رياض وقضبانها عنبر، وبطحاؤها ياقوت

يخرج من أصلها أربعة أنهار: الماء والعسل واللبن والخمر[٤]

ويفجر من أصلها عينان الكافور والسلسبيل[٥]، وفي ظلها مجلس من

---

(١) انظر ما سبق

(٢) انظر ما تقدم قريبا في ظل هذه الشجرة وهي كما ورد شجرة طوبى

(٣) كذا بالأصل

(٤) قال تعالى﴿تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [**التوبة: ١٠٠**] ، قال تعالىٰ: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [**محمد: ١٥**]، قال تعالىٰ ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [**الإنسان: ١٨**]

روى الترمذي في سننه (٢٥٧١) كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة أنهار الجنة، عن معاوية بن حيدة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أن في الجنة بحر الماء، وبحر العسل، وبحر اللبن، وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار منها بعد**»

(٥) أخرج ابن أبي الدنيا عن ابن عباس قال الكوثر نهر في الجنة عمقه سبعون ألف فرسخ، ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل شاطئاه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت خص الله به نبيه قبل الأنبياء وأخرج الحارث بن أبي أسامة في مسنده والبيهقي عن كعب قال: نهر النيل نهر العسل في الجنة ونهر دجلة نهر اللبن في الجنة ونهر الفرات نهر الخمر في الجنة ونهر سيحان نهر الماء في الجنة

بستان الفقراء ونزهة القراء (٣/ ٣٨٤) من تحقيقنا. طبعة دار الكتب العلمية.

مجالس أهله في القرية ومحدثهم لمجمعهم

فبينما هو كذلك في ظلها يتحدثون إذا آتتهم الملائكة من ربهم

يقـودون نجباء مزمـوم بسلاسل مـن ذهـب ووجوهـها كالمصابيـح من حسنها

عليها رحائل من زمرد أخضر مضيئة بالذهب الأحمر والفضة البيضاء، ملبسة بالعبقري والإرجوان وأناخوا تلك الرواحل وسلموا عليهم

ويقولون: إن ربنا أرسلنا إليكم لتزوروه وتسلموا عليه وتنظرونه، وينظر إليكم، وتكلموه ويكلمكم وتحيوه ويحيكم وليزدكم من فضله إنه لذو فضل عظيم(١)

فيتحول كل رجل منهم علىٰ راحلته ويركبونها وهي أسرع من الطائر، وأوطأ من الفراش

فينطلقون صفا معتدلا لا ينتظر إذن راحلته صاحبه، حتى أن الشجر ليتنحى عن طريقهم كراهة أن يفرق بينهم

قـال: فيأتون إلىٰ الرحمـن الرحيم فيسفر لهم عن وجه الكريم حتى ينظروا إليه

فإذا رأوه قالـوا: اللهم أنت السلام ومنـك السلام وحق لـك الجلال والإكرام

فيقول الله تبارك وتعالى: أنا السلام ومنا السلام وأنا أحق بالجلال والإكرام عليكم حفت رحمتي ومحبتي

---

(١) أخرج المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٥٢٧) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ **«إن في الجنة طيرًا فيه سبعون ألف ريشة فيجيء فيقع في صحفة الرجل من أهل الجنة، لم ينتقص فيخرج من كل ريشة لونا أبيض من الثلج وألين من الزبد وأعزب من الشهد، ليس فيه لون يشبه صاحبه ثم يطير فيذهب»**

مرحبًا بعبادي الذين يخشوني بالغيب وأطاعوا أمري وأوفوا عهدي

قال: فيقولون ربنا إنا لم نعبدك حق عبادتك ولم نقدرك حق قدرتك ولا أدينا لك حقك(١)

فائذن لنا بالسجود قدامك

قال: فيقول لهم الجليل جل جلاله: إني وضعت عنكم مؤنة العبادة

وهذا حين أرحت لكم أبدانكم وهذا أفضيتم إلىٰ رحمتي وكرامتي فاسألوني وتمنوا عليّ ما شئتم

فإن لكل رجل منكم أمنيته

قال: فيسألوه حتى يقضي لهم أمنيتهم

فيقولون: ربنا نتأنس أهل الدنيا وثمرها كأمثال القلال كلما نزعت عاد مكانها أخرى(٢) العنقود منها اثنا عشر ذراعا وأنها تجري في غير أخدود

وإن أهل الجنة ليس نجوات بذيئات ولا ذفرات ولا بخرات ولا مطلعات ولا

---

(١) روى الترمذي في سننه (٣٤٦٢) عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ **«لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»**

وأخرج أحمد في مسنده (٥/ ٤١٨) عن أبي أيوب الأنصارى أن رسول الله ﷺ مر ليلة أسري به علىٰ إبراهيم خليل الرحمن فقال له: مر أمتك أن يكثروا من غراس الجنة، فأن تربتها طيبة وأرضها واسعة، فقال النبي ﷺ: **« وما غراس الجنة؟» فقال إبراهيم: لاحول ولاقوة إلا بالله»**

(٢) أخرج ابن أبي الدنيا عن ابن مسعود أنه كان بالشام فتذاكروا الجنة فقال: إن العنقود من عناقيدها من هاهنا إلىٰ صنعاء

وأخرج البزار والطبراني عن ثوبان: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: لا ينزع رجل من أهل الجنة من ثمرها إلا أعيد في مكانها مثلها.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن ابن عباس قال: إن الثمرة من ثمر الجنة طولها اثنا عشر ذراعًا ليس لها عجم.

بستان الفقراء ونزهة القراء (٣/ ٣٧٩) من تحقيقنا. طبعة دار الكتب العلمية.

متسوفات ولا متسلطـات ولا طماحات ولا طوافات في الطرف ولا يغرن ولا يؤذين.

قال: وإنهن يأخذ بعضهن بأيدي بعض ويتغنين بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها

فيقلن(١) نحن الخالدات فلا نموت ، نحن الناعمات فلا نبئس نحن خيرات حسان خُبئن لأزواج كرام(٢)

قالت عائشة رضي الله عنها: إن الحور العين إذا قالت هذه المقالة أجابهن المؤمنات من نساء الدنيا، نحن المصليات وما صليتن نحن الصائمات وما صمتن، ونحن المتوضئات وما توضأتن، نحن المتصدقات وما تصدقتن

قالت عائشة رضي الله عنها: فغلبهن والله(٣)

---

(١) أخرج الزبيدي في الاتحاف (١٠/ ٥٤٣) عن أنس والبيهقي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ **«لما أسري بي دخلت الجنة موضعًا يسمى البيذخ عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر، وقلن السلام عليك يا رسول الله قلت: يا جبريل ما هذا النداء؟ قال: هؤلاء المقصورات في الخيام استأذن ربهن بالسلام عليك، فأذن لهن فطفقن يقلن: نحن الراضيات فلا نسخط أبدًا نحن الخالدات فلا نظعن أبدًا وقرأ رسول الله ﷺ :** ﴿حُورٌ مَّقۡصُورَٰتٌ فِي ٱلۡخِيَامِ ۝٧٢﴾

(٢) أخرج ابن المبارك عن زيد بن أسلم قال: إن الله لم يخلق الحور العين من تراب وإنما خلقهن من مسك وكافور وزعفران

وأخرج ابن أبي حاتم وابن أبي الدنيا عن ابن مسعود قال: لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة ولكل خيمة أربعة أبواب تدخل عليه كل يوم تحفة وكرامة وهداية لم تكن قبل ذلك لا مرجات ولا طمحات ولا بخرات ولا ذفرات حور عين كأنهن بيض مكنون .

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : **«لو أن حوراء بزقت في بحر لعذب ذلك البحر من ريقها»**

بستان الفقراء ونزهة القراء (٣/ ٤٠٣) من تحقيقنا . طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٢٥٤٣) كتاب صفة الجنة باب ما جاء في صفة خيل الجنة. وقد تقدم بلفظه في تخريجنا . والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٥٤٥) والزبيدي في الاتحاف (١/ ٥٤٨، ٥٤٩) والقرطبي في تفسيره (١٦/ ١١٤) وابن المبارك في الزهد (٢/ ٨١) وأحمد في مسنده (٥/ ٣٥٢)

عن علقمة قيل يا رسول الله إني أحب الخيل، فهل في الجنة خيل؟

قال ﷺ: إن يدخلك الله الجنة إن شاء فلا تشاء أن تركب فرسا من ياقوتة حمراء تطير بك في أي الجنة شئت إلا فعلت»[(١)]

وقال: يا أعرابي إن يدخلك الله الجنة إن شاء فيها ما اشتهت ولذت عينك[(٢)]

وعن أبي أمامة: أن الرجل ليشتهي الطائر وهو يطير فيقع في كفه، وبين يديه فضيخا إحدى جانبيه قديدا والأخرى شواء[(٣)]

فيأكل منه حتى ينتهي به نفسه لم يطيع ويشتهي فيقع الإبريق في يده فيشرب منه ما يريد ثم يرجع مكانه

فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [**الزّخرُف**: ٧١]. فهكذا نعيم الجنة ما لا نهاية لها

ثم العجب علىٰ من ينسى هذا النعيم بإيثار الدنيا وقليل متاعها ويختار الذل والهوان عند الملك الديان

وفي الخبر عن النبي ﷺ[(٤)]: خلق الله وجه حور العين أربعة ألوان: أبيض

---

(١) انظر ما رواه الطبراني والهيثمي في المجمع والسيوطي في الدر المنثور يأتي قريبا

(٢) بنحوه أخرجه: الترمذي (٢٥٤٤) كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة خيل الجنة، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٥٤٥) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٦٤٣)

وقال الترمذي: هذا حديث ليس إسناده بالقوي ولا نعرفه من حديث أبي أيوب إلا من هذا الوجه.

(٣) أخرجه هناد عن مغيث بن سمي قال: طوبى شجرة في الجنة ليس فيها دار إلا يطلعهم غصن من أغصانها فيه ألوان الثمرة ويقع عليها طيرا أمثال البخت فإذا اشتهى الرجل طيرا دعاه فيقع في خوانه فيأكل من أحد جانبيه شواء والآخر قديدا ثم يعود طيرا فيطير فيذهب»

(٤) أخرجه ابن المبارك عن زيد بن أسلم قال: إن الله لم يخلق الحور العين من تراب إنما خلقهن من مسك وكافور وزعفران

وبلفظ: «**خلق الله الحور العين من الزعفران** ...» الحديث

أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٢٣٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٤١٩)، وابن كثير في تفسيره (٣/ ٣٨٨).

وأخضر وأصفر وأحمر، وخلق يديها من المسك والزعفران والعنبر وشعرها من القرنفل

ومن أصابع أرجلها إلىٰ ركبتها من الزعفران الرطب ومن ركبتها إلىٰ ثدييها من المسك وإلى عنقها من العنبر الأشهب

ومن عنقها إلىٰ رأسها من الكافور(١)

ولو بزقت بزقة في الدنيا لصارت مسكا إلىٰ يوم القيامة ولا بحرا إلا عذب»(٢)

مكتوب اسم زوجها واسم من أسماء الله ما بين منكبيها فرسخ في فرسخ

في كل يد من يديها عشرة أسورة من ذهب وفي كل أصابع عشرة خواتم

وفي رجليها عشرة خلاخل من اللؤلؤ، والجواهر والخلاخل التي في رجليها

سألت ربها أن تنظر إلىٰ ساقها

قال لها الرب: خلقتك لها، ولا خلقتها لك

والخلاخل التي في رجليها لم تر ساقها والأسور في يديها

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٢٣٨) والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٥١) والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٤١٧) عن أم سلمة قالت: يا رسول الله أخبرني عن قول الله تعالىٰ «حور عين» قال: «**حور بيض عين، ضخام، شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر**» الحديث بطوله وفيه قلت: يا رسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: «**نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة علىٰ البطانة**» قلت يا رسول الله وبم ذاك؟ قال: بصلاتهن وصيامهن لله الحديث

(٢) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٥٣٥) والزبيدي في الاتحاف (١٠/ ٥٤٥) والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٣) وابن كثير في تفسيره (٧/ ٢٤٧)

وقال ﷺ: «**الجنة تتلألأ لا ينام أهلها ولا شمس ولا قمر ولا ليل ولا نوم**»(١)

والنوم أخ الموت(٢)، ودون الجنة سبع حوائط محيطة بالجنان

أول الحائط: فضة، والثاني: ذهب وفضة، والثالث: ذهب، والرابع: لؤلؤ، والخامس: دُر، والسادس: زبرجد، والسابع: يتلألأ ما بين الحائطين مسيرة خمسمائة عام

ويعطى الرجل قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع(٣)، يأكل مقدار أربعين سنة، ويشرب ويجامع كذلك في كل يوم مائة عذراء

لكل مؤمن عشرة خواتم يضعها على أصبعيه، مكتوب على أوله: ﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزُّمَر: ٧٣]

والثاني: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤)﴾ [ق: ٣٤]

---

(١) أخرج السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٥٤) عن عبد الله بن أبي أوفى قال: قال رجل يا رسول الله إن النوم مما يقر الله به أعيننا في الدنيا فهل في الجنة نوم؟ قال: لا إن النوم شريك الموت وليس في الجنة موت» قال: فما راحتهم؟ فأعظم ذلك النبي ﷺ فنزلت ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فَاطِر: ٣٥]

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٤١٥) وأحمد في الزهد (٩) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٩٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٩/ ٣٤) وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٤٤٩، ٤٥٠)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٥٦) وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٨٧)

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٢٥٣٦) كتاب صفة الجنة باب ما جاء في صفة جماع أهل الجنة وابن حبان في صحيحه (٢٦٣٥ ـ الموارد) والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٩) والعقيلي في الضعفاء (٣/ ١٦٦)

وروى الزبيدي في الاتحاف (١٠/ ٥٤٦) عن عبد الله بن أبي أوفى قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل من أهل الجنة ليزوج خمسمائة حور وأربعة الآف بكر وثمانية الآف ثيب يعانق كل واحد منهن مقدار عمره من الدنيا**»

وأخرج أبو نعيم عن كثير بن مرة قال: «**إن المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ما تريدون أن أمطركم فلا أرادوا شيئاً إلا مطروا**»

قال كثير: لأن أشهدني الله ذلك لأقولن أمطرينا حواري متزينات .

وفي الثالث: رفعت عنكم الهموم والأحزان

وفي الرابع: لباسكم الحلل

وفي الخامس: زوجنا الحور العين[١]

وفي السادس: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ **[المؤمنون: ١١١]**

وفي السابع: صرتم شبانًا لا تهرمون أبدًا

فإنا نرغب إليك أن تؤتي كل امرئ منا في مقامه هذا مثل الدنيا بما فيها من يوم خلقتها إلىٰ أفنيتها

قال لهم الجليل جل جلاله لقد قصرتم أمنيتكم ورضيتم بدون حظكم، قد أوجبت لكم ما سألتم وألحقت بكم ما قصرتم عنه أمنيتكم

فانظروا إلىٰ ما أعددت لكم، فإذا في الرفيع الأعلى غرف مبنية من الدر والمرجان أبوابها من ذهب ومنابرها من نور، وسررها مفروشة بالسندس والاستبرق، يفور نور مثل شعاع الشمس، فإذا بقصور شامخة في أعلى عليين تزهر أنهارها

لولا أن الله سخرها لاقتلعت الأبصار من شدة صفائها، وعشق حورها

فما كان من الدر الأبيض فمفروش بالحرير الأبيض وما كان من الأحمر فمن الياقوت الأحمر فمفروش بالعبقري[٢]

---

(١) روى أبو داود في سننه والترمذي في سننه (٢٤٩٣) وحسنه عن معاذ بن أنس أن النبي ﷺ قال: «**من كظم غيظاً وهو يقدر علىٰ أن ينفذه دعاه الله علىٰ رؤس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من أي الحور شاء**»

وروى المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٤٩) عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة من كان فيه واحدة منهن زوج من الحور العين رجل ائتمن علىٰ أمانة خفية شهية فأداها مخافة الله، ورجل عفا عن قاتله، ورجل قرأ سورة «قل هو الله أحد»** في دبر كل صلاة.

(٢) قوله تعالىٰ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ۝٧٦﴾ **[الرَّحمٰن: ٧٦]** قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الرفرف: المحابس. وقال عاصم الجحدري: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ **[الرَّحمٰن: ٧٦]** يعني: الوسائد. وهو قول الحسن البصري في رواية عنه وقال أبو داود الطيالسي، بسنده عن سعيد بن جبير قال: الرفرف: رياض الجنة. =

وما كان فيها أخضر فمن الزمرد الأخضر، فمفروش من السندس الأخضر، مبوبة بالذهب الأحمر

وإذا ببراذين من الياقوت الأحمر يجيء بها الولدان المخلدون علىٰ أربعة براذين سرير من ذهب أعلاها قبة من در إما درة وإما ياقوتة وما زمردة في كل قبة جاريتان يعانقانه ويقبلانه ويقولان: والله ما ظننا يخلق مثلك

فانطلقوا يزف بهم تلك البراذين بجنبهم الولدان المخلدون، ويشيعهم الملائكة المقربون

قال: فلما وصلوا إلىٰ قصورهم، نهضت الملائكة في أعراضهم واستنزلوهم وعانقوهم يقولون لهم: هنيئاً لكم كرامة ربكم، فلما ودعوهم ورجعوا عنهم دخلوا قصورهم

فوجدوا الله قد جمع لهم ما تمنوا بما لا يصفها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر(١)

فلما استقروا قرارهم زارهم الملائكة فيقولون: يا عباد الله كيف رأيتم ثواب ربكم؟

= وقوله: ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرَّحمٰن: ٧٦] قال ابن عباس، وقتادة، والضحاك، والسدي: العبقري: الزرابي. وقال سعيد بن جبير: هي عتاق الزرابي، يعني: جيادها

وقال مجاهد: العبقري: الديباج، وسئل الحسن البصري عن قوله: ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرَّحمٰن: ٧٦] فقال: هي بسط أهل الجنة لا أبا لكم فاطلبوها وقال زيد بن أسلم: العبقري أحمر وأصفر وأخضر

تفسير ابن كثير (٤/ ٢٨٠).

(١) روى مسلم في صحيحه [٢. (٢٨٢٤)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها في فاتحته عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «قال الله ﷻ: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر»

قالوا: رضينا اللهم فارض عنا(١)

قال الله تعالىٰ: برضائي عنكم صافحتم ملائكتي وحللتم داري فهنيئا لكم عطائي، ليس فيه نكد ولا تضرير فعند ذلك قالوا: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾(٢)

فذلك قوله تعالىٰ: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾(٣)

اللهم ارزقنا يا رب العالمين

باب في ذكر السماع في الجنة

قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾(٤) أي في بستان يحبرون، أي يكرمون

وقيل: منعمون، وقال بعضهم: الحبر في اللغة كل نعمة حسنة والتحبير التحسين، وقيل: يحبرون أي يلذون بالسماع

(١) وفي مسلم [٩ . (٢٨٢٩)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ٢ . باب إحلال الرضوان علىٰ أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبدا عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: إن الله يقول يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول: هل رضيتم، فيقولون: وما لنا لا نرضى، يا رب وأي شيء أفضل من ذلك، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحد من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك، فيقولون يا رب وأي شيء أفضل من ذلك، فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا »

(٢) سورة فاطر (٣٥)

(٣) سورة الرعد (٢٩)

(٤) سورة الروم (١٥)

عن عبد القدوس بن حجاج قال: سمعت الأوزاعي[١] يقول: في روضة يحبرون للسماع[٢]، وقال: إذا أخذ في السماع لم يبق في الجنة شجرة إلا وردت

قال: سمعت الأوزاعي يقول: ليس أحد من خلق الله ﷻ أحسن صوتًا من إسرافيل، فإذا في السماع قطع علىٰ أهل سبع سموات صلواتهم وتسبيحهم

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ **«للجنة مائة درجة، ما بين درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها سموا وأوسطها محلة، ومنها تفجر أنهار الجنة، وعليها يضع العرش يوم القيامة .**

فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله إني رجل أحب الصوت فهل في الجنة صوت حسن؟ قال: **«والذي نفس بيده إن الله سبحانه وتعالى ليوحي إلىٰ شجرة في الجنة أن أسمعي عبادي الذين اشتغلوا بعبادتي وذكري عن عزف البرابط والمزامير، فترفع صوتًا لم يسمع الخلائق مثله قط تسبيح الرب وتقديسه**[٣]

عن أبي الدرداء قال: كان رسول الله ﷺ يذكر الناس فذكر الجنة وما فيها من الأزواج والنعيم وفي آخر القوم أعرابي فجثا بركبتيه فقال: يا رسول الله هل في الجنة من سماع؟ قال: نعم يا أعرابي إن في الجنة نهر حافتاه الأكابر من كل بيضاء خوصانية يتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق منها قط، فذلك أفضل نعيم أهل

---

(١) الأوزاعي هو عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو أبو عمرو الشامي الأوزاعي الفقيه الدمشقي الهمذاني ثقة جليل ، أخرج له أصحاب الكتب الستة توفي سنة (١٥٧، ١٥٨، ١٥٩) ترجمته: تهذيب التهذيب (٦/٣٣٨)، تقريب التهذيب (١/ ٤٩٣)، تاريخ البخاري الكبير (٥/ ٣٢٦)

(٢) أخرج أحمد في مسنده (٦/٧٦) عن أبي هريرة قال: **«إن في الجنة نهرًا طول الجنة حافتاه، العذارى قيام متقابلات يغنين بأصوات يسمعها الخلائق حتى ما يرون أن في الجنة لذة مثلها، قيل: يا أبا هريرة وما ذاك الغناء؟ ، قال: التسبيح والتحميد والتقديس وثناء علىٰ الرب »**

(٣) أخرجه: أحمد في مسنده (٥/١٥٣). والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٥٢٣) والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٥٣)، وأيضًا وهو في مسند أحمد بن حنبل (٣/ ٢٩)

الجنة، [١] قال: إن في الجنة لأشجار عليها أجراس من فضة فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله ﷻ ريحًا من تحت العرش فتقع في تلك الأجراس فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طربًا[٢]

وإذا كان يوم القيامة ينادي المنادي أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم وأسماعهم عن اللهو ومزامير الشياطين اجعلوهم في رياض المسك واسمعوهم حمدي وثنائي لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، اللهم ارزقنا سماع حمدك وثناءك في الجنان .

باب الزيارة إلىٰ الله سبحانه في الجنة
وبه نختم الكتاب

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ [٣]: إذا أسكن الله أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار ، يهبط الله تبارك وتعالى في كل جمعة في كل سبعة آلاف سنة مرة، وقال في وحيه: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ **[الحج: ٤٧]**. من أيام الآخرة، فيهبط الله إلىٰ مرج الجنة وبطحائها ويمد بينه وبين أهل الجنة حجابًا له من نور ولؤلؤ فيبعث الله تبارك وتعالى جبرائيل إلىٰ أهل الجنة فيأمرهم ليزوره، فيخرج كل رجل في مركبة عظيم حوله صفوا أجنحة الملائكة ودوي تسبيحهم والنور بين أيديهم كأمثال الجبال فيمد أهل الجنة أعناقهم[٤]

(١) أخرجه القيسراني في تذكرة الموضوعات (٥٦٠)

(٢) أخرجه: ابن حجر في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (١٢٩)

(٣) أخرجه: ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٣٧٨)، وابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ٢٥٩)، والسيوطي في اللالئ (٢/ ٢٤٢)

(٤) أخرجه أحمد في الزهد والبيهقي عن مالك بن دينار قال: يقام داود عليه الصلاة والسلام عند ساق العرش فيقول الرب: يا داود مجدني بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني به في الدنيا، فيقول: يا رب كيف وقد سلبتنيه؟ فيقول: إني سأرده عليك اليوم فيندفع داود بصوت يستقرع نعيم أهل الجنة» =

فيقولون: من هذا الذي أُذن له علىٰ الله؟ فتقول الملائكة: هذا المجبول بيده والنفوخ من روحه والمعلم له الأسماء والمسجود له الملائكة والذي أبيح له الجنة هذا آدم

ثم يخرج رجل من مثل مركبه، ودوي تسبيح الملائكة ورفع النور أمامهم فيمد أهل الجنة أعناقهم فيقولون من هذا الذي أذن علىٰ الله؟ فتقول الملائكة هذا المصطفى لوحيه والمؤتمن لرسالته والمجعول عليه النار بردًا وسلامًا هذا إبراهيم خليل الرحمن

ثم يخرج رجل في مثل مركبه ودوي تسبيح الملائكة ورفع النور أمامهم

فيقولون: من هذا الذي أذن علىٰ الله، فتقول الملائكة هذا الذي اصطفاه لنفسه وألقى عليه محبته ولين له الحجر، وأنزل عليه المن والسلوى فظل عليه الغمام وقربه نجيًا وأعطاه الألواح فيها تفصيل كل شيء، وكلم تكليما هذا موسى عليه السلام

ثم يخرج رجل في مثل مركب آدم ومركب إبراهيم وموسى وجميع الملائكة عليهم السلام وجميع مراكب أهل الجنة حوله دوي تسبيح الملائكة، ورفع النور أمامهم فيمد أهل الجنة أعناقهم

فيقولون: من هذا الذي أذن له علىٰ الله فتقول الملائكة هذا المصطفى لوحيه والمؤتمن لرسالاته والمبعوث لنبوته وخاتم الأنبياء والرسل وصاحب لواء الحمد،

= وأخرج هناد والبيهقي عن مجاهد أنه سئل هل في الجنة سماع؟ فقال: إن فيها لشجرة لها سماع لم يسمع السامعون إلىٰ مثلها .
بستان الفقراء ونزهة القراء (٣/ ٤١٦)
من تحقيقنا . طبعة دار الكتب العلمية .

وأول من أنشق القمر علىٰ دوابته وسيد ولد آدم ﷺ وأعظم الأنبياء خوفًا وأول شافع ومشفع(١)

هذا أحمد ﷺ، وقد أذن له علىٰ الله ثم يخرج كل نبي وأمته، ويخرج الصديقون والشهداء علىٰ قدر منازلهم حتى يحفوا بالعرش

فيقول الله لهم: مرحبًا بعبادي وخلقي وزواري ووفدي وجيراني أكرموهم

قال: فتنهض الملائكة ، قال: فيطرحون للأنبياء منابر النور وللصديقين وللشهداء كراسي النور، ولسائر المسلمين كثبان المسك والعنبر فيجلسون عليها

قال: وليس للملائكة في الجنة شيء لا يأكلون ولا يشربون منها شربة، خلقوا للعبادة في الدنيا والآخرة، شهيتهم التسبيح والتهليل، ثم يقول الله تعالىٰ: مرحبًا بعبادي وخلقي وزواري ووفدي أطعموهم فيوضع أسفل الجنة سبعين ألف صحفة من ذهب ليس فيها صحفة علىٰ لون صاحبها عليها ألوان من لحوم الطائر كأنها البخت(٢) لينها لين الزبد(٣) وريحها ريح المسك وحلاوته حلاوة العسل لا ريش له

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٣ ـ (٢٢٧٨)] كتاب الفضائل ٢ ـ باب تفضيل نبينا ﷺ علىٰ جميع الخلائق عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع**»

قال النووي: هذا الحديث دليل لتفضيله ﷺ علىٰ الخلق كلهم لأن مذهب أهل السنة أن الآدميين أفضل من الملائكة وهو ﷺ أفضل الآدميين وغيرهم .
النووي في شرح مسلم (١٥/ ٣٠)
طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) البخت: الإبل الخراسانية وذات السنامين واحدها بختي وجمعها بخاتي

(٣) أخرج المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٥٢٧) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة طيرًا فيه سبعون ألف ريشة فيجيء فيقع في صحفة الرجل من أهل الجنة، لم ينتقص فيخرج من كل ريشة لونا أبيض من الثلج وألين من الزبد وأعذب من الشهد، ليس فيه لون يشبه صاحبه ثم يطير فيذهب**»

ولا عظم له، ولا يمسه نار ولا حديدة فيأكل منها فيجد لآخرهن كما يجد لأولهن طعمًا

ثم يقول الله مرحبًا بعبادي ووفدي وزواري وجيراني أكلوا فاسقوهم فيقوم علىٰ رأس أسفل الجنة منزلة سبعون ألف غلام شبه اللؤلؤ المنثور بأيديهم آنية الفضة وأباريق الذهب فيها أشربة بردها برد الثلج وحلاوتها حلاوة العسل وريحها ريح المسك ممزوج بالزنجبيل والكافور، مطبوخ بالمسك ليس فيها إناءين من لون واحد كلهم (يتباهون)[1] من إنائهم يأخذ الإناء فيوضع الإناء علىٰ فيه قدر أربعين عامًا لا يصدعون ولا ينزفون ليس كخمر الدنيا التي تسلب العقول

ثم يقول: مرحبًا بعبادي وخلقي ووفدي وزواري وجيراني أكلوا وشربوا، فاكهوهم فيأتون بأطباق من ذهب مكلل بالمرجان قد قطن لهم من ثمار الجنة (سفها)[2] كأمثال اللؤلؤ يقطر شهده طيب عذب دسم وهو الرطب الجني الذي ذكره الله تعالىٰ لمريم عليها السلام، ثم يقول الله تعالىٰ مرحبًا بعبادي ووفدي وجيراني أكلوا وشربوا وفكهوا أكسوهم ، قال: فينتهي إلىٰ شجرة من ذهب تنبت السندس والاستبرق والحرير[3] فيأتون بحلل مطوية بنور الرحمن (موسوسة)[4] بالرحمة حتى إذا لبسوا ثم يقول: مرحبًا بعبادي وخلقي ووفدي وزواري وجيراني أكلوا وشربوا وفكهوا ولبسوا، طيبوهم فتهاج ريح في الجنة يقال لها المشيدة فتنتشر أفانين المسك

---

(١) كذا بالأصل

(٢) كذا بالأصل

(٣) روى البخاري في صحيحه (٣٨٠٢) كتاب مناقب الأنصار، ١٢ ـ باب مناقب سعد بن معاذ ﷺ، عن أنس قال: أهدي لرسول الله ﷺ جبه من سندس وكان ينهى عن الحرير فعجب الناس منها فقال: «**والذي نفس محمد بيده إن منديل من مناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا**»

(٤) كذا بالأصل

والعنبر، ويتساقط عليهم من خلال الشجرة حتى يبل عليهم ثيابهم وعمائمهم ثم يقول مرحبًا بعبادي ووفدي وزواري وخلقي أكلوا وشربوا وفكهوا وكسوا وطيبوا وعزتي وجلالي لأريتهم وجهي فيتجلى لهم رب العزة فيقول السلام عليكم يا عبادي انظروا إلىٰ وجهي[١] انظروا إليّ وقد رضيت عنكم، سبحانه تصدع له مدائن الجنة وقصورها وتتجاوب غصون شجرها وأنهارها، وجميع ما فيها سبحانك سبحانك سبحانك فملأوا الأبصار من النظر لوجهه، الذي تقطعت الأبصار دونه، والذي تجلى للجبل فجعله دكا وخر موسى صعقا، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه وأشرقت الأرض بنور ربها، واحتقروا الجنة وجميع ما فيها ونظروا إلىٰ الله تعالىٰ وذلك انتهاء العطاء والمزيد

ثم يحمل العرش إلىٰ الجمعة الأخرى، ويفعل بهم في كل جمعة في سبعة آلاف سنة، فإذا هموا بالنهوض إلىٰ قصورهم أتاهم الملائكة بالنجائب من الجنة فهنيئًا لكم بكرامة ربكم ، ثم ودعهم وانصرفوا عنهم وقد ألبسهم الله من النور والبهاء والجمال

فتقول زوجاتهم ما رأينا أحسن وجوهًا منكم في يومكم لقد ألبسكم الله من النور ما لا يقدر أحد أن ينظر إليكم

فيقولون: كيف يكون كذلك وقد أسفر لنا الجليل عن وجهه وأكرمنا بزيارته وحيانا بفضله، إذ ليس أحد منا إلا وقد جمع أمنيته التي تمنى، ولكل

---

(١) مذهب أهل الحق أن الرؤية قوة يجعلها الله تعالىٰ في خلقه ولا يشترط فيها اتصال الأشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك لكن جرت العادة في رؤية بعضنا بعضا بوجود ذلك علىٰ جهة الاتفاق لا علىٰ سبيل الاشتراط، وقد قرر أئمتنا المتكلمون ذلك بدلائله الجلية ولا يلزم من رؤية الله تعالىٰ إثبات جهة تعالىٰ عن ذلك بل يراه المؤمنون لا في جهة كما يعلمونه لا في جهة والله أعلم النووي في شرح مسلم (٣/ ١٥) طبعة دار الكتب العلمية

واحد من قصورهم باب يفضي إلىٰ واد من أودية الجنة

وكذلــك جبال الجنة فيها معادن الذهب والفضة والدر والياقوت وعيون تلك الجبال في بطــون تلك الأودية، في بطن كل واحد أربع جنان ذواتا أفنان ، الجنة فيــها معادن الذهب والفضة والدر والياقوت وعيون تلك الجبال في بطون تلك الأودية

تم تم تم

تم الكتاب يوم الاثنين في وقت العصر يوم الرابع من شهر شعبان من يد العبد الضعيف ملا شيخ علي بن ملا مصطفى الزاخوري غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين اللهم اغفر لكاتبه ولقارئه والمستمع ولمن نظر إليه آمين

حرم الله لحم كاتبه علىٰ النار، بحق محمد وآله الأخيار

فهرس المحتويات